

جمال شاهين

منشورات المكتبة الخاصة

منشورات المكتبة الخاصة

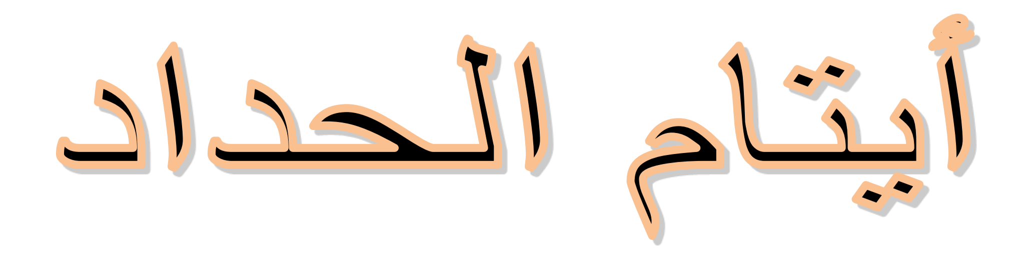
٢٠٢٣/ ١٤٤٤

روايات اجتماعية

جمال شاهين

أيتام الحداد

جمال شاهين



حزن خليل

توقفت السيارة الصغيرة على مدخل الشارع الصغير المؤدي لمنزل السيد فرفر ، فرغم صغر السيارة الأجرة ؛ فإنها لا تستطيع الاندفاع في ذاك الشارع للمشقة التي قد يواجهها السائق ، فالشارع لا يتسع إلا لسيارة واحدة فقط .. فتح الشاب الذي يجلس بجوار السائق الباب ونزل منها بعجلة ليفتح الباب الخلفي حيث قام بمساعدة الرجل المريض خليل فرفر وأنزله رويدا رويدا ، ثم نزلت زوجته جميلة التي كانت تجلس بجواره في المقعد الخلفي ، وقد اتكأ عليها الرجل المريض .. وكان الشاب اليافع يمارس العمل مع زوج أمه وهو يتمتم ويدعو له بالشفاء والصحة والسلامة .. ولما اتكأ المريض على أم الشاب قام الشاب بإغلاق أبواب السيارة ، ونقد سائق الأجرة أجره ، وشكره على تعاونه وصبره معهم ، ثم وضع يد المريض فوق عاتقه ليسير به ، وتهادى الرجل المريض بينهما حتى وصلا لمدخل البيت في نفس الشارع الفرعي الضيق ، ويبعد البيت عن الشارع شارع السيارات الرئيسي حيث توقفت سيارة التاكسي حوالي خمسين خطوة وقد تزيد قليلا .

وكان كل من مرّ عليهم من أهل الحي والشارع أثناء الوصول للبيت يحييهم ويدعو للسيد فرفر أبي أحمد بالسلامة ، حتى أن بعض النسوة فتحت أبواب بيوتهن يحيين أبا أحمد ويتمنين له العافية والسلامة .

ولما استقر الرجل الكهل في بيته وفي حجرته الخاصة حمد الله وشكر أولاد زوجته .. الابن مالك الذي كان برفقته عند خروجه من المستشفى .. وشكر زوجته أم الأولاد أم ربيع .

وجاء ربيع الشاب وسلم على زوج أمه ودعا له بالعافية والشفاء ، وكذلك أتت حنين أصغر أفراد العائلة وقبلت يد عمها زوج أمها ودعت له بالشفاء والسلامة ، فهو بمقام الأب ، فشكرهم ودعا لهم ، وأثنى عليهم ، وتمنى لهم كامل السعادة والتوفيق في الدنيا والآخرة .. ثم خرجت الأم بعدما التقطت أنفاسها لتصنع لهم طعام الغداء .

ولما شرب الرجل المعافى بعض الماء سأل عن البنت البكر لزوجته جميلة صلاح أم ربيع

فقال الشاب ربيع : لم تعد يا عمي من الجامعة.. بعد قليل ستحضر .. أما أنا فقد أنهيت محاضراتي مبكرا حتى فكرت أن أذهب إليكم في المستشفى ؛ ولكن غلب على ظني أنكم خرجتم فعدت للبيت .

فقال فرفر: جزاك الله خيرا يا ولدي ، تأخرنا لبعض الإجراءات ، ولما دفعنا الأجرة ، ولملمنا أوراقنا وحصلنا على الأدوية اللازمة عدنا .. وأحيانا إن لم يكن غالبا تأخذ هذه الإجراءات بعض الوقت .

فقال الشاب : الحمد لله على السلامة يا عم ! أذهب الله عنك البأس .. شدة وتزول بإذن الله .

ـ شكرا يا ولدي .. وبارك الله فيك ، وفي إخوتك ، لقد قمتم بالواجب وزيادة .

وقال كأنه متحسرا : أولاد أمي وأبي لم يفعلوا ما فعلتم .. بوركتم وبوركت أمكم .. لقد صبرت معي الصبر الجميل .. إنها بركتنا ..

وأغمض خليل فرفر عينيه ؛ وكأنه أنـهك وتعب من الكلام ، فسمع الأولاد يستأذنون بالخروج وتركوه ليستريح .. فتمتم ببضع كلمات وأخلد للنوم ، فقد تعب من مشوار الطريق ومن جلسة السيارة ، فقد كان البيت بعيدا عن المستشفى ، ولكنه تحمل وشكر الله وحمده على تخفيف المصاب الذي ألم به .

ولما دخل المساء والليل توافد الجيران على بيت أبي أحمد لتهنئته بمناسبة خروجه من المستشفى سالما بعدما أمضى فيه سبعة أيام بلياليها ـ وكان قد أغمي عليه أثناء وجوده بمحددته ، فنقله العمال إلى مستشفى الحكومة ، فوجدوا أن لديه مشاكل في الصدر والقلب والأوعية ـ رحب الرجل بزائريه وجيرانه وطمأنهم على صحته وشكر لهم خطواتهم ، ورغم البشاشة التي كان يظهرها لعائديه ، كان منقبض النفس، وتظهر بعض الأحيان لمحات الحزن والضيق عليه .

فلما انصرف العائدون وعاد السكون للبيت وانصرف أولاد زوجته جميلة لحجراتهم قالت له الزوجة : مالك يا أبا أحمد كنت تسرح وأنت تتحدث مع هؤلاء الناس والزوار .. أيوجعك شيء ؟!

فهرش رأسه وهو سارح الذهن وقال : الحمد لله على كل حال يا أم ربيع .. أنا بخير ؛ ولكن يؤلمني ويحز في نفسي أنني لم أر أحدا من إخوتي وأخواتي أو بنيهم يزورني في المستشفى رغم مكثي الطويل .. حتى في المرض يا جميلة لم أرهم بقربي .. أنا لم أقصر في تعليمهم ، ولا في زواجهم ، ولم آكل من خيرات أبيهم مليما واحدا ..

فقالت الزوجة: يا أبا أحمد لا تشغل بالك ، ربما لم يسمعوا بمرضك ، فأنت تعلم أنهم يسكنون في أماكن بعيدة عن الحي ، ولا علاقة لهم بالحي منذ كبروا ورحلوا

ـ وأختي صبرية .. لا يبعد بيتها عن بيتنا هذا إلا بضعة شوارع .. أمعقول لم تسمع هي الأخرى بسقمي وقضائي عدة أيام في المستشفى؟! .. ابن عمي أبو شريف القاطن في آخر الدنيا سمع وزارني يا أم ربيع .

ـ الغائب يا ابن الحلال عذره معه .

ـ هذا ما يحزنني يا جميلة ويسرح بي في حال هذه الدنيا .. بارك الله فيك وفي أولادك لقد قمتم بالواجب وزيادة .

فقالت : الأولاد أولادك يا ابن الحلال .. فهذا أقل حق يقدمونه لك .. ألم تحضنهم صغارا وتستر على أمهم؟ .. أنت بركتنا يا أبا أحمد !.. شفاك الله وأبقاك لنا .

فقال وما زال الألم يسيطر عليه ، وكذا الحزن ويحز في نفسه: مهما كبر الإنسان يا جميلة ، ومهما ارتقى العلا في هذه الدنيا لا يجب أن يكبر على أهله .. هل لأنني أصررت أن أبقى حدادا يكرهونني ويقاطعونني ؟!.. فأبي كان سيد الحدادين في زمانه ؟! .. فهل الإنسان إذا تزوج ابنة عائلات انسلخ من جلده ؟! ونسي أخاه الأكبر منه .. الأخ الذي شقي وجاهد حتى يتعلم إخوته في الجامعة .. عيب يا زمن عيب ..!!

وتساقطت دموع خليل فرفر الحداد وهو يتذكر مقاطعة إخوته له أخذت الزوجة تمسح دموعه وتواسيه ، وتهون عليه الأمر ، وترفع من نفسيته المتعبة وتخفف من ألـمه ، ومن ثم قالت : يا أبا أحمد ما الذي ذكرك بهم؟ فهم منذ سنوات لم تلتقِ بهم وتتحادث معهم .. وصبرية ألم تتشاجر

مع زوجها ؟ أنسيت أنك ضربته لما غلط عليك .. فهي معذورة ومغلوبة على أمرها يا أبا أحمد أتريدها أن تترك الأولاد اليوم ؟!

فقال وهو سارح الذهن في ماضي الأيام : أنا ضربت المنحوس من أجلها .. لم أحتمل دموعها فتضايقت منه لما صار يشتم فيها وفيّ من غير خجل ولا حياء .. آ .. كان باستطاعتها أن تخطف رجلها وتزورني في المستشفى .. حق الإخوة .. أنا عفنت هناك .. ولكنها لا تريد .. فأولادها اليوم شباب ، وبعضهم تزوج كما سمعت .. لا حول ولا قوة إلا بالله .. أمري إلى الله ..

بعد مضي أسبوع آخر قضاه خليل فرفر في البيت تعافى ، وعادت له صحته التي كان يباهي بها أهل السوق والحي إلى ما كانت عليه قبل المرض ، وذلك كما أخبره الطبيب المعالج ، ورخص له الطبيب مزاولة العمل .. فعاد لمحددته في شارع (نهر الربيع) حيث تكثر الحوانيت والدكاكين لمثل هذه الأعمال .. ففتح المحل وقد وجد الشابين اللذين يعملان معه في انتظاره ، فهما بعد مرضه بأيام أغلقا الدكان لقلة أعمال الحدادة ، ولغياب المعلم خليل أحمد فرفر .



فهذه أول مرة منذ أكثر من خمس وثلاثين سنة مضت من حياته يضطر خليل أحمد لترك المحل كل هذه المدة ، وحتى هذه أول مرة يمرض هذا المرض ويدخل المستشفى ويبيت فيه ، فلذلك كان متألما جدا من عدم وجود إخوته وأخواته حوله ، فيبدو أن هذه أول مرة يشعر بأنه وحيد لا أهل له ، أو كأنه اكتشف أنه لا أهل له .. حتى أولاد مطلقته الأولى وزوجها عادوه وزاروه واطمأنوا على صحته ، فقد كان خليل قد تزوج قديما ، ولم تأكد له عدم قدرته على الإنجاب طلق زوجته التي تزوجت رجلا من رجال الحي ، وخلفت منه بنين وبنات .. وعجب أيضا من عدم زيارة أولاد إخوته له ، فأسف لهذا الوضع والحال ، وشعر أنه وحيد في هذه الدنيا .. وشكر الله أن سخر له أولاد زوجته جميلة للوقوف بجانبه في هذه المحنة الكبيرة .. فهو منذ سنوات

تزوج الأرملة جميلة على أمل أن تنجب له بنين وبنات ؛ لأنها ترملت على أربعة أطفال

لما ارتفعت شمس النهار بدأ يهل أصحاب المحلات المجاورة للسلام على المعلم خليل أقدم حداد في سوق نهر الربيع ، له تاريخ قديم في السوق منذ حياة أبيه أحمد .. فكانوا يهنئونه على سلامته وعلى عودته للعمل .. فشكرهم وقدم لهم المشروب المناسب ، وقضى يومه الأول في العمل في استقبال وتوديع الجيران في العمل .. ومع ذلك عندما عاد ليلا للبيت عاد مهموما حزينا .. وعاد للحديث عن أهله الذين تخلوا عنه في هذه الأزمة مما دفع زوجته جميلة لأن تقول : يا ابن الحلال .. انس من ينساك .. لماذا تشغل فكرك فيهم هذه الأيام ؟! فأنتم لكم سنون لا تلتقون .. وأنت يا خليل مقصر معهم .

فاحتد الكهل الحداد وصاح : أنا مقصر معهم يا جميلة ! .. من علمهم ؟ من رضي بالفقر من أجلهم .. خالد .. من علمه ؟ وأدخله الجامعة .. منير باشا من صرف عليه حتى صار باشا .. البنات فاطمة وسعيدة .. وصبرية .. !

ـ صبرية قلنا زعلانة لزعل زوجها .. وهي أحسن واحدة كانت معك رغم عتبها الدائم عليك أنك لم تدعها تتعلم كما تعلمت أختاها ..

فقال محتجا : أنا .. لم أعلم فاطمة ولا سعيدة إخوتهن خالد ومنير هما اللذان صرفا عليهنّ .. كنت أريد تزويجهنّ بعد الثانوية .. ولكن الأخ خالد هو الذي علمهنّ .. فأنا لست مع تعليم البنات في الجامعات في تلك الأيام يا جميلة.. ثم أن صبرية تزوجت بعد وفاة أبي بفترة قصيرة حرام أن تلومني على التدريس .. ثم ما كنت أقصر معها في أي مناسبة أو في مال .. في أول حياتها الزوجية .. رحم الله أمي تعلم كما كنت أساعدها لتستقر حياتها الزوجية مع ذلك المعتوه جابر .. لنا أكثر من خمس سنين متشاجرين مع زوجها ، لقد حاول بعض أولاد الحلال بالصلح بيننا ؛ ولكنه أقسم الأيمان المغلظة على عدم الصلح وعلى عدم دخولي بيته ، وأنني إذا دخلت بيته سيطلق صبرية .. فهذا ما يمنعني من زيارتها يا جميلة .

فقالت : ربما حالف عليها أن لا تزورك .

فقال: ولكني مريض .. كدت أن أموت ولا أحد حولي إلا أولاد امرأتي .. يا عار ! يا عار على الأهل !

فقالت وكأنها يئست من إقناعه بعدم التأثر عن تفقد إخوته له : والله ما أدري ماذا أقول لك يا عزيزي؟! .. لا تشغل بالك كثيرا حتى لا تتعب ثانية .. فالهم يمرض القلب يا أبا أحمد .

فاستغفر خليل ربه واحتسب ثم قال : أنا أول مرة أشعر أنني وحيد في هذه الدنيا يا جميلة .. لا تزعلي من كلامي ، أنا لا أنسى فضلكم ووقفتكم معي يا أم ربيع ..

ـ يا رجل نحن أهلك وأنت أهلنا أنت زوجي وأبو الأولاد .. من علمهم ودرسهم ورباهم ؟ أولادي وإن لم يكونوا من صلبك ؛ ولكنك أبوهم بالتربية والتعليم .. هم أبناؤك أنا فقط راغبة أن أعرف لماذا أنت وأهلك أقصد إخوتك وأخواتك متعادين ومتخاصمين منذ تزوجنا بل من قبل أن نتزوج ؟! .. لماذا أنتم هكذا ؟! أما آن لك أن تخبرني بسبب هذه العداوة والهجر يا أبا أحمد ؟

فقال وهو يفكر بجواب جميلة : صدقي أيتها العزيزة أنه لا شيء في نظري لهذا الهجران والعداوة إذا كان هناك عداوة !



مصالحة

كانت صبرية أحمد فرفر تجلس مع زوجها جابر حامد في صالة البيت يتفرجون على التلفزيون عندما دخل ابنهم الشاب عدنان جابر ، وكان متجهم الوجه ، الضيق في محياه ، وقد لاحظ الجميع ذلك ، مما دفع إحدى البنات الجالسات لتسأله عن سبب نكده وتجهمه ، فلم يرد وتجاهل السؤال ، وسأل عن العشاء ، فأشارت صبرية لإحدى البنات أن تذهب لتسخن الطبيخ والأكل فنهضت المشار إليها وهي تقول : اتبعني إلى المطبخ يا بطل .. واحد يجيء في نصف الليل ولا يتعشى في مطعم أو في السوق!

فقال بغضب : لم تتجاوز الساعة العاشرة يا ست الحسن بعد .. وإذا تريدون أن أتعشى في الخارج فلماذا تطبخون في الدار ؟!

فسمعوا جابر يقول : لماذا الصراخ يا أولاد؟.. خلونا نتفرج على هذا المسلسل بهدوء ..

فقال عدنان وهو يقف غضبا : ظلوا تفرجواألا تزهقون وتملون من الأفلام والمسلسلات ؟!

فصاح الأب جابر بغضب : أحسن من سماع أفلامك ومسلسلاتك يا ابن صبرية .

فتدخلت الأم صبرية وقالت : ومالها صبرية يا أبا الأسود ؟!

وخرج عدنان غير مبالي ، وترك الزوجان يتشاجران ويتناقران ، ولما أكل نصيبه من الطعام عاد لصالة البيت فقال له أبوه : آ ، يا عدنان ملئت كرشك !

فقال الشاب المتجهم الذي يبدو أن الطعام لم يذهب نكده وضيقه : طعام كالزفت .. لا أدري كيف نأكل هذا الأكل ؟!

فارتفع صوته أمه ثانية تقول : لا يعجبك طعام أمك يا ملعون .. تزوج كما تزوج أخوك .. تزوج أفضل طباخة في البلد .. أكل المطاعم أحسن من أكلي ..

واحتدم الجدال بين أفراد العائلة ، ثم سمعوا عدنان يقول في نهاية الجدل حول الطعام والطهي الجيد والسيئ : سأتزوج يا أمي الحبيبة ، وستكون زوجتي أمهر طاهية وطباخة في البلد ، ولن تروا وجهي بعدما أتزوج ..

فقال جابر محتدا: مع ألف قلعة .. على من ستطلع ؟.. على أخوالك يا أستاذ.

ـ على أخوالي على أعمامي المهم أخلص !

فصاح الأب جابر : من الآن اخرج واغرب عنا .. لماذا تنتظر حتى الزواج ؟! .. اخرج من الآن يا ملعون .

فعاد عدنان يقول وهو يخفض صوته : ها هو نسيبك دخل المستشفى ، ومكث أياما فيها .. وكل أهل الحارة زاروه إلا أنتم .

فقال جابر كأنه كسب المعركة في جدله : لما يزرنا نزره !

ـ الناس تزور المريض .. وأنت حالف يمين أن لا يدخل بيتك .

ـ آ .. حالف يمين ! .. يا رجل خالك نذل .. يا رجل في واحد في الدنيا يهين ويضرب زوج أخته ! صهره .. امش اخرج من هنا قبل أن ترى ما لا يسرك ..

فقال عدنان الغاضب : يا رجل الناس تستغل هذه المناسبات للتصالح والتسامح والتصافي .. يا عالم الكل يلوموننا على عدم زيارتنا لخالنا.. أولاد الأرملة يقفون معه ، ونحن أقرب الناس إليه حرمتمونا من زيارته .. اليوم التقيت به في السوق .. في البداية تظاهرت بأنني لم أره .. وهو فعل مثلي .. يا للعار!

فقالت صبرية : ماذا كنت تفعل هناك ؟!

فقال : ذهبت أصلح السيارة عند كراج خميس .. فهو قد فتح محلا قريبا من محددة أبي أحمد .. بينما أنا أجلس معهم أتى خالي ، فلما لمحني تظاهر بأنه لم يرني ، وأنا كنت من قبل قد فعلت مثله فتكلم مع المعلم خميس بأمر وخرج مسرعا ، وبعدها قال لي خميس أصحيح أن أبا أحمد خالك يا عدنان ؟ وقبل أن أجيب كان ابن ابن أخيك الذي يتدرب عنده قد قال : آ يا معلمي ، المعلم خليل خال الأستاذ عدنان بس لا يتكلمون مع بعض من زمان .. وكل الحارة تعرف ذلك .. حتى أنني سمعت أبي يقول إن المعلم خليلا دخل المستشفى وخرج منها ، ولا أحد من أهله زاره أو جاء يسلم عليه بعد طلوعه منها .. فعضضت على شفتي حرقة ، فقال لي خميس

أصحيح ما قال الصبي يا عدنان ؟! أقررت بسوء العلاقة بيننا منذ عهد بعيدأيرضيكم هذا ؟!

فقال جابر بصياح : لماذا يضربني ويعمل عليّ عنتر؟!

ـ الناس تتشاجر وتتحارب وتتعادى ؛ ولكنهم في نهاية المطاف يتصالحون .. لا عداوة للأبد

طيب أنت زعلان منه للأبد وامرأتك أخته لا تزوره .. هذا حال سيئ يا أبي! أمي أخته الشقيقة بنت أمه وأبيه .. وهو الذي رباها بعد وفاة أبيها وصرف عليها وزوجك إياها ..

فقال الأب بحقد واضح على خليل ومن غير وعي : كان يوما أسود !

فانفجرت الأم صبرية وصاحت هائجة غاضبة : يوم زواجنا يوم أسود يا جابر؟! .. آه منكم يا رجال !

ثم عادت وخفضت من صوتها قائلة: على كل حال لا أريد التدخل في الحوار بينكم ، لا أريد أن يكبر الموضوع ، فعدنان شاب متعلم ويعرف يتكلم ..

فتنهد عدنان وقال: ما فائدة التعليم ونحن لا نعرف أن نحل قضايانا ومشاكلنا وعلاقاتنا الاجتماعية؟! .. الحق أنني قد خزيت هذا النهار .. عليكم بتصحيح هذه العلاقة .

فقال جابر بهدوء : يا ولدي دعك من هذا الأمر ، فنحن قد طاب لنا العيش فلنا أكثر من خمس سنين مرتاحون من خليل وحمق خليل .

فقال عدنان مستنكرا : أنا لا أدري لماذا علاقة أخوالي وخالاتي ببعض سيئة وأي عداوة بينهم لماذا خالي خالد لا يزورنا ؟ ولماذا لا تزوره أمنا ؟!

فقال جابر معلقا أو متهكما : هؤلاء أولاد كبارات ونحن أولاد مقاطيع !

فقال عدنان هازئا : المعلم خليل أولاد كبارات .. هو رجل مسكين فقير لا يملك شروى نقير فهو مدين للمعلم خميس بخمسمائة دينار.

فقال صبرية بقلق ودهشة : مديون ؟! هو لا يشتغل ؟!

ـ لا ، هو يشتغل إنما توقف عن الشغل بسب المرض، وقد عاد وفتح المحل؛ ولكنه احتاج المال كما أخبرني خميس ليكمل تعليم أولاد الأرملة أم ربيع .

فتسألت صبرية وكأنها تلوم أخاها لاستقراضه المال فقالت : وماذا يستفيد من أولاد الأرملة جميلة ليستدين من أجلهم ؟!

ـ ها هم احتضنوه خلال مرضه ، وما قصروا معه ، وغدا لما يتخرجوا من الجامعات ويتوظفوا سيعوضونه عن هذا ...

فدخل جابر على خط الحوار وقال بحقد واضح : غدا سيرمونه ، ولا يهتمون به، ويبحثون عن أنفسهم ويتزوجون وينسونه ..

فقال عدنان كأنه محتجا على حقد والده : لا يا أبي .. الناس يثنون على زوجته وعلى أولادها ، والبنت الكبرى للأرملة أنـهت الجامعة منذ أيام ، وقد علمت أنـها أنـهت آداب إنجليزي ولسوف تجد فرصة عمل بسرعة

كانت صبرية تنظر في عيني ولدها عندما قالت له : ومن قال لك كل هذه المعلومات ؟!

تبسم الشاب وفطن لغمز أمه فقال : المعلم خميس .. فهو صديق للمعلم خليل ، ويسمع منه أخباره وأخبار أولاد زوجته .. وهذا ليس سرا .. كل الناس في الحارة والحي يعلمون أن خليلا يعلم أولاد زوجته .. وهل في الأحياء الشعبية أسرار يا أمي ؟!

فقال جابر : صحيح .. وأنت ما الذي رماك على المعلم خميس ؟

ـ السيارة ! وأعطال السيارة .. أخو المعلم خميس زميل لنا في المدرسة وعرفنا على ورشة أخيه فكلما تخرب وتعطل العروسة نذهب إليه ونمكث عنده حتى يصلحها ، وخلال ذلك يجر الحديث بعضه البعض .. وغدا خميس يحدث أخاه بعداوتنا لخالنا ، والأستاذ جمعة ينشر الخبر في المدرسة بين الأساتذة ، فيقال الأستاذ المصلح عدنان جابر حامد المرشد النفسي والاجتماعي في المدرسة متدابر مع خاله .. آخ إني أتألم لهذا الحال العجيب؟!

فقال جابر: ماذا تريدون أن نفعل؟!نذهب لخالك نعتذر له أم هو يأتي للاعتذار ؟ حلها يا ابن صبرية .

فقال عدنان: لابد أن هناك حلا أو حلولا .. كان يجب أن نستغل هذه المناسبة لمرض خالي

لتصحيح الوضع وفتح صفحة جديدة بيننا ؛ ولكننا سمعنا وأغلقنا آذاننا كالمعتاد .. كان عليّ أن أتصرف ، وإنما خشيت زعلكما وخشيت أن تتهم هذه ـ وأشار لأمه ـ أنها أرسلتني لخالي .. لماذا نحن نصلي ونعبد الحي القيوم ؟! .. وقلوبنا فيها بغض وكره لبعضنا البعض .

ـ لا تدخل الصلاة في الموضوع .. لا أدري ما الذي فتح علينا هذا الديوان؟! فخالك الملعون له شهر مريض فلم يعد الوقت مناسبا للزيارة فات الأوان ..

فتمتم عدنان قائلا: فات الأوان ولم يفت الأوان .. حتى أولاد أخوالي خالد ومنير وخالاتي فاطمة وسعيدة لا نعرفهم ولا يعرفوننا .. تقول أمي إنها كانت قديما تزورهم ثم انقطعت الزيارات منذ عهد بعيد .. لماذا هذا؟! خليل وتشاجر معك وأهانك .. والآخرون ما بيننا وبينهم ؟!

فقالت صبرية كأنها حالمة في المجهول : خليل هو السبب في العداوة بيننا وبينهم .

فقال الشاب دهشا ومستغربا : خليل! وهم أيضا كما نعلم لا يزورونه ، ولا أظن أن أولاده أيضا يعرفونه ! .. فأنتم متهاجرون .. هنا شيء غامض بينكم ! .. أتعرف شيئا يا أبي؟ أم أنكم لستم إخوة يا أمي ؟!

فقالت صبرية : ماذا تقصد ؟!

ـ لا أقصد شيئا .. عجيب أمر أسرتكم يا أمي ! .. والعجيب أنني أفكر بذلك اليوم .. لهذه الدرجة أثر فيّ عتاب الأخ خميس أم كلمات ذلك الصبي .. الصبي يعرف جفوتنا لخالنا .. كأنني كنت نائما واستيقظت ، سأتكلم مع أخي الكبير لعلي أجد عنده حلا مناسبا لمشاكل العائلة .

فقال الأب: يا ولدي هذه دفاتر قديمة لا داع لفتحها ، ودع أخاك في حاله، وخلينا نبحث لك عن ابنة الحلال وتستقر في بيتك .

فقال عدنان : وما دخل هذا في السعي في لملمة تشتت أولاد جدي أحمد وأحفادهم .. عار هذا ! عيب هذا! .. نحن مدرسون مربون أجيال! ألا يكفي كل هذا الزمن؟! ونحن نرى ولا نرى ونسمع ولا نسمع .. تمزق قلبي اليوم يا أبتي على هذا الحال .. أبناء الغريب يقومون بالمعلم

خليل في هذه الأزمة ، ونحن وضعنا في آذاننا قطنا .. ولما كنت أسمع بعض جارات أمي يحدثنها عن مرض أخيها كنت أظن أن المريض رجل آخر .. رجل لا يقرب لنا ، وليس بيننا معرفة ورحم وقرابة وجيرة .. قال المعلم خميس إن المعلم خليلا يبكي ويتكلم بحرقة لعدم وجود أحد من إخوته حوله في هذه الأزمة .. أثناء المرض هذا كلام خميس قاله ليس لي وحدي.. فقد جعلني الرسول والبريد بينكم وبين خالي ..

فقال جابر: لا حول ولا قوة إلا بالله .. افعل ما تراه مناسبا يا ولدي .. أنا ما كنت أظن يوما أن أسمع مثل هذا الكلام .. سأكفر عن أيماني المغلظة .. وسوف أتحدث مع شيخ المسجد واستفتيه في كفاراتها فقد مزقت قلبي رغم قسوته على المعلم خليل العيال كبرت يا صبرية !

فنهض عدنان وقبل رأس أبيه ، وبدأ مرتاحا لنجاحه فيما قصد وقال: بوركت يا أبي قال النبي محمد ﷺ أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما وأبغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما .. والآن يا أمي الحبيبة يا أمنا الغالية نريد أن نعرف سبب هذه العداوة المديدة بين الإخوة بينك وبين خالي منير وخالد وخالاتي فاطمة وسعيدة .. فالعداوة بينك وبين خالي خليل نعلم أن سببها المشاجرة الكبيرة التي حدثت بين أبي وبينه.



وظيفة لمنى

وقفت الشابة الحسناء منى ربيع على مدخل العمارة الضخمة ، وتلفت يمينا وشمالا ثم دخلت البوابة الرئيسية وتوقفت عند لوحة كبيرة تظهر عليها أسماء ومواقع الشركات والمكاتب التي تشغل هذه العمارة في شارع ابن رشد الأندلسي ، فلما وجدت الاسم الذي جاءت من أجله إلى هذه البناية ، تحركت نحو المصاعد لتصعد حيث مكتب الشركة التي قرأت إعلانها في الجريدة وركبت المصعد إلى الطابق السادس ، ثم وجدت نفسها في رواق فاتجهت حيث رأت مكتب الشركة التي ترغب بتقديم أوراقها للعمل فيها ، وصلت للشقة التي تشغلها شركة التجارة العالمية .. كان باب الشقة مفتوحا .. فدخلت فرأت فراشا أو موظفا قد نهض عن كرسيه يسألها فقالت : أريد تقديم طلب استخدام فقد قرأت ..

فرحب بها الشاب وقال : حسنا .. ادخلي إلى هذه الغرفة .

وطرق لها الباب الذي أشار إليه فشكرته منى ربيع ، ودخلت الغرفة المكتب فوجدت فتاة تجلس وراء مكتب واسع ، فأشارت لها الفتاة بالجلوس على أحد المقاعد الموجودة في الحجرة ثم أخذت ترحب بها ، وعلمت من الفتاة الزائرة الهدف الذي أتت من أجله للشركة وقالت منى : لقد قرأت في الجريدة حاجتكم لموظفة تجيد وتتقن اللغة الإنجليزية .

ـ نعم ، أيتها الآنسة .. ما اسم الأخت ؟

ـ منى ساعد ربيع .. خريجة آداب إنجليزي منذ شهرين تقريبا .

ـ أوه ! خريجة جديدة .. عزباء أكيد؟

ـ نعم .

ـ رائع آنسة منى .. يا هلا .

ـ شكرا

ـ أهلا وسهلا مرة أخرى .. هات أوراقك لأكتب لك طلب استخدام .. نحن الآن بحاجة لموظفة واحدة يا آنسة منى ، وقد تقدم لنا لحتى الآن خمس فتيات طيبات مثلك .. وخلال أيام

ستتصل بك لمقابلة المديرة أو نائبها .. ولكن لماذا لم تتقدمي بأوراقك للمدارس أو الوزارات ؟
ردت منى على فضول الفتاة قائلة : رأيت العمل في الشركات التجارية أفضل من التدريس .. وأنا أحب الترجمة .. فهذا ما شجعني للمجيء إليكم .

طلبت الفتاة الموظفة قهوة لمنى وخلال شربها لها أتمت إجراءات تصوير الأوراق والوثائق اللازمة وتعبئة طلب الاستخدام ، وتحدثت الفتاة حول نشاط الشركة وعملها في السوق .

&&&

ثم انصرفت منى عائدة لبيت زوج أمها ، وحدثت أمها بما فعلته من تقديم طلب استخدام ، وكان أخواها يرغبان بالتحاقها بالتدريس ثم دراسة الماجستير للعمل في الجامعات ، ودافعت منى بقوة عن وجهة نظرها ورغبتها للعمل بالقطاع التجاري ، وقد وافق زوج أمها خليل على مثل هذا العمل على مضض واستحياء، وكان يدعو الله ليلا ونهارا أن يتقدم للفتاة شاب وتتزوجه ، فالسيد خليل لم يكن يحب التدريس والعمل للبنات ما زال يحمل الأفكار القديمة والتقليدية .

لم يطل انتظار منى فقد دعيت لمقابلة المديرة وجرى الفحص اللازم لها وللفتيات الأخريات اللواتي تقدمن للعمل في هذه المهنة .. الترجمة .. وقد تقدمت إحدى الفتيات على منى فاعتذرت لها المديرة ، فعادت منى للبيت كاسفة البال حزينة ، ومضت أيام في ألم وقراءة للإعلانات من جديد ، وبينما هي على هذا الحال اتصلت بها الشركة للتجارة العالمية وتحدثت معها موظفة الشركة وطلبت حضورها ثانية لمقابلة المديرة ، فلبت الآنسة الدعوة ، وعلمت أن الفتاة التي تم اختيارها قد تركت العمل واعتذرت بعد أسبوع من الدوام ، وعجبت منى من ذلك ، ولم تعرف سبب ابتعاد تلك الفتاة بهذه السرعة ؛ ولكنها وافقت على العمل ، فأدخلتها السكرتيرة على المديرة التي كانت تجلس مع شقيقها نائبها فرحبت بها المديرة ، وتحدثت معها عن النصيب والقدر ، ووقعت معهم على عقد العمل ، وعادت للبيت مسرورة مرحة تحمل الحلوى ، وتستعد لمباشرة الشغل .

كانت جميلة أم ربيع مسرورة لعمل ابنتها البكر ، بل أنها كانت تنتظر هذا اليوم بفارغ الصبر وبشوق وسعادة ، فهي تعرف ما يلقى زوجها خليل الحداد البسيط من معاناة من أجل تدريس وتعليم الأولاد ، وتعلم أنه يقترض المال من أصحابه ليصرف وينفق على ذلك القصد فهو منذ تزوجها قد تعهد لها بأن يبذل قصارى جهده وعرقه لتعليم أولادها ، وقد مانعت من الزواج بعد ترملها لهذه الغاية النبيلة ، وعلى هذا الشرط وافقت للزواج منه ، وهو عبء آخر على المعلم خليل سوى نفقات البيت والعائلة ، ومضت الحياة سعيدة حتى بلغت منى الثانوية العامة ونجحت نجاحا كبيرا ، فحاول خليل التملص من تعليمها لبغضه تدريس الفتيات ، وكاد يحصل شقاق بين الزوجين ؛ ولكنه استسلم وتذكر تعهده لها ، وواسى نفسه بأن البنت ابنة زوجته وليست ابنته الصلبية .. فقبل دخولها الجامعة مكرها أو مغلوبا على أمره ، ثم بعدها بعام نجح ربيع الذي يحمل اسم العائلة عائلة ربيع والتحق هو الآخر بالجامعة ، فزاد الضغط على جيب أبي أحمد ؛ وهو من أهل الوفاء فتحمل الديون عن رضى وصبر وأمل، وكانت أم ربيع تعلم قدر هذه التضحيات ، بل أفراد الأسرة كلهم يعرفون ذلك .. فلذلك لما باشرت منى العمل كانت الأم من أسعد الناس ، وصار لديها أمل كبير بتعليم الآخرين من غير الحاجة لأبي أحمد ومال أبي أحمد ، فلسوف تنتهي حاجته للاستدانة من ذا وذاك ، ولم تكن الفتاة الشابة قليلة الوفاء وناسية للمعروف ، فلما استلمت أول مرتب وضعته في حجر أمها الصابرة ، فأشارت عليها بأن تقدمه لزوج أمها ، وتقبل أبو أحمد هذه الحركة بسرور وتقدير وفرح ، وشكر البنت وأمها ، وبعد جدال تقرر أن يبقى المال مع الأم مع جميلة بعد أن يئست من قبول أبي أحمد له ، وأبى أيضا أن يسدد بعض الديون منه .

ولم تكد تمضي سنة ونصف على عمل منى حتى تخرج ربيع من الجامعة ، وبدأ هو الآخر يبحث عن عمل ، لقد درس في قسم الهندسة الكهربائية في كلية الهندسة ، وخلال أشهر يسيرة التحق بإحدى الشركات الكبرى العاملة في مجال الهندسة الكهربائية .. وكبر فرح جميلة ، فها هو جهادها وصبرها بدأ يؤتي أكله وثمره ، وعرضت على قرينها التوقف عن العمل وإغلاق

المحددة والاعتناء بصحته، فقال لها خليل: صحيح أن صحتي لم تعد كالماضي ؛ ولكن يا جميلة لا يليق بي الجلوس في البيت كالنساء.. فحتى بنات اليوم يشتغلن ، ولا يحببن البقاء في البيوت ولا تنسي يا عزيزتي أن الأولاد كبروا وبحاجة لكل دينار وقرش .. أولا لشراء أرض حتى يبنوا لهم بيتا ، وثانيا الزواج ألا تريدين أن يتزوج ربيع كما يتزوج خلق الله؟ .. والعمل الحياة بالنسبة لي يا جميلة ..

وقد حاولت جميلة إقناع خليل فقالت : ربيع لن يتزوج قبل إنـهاء مالك وحنين الجامعة ويعملان وبعد ذلك نفكر بتزويجه .. فأنت كافحت وجاهدت معنا وصبرت معنا يا أبا أحمد فالأولاد راغبون بأن تتقاعد وتستريح فهم يعلمون ويقدرون فضلك عليهم وجهادك معهم .

ـ أنا أقدر تعاطفهم ؛ ولا أستطيع يا عزيزتي القعود فالعمل حياتي .. منذ الطفولة .. وأنا ابن عشر سنين وأنا اشتغل في المحددة مع حياة المرحوم أبي ، ولما مات كنت شابا صغيرا وتحملت المسؤولية ، واستمريت في العمل ، وتعلم أخواي من وراء هذه المحددة ، وأحد أسباب زعلهم مني استمراري للعمل في محددة الوالد رحمه الله .. وسأبقى اشتغل يا جميلة حتى الموت فالأولاد عليهم أن يحافظوا على ثروتهم ويزوجون بعضهم .. ومن حقك عليهم الرعاية والمساعدة .. ولكني أرغب بالاستمرار بتعليم مالك وحنين والمساعدة في تعليمهم يا جميلة كما فعلنا مع ربيع ومنى كما تعهدت لك قديما .

ـ أنا أعرفك جيدا يا أبا أحمد .. بارك الله فيك .. كفيت ووفيت يا سيدي .. ولم تقصر معنا .. وجزاك الله عنا كل خير .. والأولاد لا يمكن أن ينسوا معروفك وفضلك وحسن رعايتك وحبك لهم .

ـ وأنا لا أنسى وقفتكم معي عندما مرضت قبل سنوات ، فكنتم نعم الأهل ، ونعم أهل الوفاء نسأل الله أن يديم علينا النعم والعافية .. الآن فلنفكر بشراء قطعة أرض لبناء بيت مناسب لربيع ولأخيه ثم يفكر ببنت الحلال .. خلينا نفرح بأبنائه يا جميلة ..

اعتدلت في جلستها وقالت جميلة : يا أبا أحمد! صبرية أختك منذ أيام قد التقينا وحدثتني عن

منى وأنها ترغب بطلب يدها لابنها عدنان ..

فقال خليل : أنا تكلم معي عدنان مباشرة بهذا ، ونصحته بالابتعاد عنا ، وأنا يا جميلة لا أنصحك بتزويج ابنتك من ابن صبرية .. صحيح نحن تصالحنا بفضل هذا الولد ؛ ولكننا لم نرتح لنسبهم فأنا غير متشجع لذلك .

فقالت : ولكن عدنان شاب محترم ومدرس نشيط .

فقال خليل : ما زلت لا أراه المناسب لكم .. وإذا تكلمت مع البنت في ذلك فأكدي لها أنني لا أرى ابن أختي المناسب لها والبنات كثير .

ـ ما زال في نفسك شيء من صبرية ؟!

ـ لا شيء في نفسي نحوها ونحو زوجها جابر ؛ ولكن زوجها وعائلته لم أرتح لهم ، ولا أحب لكم أن تكرروا التجربة .. وعلى كل حال الأمر يعود لمنى، ولا أظنها ترضى به، فمنى تتطلع إلى فوق أكثر من اللازم .. وأتمنى لها التوفيق .

كانت جميلة قد فاتحت ابنتها بالموضوع قبل أن تفاتح زوجها بالموضوع ؛ ولكنها أحبت أن تسمع رأي قرينها .. وكانت الفتاة قد رفضته فعلا ، وادعت أنها مهتمة بتعليم أخويها والمساعدة في مصروف البيت .. وهل هذا صحيح ؟

الحقيقة أن أحلام منى كانت أكبر من عدنان ، ومن الاقتران بشاب في حي فقير أو يغلب على سكانه الفقر وقلة المال ، حي شعبي غير منظم أنشئ عشوائيا .. حي برقوقة .. كانت تتطلع إلى فوق إلى أعلى .. كانت على علاقة عاطفية مع نائب مدير الشركة الشاب حازم ناصر .. فقد سمحت لنفسها بالارتباط به عاطفيا وعلى وعد بالزواج ، وكان العائق أمامها ليتحقق الزواج منه حياتها في ذلك الحي المتواضع هكذا ترى منى .. وكان حازم هذا يخشى أن يرفضها أهله لأنها تسكن في ذلك الحي .. حي الضعفاء .. فهم يطمعون أن يقترن بفتاة أرستقراطية من بنات الأسر الغنية ؛ لذلك كان هناك قصة حب دافئة تجري فصولها داخل الشركة للتجارة العالمية .. وكانت المديرة أخت حازم تعرف ذلك ، وكانت تحاول كبح جماح أخيها من الاندفاع في عاطفته

وتعلقه بالفتاة .. بل فكرت أن تصرف منى من العمل ؛ ولكن حازما كان يهددها ويصبرها .. فكانت تنظر للموضوع على أنها تسلية وقصة عبثية مصيرها الفشل للفارق الطبقي الكبير بين العائلتين .. فمن أين جاء الفارق الطبقي الاجتماعي ؟ الله أعلم .

وكانت منى ترى أنها ستصعد للطبقة الثرية وأصحاب الملايين على أكتاف حازم العاشق الولهان .. فكانت تنتظر الساعة التي سيرحل فيها المهندس ربيع من حارة الفقراء والتطلع إلى أعلى بفارغ الصبر .. وكانت تحركه وتثيره رويدا رويدا ؛ ولكنه أمام رغبة عمه خليل زوج أمه للبقاء في حي برقوقة ، ولتربيته لهم ونفقته عليهم صغارا أيتاما يضعف عن الرحيل ، ويعود ويطلب منها الصبر والتريث.. كانت منى ترى أن هذا العامل هو الذي يؤخر حازم من الارتباط بها رسميا .. فهو قد حدثها عن أهله وطبقته وصعوبة قبولهم للزواج من فتاة تعمل من أجل الراتب لتنفقه على أهلها .. وقد استرقت السمع على بعض مشاجرات الأخوين من أجلها .. فالشاب متمسك بها ، والأخت ترى أن منى ليست أهلا للزواج من حازم .. وكانت تهدده بكشف الأمر لوالديها فيصبرها حازم ويقول : لما أتزوج أو ترين أني ذهبت للمأذون فتتكلمين مع أمي ..

رغم معرفة منى لهذا الكلام فقد أصرت على أن تكون صديقة للسيد حازم وكانت واثقة من ميله وحبه لها .. هذا السبب الرئيس لرفض منى ساعد ربيع للسيد عدنان جابر ابن أخت زوج أمها خليل ، كل شاب يتطلع للزواج من فتاة محترمة ، وكل شابة تتطلع إلى مثل ذلك .. وكانت منى تدفع حازما لمكاشفة والديه بحبهما عندما كانت تيأس من ربيع أخيها ، فذاك يصبرها حتى يتخرج مالك وحنين مثلهما ، وذاك يصبرها حتى ترحل من حي برقوقة أشهر حي شعبي ربما في العاصمة .

زواج رغم أنف الجميع

لم يمض بضعة أشهر حتى تلقت عائلة خليل بطاقة دعوة لحضور حفل زواج عدنان جابر من ابنة أخت السيدة جميلة صلاح السيدة عزيزة صلاح الآنسة الفاضلة حليمة توفيق ، فقال خليل لزوجته بعدما انتهى من قراءة بطاقة الدعوة : ها هم اتفقوا يا جميلة .. لقد كان أخوك عمار رافضا لهذا الزواج .. لا أدري لمَ؟! فوالد الفتاة كان راضيا وموافقا وقابلا وحتى أختك عزيزة وحتى الفتاة نفسها كما علمنا كانت راضية بالزواج من ابن أختي إلا عمارا لماذا ؟! أسمعت شيئا ؟!

فقالت جميلة الأرملة التي ترملت على أربعة أطفال ، وتزوجت من صاحبنا الحداد خليل المحروم من الذرية لعلل فيه، قالت مجيبة لأسئلة زوجها: عمار رفض؛ لأننا نحن رفضنا أن نزوجه من منى مع أنه ابن أختك ، فظن أن في الشاب عيبا نعلمه نحن ولا نريد إظهاره .. فكيف جميلة زوجة خليل أخو صبرية يرفضون عدنان؟! لابد أن هناك شيئا منعهم.. لم يقتنع أن البنت ترفض الزواج .. فهذا سبب رفضه ومعارضته وإصراره على الرفض .. والله عدنان ولد جيد نحن أبناء حارة واحدة ونعرف بعضنا بعضا .. فهذا حسب علمي سبب الرفض .

ـ هو زارني في المحددة أكثر من مرة راغبا بمعرفة سبب رفضنا لعدنان قريبي فقلت له ما قلت الآن ؛ ولكنه كان يخرج ثم يعود بعد أيام ليسأل نفس السؤال ..

ـ الحمد لله رب العالمين أنه وافق في النهاية .. فعمار مجنون وموسوس مع أنه ليس والدها ولا أخاها وكاد أن يفض السامر .. هداه الله .

ـ العجيب في الموقف يا جميلة أن جابرا والد عدنان لم يغضب ولم يثر وصبر وتحمل .. فجابر رجل عصبي وسريع الغضب والحقد .

ـ جابر كبر يا خليل .. لم يعد جابر الذي تشاجرت معه وحرد عليك سنوات .. الناس تتغير والأولاد أصبحوا كبارا ، وقد أصبح جدا لقد ولدت زوجة ابنه البكر علي .. وهل سيسكن عدنان بعروسه مع أهله ؟

ـ لا ، حدثني بأنه سيستأجر بيتا ، هنا في حي برقوقة .. لا يريد أن يخرج كما فعل أخوه .

ـ كل شيء نصيب وقدر .. أنا كنت أحب أن تتزوج منه منى ، فهو شاب وأستاذ محترم ؛ ولكنها تتدعي أنها لا تفكر بالزواج ..ولن تتزوج حتى يتخرج مالك وحنين من الجامعة .

فقال خليل كأنه محذر من سن زواج الفتاة : كبرت البنت يا جميلة .. المهندس ربيع يستطيع القيام بالواجب وأنا .. فالزواج محمدة وستر يا جميلة .

ـ أعرف يا خليل ؛ ولكني ربيتهم على الحرية والاختيار والقناعة .. فلا أريد أن أهدم ما بنيت فكذا امرأة من الجارات طلبنها لأولادهن وهي لا تريد الزواج .. وقد فهمت من كلامها أنها ترغب برجل من خارج هذا الحي ، ولم يقسم النصيب بعد ..

تبسم المعلم خليل وقال: أحلام منى الكبيرة !..على كل حال وفقها الله وييسر لها ابن الحلال حتى تحقق أحلامها .. فالبنات هم يا جميلة.. ومالك بقي له سنتان ويتخرج ، وحنين السنة تنهي الثانوية العامة بنجاح إن شاء الله .



بعد هذا الحديث بأيام يسيرة كانت سيارة حديثة وفخمة تدخل سوق الربيع وتقف قريبا من محل خليل الحداد ، فلما توقفت تماما هبط منها شاب أنيق ممتلئ البدن يلبس ثيابا تدل على أنه من أبناء الذوات أي الأغنياء سكان الأحياء الراقية جدا ، ومشى نحو دكان خليل وقال : السلام عليكم.

وكان خليل والعاملان اللذان يعملان معه يرمقونه بأعينهم منذ وقفت سيارته الأمريكية ؛ فوقع في نفوسهم أنه زبون قد أتى لحاجة ، فردوا التحية بأحسن منها ورحبوا به ، وتقدم منه خليل مستقبلا ومرحبا فقال : نعم يا أخي .

خلع الشاب نظارته الشمسية وتطلع في شخص خليل ـ خليل تجاوز الأربعين عاما وهو بدين

الجسم إلى حد ما ، منتفخ الوجه يغلب عليه السمرة ، وخفيف شعر الرأس وليس طويلا ـ وقال الشاب بعد تأمله لهيكل المعلم خليل الذي يرتدي ثياب الحدادة : المعلم خليل .. أليس كذلك ؟!

بحلق خليل ثانية في الرجل الذي يراه أول مرة ويعرف اسمه فقال : نعم .. أنا خليل يا أخ ؟!

ـ أنا اسمي حازم .. أنا أتيت إليك في موضوع خاص يا أخ خليل .. لا أريد صنع باب ولا شباك .

ـ لا بأس .. أهلا وسهلا كيف عرفتني ؟!

قال الشاب: سوف تعرف .. أين تحب أن نتكلم ؟

دهش خليل وقال : أين نتكلم ؟! هنا .. تكلم .

تلفت الشاب حوله وقال: هنا يا سيدي! .. ألا يوجد مطعم هنا أو مقهى ؟ موضوع خاص يا أخي العزيز ؟.

ـ أعرف وأنت ذكرت أنه موضوع خاص .. ألا ينفع الكلام فيه هنا ؟ .. هيا نجلس في مطعم حسني يا أخي .

وألـقى بعض الأوامر على العاملين وساق الشاب حازما نحو مطعم حسني .. إنه مطعم سوق وورشات فنية متنوعة ، يوفر للعمال داخل السوق الحمص والفول والخبز والشاي وغير ذلك من المأكولات السريعة النقل .. لما جلسا على إحدى موائد المطعم العتيقة قال حازم: أنا آسف لإزعاجك يا أخ خليل ..أنا صاحب الشركة التي تعمل فيها منى ربيع ابنة زوجتك أم ربيع .

استغرب خليل وعرف أنه يعرفهم جيدا ، وظن أن شيئا جرى لمنى، ووضع وهيئة الشاب لا يوحي بذلك ، وكذلك أدرك لو أنه حصل لمنى مكروه لاتصلوا بالبيت فهاتف البيت معروف للشركة ، فلابد أن الأمر أهم من الاتصال ، فلزم الصمت فعاد الشاب يقول لما رأى خليلا قد صمت ولم يرد بشيء: أنا يا سيدي لديّ رغبة بالاقتران بها ، ولما حدثتها بذلك طلبت مني الحديث معك ؛ لأنك أنت بمقام والدها ـ رحمه الله ـ فهذا سبب زيارتي إليك ومعرفتي بك

بشخصك الكريم واسمك الفاضل .

فكر خليل لحظات بما سمع وقال : هي أرسلتك إليّ ؟ .. هل يعني هذا أنها موافقة على الزواج منك .. يا أخي ؟!

ـ أكيد ؛ ولكنها تكن لك الود والاحترام ، فجعلت الأمر إليك ، وسأكلم والدتها وأخاها ربيعا أيضا ؛ ولكنها أحبت أن أبدأ بك .

فتمتم وغمغم خليل ببضع كلمات ثم قال : عرفنا بنفسك وبأهلك ، ثم فليأت أهلك للحديث معنا في البيت ..هكذا الأصول يا ابن الأصول !

ـ منى ربيع لها ثلاث سنوات تعمل معنا في الشركة يا أخ خليل ! فنحن نعرف بعضنا بعضا من سنوات .. فهي ستذكر لكم شيئا عني وعن أهلي وسنتعرف على بعض أكثر يا أخي أبي أحمد

تبسم خليل ابتسامة كلها امتعاض وقال : تعرفون بعضا بعضا .

ـ نحن زملاء عمل لا يذهب ظنك بعيدا يا سيدي .. نحن أشراف لا نحب العبث والتغرير بالبنات.

قال خليل : آ .. أكيد الإنسان عندما يسمح لأخته أو ابنته بالعمل والشغل لابد أن يدرك أنها تزامل وتصاحب الشباب وتختلط بهم .. أكيد .. حسنا أيها الشاب بارك الله فيك .. سأتكلم الليلة مع منى وإخوة منى وأم منى .. والنصيب هو الذي يغلب في النهاية .

قام حازم وهو يصافح الحداد خليلا قائلا : أشكرك يا سيدي ، وقد سهلت عليّ الكثير من الأمر تأكد يا أخ خليل أن منى فتاة محترمة وطيبة وذكية .

هزّ خليل منكبيه وهو يصافح الرجل وقال : أكيد .. أيضا .. بارك الله فيك عندما يأتي أهلك ونتفق سندعها ترد بنفسها عليك .

خرج الشاب من المطعم شاكرا وزائحا عن كتفيه عبئا كبيرا ؛ لأنه أخذ يجفف عرق جبينه وهو يسير نحو سيارته ، وظل خليل يهز رأسه مرات ومرات وهو يتابعه بعينيه وقال متبرما : بنات اليوم أمرهن عجيب يخطبن في العمل! .. لماذا لم تطلب منه أن يرسل أهله للبيت اختصارا

للوقت ؟! .. أيام وسأكتشف لغز هذه الزيارة .

تعمد المعلم خليل أحمد التأخر في العمل ذلك المساء ، ودخل البيت بعد صلاة العشاء ، ولما تناول العشاء مع أم ربيع جلسا في صالة البيت ، وتناسى موضوع منى وتشاغل بالحديث عن آخر أخبار العالم من انقلابات وثورات وحوادث جسام ، وبعدما انصرف الأولاد لحجراتهم ودراستهم تطلعت جميلة بعيني خليل بضع مرات ثم لم تعد تصبر فقالت : يا أبا أحمد أزارك أحد اليوم ؟!

كان خليل يدرك أنه آخر من يعلم في موضوع منى ، وكان يرى أن جميلة هي التي طلبت من ابنتها أن تطلب من حازم أن يذهب إليه ويجامله ، كان لديه إحساس قوي أن الأمور جاهزة ، وأن جميلة تعلم ، وأنهم يريدون مجاملته وإشعاره بأنهم لا يعملون شيئا إلا بإذنه ؛ ولكنه يعرف حجمه وأنه هو مجرد زوج لأمهم ، والأمر كله بأيديهم أو لمنى نفسها ؛ لأنها منذ تخرجت واشتغلت وأصبحت تملك المال وتحملت المسؤولية ظهرت شخصيتها المتمردة والآمرة ، وكان خليل يتجنب الصراع العائلي ، وكان حكمته أنها أيام وسينصرف كل مخلوق لحياته ودنياه ، ستتزوج منى وحنين وربيع ومالك وسيصفي البيت خاليا منهم خلال سنوات ، فهو والدهم بالتربية والنفقة ، فتظاهر خليل بالتجاهل عندما سمع السؤال ؛ ولكنه أمام إلحاح زوجته قال: أتقصدين شخصا معينا يا جميلة؟ فأنا زارني عشرات الأشخاص والناس .. من جيران العمل وأصحاب شغل كما تعرفين .

ـ ليس هؤلاء .. قالت منى إن صاحب العمل أو الشركة التي تشتغل فيها راغب بالزواج منها وإنها أرسلته ليتحدث معك .

ـ آ .. الأخ حازم ! نعم لقد أتانا هذا الشاب صاحب السيارة الأمريكية الفارهة .. نعم تذكرت لقد جاء يا جميلة وقلت له لما نتشاور؛ ولكني أرى أن الأمر لا يحتاج لمشاورة .. فالبنت ما دامت قد بعثته إلينا فهي موافقة ، وقد قال لي إنه صديق أو زميل لها منذ ثلاث سنوات.. والأمر لكم يا جميلة .. أنا كل هذه اللفلفات لا أحبها .. ما دامت هي منسجمة معه وتراه مناسبا ، فلماذا لم

تطلب منه أن يرسل أهله لنتفق ونخبر أعمامها وأخوالها ونخلص الموضوع ؟

قالت بارتباك واضح في كلامها : ما المشكلة هي في أهله يا خليل !

ـ أهله ما لهم ؟!

ـ الشاب راغب بالاقتران بمنى ، ومنى لا تمانع بذلك ؛ ولكنّ أهله وأخته مديرة الشركة يرفضون هذا الزواج ويعارضونه .. لأننا من سكان حي برقوقة .. أسمعت بمثل هذا العيب والعذر يا خليل؟! .. شهادة البنت لا تكفي عند هؤلاء البشر.. وهل الناس بأماكن معيشتهم ومنامهم ؟!

فقال خليل وهو ممتعض مما يسمع : هؤلاء الأثرياء يا جميلة لا يعتبروننا بشرا مثلهم ، كما نحن لا نحبهم ، فالأفضل للإنسان أن يلبس من ثوبه .. شبان الحي أفضل وأحسن .. وأنا لو منى ابنتي لا أقبل لها الاقتران بمثل هذا الرجل ، فهؤلاء ينظرون إلينا من فوق.. وما دام أهله ممانعين وغير قابلين للزواج فلتنساه وتشتغل في مكان آخر ..

ـ المشكلة الكبرى أن منى تريده ! .. وتريد الزواج منه بدون موافقة أهله .. كما هو مصر ويتحدى أهله ..

فاستغرب خليل من هذا المنطق وقال بنبرة غاضبة : يا سلام!.. يا سلام!.. أنا أرفض هذا الزواج بهذه الطريقة .. أهله يجب أن يأتوا لطلبها منا ومن إخوتها حسب عادات الناس .. هل شاورت المهندس ؟!

ـ المهندس محتار وترك الأمر لك فأنت أبو العائلة ؟

ضحك خليل كأنه سمع نكتة وقال: لي!.. أنا زوج أمها لست وليها ، فأولياؤها إخوتها وأعمامها .

ـ دعنا من أعمامها .. اليوم سيصير لها أعمام! أنت عمها وخالها وأهلها .

ـ إذا جاء أهله يخطبونها ربما نوافق يا جميلة! زواج من وراء الأهل غير صحيح وخطأ كبير لا يقبل به عاقل سليم المخ ..

ـ أنا تكلمت معها بكل هذه الأفكار ؛ ولكنها تتدعي أن سعادتها ستكون مع ذاك الإنسان ..
صاح فقال : أي سعادة يا امرأة ؟!.. نحن في مجتمعات شرقية .. للأسر دور في حياة الزوجين فكل خلل سيعود علينا ؛ لأنها ستعود إلينا .. ففشل هذا الزواج سيكون كارثة للبيت ولنا .
ـ قالت إن الأوراق الرسمية تحفظ الحقوق والتبعات.
ـ أي حقوق؟! السمعة يا امرأة سمعتنا ! .. أنا غير مقتنع بزواج بدون رضى والديه وأسرته ..
الأم قلقة وخائفة فقالت: تقول منى إن الحياة تتطورت، والمهم رضا الزوجين ، وهو له زمن يحارب أهله ويتحداهم ، وهو متمسك بها ، وله زمن طويل يقنع فيهم وهم متمسكون برأيهم
ـ نصيحتي لك ولابنتك أن تنسى هذا الزواج .. حتى لو عاشا في بيت بعيد عن أهله .. فالحياة الاجتماعية ستكون لصيقة بهم زيارات مناسبات أعياد .
تحدثت منى مباشرة مع زوج أمها لما نقلت لها أمها رفضه على الزواج بدون مجيء أهله لطلبها وحاولت إقناعه بوجهة نظرها بالزواج بحازم الذي تحدى أهله من أجلها ، فلم يقتنع خليل بكل حججها، وغضب منها حتى اضطرته أن يرفع صوته فيها ، وتكهرب الجو في البيت مما دفع المهندس أن يستسلم لرغبتها عندما سمعها تهدد بالزواج منه دون موافقتهم فوقف معها ، فزاد التوتر داخل البيت وعلى أثر ذلك قرر المهندس أن يرحل من البيت ، وحاول مالك وحنان تهدئة التوتر والغضب ؛ ولكن منى رفضت الانصياع لرغبتهم ، وأصرت على الزواج بالطريقة التي تناسبها دون تدخل من أحد .. وأمام هذا الواقع الجديد انفعل خليل ورمى يمين الطلاق على جميلة .
وخلال أيام يسيرة رحلت الأسرة من الحارة من بعد أن تتطورت الأمور بين خليل الحداد وجميلة التي لن تتخلى عن الحياة مع أولادها .
ثم تزوجت منى من صديقها في الشركة الشاب حازم ناصر شاكرني .
لقد اختارت جميلة الأولاد على زوجها الذي كافح معها حتى علم لها أولادها .. هل هذا وفاء

أم عقوق؟ أم أن الظروف قست على الجميع؟ وليس القبول بطريقة منى بالزواج مقبول لدى المعلم خليل .. هل هذا السبب ؟!



اهتز حي برقوقة لطلاق الحداد خليل وجميلة ، فقد كان ينظر لهذه الأسرة بعين الاعتبار والمثالية وكانوا يقولون عن أولاد جميلة أيتام خليل فقد رعاهم صغارا وأنفق عليهم حتى شبوا ودخلوا الجامعات ، فقد كان الانفصال ضخما هزّ الناس ، ولاموا أيتام خليل عن تخليهم عنه والانصياع لرأي أنثى .. ولكن أمام هول الحدث في نظر خليل كان لابد من الفراق .. الأم اختارت الأبناء لا يربطها بخليل أي رباط إلا رباط الزواج ، فليس بينهما أولاد يربطونهما معا ، فضحت بزوجها من أجل خاطر أولادها .. وقد لامها كل أهل الحي حتى أخواتها ، وعابوا زواج ابنتها بدون رضا وعلم أهله .. وهم رضخوا للأمر الواقع خوفا من الفضيحة ، وتمرد منى على تعاليم الأسرة ، ورميها التقاليد والاعتبار لفلان وفلان في عرض الحائط ، فهي مصممة على الزواج من السيد حازم معتقدة أنها مضحية مقابل تضحية حازم وتمرده على رفض أمه وأبيه ، أمام هذا الإصرار والعناد استسلم المهندس ربيع ساعد ربيع لزواج أخته من حازم ناصر شاكرني ، وأمام عناد خليل كان الانفصال بين الزوجين ليتم زواج أخطر من طلاق جميلة عندهم ، فالأولاد لا يمكن لهم الحياة بدون أمهم ، فبلع خليل الضربة والتضحية ، وعاش مصدوما بضعة أيام ؛ ولكنه في قرارة نفسه انتصر لكرامته وتقاليده ، ولا يقول عنه الناس إنه إمعة لا رأي له .. وبدأ حدادنا يبحث عن امرأة جديدة ، فلم تكن جميلة الزوجة الأولى في حياة المعلم الحداد خليل .. فمشكلته الكبرى عدم قدرته على الإنجاب ، وكان سببا لزواجين فاشلين قبل جميلة ، سعى بعض الأصحاب والأحباب والجيران لتزويجه لما رأوا حزنه على فراق الزوجة والأولاد الذين كانوا يطلقون عليهم أيتام خليل لحبه لهم وتربيته لهم ، وقد رفض الحداد الخضوع للواقع

والاستسلام لزواج مثير وقلق، فكان يقول لمحبيه قدر الله وما شاء فعل .. الذل كفر وملعون ولم تمضِ على تطليقه أم ربيع بضعة شهور حتى كان أهل الحي قد زوجوه من امرأة اقتربت من الخمسين ؛ لتقوم على رعايته وخدمته وتغسل ثيابه وتصنع طعامه ، فعادت الحياة رتيبة وطيبة في بيت خليل ؛ وكأنه نسي مأساته أو تضحيته بجميلة ، ولم يندم على أي فلس أو قرش أنفقه عليهم جميعهم ، فقد احتسب كل ذلك عند الله ، فهو عندما تزوجها قصد كفالة أيتـامها

وكان وضع خليل وقصته مع أيتامه يشف صدر شخص حقود وناقم على خليل ، وهذا الشخص معروف لكم وهو جابر والد الأستاذ عدنان ابن أخت خليل ، وقد مر ذكرهم الذي كان يقول لابنه عدنان : أرأيت يا ولد ما فعل أولاد الأرملة بخالك ؟ أرأيت البررة ؟! ألم أقل لك غدا سيرمونه وينبذونه نبذ النواة .. خالك رغم قوته مسكين طيب ومغفل كبير .

فيجيب عدنان : مأساة! بل كارثة كبرى هزت كل حي برقوقة .. وعلى كل حال خالي جمل المحامل يا أبي .. لقد علم إخوته وكبرهم وأنكروه ولم يتعرفوا عليه .. قلّ الوفاء في هذا الزمان يا أبي .. لقد صدمت وأنا أسمع أخبار خالي .. ولكنه صبر صبر الرجال .. إنه جبار يا أبي .. هذه الفتاة التي فكرت يوما بالزواج منها دمرت العائلتين .. الحمد لله الذي نجاني منها .

ضحك جابر وقال : يا ولد لا تنسى أنك متزوج ابنة خالتها فانتبه لنفسك .

ـ ليس كل الناس واحدا يا أبي .. والله الأمر عجيب وغريب ! .. كانت جميلة مضرب المثل في الحارة يا أبي وكذلك أولادها .. البنات مشكلة وبلاء !

فأعجب جابر بتعليق عدنان فقال منفسا عما يكتمه في النفس عن البنات : البنات يا ولدي يقصمن الظهر.. والاختلاط بالرجال وأصحاب المال يفعل المصائب، والقصص والحكايا كثيرة ؛ ولكن خالك العرة تزوج هذه المرة من امرأة لا أولاد لها .

ـ هي عاقر كما يقال ، تزوجت من قبل ثلاث أو أربع مرات ، ويقال إنها امرأة محترمة ومتدينة ولكن صحتها ليست كما يرام.

ـ خمسون سنة ولا تكون متدينة! مسكين أبو نسب ! مسكين يا أبا أحمد والله مسكين! .. أنا لا

ألوم البنت منى .. فالهوى غلاب كما يقال ؛ ولكن أخوتها ربيع ومالك كيف رضخوا لرغبتها وهواها .. أين الرجولة ؟!

ـ يا أبي هم خشوا الفضيحة أن تتزوج رغم أنوفهم ودون مشورتهم.. فالفتاة كما فهمت من بعض الناس وحتى زوجتي كانت مصرة على الاقتران من المدعو حازم تحديا لأهله وتمسكا به فالشاب يريدها مع شدة رفض أهله من زواجه من حي برقوقة .. كأن حي برقوقة من دنيا أخرى وسكانه من كوكب المشتري .. وأيضا يقال إنهم أصدقاء وعشاق منذ أول يوم اشتغلت فيه بنت جميلة في الشركة .

ـ الناس يا عدنان تسمع وتتحدث.. وربك هو الستير.

ـ ما هم إلا جيراننا وأصدقاؤنا ، وربيع مجروح ، والله يوفقهم ، وقد رحلوا من الحارة ، ولكن قصتهم للأسف على كل لسان ولم ترحل معهم.. فالناس لا ترحم ولا تعذر .. فتقول زوجتي إنهم استأجروا فيلا في شارع الخضر في حي رحمات وهو من الأحياء الحديثة والراقية في العاصمة الكبيرة.. سهل الله لهم الأمور.



تزوجت منى من الشاب حازم ناصر في حفل صغير ، حضره قليل من الأصدقاء والمعارف ، فهم يعرفون ظروف هذا الزواج ، فلم يحضر والداه ولا إخوته وأخواته حتى أخته عبير مديرة الشركة لم تستطع أن تحضر وتخالف أوامر الأم فاطمة ، ولا أحد من أقارب الزوج ، وذكرنا أن خليلا تزوج من امرأة اسمها حسنية طلقت بضع مرات ، وذكرنا تزوج عدنان من ابنة أخت جميلة ، وكان زواجه خلال العاصفة التي عصفت ببيت الحداد خليل .

ولما تزوجت منى رحلت لبيت زوجها ، وهدأت المشاكل والكلام الحاد الذي كان يجري بين مالك وحنين من جهة ومنى من جهة أخرى ، ويتهمونها بالأنانية والنرجسية ، وكان الشاب

ربيع يفكر بعد زواج منى بإعادة المياه لمجاريها بين والدته والسيد خليل فرفر ؛ ولكنه لما علم بزواج خليل قفل على الموضوع والتهى بشغله وتعليم مالك وحنين ، ولما علمت جميلة من ابنة أختها التي تزوجت عدنان ابن أخت خليل بزواج خليل أحست بغلطتها الكبيرة ، وشعرت بالندم وأصابها الاكتئاب والألم ، فهي كان عندها أمل بأن خليلا بعدما يسمع بزواج منى سيأتي ويصالحها وتعود معه لحي برقوقة ، فهي قضت معظم عمرها فيه ولادة وزواج وأولاد.. وأنه بعد زواج منى لا يلومه أحد بإرجاعها لذمته وعصمته ، ولكنها مع انتشار خبر زواج خليل تباطأت بالمصالحة ولزمت الصمت والحزن .. فهي تدرك كم من التضحيات قدمها خليل لها ولأولادها حتى يكبروا ، بل منى أكثر واحدة أنفق عليها حتى تتعلم لأنها البكر.. أعمامهم تخلوا عنهم، وأخوالهم ساعدوا بالشيء اليسير.. خليل كان لهم نعم الأب والرجل .

كانت تفكر بطريقة ترد له الجميل والمعروف ، ورغم ما شجر بينهم لم يقل لهم هاتوا ما أنفقت عليكم من مال .. فكرت ولم تتوصل لطريقة لائقة ، فخليل رغم طيبة نفسه ؛ ولكنه عنيد وعزيز النفس ، وأمام هذا الهم الذي غمر تفكيرها فاتحت ولدها ربيعا لعل لديه طريقة ما يردون له بعض المال مقابل المعروف الكبير الذي تركه في أعناقهم .

فقال: كنت أفكر يا أمي بأن أردك إليه عندما تسكن العاصفة التي صنعتها منى ؛ ولكن أهل الحي وأصدقاءه أسرعوا فزوجوه ، ولو أرسلنا له مالا فلن يقبله، فأنت تعرفين عزة نفس المعلم خليل يا أمي .. لا أعلم طريقة أو حيلة نرد له فيها بعض فضله علينا .

ـ فكر يا حبيبي ـ رضي الله عنك ـ بطريقة بحيلة بوسيلة .. أنا لست نادمة على الطلاق ، فأنا بعد وفاة والدكم رفضت الزواج ، ولم تعد بي رغبة للرجال يا ولدي.. كنتم أنتم حياتي ودنياي ولما تعهد لي خليل أمام إخوتي بتعليمكم وافقت على الاقتران به والزواج ثانية ؛ ولكن أختك وضعتنا في موقف حرج وصعب.. على كل حال هي تزوجت.. الله يستر عليها ، وأتمنى لها ولكم التوفيق ؛ رغم أن هذا الزواج الغريب حصل ما زلت أجد في نفسي منه قلقا وخوفا .. فأخشى أن يجبره أهله بعد حين على طلاقها، ويعتبروها نزوة شاب وانتهى الموضوع بالنسبة

لهم ، وتبقى منى ونحن بحسرة هذا الزواج القلق.. فهؤلاء الأثرياء ليس عندهم أمان .. فهم ينظرون إلينا من أعلى .. ولكن منى مفتونة به ؛ كأنه لم يخلق رجل غيره في الدنيا .

تنهد المهندس ربيع ربيع وقال: سامحها الله يا أمي .. وهذا الشعور يراودني أنا أيضا يا أمي .. فمنى تعتبر حازما سلما للصعود لطبقة رجال المال والأعمال ، لو اشتغلت بالتدريس وبحثت عن زوج وبيت هادئ لكان خيرا ..هي لا تفكر بالأمومة والأولاد تحلم بالفلوس الكثيرة والطائرات .. أنا كنت أظن أن هذه أحلام يقظة ومراهقة ، عندما كانت تحلم أمامنا بالقصور والعمارات وأخبار رجال المال في المجلات والصحف .. على كل حال يا أمي زوبعة ومرت ، وسامحينا عما سببناه لك من ألم وجرح خلال هذه الشهور الصعبة .. فلم أجد أمامي إلا أن أقف مع منى .. فمنى كانت ستتزوج من المحترم حازم شئنا أم أبينا .. فلو رفضنا وتزوجت رغم أنوفنا .. فسيكون عار علينا أشد مما حصل ، وسيلازمنا طول حياتنا .. فهذا ما دفعني للتحيز لها أمام والدنا أبي أحمد وأعمامنا وأخوالنا وحتى مالك وحنين ، قد وضعتنا في موقف حرج للغاية .. فخليل أحمد ركب رأسه رغم أنني ترجيته ألف مرة ، وحاولت تهدئة ثورته وإقناعه بالحسنى ؛ ولكنه غلط في حقنا ووصف هذا العمل بالزنا والفاحشة .. زواج بدون رضا الأهل ما هو بزواج في رأيه وكان يقول هل نحن في أوروبا في أستراليا في أمريكا ؟!

مسحت جميلة دمعة نزلت على خدها وقالت : كانت أيام صعبة يا ولدي.. وليس أمامي إلا اختياركم والانحياز إليكم .

ـ منى كانت وجهة نظرها أن حازما قد ضحى من أجلها تضحية كبيرة ، تحدى أهله وأصر على الزواج منها ألا يستحق أن تضحي هي من أجله وترفس كل التقاليد والعادات البالية ؟

ـ المهم يا ابني ألا تترك هذه الزيجة في نفسك شيئا نحوها ، فأنت الكبير وسيد العائلة ، فمالك ما زال صغيرا خبرته بالدنيا قليلة .. فالبنات تغلبهنّ العاطفة .. فهي رأت تحدي الشاب لأهله أمرا كبيرا وخطيرا .. فهو في عينها قد رفض الاقتران من بنات أصحاب والده المليونير ولا من قريباته .. هؤلاء الأغنياء الكبار وأصحاب الملايين كما نرى في المسلسلات والتلفزيون لا يحبون

الفقراء والزواج منهم .. فنحن عندهم قوم متخلفون جرب وهم آخر طراز أو موديل أدعو الله تعالى أن تستقر في حياتها الزوجية ؛ ولكن يا أمي يا حبيبي أموال أبيه وأمه لا يستطيع أن يتخلى عنها من أجل امرأة ..

رد ربيع : هذا ما يقلق .. ميراث كبير لدى أبيه وأمه ! ولا شيء لدى منى منها !

ـ سلم أمرنا إلى الله .. هي التي اختارت ورضيت رغم الحجج والأمثلة التي سردناها على مسمعها أنا وخالاتك وعماتك ولكنها أبت أن تسمع ..



سقوط الحلم

كانت منى ربيع الشابة الحسناء ذات الخمس والعشرين سنة ترى نفسها فتاة مثقفة خريجة جامعة لغة أجنبية ، عانت من الفقر وظلم المجتمع عند وفاة أبيها ، أهل أبيها تخلو عنهم إلى حد ما ؛ لأنهم فقراء مثلهم ، والوالد تركهم من غير ثروة وميراث ، فكانت تحلم بأن تصنع مستقبلها بيدها، وأن لا تعمل موظفة في مدرسة براتب محدود ، وهي كانت تنتظر تخرج أخوها من الجامعة لتبدأ في تحقيق بعض ما رسمته في مخيلتها ، فلما التقت بحازم ابن مدير إحدى الشركات التي يملكها والده رأتها فرصة لأن تصير شيئا ما في هذا المجتمع الذي يحترم أصحاب المال ، بل في كل زمان لأهل الثروة احترام وتبجيل .

كانت تريد أن تتحدى التقاليد التي درج عليها الناس ، وكانت ترى أن حازما المحب لها قد تحدى أهله الأثرياء ملاك الأموال الكثيرة ، وأنه قد عاداهم من أجلها فلماذا لا تكافئه على الأقل بالخروج على التقاليد؟ وقد بادلته الحب ، فهي تقول لنفسها إنها لم تر أنها تعشقه العشق الذي يتحدث عنه العشاق والشعار ؛ ولكنه في نظرها مشروع زواج جيد ، ويضعها على طريق تحقيق الأحلام الكبيرة وتزوجت بفتى الأحلام .. وكان الشاب الذي قضى ثلاث سنوات بقربها محاولا أن يعيش معها قصة عشق وغرام قد فشل في ذلك ، وأن لا سبيل له على جسدها إلا بالزواج الشرعي .. وكان حازم في أول الأمر عند الزواج بعدما سكنت نفسه إليها مقدرا لها هذه الشجاعة والقوة ؛ ولكنه كان في قرارة نفسه يخشى ردة فعل العائلة أمه وأبيه .. أمه فاطمة كانت أشد رفضا لزواجه من فتاة فقيرة مع أنها لم تكن فقيرة عند الزواج ، كان لها ثلاث سنوات تعمل في شركتهم.. ووافق قول أمه هوى في نفس أبيه ناصر .. فهو ابن رجل ورث الثروة والمال الكثير عن الأسرة .. فوالده صاحب مشاريع وصناعة ، وهو كان دكتورا يدرس في الجامعة ثم استقال من التدريس وبدأ يعمل في السوق .. وكان قد تزوج امرأته فاطمة أخت أحد أصدقائه الكبار وأحد زملائه في الجامعة عندما كانا يدرسان معا ، وهي أيضا تحمل شهادة عليا .. فزادت ثروته وثروة العائلة ، فكل إخوته يماثلونه في الشهادات العلمية والمال .. فكانت فكرة زواج

أحد أبنائه الأربعة من فتاة بسيطة موظفة لديهم فكرة عقيمة وسيئة .. ولم يقتنع بوجهة نظر ابنه فنفرت العائلة من هذا الزواج ، واعتبروا الفتاة صائدة رجال طامعة في مالهم ، وأنها افترست ولدهم حازما .. فحاولوا صد ومنع هذا الزواج بالحوار والجدال .. ولكن الشاب المتعلم لم يقتنع بأي حجة لهم ، وأصر على أخذ حريته الكاملة في الاختيار لشريكة العمر .. وتم الزواج كما ذكرنا آنفا رغم أنف الأسرة ولم تشارك العائلة ولو مجاملة بفرح حازم حتى أقاربه وأعمامه فهم ليس على استعداد لعداء ناصر وفاطمة فقاطعوا حفل الزواج .. فغضب حازم منهم ، وكان يظن أنه عندما يضعهم تحت الأمر الواقع سيستسلمون وينصلح الحال .. فاستمر العناد من الفريقين ، وظل على تحديه للكبار وتزوج فتاة الأحلام ، واستأجر شقة واسعة في إحدى الضواحي .. ولما حصل الزواج ، ورأت العائلة ذلك الواقع فاعتبروا ذلك هزيمة لهم .. طلب الوالد ناصر الغاضب منه بعد حين من زواج ولده بأن يترك العمل في الشركة وكل شركاته الأخرى ، ففصل هو وزوجته .. فقامت منى باختلاس زيارة للوالد في عمله فطردها شر طردة واتهمها بسرقة ولده ، ولم تجدِ دموعها نفعا .. وقام حازم بفتح شركة باسمه الخاص مصنع مواد غذائية .. استأجر أرضا وأنشأ عليها مخازن كبيرة واشترى ماكينات وسيارات نقل وتوزيع .. ولكن هذه الشركة بعد أشهر تعثرت ، فهو وإن وجد المخازن والمال فالاستثمار ليس هينا ويحتاج إلى صبر ودراية ؛ وعندئذ بدأت عواقب تحديه للعائلة تظهر أمامه .. هل يستسلم للعائلة ولوالديه ؟ .. حاولت منى قدر استطاعتها أن تقوم مع زوجها بما يلزم ، بذلت كل أموالها لمساعدة حازم ، وكانت تقترض من أهلها وخصوصا أخيها ربيع ، ولما انهارت الشركة ذهبت الأموال .. وصل الأمر بين الزوجين للانفصال .. ولكنهما أصرا على العناد ، فكابرا وفكرا بالهجرة إلى أمريكا الشمالية .. وأخذ حازم يسعى في ذلك ، وبواسطة قريب له هناك تمكن من الرحيل وحده .. وترك منى عند أهلها بعد أن أخلى الشقة التي عجز عن سداد أجرها لبضعة شهور.

كانت جميلة وأولادها يتعجبون من تصرفات أسرة حازم وتعاليهم وعدم وقوفهم مع ابنهم ،

وفوق ذلك كان الشاب حازم يرفض فكرة الإنجاب المبكر، فلم تحمل منى خلال هذه السنة والشهور الصعبة .. فبعد سفر زوجها إلى أمريكا عادت تبحث عن عمل مؤقت حتى يرسل لها حازم أمرا بالسفر ويرسل لها تأشيرة دخول تلك البلاد .

وقد استفادت منى خلال شهور الزواج ، ومن عشرتها لحازم شرب الخمر والتدخين.. فلما استقرت في البيت عند العائلة وقف أهلها ضد هذه الأفعال الخبيثة بشدة .. ولما أصرت على ذلك طلب منها أخواها مالك وحنين الحياة وحدها بأن تستأجر بيتا وتسكن وحدها .. وفعلا استأجرت شقة بعدما استلمت عملا يدر عليها دخلا .. وكانت الشقة المستأجرة قريبة من بيت إخوتها .. وكانت منى ترى أحلامها تتحطم ، وأن الصعود على أكتاف حازم قد فشل .

كانت جميلة حزينة وحائرة في أمر ابنتها وما وصلت إليه من الضعف والهزال والكآبة ، وما تحمله من هم ، ولم تفرح بزواجها الذي ضحت من أجله ، فهي حزينة لحزن ابنتها وجرحها الأليم وحائرة في تصرفاتها وتعلقها بالخمر الذي لم يعهد في بيتهم من قبل زواجها ، وبين الأولاد الذين لا تعجبهم تصرفات منى ، فهي حائرة ماذا تفعل ؟!

وبعد رحيل منى وحياتها في شقة وحدها قريبة من بيت أمها في حي رحمات .. سافر المهندس ربيع بعد أن عقد قرانه على ابنة خاله سعيد .. فتاة تعمل مُدرسة في مَدرسة .. فقد سافر إلى إحدى دول البترول العربي للعمل في إحدى الشركات .. فهل هو يهرب من مشاكل العائلة أم بحثا عن دخل أفضل ؟

فلما كانت منى تزور أهلها بعد سفر ربيع لم تعد تلقى الترحيب الذي كانت تلقاه من ربيع ، فكان مالك يقابلها بوجه متجهم يتكلم معها بنبرة غاضبة إن لم يكن فيها احتقار ، وهذا تراه أيضا من أختها الصغيرة حنين ، وجل كلامهم يدعوانها للعودة للصواب وترك التبغ والخمر والسكر ، فتثور وتنفعل وتطلب منهم بحدة وضيق أن لا يتدخلوا في حياتها وأن ذلك شأنها ، ثم تغضب في نهاية الجلسة وتنصرف لشقتها ودعوات جميلة تلاحقها داعية لها بالهداية والسكينة كل زيارة مشاجرة ، وتحتج عليهم بأنها تصرف على نفسها وشهواتها من مالها وتعبها ، ولا تأخذ

منهم مليا واحدا ، ويغضب منها أيضا الأخوان حتى أن مالكا في إحدى المرات لطمها على وجهها وهو يقول غاضبا : أنت أنانية ودمرت حياتنا وسمعتنا بزواجك المهين والتعيس .
فتبكي وتهيج ثم تحرد على البيت بضعة أيام أو أسابيع ثم تعود.. وكانت جميلة ترى ما يحدث لهم عقابا لهم لنبذهم خليل وتخليهم عنه.. فتلزم الصمت والبكاء .



وكانت أخبار حازم المهاجر التي تأتي لا تسر بعد ، فهو لم يوفق في عمل مناسب.. وتعلق الشاب بالمخدرات والنساء حتى أن حالته الصحية تدهورت بسرعة وساءت ، فأرسل قريبه أخباره لوالديه ، ثم هو أرسل يستجدي والده وأمه أن يصفحا عنه.. فصم الوالد العنيد أذنيه وأرسل إليهم قريبهم ثانية أخباره السيئة وتعلقه بالمخدرات والماريجوانا وعصابات المخدرات فطلبت فاطمة الأم بعد صمم من ناصر التصرف.. فوافق الوالد على عودته وعلاجه إذا تخلى عن زوجته منى وطلقها قبل عودته للبلاد.. ولما علم حازم بذلك الشرط وافق عليه .. وعاد للبلد بعدما أرسلت ورقة الطلاق لمنى عن طريق المحامي .

تلقت منى ورقة الطلاق بهدوء وسكينة فهي كانت تتوقع هذه النتيجة ، وكادت أن تحصل قبل سفره ؛ وذلك عندما فشل مشروع الشركة الذي أغرق حازما بالديون ، فهو قد كان يحملها مسؤولية فشله ومعاداة والديه لهما.. ولكنهما كانا يكابران ويعاندان .. أما الذي تأثر وتألم كثيرا بطلاق منى أمها جميلة مع إحساسها القديم بذلك ؛ فهي التي ذرفت الدمع الغزير.. أضحت الأم مطلقة والبنت مطلقة .. وعرفت حينئذ معنى إصرار خليل أحمد على عدم زواجها بدون موافقة والديه ومجيئهم بأنفسهم لطلب يدها .

منى لم تعرف أن حازما قد عاد من أمريكا ليعالج من المخدرات والكحول التي أفرط فيها ، فهي ظنت أنه طلقها وظل هناك عند قريبه ومعارف أبيه ؛ ولأن إجراءات طلاقها قام بها محامي

ناصر شاكراني .

حاول مالك الشاب الذي تخرج من كلية الحقوق حديثا ليكون محاميا انتشال منى أخته من صدمتها ، وفتح صفحة جديدة مع الحياة والعائلة ؛ ولكنها أبت العودة للبيت والحياة مع مالك ومواعظه وتوبيخه وحتى تجريحه وسخريته.. ورفضت ترك الخمر والدخان والسهرات وأصرت على الاستقلال بحياتها ، ولو كانت وحيدة .. وقد أرسل إليها ربيع عددا من الرسائل المواسية والحاثة على التوبة وترك المكابرة والعودة للبيت ، ولكنها اعتذرت لأخيها ربيع بلطف لم تكنه له من احترام خاص ، وأعلمته أنها ستبقى مستقلة عنهم عن الأسرة ، وعرض مالك عليها عرضها على طبيب نفسي فرفضت بشدة ، وزاد غضبها منه مع أن قصده شريف وهو مساعدتها للخروج من أزمتها النفسية .

وذات يوم وبينما هي في مقر عملها في إحدى الشركات دخلت أخت طليقها حازم عبير ناصر وبينما عبير تبحث بعينها في أطراف القاعة تفاجأت المديرة السابقة لمنى برؤيتها ؛ ولكنها أمام الموقف حيتها وابتسمت لها ، فتركت منى مقعدها وخرجت ترحب بها وتسلم عليها وصافحتها قائلة : كيف حالك يا عبير ؟ ما أخبار حازم اليوم ؟ وكيف أمريكا ؟!

ردت عبير قائلة : الحمد لله .. كيف أنت ؟ وهل لك زمان تعملين هنا ؟

ـ الحمد لله أنا بألف بخير .. أعمل هنا فقط منذ سافر أخوك أمريكا ..

ـ مسكين حازم يا منى! .. لقد دمر وهلك .. ألم أنصحك يا منى أن تبتعدي عنه؟! .. أنا أدرى منك بأمي وأبي يا منى .. ولكنك للأسف شديدة العناد والتحدي إذا صممت على شيء لم تكوني الفتاة الأولى في حياة حازم .. ولكنك استطعت أن ترغميه على الزواج منك .. لا تنكري أنا في البداية كنت أظن أن السيد يعبث بك كما عبث بغيرك .

كانت منى مقهورة مما تسمع وتغض من طرفها وهي تسمع عتاب ولوم عبير الحاد ثم قالت منى محاولة تغيير الحديث : مضى وزال ومات يا عبير .. أي خدمة تريدين ؟

ـ أشكرك .. أنا على موعد مع مديرك شفيق حسين .. اعلمي أن حازما هنا في البلاد لقد رجع

محطما منهكا من الكحول والمخدرات ، وأدخل مركزا لعلاج السموم البيضاء أو السوداء .. وهو اليوم مريض طريح الفراش ..

لقد تفاجأت منى بوجوده فقالت بدهشة : حازم هنا ؟!!

ـ نعم هنا وهو سقيم .. وأرجو ألا تفكري باللقاء به أو الكلام معه بالهاتف .. هو ما زال يردد ويهذي باسمك ويلوم والديه على إجباره على تطليقك ..

حاولت منى تكلف الابتسام فقالت : لقد انتهى حازم من حياتي يا عبير! .. وأتمنى له الشفاء والصحة.. شكرا على هذه المقابلة اللطيفة وعلى النصائح وعلى المعلومات التي سمحت لي بسماعها .

ـ لا شكر على واجب.. أنت عملت معنا سنوات يا منى ! لا يمكن نسيانها بسرعة .. كنت أتمنى لو ظللنا أصدقاء ؛ ولكنك خربت كل شيء بزواجك من حازم .. شكرا .

ـ قدر الله وما شاء فعل .. سلام . تذكرت هذه العبارة التي كانت تسمعها كثيرا من مالك يقولها وهو مواسٍ لها .

ـ قبل انصرافي نصيحة أخيرة يا منى .. لا تلبسي ثوبا أكبر منك ولا يناسب مستواك الاجتماعي حتى لو استمر زواج حازم منك فمصيره الفشل .. أنا أعرف من أخي ومن هو حازم ؟؟! مع السلامة .

كانت عبير كما يعرف قارئ هذا السفر لا تستحي من منى منذ أيام عملها موظفة في الشركة وهي ما زالت تنظر إليها على أنها مجرد عاملة بسيطة في الشركة العالمية للتجارة .. موظفة في قسم الترجمة .. ورغم الأحداث العاصفة في حياة منى التي تعرفها عبير لم تكترث لقسوة الكلام الذي تفوهت به .. فهي المديرة وتلك مجرد موظفة لديها .

عادت منى لمقعدها منهارة ، وقد أخذت تدخن ، وربما مسحت دموعا سالت على مكياجها وزينتها التقليدية ، وتتذكر تفاصيل علاقتها مع عبير ، ثم همست مخاطبة نفسها : إنك ملعونة كنت تريدينني مجرد عشيقة وخليلة لشقيقك ! .. حازم في المدينة ويعالج من المخدرات

والكحول .. ناس مجرمون .. قساة القلوب !! تنهدت وقالت : لقد دمرني معه ..هو يجد من يعالجه أما أنا فلا .. الكل يتفرج عليّ .. على مأساتي .. أكيد زوج أمي خليل شامت بما جرى لي لابد أن ابنة خالتي زوج السيد عدنان جابر تنقل لهم كل شيء عني .. بل ما زال ربيع وعدنان أصدقاء .

تنهدت ثانية ومسحت دموعها التي سالت على خديها وقالت : يا الله ! ماذا أفعل ؟! إني جريحة وأمي جريحة وكانت تحدثني بخوفها من هذا الزواج .. اعتقدت أنني أتعامل مع رجل مع بطل لا أدري لماذا هؤلاء الناس يكرهوننا ؟! .. هل نحن في عصر الظلمات والعبيد والهنود ؟! نحن في قرن الحريات وحقوق النساء .. ألم تتزوجي يا منى كما شئت ومن اخترت؟! أليست هذه الحرية التي تنشدها النساء؟! دخان .. سكر .. حفلات .. سهرات ورحلات ونزهات مع الرجال والأغراب .. ألم أفعل كل ما أراده حازم؟! ومع ذلك أهله لم يقبلوني.. لماذا لماذا يخافون مني ويكرهونني؟!.. هل أنا حقا صائدة رجال ؟! هل كان حازم يحبني حقا ؟ أم لحظة ضعف واشتهاء جسد ؟! لقد قاوم معي وتحدى أهله وخسر أمواله من أجلي من أجل حبنا وحياتنا.. ولكنه كان يرفض الأولاد .. لا يريدني أن اخلف .. هكذا عادتهم كان يقول .. الأولاد بعد حين .. لابد أنه كان متوقعا وحاسبا لهذا الفشل ؟ سنتان مكثت على ذمته ولم أرَ أمه .. يا لها من امرأة قاسية القلب! لم تشفق على عواطف ابنها ، لم تفكر مرة بزيارة ابنها لتفتح معه صفحة جديدة .. وتتقبل الأمر الواقع .. تتعرف على كنتها ..إنها أقسى من ناصر والد حازم ! من أي عائلة هذه المرأة المجرمة؟! ألسنا بشرا مثلهم؟! عبير هذه التي دخلت على مدير المحل .. لماذا هي عانس لليوم؟ لماذا لم تتزوج بعد رغم الثراء العريض المحيط بها ؟! وهي جميلة ليست دميمة لابد أن أهلها وراء عنوستها ، هي أكبر مني ببضع سنوات .. كان حازم لا يحب الكلام عنها إيه كنت أتمنى أن اقتحم هذا العالم وأصعد بسرعة الصاروخ للمال والجاه ؛ ولكنهم وقفوا سدا أمام دخولي لعالمهم .. هل أنا أخطأت بحق إخوتي وأمي وزوج أمي ؟! أنا كنت أرى السعادة مع حازم إنهم لا يرون ما أرى .. ألم يكونوا يريدون تزويجي؟ وتذكرت ابنة خالتها فرددت بين

جوانحها هل ابنة خالتي سعيدة مع عدنان الذي سعى ليكون لي زوج ؟ .. سأعمل لها زيارة وأنظر حياتها في حارة برقوقة .. لا داعي لذلك .. انتهى حي برقوقة من حياتنا وأحلامنا.. لماذا كان هذا المكان سببا في عدم قبولهم زواجنا ؟! ..أليس هو مكان كغيره من الأماكن ؟ والله إن فيه أغنياء ربما عددهم أكثر من أحيائهم !

وبينما هي مستغرقة بهذه الأفكار والتساؤلات رأت عبير تشير إليها مودعة .. فانتبهت إليها في اللحظة الأخيرة ، ورفعت يدها محيية بالإشارة ، وعادت تفكر بحياتها وأحوالها .



زواج حنين

لما رجع ربيع من سفرته الخليجية في موسم الصيف كعادة المغتربين قضى أيام الإجازة يعد للزواج من ابنة خاله أمينة ، وخلال هذه الفترة حاول إقناع أخته بالعدول عن العادات السيئة التي تعلمتها من حازم بترك الدخان والخمرة والعودة لبيت الأسرة ، وأن الطلاق والفشل في مشروع لا يعني هذا نهاية الدنيا ، وحثها على عدم المكابرة ، فلم تر منى من كلام أخيها شيئا جديدا ، فقالت لكم حياتكم ولي حياتي

وقبل سفره بأيام تزوج ، ومكث ثلاثة أيام ، ثم سافر وصحبته زوجته لشغله في تلك البلاد .

تخرجت حنين من الجامعة ، وقد درست مثل أختها في كلية الآداب تخصص إنجليزي ، وقبل أن تبحث عن عمل كان أخ لصديقة لها اسمها عائشة يتقدم لخطبتها من أهلها.. فقد رآها عدة مرات وهي تزور أخته ، فأعجب بها وبحسنها وأدبها ، وكان قد تحدث مع أخيها مالك المحامي وكانت حنين تحب عائشة كثيرا خلال فترة الجامعة ، وجرى بينهم كلام أثناء الجامعة في موضوع الزواج ، وأمهلوهم حتى تنتهي من الجامعة.. وكان مالك على علم بذلك ولم يبدِ أي معارضة.. وقبل أن تبحث حنين عن عمل عقد قرانها على الشاب سعد الدين .. وأرادت منى أن تفسد هذا الزواج الذي لم يرُق لها بحجة أن الشاب غير متعلم في الجامعة، واتهمته بالجهل والأمية ؛ ولكن حنين رفضت حجة أختها منى ، وقالت لها كما أنت اخترت زوجك أو من كان زوجك حسب هواك ، فأنا لا اعتراض لديّ على سعد الدين .. فأهله أناس طيبون ، وأعرفهم ووالده رجل ميسور ، ولهم محلات كبيرة تبيع مواد الإنشاء والكهرباء والماء .. والشهادة في نظري ليست كل شيء

لم تقتنع منى بحجج حنين ، وتكلمت بكلام قاس بحق زوج أختها ؛ ولكنهم كتبوا الكتاب الشرعي رغم شدة كلامها وثرثرتها ومعارضتها وسخطها ، وترجونها أن لا تتدخل في شأنهم كما هي تحب أن لا يتدخلوا بشأنها ، فلم تقبل هذه المعادلة وحاولت دفع الشاب للابتعاد ؛ ولكنه اتخذ قراره ، وكان يعرف عقدة منى وقصة زواجها وطلاقها، فتحمل سلاطة لسانها ،

وصمم في قلبه أن يمكر بها مكرا يمنعها في يوم من الأيام التدخل بحياة أختها وحياته .
وبالفعل لما رجع ربيع من سفره ـ وكان بين يديه طفل صغير ، فرحت به جميلة فرحا كبيرا ـ تم زواج حنين من سعد الدين ، وكان والد سعد الدين يملك عمارة مؤلفة من عدة طوابق في شارع إبراهيم حي الجزيرة ، وكان هذا الرجل كلما تزوج ولد من أولاده أسكنه في شقة من شقق العمارة بعد رحيل مستأجرها.
ولقد وجدت حنين ربيع الاستقرار والهدوء في بيت زوجها ، وهذا ما تنشده المرأة العاقلة .
كان سعد الدين يعمل ويشتغل مع والده في محله الكبير ، وكان موفقا والعمل مزدهر، وكان محبا لزوجته حنين ، ويرثي لم حصل لأخت حنين من زواج فاشل ، ويأسف لم هي عليه من خمر لأن أسرتها أسرة كريمة لا يوجد بينهم هذه الحاجة .. فحتى الدخان وإن كان يجد قبولا لدى الناس اليوم ، ففي أسرة منى لا أحد يدخن ، فيُرى الأمر مستهجنا وشاذا ، وبعد تزوجه حنينا ذهب الخوف منها ، ومن أن تفسد مشروع زواجه ، فأخذ يحاول إقناعها بالسير على خط العائلة ويشجعها للعودة إلى حضن الأسرة الدافئ ، حضن الأم جميلة .. فتسخر منه ، فهو في نظرها رجل جاهل عامي لم يستطع النجاح في الثانوية العامة ، وكانت تغتاظ من حنين كلما تذكرت ذلك ، كيف ربطت نفسها بهذا الإنسان ؟! .. يبدو أن للشهادة العلمية في نفسها شيئا كبيرا .. ثم تنهره وتصده أن يتحدث معها ناصحا مرشدا ، وتترجاه في بعض الأحايين أن لا يتدخل في شأنها ، فيستحي الشاب من فظاظتها ويعتذر لها، ويلزم الصمت ، ورغم تدخل حماته لصالحه فيتضايق ثم يختصر الزيارة ، وينصرف ومعه زوجته التي ربما تتكلم بكلمة قاسية مع أختها .
وكان كلما فتح موضوع منى أمامه يظهر حزنه لحنين ورغبته في إنقاذها وإخراجها مما هي فيه ، فيقول بحزن وألم : هي معقدة أو هي عقدت نفسها .. هي ليست أول امرأة تتزوج وتتطلق .. وليست أول امرأة تفتح مشروعا ويخسر ويفشل .. آلاف الرجال والناس يعملون في مشاريع وتغلق وتدمر .. هكذا قانون التجارة والصناعة والزراعة .
ـ هي التي عقدت نفسها .. إنها تشعر بعقدة الذنب ؛ لأنها لم تسمع كلامنا ونصحنا .. ليس

لفشلها في الزواج وتحطم أحلامها الكبيرة التي بنتها على الزواج من ابن مليونير .. إنها تشعر بعقدة الذنب ؛ لأنها كانت السبب في طلاق أمها من السيد خليل أبي أحمد .. الرجل الوفي الذي ساعدنا حتى كبرنا ، وأنفق علينا حتى تعلمت منى وتخرجت من الجامعة ، وشارك في تعليم ربيع الهندسة .. فلما جاء زمن الوفاء والجد خذلته، ودفعته لطلاق أمها من أجل الزواج من حازم نائب المديرة في شركة التجارة العالمية .. لقد عشنا يا سعد أيام مؤلمة ومرهقة للأعصاب ومتعبة .. لقد كان أخي ربيع يفكر بعد زواج منى وهدوء العاصفة التي عصفت بنا أن يصالح أمي على زوجها خليل ؛ ولكن أهل حي برقوقة يحبون المعلم خليلا فعجلوا بزواجه من امرأة من حيهم ، سمعنا من ابنة خالتي التي تزوجها ابن أخت خليل أنها مريضة وأكثر دخل خليل ينفق على علاجها .. لقد حزنّا كثيرا لم حصل ؛ ولكننا كنا ضعفاء أمام تمرد منى على تقاليد الأسرة والناس .. تعودنا أن نحسب ما سيقول الناس .

ـ لله الأمر من قبل ومن بعد يا حنين! وكما هو معلوم أنه لا يأس مع الحياة .. فالإنسان يكبو ويسقط ويتعثر ويقوم من كبوته وسقطته وتعثره .. وهذه الخمر والسهرات لا تغني ولا تسمن من جوع ، فالحياة مجاهدة وكفاح وتعب ونجاح وفشل .. أنا سعيد بك يا حنين ولا أنسى موقفك معي عندما حاولت أختك عرقلة زواجنا بكل ما أوتيت من قوة ، حتى أدهشتني ، حتى كنت أظن كأنني سأتزوجها هي .. أنا لم أتعلم لأنني لم أكن أحب المدرسة والدراسة ، وأنا ما صدقت وأن أنهي الإعدادية ؛ ولكن الأهل دفعوني بقوة حتى وصلت الثانوية ولم أفلح .. فليست الحياة كلها دراسة وجامعات وشهادات .. هذه أقسام وأرزاق ، فأنا دخلي من المحل يا حنين كما تعلمين أكثر من دخل مهندس حكومة أو طبيب حكومة ودولة .

ـ يا سعد الإنسان بأخلاقه وطيبته ، والمال وسيلة لتحقيق أهداف وغايات صالحة .. فها هو خليل أحمد زوج أمي السابق حداد بسيط وقديم .. استطاع أن يصرف علينا كل هذه السنوات كانت منى أكبر إخوتي عندما تزوج أمنا ، عمرها عشر سنوات أقل أو أكثر قليلا بدخله البسيط صرف علينا طعاما وشرابا ومدرسة ولباسا ، ما كنا نشعر بأننا أيتام ، كل عيد يكسونا أحسن

الثياب ، وعند دخولنا المدارس يكسونا ويشتري لنا الحقائب والدفاتر والمصروف المدرسي ، ولم نسمعه يمن علينا بذلك يوما ما ، قدم لنا الكثير دون أقاربنا من أعمام وأخوال ، مع أننا نسكن في نفس الحي ؛ ولكن ظروفهم صعبة .. وتعلمت منى سنواتها الأربع من جيبه وحده ، وكان يستلف دون علمنا ليكمل تعليم منى وربيع ، وكان يعتبر ذلك من العهد الذي قطعه لأمنا عندما تقدم للزواج منها بعدما ترملت بسنين .. ورغم حرمانه من الأولاد وابتعاد أهله عنه أقصد إخوته وأخواته إلا واحدة وهي أم عدنان زوج ابنة خالتي كان شاكرا لله صابرا محافظا على الفرض والعبادات ، ويحبنا ولا يبخل علينا بشيء .. تكلمت أثناء المشكلة يا سعد ؛ ولكنني يومذاك كنت صغيرة غير مسموعة الصوت .. وقد كان الوضع حرجا جدا .. منى مصممة على الزواج كما تشاء ولو احترقت الدنيا كلها وخربت مائة مالطة ، كانت مصممة على الزواج بدون موافقة وطلب أهل حازم .. وخليل أبى ورفض ولما رأى ربيع الأمر المعقد اختار الوقوف مع منى ؛ لأنه الكبير وولي الأمر حتى لا تتزوج بدون إذنه وخشي الفضيحة .. ولما بكيت أمام منى لتصرف النظر عن هذا الزواج ، فكانت تدفعني بعنف وتقول: أنت صغيرة يا حنين ! .. لما تكبري وتعرفي تعذريني .. فلما كبرت كما ترى منى حتى رأيتها مطلقة ، وذهب الزوج الذي قاتلت من أجله .. وأغرقت ربيعا بالديون أي عذر أعذرها به اليوم لا أدري ما هو؟ فقط أقول إنها متأثرة بأفكار حرية المرأة والخروج على التقاليد والمناضلة لأخذ الحقوق المزعومة .. فهل إذا تزوجت المرأة رغم أنف أهلها أصبحت حرة ومتمدنة ؟ .. هناك جهل كبير في فهم الحقوق والحرية .. المرأة ألا تعمل ؟ إنها تعمل وتشتغل وتدرس وتُدرس وتربي وتزرع وتحصد .. فهل كل رجل يصلح لعمل كل شيء ؟ لا ، هناك أعمال لا يقوم بعملها إلا بعض الناس ، فكذلك أعمال النساء .. وهناك أعمال بالتأكيد لا تناسب بعض النساء.. تناسب البعض ولا تناسب البعض .. فهل هذا تمييز بين النساء؟! .. فرجل يعمل في الجيش ورجل آخر لا يرتاح للعمل في الجيش .. امرأة تشتغل ممرضة ، وأخرى لا تميل إلى ذلك العمل ..أتفهم عليّ ؟ ضحك سعد الدين وقال : أنا أفهم قصدك .. لا يعني أنني لم أصل للجامعة لا أعرف القراءة

أنا أعرف القراءة والثقافة والحسابات والمبيعات والمشتريات .. الأخت منى متأثرة بما حصل معها ، فعندما تعرفني جيدا ستحسن استقبالي والحديث معي يا حنين .. أنا لست حاقدا عليها البتة .. أقدر ظروفها وحالتها النفسية .. وأنا سعيد بكل ما أسمع منك .. كانت عائشة تحدثني عنك كثيرا ، وعن أدبك وأخلاقك وتواضعك رغم ذكائك المشهود في الكلية.. كنت أخشى أن تكون الجامعة حاجزا بيني وبينك وترفضينني ؛ ولكن الأخت العزيزة كانت دائما تطمأنني على موافقتك ، وأنك لا تنظرين للشهادات والمال نظرة علو وتكبر .

ـ الحمد لله الذي وفقنا يا سعد .. فأمك امرأة فاضلة وطيبة لقد أحببتها قبل أن يخطر ببالي الزواج منك .. وعائشة تعرف ذلك.

ـ وهل تغير هذا الحب بعد الزواج ؟!

ـ أبدا ، يوميا أشرب معها القهوة ، فبعد خروجك للمحل أذهب إليها ونجلس معا .

ـ أنا حزين لأمك فهي دائما حزينة تبتسم رغم عنها .

ـ أمي حزينة من أجل ما حصل لمنى ، وما حصل منا نحو السيد الكريم خليل الذي بذل كل شيء من أجلنا ، فإنها لا تستطيع نسيانه ليس كزوج فحسب وإنما كرجل ربانا ، حتى أن أهل الحي كانوا يسموننا على اسمه فيقول أيتام الحداد خليل .. أمي مشغولة جدا تبحث عن طريقة ترد له معروفه ، ففكرنا أن نهبه مالا ولكننا نعرفه فلن يقبله ؛ لأن ما قدمه لنا من باب الواجب والعهد والثواب فلا يرتقب ثوابا منا .. وهذا أيضا يزعج الأخ ربيع يريد أن يعطيه شيئا .. ومتألمة لم حدث من طلاق لمنى ، ولتمرد منى على طباع الأسرة ، والانحراف الخطير الذي تسير فيه .. لقد حاولنا ، وأنت حاولت إقناعها بالحياة مع الأسرة مع أمها ومالك وترك الفسق من خمر وسهر وأفلام وحفلات .. نترجاها بالأوبة لحياتنا الماضية الهادئة ، حياتنا القديمة ولتبدأ من جديد .

هنا وهو يسمع شكواها من منى خطر لسعد فكرة كانت راودته قديما منذ اصطدم بمنى فقال : لي صديق ماهر وحاذق في التعامل مع البنات والنساء لعله يستطيع نشلها من الأوحال التي

دخلتها ؟

فكرت حنين للحظات وقالت : ماذا يفعل معها ؟ ومن هو؟!

ـ من هو؟ هو برهان صاحبي وغير متزوج مع أنه قريب من الثلاثين سنة .. لا أدري هل تعرفينه؟ هو لم يزرنا هنا زارنا عند أمي ، جاء مع أمه ليبارك لنا .. فأمه صديقة لأمي .. كنا جيرانا قبل أن نعمر في هذا الشارع .. إنه شاب ذكي ، وله قدرة على مساعدة الناس وعلى حل المشاكل .. فربما لو التقى بمنى استطاع إصلاحها وإقناعها بالعودة لبيت أمك .. وعلى كل سأتشاور معه في القضية التي تؤرقنا ، فنحن خائفون على منى من السقوط في براثن الرذيلة يا حنين .. والبنت أن تعيش وحدها بدون أهل أو زوج هذا عيب عندنا كما تعلمين .. صحيح هي قريبة من بيت والدتك .. ولكن ألسنة الناس لا ترحم ..

ـ كل هذا فكرنا فيه أنا ومالك وأمي .. فسمعتنا أغلى شيء عندنا يا سعد

ـ ربما استطاع الأخ برهان أن يصل لقلب منى ويتزوجها ، فمنى جميلة ليست بشعة ، وإذا لم يوفق لذلك الزواج قد يستطيع إبعادها عما هي فيه .. فهي تمشي للضياع والدمار!

ـ عرفني عليه قبل أن يتصرف أي شيء يعود علينا باللوم يا عزيزي سعد.

ـ آخر مرة التقينا بها حدثني أنه يفكر بالزواج مثلي ، وأنه يبحث عن عروس ، قد تكون أختك يا حنين ! ونصبح عديلين بعد الصداقة والجيرة القديمة.

كان سعد يعلم قصة منى قبل زواجه من حنين عن طريق أخته عائشة التي كانت حنين تطلعها على مشاكل البيت والعائلة لتسمع رأيها ومشورتها .. ولكنه لم يشعر بخطر منى على زواجه إلا عندما اعترضت على الزواج بشدة ، وأحس بخطرها ومرضها ، ولما تزوج حنينا أدرك أنه نجا من تمردها ؛ ولكنه ما زال خائفا منها ويخشى من أي مشكلة تحصل بينه وبين زوجته كما يحصل مع أغلب الأزواج إن لم يكن كل الأزواج ، فتتدخل فيها منى وتتدخل في حياتهم.. لذلك أحب أن يفاتح حنينا بما جال في فكره خوفا من حدوث أي تطور لا تحمد عقباه ويحسب عليه .. فهو يعرف قدرات صديقه برهان وسرعة تكوينه علاقات عاطفية مع البنات والنساء ورغم ذلك لم

يتزوج لليوم .. فهو يريد أن يدفعه للزواج من منى ، ربما تمكن من الحياة معها وإيعادها لحظيرة العائلة وتخليصها من عقدة الطلاق .. هكذا فكر سعد الدين وكان جادا بفكرته ، فلما طلبت حنين التعرف على برهان أخذ يفكر بالموضوع جديا وعقليا .

فلم تذكره حنين ولا تذكر أنها رأته منذ تزوجا فقال لها : سأناقشه بدوري في الموضوع ، قد يوافق المحترم على الزواج منها إذا وفق في الوصول لقلبها ورضيت به، لعله يساعدها في محنتها فهي في محنة وعذاب صامت .

ـ لقد حاول ربيع ومالك إقناعها بالدخول على طبيب علاج نفسي لكن نفخة الكبر التي لديها تمنعها من الاعتراف بأنها مريضة نفسيا ، والله أنا أحب لها الزواج والاستقرار ببيت بزوج محب لها .. فحياتها بين الخمر والحفلات والسهرات والمسارح حياة لا تسر الصديق قبل العدو ، ونخشى خشية حقيقية أن تنزلق للفجور والفاحشة .. فماذا سيحدث لأمي وأخواي إن سقطت في الرذيلة ؟! .. فالخمر كما هو معروف مفتاح كل شر وخبيث .. فنحن لليوم لا نعلم لها مثل هذه الأفعال الشنيعة ولكن الأيام والانهيار مرعبان .. ونحن لا نستطيع أن نراقبها كطفلة صغيرة طول اليوم .

ـ الله يستر! .. على كل حال الحافظ هو الله وهو صاحب الستر.

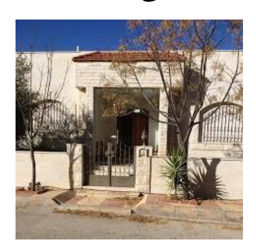
ـ السقوط مريع يا سعد .. أتمنى من كل قلبي أن تعود أختي منى لحيويتها وواقعها .. لقد حلمت بأن تكون من رجال الأعمال وأصحاب الملايين بسنوات .. كانت ترى بزواجها من حازم الدرجة الأولى والمهمة للصعود في سلم الثراء الفاحش .. هل أنت واثق من صاحبك هذا ؟ ومن أخلاقه ؟!

ـ كل الثقة ، برهان أمره عجيب مع الحسناوات اللاهيات طبعا ، ما وضع نفسه في طريق فتاة إلا هويته وعشقته ، فكثير من أصحابنا قديما كانوا يحذرون من إدخاله بيوتهم لم يتركه من أثر على قلوب الفتيات .

ـ أمعقول أن يوجد إنسان فاتنا للنساء بهذه الصورة كما تقول؟!

ـ برهان بهاء وحسن وطول قامة ووسامة مثيرة حقا ، ولولا أخلاقه وأسرته المحافظة لفسد منذ زمن .. ولعل منى تكون من نصيبه وترضى به .

ـ أنا أبدو خائفة على منى منه يا سعد ! أخشى أن تتعلق به كما تصف وتقول ثم لا يتزوجها .



برهان صاحب سعد هو شاب جميل الصورة حقا قوي البنية ذو عيون خضر أبيض اللون جميل الشعر ، هو صاحب صورة حسنة فعلا ، ومنذ كان في المدارس الثانوية وهو مقبول من قبل المراهقات المتحررات ، وله قصص طريفة معهن، ولما انتسب للجامعة استغل هذه الصفات في التفاف البنات حوله ؛ ولكنه لم يدع أنه يحب واحدة منهن أو يعشقها .. إنما هنّ صديقات وزميلات ، فهذه إحدى مساوئ الاختلاط في الجامعات ، ومع عبثه معهنّ فلم تتمكن فتاة لعوب من إقناعه بالزواج ، وقد تخرج من كلية التجارة بمهنة محاسب ، واشتغل في أحد البنوك وحصل له من موظفات البنك العزباوات الطامعات بالاقتران به مثل ما حصل له في أيام المراهقة والثانوية والجامعات ، وكان يستغل هذه الخصلة للعبث بهن والتسلية ، كان يدعي أنه أفهم رجل في نفسية وطبيعة النساء ، وكان سعد الدين قد اشتكى له وحدثه عن منى وأحلامها وأوهامها ، ولم يترك شاردة وواردة يعرفها عنها لم يذكرها له حتى يقنعه بهذه المغامرة الحساسة كان سعد يرغب بأن يقوم برهان بدور فارس الأحلام الجديد في حياة منى لعلها تنسى فشلها في الزواج وتقترن به أو حتى بغيره .

هو كان يعرف أن صاحبه يدعي أنه لا يريد الارتباط بامرأة ، وأنه ما زال صغيرا على الزواج مع أنه يقترب من الثلاثين سنة ، وأصابه فرح لما لمح له في اللقاءات الأخيرة بأنه بدأ يفكر في الزواج ، فشجعه على هذه المغامرة الكبيرة والخطرة ، وصارح زوجته بفكرته خوفا من تطورات سيئة فيجد لديها العذر ، فهو يعرف قدرة صاحبه وغروره وتصميمه .

وكانت حنين تحب إنقاذ أختها ، وكانت تخشى عليها الانزلاق في مغامرات ولهو قبيح ، والسقوط في براثن الفجور والشرور ، ومع ذلك كان متوجسة من حيلة سعد أو خطته ، فاللعب والعبث بالعواطف البشرية ليس أمرا محمودا وهينا وسهلا .. فمنى لم يعهد عليها الحب والهوى ، فلولا المصلحة والحلم الكبير الذي كانت تحلم بتحقيقه من وراء حازم ما قبلت به زوجا ، فقد كانت تراه درجة لعالم المال والغنى ورجال الأعمال وغير ذلك من الأسماء الكبيرة فمنذ دخلت في سن المراهقة في حي برقوقة لم تسمع لها حكاية أو عبث مع شباب الحي ، بل كانت تحتقر كل فتاة تجعل ذلك هدفا ووسيلة للتسلية .. وحتى عندما التحقت بالجامعة وصحبتها لزملاء الكلية لم تتحدث يوما ما عن غرام وعن إعجاب بشخص ما .. كانت حياتها جادة ولديها أحلام ومشاريع .. ولما بسط سعد الدين المسألة لزوجته فرضيت بهذه المغامرة حرصا على عودة أختها لما كانت عليه قبل الزواج ؛ ولكنها مع قبولها للفكرة كانت قلقة أن تصبح هذه الحيلة حقيقة وينسحب برهان ولا يتزوج بمنى.. جرى لقاء قصير بين برهان وحنين وسعد وأعطته فكرة عن أختها وقصتها ، ووعدها الشاب إن تعلقت به ورضيت به زوجا سوف يتزوجها حقا ، وعلى أثر هذا الاتفاق قام سعد الدين ذات مساء بانتظار منى حتى خرجت من مكان عملها الذي اشتغلت فيه بعد سفر زوجها إلى أمريكا ، وكان يجلس هو وبرهان صديقه في سيارة .. فلما مشت نحو سيارتها الخاصة ـ أشار إليها ـ قائلا : هذه العروس يا سيد الفرسان !

فتأملها برهان من بعيد حيث تقف سيارتها ، ولما اختفت الفتاة وعد صاحبه خيرا .. وهو يقول مطمئنا صاحبه: إن ارتاحت لها النفس يا سعد سأفكر بالزواج منها ..لا تنسى يا سعد أنها امرأة مطلقة.

وافترق الرجلان بعد ذلك ، كان هدف خطة برهان خدمة سعد والفتاة أيضا، وأما الزواج فتركه للظروف والقناعة .. وكانت الخطة في فكره التعرف على منى كما تتعرف على الآخرين ثم يأتي دور العاشق المحب ، قد يتزوج وقد لا يتزوج ، هذا واضح بالنسبة له ولسعد ، أما حنين فكانت

ترى أنه دور للزواج من أختها .

كان عليه أن يتعرف على الفتاة ثم يقوم بدور المحب ليقوم على تغيير أفكارها نحو الرجال والمال وأن تترك الخمر والعادات السيئة التي تعلمتها من زواجها بالسيد حازم.. المغامرة دقيقة وحساسة هـي تدخل في المشاعر والعواطف.

استهوته المغامرة التي أوحى بها سعد الشاب ، فهو دائما المحبوب المطارد من قبل الجنس الآخر أما أن يحب هو فهذا لم يحدث معه من قبل .. فبدأ يدرس القصة والموضوع ويسأل عن عمل الشركة وتفاصيله ومحاولة التعرف على بعض أفراد الشركة ، وقبل أن يباشر المهمة التي كلف بها .. أخبره سعد بتردد زوجته وتخشى تعلق أختها ببرهان حقيقة ، ثم يظهر لها أن هذا مكر وحيلة إذا لم يحصل زواج ، فتصاب منى بصدمة جديدة مدمرة تقضي عليها وأنها ترجوه أن يكف عن فعل أي شيء .

فقال برهان وقد استوعب مخاوف حنين : أنا راغب بالزواج ولكن قد لا تكون هي المناسبة لي ومع أنني كما تعلم لم أوكد رغبتي بالزواج ، ربما هذه الفتاة تحقق لي هذه الحاجة والرغبة وأعزم على الزواج .. وكما تعلم يا أخي الفاضل أن كل إخوتي تزوجوا ، الأكبر والأصغر والذكر والأنثى ولم يبق إلا أنا ، والكل ينتظر الساعة التي أتزوج بها .. فصدق يا سعد! لو أن السيدة منى ربيع أخت زوجتك الفاضلة أحبتني فعلا ، وتأكد لي هذا الحب وقبلت شروطي فسأعقد قراني عليها .. وأنا متأكد يا صاحبي لو أن الفتاة أحبتني كما أريد ستترك ما هي عليه من خمر ودخان وسهر وملابس عارية .. قل لزوجتك أنا مستعد للزواج منها حقيقة .. لا أدري لماذا اعترف بذلك ؟ هل هو الغرور يا سعد والتحدي أم الحمق والجنون ؟!

ـ وعد أن تتزوجها ؟!

ـ وعد أن أتزوجها فعلا إن حدث اتفاق ووفاق .. هي ليست بشعة كما نظرتها وليست جميلة جدا .. هي مقبولة لديّ ، صدق ذلك ، وهي مغامرة حلوة بالنسبة لي ، أنا لديّ أحلام كبيرة ربما تتحقق على يد هذه المخلوقة التي دمرت ولم تعط الفرصة المناسبة .. مما سمعته منكم عن زوجها

فهو شخص ضعيف ومتردد ، ولم يحسن المغامرة والمخاطرة .

وعاد سعد يقول : وأنا قلق على النتائج التي ستحدث .. لقد كبر الخوف في نفسي أيها الصديق أتعدني ثانية أنك إذا فزت بقلبها أن تتزوجها فعلا ولم تدعها يا برهان؟

فكر برهان لحظات وقال : لا أستطيع أن أعدك يا صاحبي بشيء إلا إذا رضيت بالشروط التي ذكرتها لك .. فربما لا تعجبني أفكار البنت ، وأن يكون عنادها شديدا.. فأنا أقول إن صار بينا ود وتفاهم أحسم أمر الزواج .. فأنا التقيت بكثير من النساء اللواتي يشربن الخمر والدخان والحبوب المخدرة ويقضين حياتهن في اللهو والمسارح والسهر والمهرجانات ومع ذلك ما زلت عفيف الفرج يا صاحبي .. أنا الظروف إذا جاز الاحتكام إليها حكمت عليّ أن أكون فاتنا ومقبولا لبنات حواء ؛ ولكنّ أخلاقي لا تسمح لي بالتغوط في علاقات محرمة .. وأنت أكثر الناس يعرف ذلك عني رغم ما أثير حولي من قصص وإشاعات!

قال سعد كأنه يتذكر شيئا : ربما كلام أختي عائشة عنها ، ثم أثناء خطبتي لحنين ، وعندما يتحدثون عن طباعها وحياتها الخاصة كنت تخطر في بالي وأتسأل هل يستطيع برهان تكوين علاقة عاطفية مع هكذا امرأة ؟! .. امرأة تنفر من الرجال مع أنها تعيش وسط الرجال وترفض الزواج ثانية .. ألحت عليّ هذه الفكرة فحدثتك عن تلك الفتاة المتمردة ، ولما شرحت فكرتي لزوجتي تحمست بداية ثم بدأ القلق والخوف يتسرب لقلوبنا .. وأن تعرف منى بهذا العبث فتدمر حياتنا .. أرأيت كيف اندفعنا في هذا الأمر من غير أن نتروى؟ من أجل هذه الخواطر وغيرها أطلب منك صرف نظر يا أخي العزيز .

ـ أنت تحرجني يا سعد ! .. على كل حال أنا لم أبدأ بعد أمهلني بضعة أيام أعيد تفكيري في الأمر ، أنا لا أستطيع أن ألزم نفسي بزواج غامض وغريب فعلا .

ـ فكر يا صديقي ، الزواج مسؤولية وليس لعبا.. والله أن أسرة زوجتي أناس طيبون ويستحقون كل خير ، وأشعر بالضيق والحرج الذي تسببه لهم تلك الأنثى بتصرفاتها الانفعالية فنحن بعدما فكرنا بالمغامرة خشينا إن صدقت منى بالزواج والحب ولم تحسم أمرك أن تصاب

هذه المنحوسة بانهيار عصبي فوق ما هي فيه من اكتئاب وتمرد .. خوف في محله.

ـ حسنا أيها الصاحب سأفكر أمهلني يومين أو ثلاثة .

بعد أيام عاد برهان يقول لصاحبه سعد الدين : انتهى الأمر أيها الصديق .. قل لزوجتك إنني أنسحب من هذه المهمة ، لا أستطيع أن أربط نفسي بزواج قد لا أرتاح له ثم يفشل ؛ فسيكون دمارا على منى وعليّ أيضا.

شكر سعد صاحبه برهان عن تخليه عما اتفقا عليه، وأخبر سعد زوجته بانسحاب برهان عن طريق منى.

وهل حقيقة صرف برهان نظرا عن القضية وما كان يخطط له من اصطياد قلب منى ربيع ؟!



برهان لم ينسحب كما ادعى وزعم لصاحبه ، فهو أحب المغامرة وحده وأن يعمل بدون مراقبة ومتابعة من سعد وزوجته ، لقد أعجبته المغامرة وربما غروره استيقظ نحو ما كان يراه من تهافت بعض الفتيات حوله ، وأحس براحة كبيرة عندما علم وتأكد أن سعدا وزوجته اقتنعا بتركه ما اتفقوا عليه ، فهو يعرف ضعف النساء وقلوبهنّ المتقلبة والكثيرة التبدل في الآراء والقناعات ، وهو يعرف حب سعد لحنين، فكم كان يحدثه عنها وعن هواه لها وتمنيه ورغبته بالزواج منها والحياة معها؟! .. فالمغامرات تحتاج لقلب قوي ولعدم تردد واقدم إذا حق اللقا في الأول .. فلماذا لا يغامر؟ كان يرى أنه لن يخسر شيئا إذا صدته منى ورفضت هواه ، وربما يستطيع أن يفوز بقلبها وإنقاذها بهذه الطريقة الغريبة قبل أن تسقط من كبرها وتعجرفها في حفر النوادي الليلة والخمارات ، لو أنها اصطدمت برجل صاحب مال ووعدها بمال كثير ربما سقطت وهوت ثانية.. إنها مغامرة وقال : أحس بأنها مغامرة جديدة بالنسبة لي في السابق كنت كالمصباح الملتهب تحوم حوله الفراشات ، أما الآن فستكون منى ربيع المصباح وأنا أحوم حولها، فهي

مغامرة من نوع جديد.. عليّ أن أعطي نفسي مزيدا من الوقت قبل الدخول في هذه المغامرة الغريبة ، وسأتابع جمع المعلومات عن البنت قبل أن أضع نفسي في طريقها .. هي صحيح فتاة مطلقة ألا تفكر في الزواج ثانية ؟! أيعقل هذا ؟! ألا تحلم بأن تصير أما ؟ أليس كل أنثى تحلم بأن تكون أما ولها أطفال؟! إذن لابد من رجل .. ومن أجل ذلك يبحث الرجل عن أنثى ، والأنثى تبحث عن رجل .. وليس كل فتاة يطرق بابها الرجل المناسب وإلا تعقد الزواج في حياة البشر .. ومنى أليست أنثى مها حاولت التشبه بالرجال؟!.. ربما لو كان عندها ولد من طليقها لصرفت النظر عن الزواج الجديد والرجل الجديد ألا يقال ظل رجل ولا ظل حيط .. نحن نسمع ونقرأ أن نساء متزوجات يسقطن في الحب والعشق .. ألم تترك فلانة زوجها الذي خلفت منه ست أولاد من أجل غمزة وهمسة من رجل ادعى الوله بها؟! خصوصا إذا لم يكن هناك أخلاق وقيم عزيزة وكبيرة عند أولئك النسوة .. سأتابع دراستها ثم أغامر هذه المغامرة منى ربيع اسم جميل .. لها أخ مهندس يعمل في الخليج اسمه ربيع .. ولها أخ آخر اسمه مالك محامي غير متزوج ، وحنين زوجة لصاحبي سعد الدين.. وعاشوا أيتاما تحت رعاية رجل حداد اسمه خليل أحمد .. رجل فاضل محروم من الخلفة والذرية مع تزوجه أكثر من مرة ..وبسبب زواج منى من ابن الثري ناصر أحد أصحاب الأموال الكثيرة في البلد طلق خليل الحداد أم الأولاد التي تزوجها ليكفل أولادها ، وعاشوا سعداء حتى تخرجت منى من الجامعة وتبعها ربيع .. وهذه الشركة التي عملت بها منى أعرفها وأعرف مديرتها ، ولهم معاملات وأرصدة في البنك الذي أعمل فيه مجرد محاسب متوسط ، لست صغيرا معي بكالوريوس محاسبة من جامعة معتبرة في البلاد بسبب هذا الزواج في نظرهم طلقت الأم ثم البنت .. ثم .. ثم ماذا؟ أتتزوجها يا برهان وتطلقها ؟! .. يا لها من كارثة !! بدأت أرجف من هذه المغامرة أو اللعبة .. الفتيات كثيرات يا رجل فابحث عن حليلة بينهن ودعك من مطلقة.. هل الطلاق جريمة ؟ بالتأكيد لأ دعك من هذا الخيال الذي يمخر دماغك ويذهب بك شمالا وشرقا .. منى ربيع ولم لا تكون زوجتي ؟! هل لأنها مطلقة ؟! فالمطلقات كثر هذه الأيام .. هل لأنها انحرفت عن عادات

الأسرة وجارت زوجها فتعلمت السكر والدخان لا أتزوجها ؟! .. فتاة لها أحلام كبيرة .. لماذا لا تحلم؟ هل الحلم فقد خاص بالرجال ؟ الطموح أليس هو ممدوح في نظر العقلاء ؟ آه! كم أتمنى أن أجلس معها وأسمع أحلامها وأفكارها ربما تلاقت مع أفكاري وأحلامي وعبثي لابد من الوصول لقلب منى ربيع وأتعرف عليه.. قد تكون نصيبي في هذه الدنيا وتكون زوجة الغد أنا أول مرة أفكر بالدوران حول امرأة ! كانت الإناث تدور وتلف حولي.. يا سعد قلبت كياني.. ما زلت على البر أيها الإنسان .. اذهب لوالدك محمود صالح وقل له يا أبي اذهب واطلب لي يد منى ربيع .. قد ترفض وتطردننا ، فسعد أعطاني فكرة رديئة عنها .. أقول له يا أبي أريد أن أتزوج ، ابحثوا لي عن فتاة ، تحركي يا أمي يا أختي يا عمتي يا خالتي.. برهان الذي تنتظرون زواجه يريد الزواج .. ابحثوا لي عن عروس مللت حياة العزوبية .. أريد الاستقرار.. الاستقرار ما هو الاستقرار؟ .. هل إذا تزوج الإنسان استقر؟! بل المسؤوليات العظام تزداد.. مصروف زيادة .. مراجعات للأطباء زيادة .. مناسبات اجتماعية زيادة .. زيارة فلان وفلانة .. الاستقرار.. ربما يقصدون فيه العودة من العمل للبيت ، ومن البيت للعمل.. لا سهرات ولا حفلات .. ولعلهم يقصدون السكن النفسي وعدم النظر إلى هذه وإلى تلك .. وقد يقصدون بالاستقرار أشياء أخرى .. لا ، سأذهب للبحث عن قلب منى ربيع .. الفتاة المطلقة أخت حنين زوج صاحبي وجاري القديم سعد الدين.. الله يا ملهم الناس التوفيق وفقني لم فيه الخير؛ فإن كان الطريق إلى قلب منى خيرا فيسره لي يا الله !

الخطوة الأولى

كان عدنان جابر على اتصال دائم بالمهندس ربيع رغم كل المشاكل التي مرّ ذكرها، وكان يلتمس دائما لصاحبه عذرا بما جرى، وكان عدنان يرسل زوجته حليمة إلى زيارة خالتها جميلة باستمرار وحسب الظروف ، فما زال بينه وبين ربيع ود قديم من أيام الحي وبسبب مصاهرتهم لأقرباء جميلة ، فعدنان متزوج من ابنة أختها، وربيع متزوج من ابنة أخيها ، فكان بينهما مراسلات ومجاملات وعلاقات أسرية ، وكان ربيع قد كاشف عدنان برغبته بمساعدة خاله خليل بأي طريقة لرد بعض جميله ومعروفه القديم عليهم ، فيصبره عدنان ويقول له دع ذلك للأيام.

فقد جاءت الأيام ، فذات ليلة اتصل عدنان بربيع المتغرب بالهاتف وأخبره أن زوجة خاله خليل في المستشفى وتعاني من مرض شديد وقديم .. فالموت في انتظارها كما تنتشر الشائعات في الحي ، وكان عدنان قد سمع من ربيع مرة أو أكثر يقول لو لم يتعجل خالك بالزواج لكنت رددت أمي إليه .. فهي تشعر بأنها ظلمت الرجل بتركه من أجل ابنتها منى .. ولكن الظروف حكمت يومها

وكان عدنان عندما يلتقي بخاله يحدثه عن أخبار جميلة ، ويلمس في نفس خاله الحنين لهم ، فأحب أن يعرف رأي ربيع إذا حدثت وفاة امرأة خاله المتوقعة ، وهل لدى أمه الرغبة بالعودة لخاله خليل .

فقال ربيع: لا أدري ـ يا عدنان ـ بعد هذه السنوات رأي أمي!.. سوف أتحدث مع أخي مالك ليجس نبض أمه ورأيه أيضا.

ـ ومنى؟

ـ لا تهتم ، فهي اختارت الانفصال عن العائلة ، وتتصرف تصرفات حمقاء ، فنحن ننتظر حتى تتدعثر بابن الحلال وتعود إلى حياة العائلة ، كلنا مستاؤون من سلوكها وانتقامها من نفسها.. لا يهمنا رأيها .. المهم رأي أمي يا عزيزي .. ولنبقَ على اتصال ، فخالك رجل لا يمكن نسيان

فضله ، وهو معذور جدا بما فعل وتصرف تلك الأيام ، وأنا بينت لك ضعفنا وحرجنا الشديد يومئذ في ذلك الموقف الغريب .. أشكرك على هذا الاهتمام .

وما تحدث به عدنان عن تعب زوجة خاله كان صحيحا ، فبعد هذه المكالمة بأيام قليلة رحلت تلك المرأة من الدنيا إلى دار خير منها ، وتلقى خليل قضاء الله بروح المؤمن الصابر، وتقبل فيها العزاء ، وعاد يعيش وحيدا في البيت الذي ورثه عن والده منذ عقود ، وبعد حين يسير فاتحه عدنان بما همس به في أذن ربيع.. فرفض خليل الحديث في هذا الموضوع ابتداء ، ثم بدأ يفكر ويسأل ابن أخته عدنان هل يمكن تحقيق ذلك ؟.

فوعده عدنان خيرا وأنه سيتكلم مع ربيع ومالك في الموضوع ، فبعد تمنع رضي خليل بأن تعود له زوجته جميلة إذا رضيت بالعودة إلى برقوقة ، فهي أكثر امرأة عاشت معه ، فنشط عدنان جابر في الموضوع ، وفعلا استطاع ربيع ومالك أن يقنعا والدتهم بالعودة للسيد خليل ، وجرى تصالح بينهم وعتاب ، ودافع كل شخص عن وجهة نظره وتصرفه تلك الأيام ، ثم تم عقد زواج خليل من جديد على زوجته السابقة جميلة ، وعادت للحياة من جديد في حي برقوقة ، وقد حاولت منى بدورها إفشال هذا المشروع ؛ ولكن مالكا وقف أمامها بحدة وقوة وساندته حنين بذلك ، فتركوا حي الرحمات وهجروه وعادوا لحيهم القديم.. وأما منى بعدما فشلت من صرف أمها من العودة لخليل فرفضت العودة للحياة والسكن في حي برقوقة ، وظلت تسكن في الشقة التي تستأجرها .. وقد بذل مالك جهده الجبار لتعود للحياة معهم ، وأن العم خليلا ليس بينهم وبينه ثأر فأبت أشد الإباء ، وحاول عدنان زوج ابنة خالتها معها ، ووعدها بأن يسعى بالبحث لها عن زوج صالح مناسب لعل الله يهبها منه ذرية طيبة يعيد لها نضارتها وشبابها فكانت تحدثهم بحدة وغضب وعدم احترام أحيانا ، ولم تسمع لكلامهم وأفكارهم الضعيفة ، وسخرت منهم ومن كل الرجال ، وختم مالك حواره معها في النهاية قائلا : ماذا أفعل لك يا أختاه؟! تزوجت كما شئت وسكتنا.. وهل حازم هو آخر الدنيا وآخر المطاف ؟ والذي خلق حازما لم يخلق غيره؟ .. وبذل الربيع كل ماله ومدخراته لمساعدتكم في المصنع الفاشل

وسكتنا.. وها هو حازم قد تزوج بعدما تعالج من المخدرات ، وسمعنا أنه خلف ولدا

فصاحت ضجرة : أعرف كل ذلك.. وحازم انتهى من حياتي .

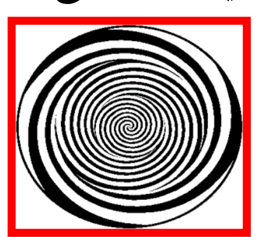
ـ إذن انظري أنت لحياتك ومستقبلك.. فالحياة ليست ضيقة بهذا الشكل .. افترضي هلاكه وموته .. تفكري في نفسك يا أختي! ها هي حنين قد أصبح عندها طفل .. فنحن أناس يحيون على سمعتهم وشرفهم .

فقالت بحدتها : أنا شريفة يا سيد مالك .

ـ وأنا لم أقل غير ذلك .. وأطمئن من هذه الناحية .

ـ وأنا أعرف الشرف أكثر منكم .. اسكن في برقوقة ، وكن مطمئنا من هذه الناحية ، أنا لا يمكن أن أدخل رجلا لشقتي خلسة .. إنني اكره كل الرجال والناس فدعوني .

وحاولت حنين إقناعها بأن تعرض نفسها على طبيب نفساني وتتعالج عنده ، فرفضت وأصرت أنها في عافية ، ولا أمراض نفسية تعاني منها، ولا تحتاج لطبيب نفسي ولا بدني .



هذه الأحداث الأخيرة في حياة الأسرة علمها برهان محمود من صديقه سعد الدين ، فكان يرى أنها تصب في صالح المغامرة التي هو مقبل عليها ؛ ولكن الذي يخيفه في هذه المغامرة أن تتعلق به منى تعلقا حقيقيا رغم ما يقال عنها من قسوة قلب أو بغض لجنس الرجال ، وأنها لا تدع العاطفة تملكها وتسيطر عليها.. فالطموح إذا كان لدى الأنثى لا يدفعها للتصرف كالرجال .. المرأة تبقى امرأة مهما حاولت محاكاة ومشابهة الجنس الآخر بقص شعر ولبس بنطال وتدخين سيجارة .. فكل ذلك تمثيل وتزوير وتشبع بما لم يعط .

لما اكتملت خطة برهان في ذهنه كان قد حسم أمره فقال لنفسه : إذا جرى بينا قبول وانسجام وتعلقت بي هذه الفتاة سأحقق حلم صديقي سعد الدين وأتزوجها .. ألم يحلم ذات يوم بأن

أكون عديله ؟ رغبتي أن تكون عديلي يا برهان ، أنت صديق غانم هكذا تمنى يوما .. ثم إنها تتحدى غروري وجمالي .. سوف أتزوج وستوافق أمي وكذلك أبي .. مطلقة مطلقة لن يعترضا على اختياري.. سأبدأ بتنفيذ الخطة .

لما انصرف برهان من البنك بعد الظهر اتجه إلى الشركة التي تعمل فيها منى ربيع ، فكانت شركة للتجارة العامة ، كانت الشركة تتعامل بأشياء كثيرة ؛ ولكن أكثر نشاطها في استيراد الأثاث المكتبي الأوروبي والثريات الضخمة والفخمة التي تعلق في المساجد والصالات الكبرى وصالونات البيوت الكبيرة والواسعة اسمها شركة شفيق للتجارة العامة .. الشركة ضمن بناية تتكون من عدة طوابق تشغل الشركة بعضها .. كان مكتب منى في الطابق الأرضي وهو في قسم المراسلات التجارية .. دخل برهان الشركة واتجه حيث تجلس منى مباشرة وحياها ، وكان يتظاهر بأنه جاهل لأي مكتب يسير ويتجه ، وعرفها بنفسه قبل أن تفكر بسبب دخوله عليها دون الآخرين ، وحدثها برغبته بشراء أثاث لمكتب وشقة سيتخذها مكانا لعمل خاص به ، هو وبعض شركائه سينشئها حديثا .. بالطبع دهشت منى لمجيئه إليها مباشرة حتى أن العاملين والعاملات في نفس القسم ظنوه صديقا ومعرفة لمنى ، وهي قد ارتبكت بداية ، ولم تفكر أن هذا المجيء كان مقصودا ، فرحبت به وقبلت السيجارة التي دفعها إليها من غير تردد فبعد أن شرح لها حاجته التي ذكرنا بسرعة قال مبررا دخوله عليها : لما دخلت القاعة تطلعت هنا وهناك فلم أر نفسي إلا وأنا مندفع اتجاه مكتبك.. فأريدك أن تفيديني بالأثاث المناسب والأرخص .. أنا أريد أثاثا جيدا وأنيقا لأنني في بداية مشروعي ورأس مالنا على قد الحال .. فمن الجميل والمستحسن أن لا يدفع الإنسان الكثير منه على أثاث ربما لا ينجح المشروع .

فقالت وقد تمالكت أعصابها : نعم هذه ملاحظة جديرة بالاهتمام .. ماذا تعمل وما نوع العمل الذي ترغب به ؟!

ولما مرّ الفراش قريبا منهم طلبت منى منه قهوة للزبون ، فشكرها برهان وهو يحس بنفسه أنه اجتاز الخطوة المهمة .. فشرح لها طبيعة عمله في البنك وأنه مجرد موظف صغير ولديه أمل بفتح

مكتب تدقيق محاسبي خاص به مع بعض الشركاء ، أبدت سرورها منه وتمنت له التوفيق ، وطلبت من إحدى زميلاتها مجموعة من دفاتر الإعلانات ويسمونها الكتالوجات للأثاث المكتبي ، فقال برهان مستدركا موهما لها بجهله عندما دخل عليها دون الآخرين : إذا لم يكن هذا عملك فأذهب إليها أنا آسف يا سيدتي أنا قصدت النصيحة والاستفادة من خبرتك .

تبسمت منى لاعتذاره اللطيف وقالت : أبدا أنت رجل لطيف .. كلنا في خدمة الشركة.. أنا عملي هنا الترجمة والمراسلات التجارية للشركات الأوروبية أو الصينية والمحلية .. وأهلا بك

ـ أنا اسمي برهان محمود الدين .. كما قلت لك موظف في بنك المدينة الخضراء .

ـ أهلا وسهلا اشرب قهوتك .

لما أقبلت الفتاة التي تقوم بعرض الأثاث على الزبائن ، تناولت منى منها كتيبات الإعلان والنماذج وشكرتها بهز رأسها ، وأخذت تقلب الصفحات أمام برهان الذي قال : أرجو نصيحتك بإخلاص.

ـ أكيد سأساعدك قدر الإمكان .. وسوف أتكلم مع مدير المبيعات من أجلك فأنا أشكر ثقتك بي.. فكل هذه العيون تنظر إلينا يظنون أنك قريب لي وتريد أن توسطني في شراء أثاث

لاحظ برهان نظرات العيون إليهم ، وهو كان يقصد ويسعى لهذا المعنى الخفي فقال شاكرا : بارك الله فيك .. آسف لإزعاجك

وأخذ يقلب الصفحات وهي تحدثه عن هذا الأثاث وثمنه وذاك حتى استقر على أثاث معين وقال : قد يكون هذا مناسبا .. ما رأيك ؟

تأملته لحظات وقالت : جيد وأعتقد أن ثمنه مناسب لمكتب متواضع .

ـ أيوجد مثله في معرض الشركة ؟

ـ ممكن .. سوف أسأل .

نهضت عن مكتبها حيث الشخص المختص بالموجودات مما يعرض في هذه النماذج ، فقالت الفتاة المسؤولة عن ذلك بعدما نظرت في أوراقها : الآن لا يوجد من هذا النموذج يا منى ؛ ولكن كما أعلم أن صفقة منه في الطريق ربما وصلت الميناء وبقي إجراءات التخليص ثم الشحن

فقال برهان: ألا يوجد هنا معرض يا آنسة بدلا من النظر إلى هذه الكتالوجات والصور؟

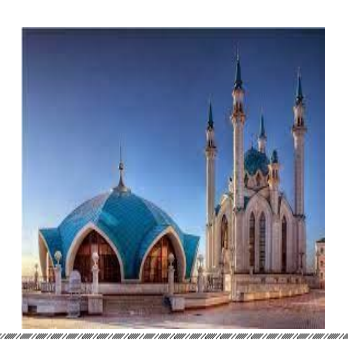
ردت منى : يوجد يا ... في الطابق الثاني معرض كبير ؛ بل لدينا عدة معارض منتشرة في العاصمة سوى العملاء .. تفضل إلى فوق .

لا شعوريا أرادت منى أن يبدو لزملائها أن الشاب الذي دخل مكتبها دون مقدمات قريبا لها أو صديقا، فاستأذنت شركاءها في المكتب بضع دقائق ، وصعدت ببرهان إلى الطابق الثاني حيث المعرض الكبير لنماذج وعينات من الأثاث المكتبي والكريستال الثمين والتحف.. وتفرج برهان وتأمل ثم هبطا ثانية وهو يقول : شكرا .. سأمر ثانية .

وعدها بالمجيء ثانية بعد أيام قد يكون وصل النموذج الذي اختاره فوعدته منى خيرا ، وعندما يستقر على الشراء سوف تساعده وتتحدث مع مدير وصاحب الشركة ليعطيه نسبة خصم.

وعاد للبيت مسرورا من مغامرته، وأخذ يفكر بكل ما جرى بينه وبين الفتاة المعقدة ، فوجدها كغيرها من الفتيات ، فقد تعاملت معه بلطف وأدب وهدوء ، وليس كما تصورها من كلام أختها وزوج أختها سعد الدين ، فقد تقبلته سريعا ومن غير نفور ، صحيح أنها تعاملت معه كزبون ، وتعاطفت معه معتقدة أنه إنسان بسيط وساذج يحتاج لخبرة الآخرين ، متحمس لشراء أثاث أنيق ولائق بمكتبه .. ولم تحاول إرشاده لمن يهمهم الأمر للتخلص منه ، بل حاولت خدمته كغريق لجأ إليها ، وبعد أن تذكر كل المقابلة والحركات والكلمات قال : هناك ملاحظتان على هذا اللقاء .. الأولى أنها فتاة لطيفة كأي فتاة عرفتها تحب المساعدة والتعاون ، لم تكن متكبرة ولا متعجرفة هي عاملتني بأنني إنسان ضعيف ، وليست عنده خبرة شخص يريد شراء أثاث مكتب مناسب ورخيص .. والثانية أنها كانت مشغولة بنظرات وحركات زملائها في القاعة والذين في نفس مكتبها .. هل هو قلق المطلقات ؟ فهؤلاء يظنون أن كل من تحدث معها عريس

المستقبل .. وهي تحسب لنظراتهم ومراقبتهم أمرا .. الآن عليّ الاستعداد للجولة التالية .. هل سأضطر لشراء أثاث فعلا أم اعتذر بأي حجة ؟ لابد من الاعتذار .. زيارة ثانية وثالثة وينتهي الموضوع ، إما أن نصبح أصدقاء أو أعداء .. فسلم أمرك يا إنسان لخالق الأكوان صاحب الشأن الله العلي المتعال . هذه خطوة برهان الأولى ، لقاء سريع مع منى حول الشراء والبيع والأثاث وفتح مشروع أو الحلم بفتح مشروع ، ألم تحلم هي بفتح مشروع ؟ بل فتحت مشروعا ولكنه فشل .. لماذا فشل ؟!



تجدد اللقاء

منى ربيع هل ترك في نفسها هذا اللقاء العابر شيئا ؟! إنها تلتقي في العمل الكثير من الرجال والنساء والعاملين ..هل ساءلت نفسها عنه عندما انصرف هذا العابر أم انتهى من فكرها بمجرد مغادرته المتجر؟ .. هو أحبها أن تكون وسيطة وناصحة له.. وهي أبدت استعدادها لذلك رغم أن هذا ليس من اختصاصها في أعمال المتجر المختلفة.. هل كانت تنتظر عودة برهان إليها ثانية كما وعد ؟ .. هل ذكرها طموحه بعمل مشروع بمشروعها القديم ؟ .. هل ذكرتها لفظة آنسة عندما لفظها أثناء الحوار بشيء؟.. يبدو لنا أن السيدة منى لم تحمل هذا اللقاء أكثر مما يحتمل .. فهي لم تكترث لهذا اللقاء الذي اعتبرته صدفة وعابرا وعارضا وغير مخطط له بدقة وعناية وتأن وصبر .. فلو كل شخص تلتقي به في المحل أو الدكان أو المسرح ستجعل من لقائه سببا فسترهق بدنها ونفسها منشغلة به وبأحواله وتؤلف له قصة وتفكر بها فلن تنته من ذلك.. ويؤكد لنا أن شيئا من هذا الاهتمام والاحتفاء بهذا اللقاء لم يحدث ، وأن اللقاء تجاري فحسب فإنها لم تحاول معرفة هاتف الرجل وعنوانه ، وحتى عنوان المكتب الذي سيفتحه ، أو سؤاله أي سؤال شخصي سوى معرفة عمله واسمه ، ولم تعلق على أحلامه ومشروعه بأي كلمة مهمة إنما كان همها مساعدته في شراء الأثاث ، ومحاولة الظهور أمام العاملين بأنه معرفة أو أرسله إليها شخص تعرفه ؛ لتستطيع مساعدته عند عقد الشراء وتحصل له بعض الخصم التجاري.. فحتى عندما صعدت به لمعرض الأثاث في الطابق العلوي كان كل كلامهما حول الأثاث والمواصفات التجارية للمنتج والأنسب لمكتب صغير ومن صنعه؟ أصناعة محلية أم كلها أوروبية ، ومن الأجود ؟ وانتهى كل شيء بالنسبة لمنى بخروج الرجل من مكتبها .

ومنذ تزوجت أمها ثانية ، وعادت لحي برقوقة لم تزرها ولم تحاول الذهاب إليه ؛ كأنها على عداوة وحقد وبغض لهذا الحي ومن فيه ، مع أن الحي لم يفعل لها شيئا .. لماذا تكرهه؟! لذلك كانت كلما تحدثت معها الوالدة تدعوها لزيارتها والسلام على عمها خليل ، وتتسأل عن عدم مجيئها للسلام على الرجل الذي رباها وصرف عليها حتى تعلمت وتخرجت من الجامعة ، فتعتذر

وهي غير مهتمة برضا أحد ، وتدعوها لزيارتها هي ومالك ، فتسكت الأم وتدعو لها بالهداية وتسلم وتغلق الهاتف ، وكان خليل يرغب رغبة أكيدة بعودة منى لتقر بأنه كان على حق في معارضة زواجها من حازم ناصر بدون موافقة أهله .

فلما تكلمه جميلة عند نهاية الاتصال تراه يبدي رغبته بعودتها ، ويبدي استعداده للذهاب إليها ومصالحتها ، فتشكره جميلة على هذا الاستعداد والهم وتقول له: إن منى التي كان يعرفها وديعة أليفة قد تغيرت بعد الزواج والطلاق .

فيلوذ الأب الروحي لمنى بالصمت ، ويعودون للحديث عن مالك وحثه على الزواج والارتباط بفتاة تقر بها عينه ، فيحدثهم مالك عن رغبته ببناء بيت واسع كبير ، وهو يفكر بشراء بيت قديم وهدمه وإنشاء مكانه عمارة كبيرة من عدة طوابق ، وأنه يتشاور مع ربيع في هذا الموضوع ويطلب من عمه زوج أمه أن يساعده في البحث عن بيت في الحي معروض للبيع ، فيعده خليل خيرا وأنه سيبذل قصارى جهده .

لقد كان الهدوء يسم حياة مالك وأمه وخليل ، فقد عاد الصفاء والود القديم ؛ ولكن خلا البيت القديم من ثلاثة أنفار ، ربيع تزوج وسافر للخليج العربي ، وحنين تزوجت وتسكن عند أهل زوجها ، وبقيت منى تعيش وحيدة في حي رحمات .

ولكن كان يقلقهم ويزعجهم عناد منى وإصرارها على الحياة بعيدة عنهم ، وحياة المرأة وحيدة من غير بعل وأهل في بيت مستقل كان يعتبر عيبا في عرف الأسر المحافظة التي ما زالت متمسكة بأهداب التدين ، فمن العيب أن تعيش المرأة العزباء بعيدة على الأقل عن بيت أقاربها وأهلها درءا للشبهات والقيل والقال ، ودفعا للحرج عن سمعة العائلة وشرفها فكانوا يرون حياة منى المطلقة في شقة وحدها أمرا غير طبيعي وغير سوي فهذا ما يزعج الأسرة الصغيرة ، والإنسان الشريف عنده سمعته وشرفه وكرامته تعادل حياته فأي انزلاق يحدث في أسرة مسلمة أو عربية ولو كانت بعيدة عن الدين الحقيقي سيترك أثره على سمعة العائلة كلها ، وليس الفرد الذي قام بالعمل المشؤوم وخصوصا أهل الأنثى.. فهذا مثير للخوف فعلا في بيت خليل ،

الحياة طيبة ، خليل يخرج في الصباح لمحددته التي ورثها عن والده ، وينطلق مالك إلى شركة المحاماة التي يعمل فيها ، وهو يفكر بفتح شركة خاصة مع بعض الزملاء عندما يشتد عوده في سوق المحامين ، وتبقى الأم جميلة لتنظيف البيت وإعداد الطعام ، وتجلس تشاهد التلفاز أو تستقبل بعض الجارات للثرثرة ونقل الأخبار أو تقوم هي بالذهاب لبيوت الجارات أو تزور أخواتها القاطنات في الحي حي برقوقة ، وأحيانا أخرى تزور صبرية أخت خليل أو تستقبلها ، وقبل عودة مالك تعود للبيت وكان مالك يغادر دوامه بعد الظهر بساعتين .



ذهب برهان للشركة التي تعمل فيها منى ربيع كما وعدها بعد يومين، واتجه كالمرة السابقة إلى حيث تجلس منى ، وكان دخوله هذه المرة في الصباح قبل الظهر، فقد أخذ إجازة قصيرة من البنك ، فوجدها تتحدث مع شخص ، فحياها فرحبت به وأذنت له بالجلوس على أحد الكراسي التي أشارت إليها فجلس ، وعادت تتابع حديثها مع الرجل الذي قطعه برهان بدخوله عليهما ، فسمعها تعد الرجل بالمساعدة قدر الإمكان ، فصافحها الرجل وانصرف شاكرا ، ثم استدارت إلى برهان وقالت : أهلا بالأستاذ .. آه لقد نسيت اسمك يا أخي .

ـ إنك تذكريني على كل حال .

ـ أذكرك بالطبع ، لقد جئت راغبا بشراء أثاث لمكتب تدقيق حسابات مالية ولكني للأسف نسيت اسمك فقط لما يمر علينا من كثرة الأسماء .

ـ لا حرج عليك يا أختي العزيزة اسمي برهان محمود .. لقد رأيت في المرة الماضية أثاث مكتب جميل ومناسبا لمكتبي الناشئ في أحد كتالوجات الإعلان ا لتي عرضتيها عليّ ، ولما سألت الموظفة المسؤولة عن ذلك النوع قالت لا يوجد الآن منه ، وبعد أيام سيكون موجودا ويصل من الشحن والتخليص للمعرض .. فأسرعت إليكم ربما يكون قد وصل وأكون زبونا .

ضحكت منى وقالت : أهلا وسهلا .. انتظر لحظات حتى أسال لك عنه

غابت بضع دقائق ثم عادت تقول : للأسف لم يصل بعد يا أخ برهان .. على كل حال أعطني رقم هاتفك ولما تصل الكمية وتجهز للبيع أتصل بك .. ما رأيك ؟

ـ أخشى أن يكون في ذلك إزعاج لك .. وأخشى أن تنسيني أثناء أشغالك الكثيرة .. لا بأس سأمر عليك مرة ثالثة ..

ـ أبدا لا تعتذر عن إزعاجي .. نحن في خدمة الناس المحترمين يا سيد برهان .. لا يكلفني الاتصال شيء ، فأنا أحببت خدمتك ونصحك كما طلبت مني، والنسيان وارد ولكني سأبذل جهدي ألا أنساك. وكتبت شيئا على ورقة أمامها .

وأخذ الشاب يشكرها ، ويثني على خلقها وتعاونها ، ويتعذر من إزعاجه لها، وهي أيضا تبادله التعذر، وأنها تقوم بواجبها ولا تنتظر جزاء ولا شكورا ، إنما تقصد المساعدة والمعونة والنصيحة وتظاهر بأنه لا يريد إعطاءها رقم الهاتف ، مبديا استعداده للمرور كل يومين أو ثلاثة مرة ، فأصرت منى على أخذ رقمه وأنها ستتذكره فور وصول هذا النوع من الخشب والأثاث للشركة فأعطاها رقم هاتف البنك حتى تتصل به في النهار ؛ لأنه لا يكون في البيت أثناء عملها لتتصل به ، وذكر لها أنه أعزب بعد ، فعندما ينهي عمله يذهب هنا وهناك مبررا لها بذلك عدم إعطائها هاتف منزله ، وقدم لها السيجارة وأسقته هي القهوة مرة أخرى ، وحاول الاعتذار عن شربها ، ولما رأى ترحيبها وإصرارها تظاهر بالاستحياء ، وشرب القهوة وغادر الشركة وعيون الموظفين ترمقه باستغراب ، ولما انصرف قالت إحدى العاملات لمنى : من هذا ؟!

تطلعت إليها منى بطرف حاجبها وقالت : صديق يا عزيزتي أمل .. معرفة موظف في بنك المدينة الخضراء يريد تأثيث مكتب ، له أصدقاء يحاولون إنشاء مكتب تدقيق حسابات .. فأرشدته لأثاث معين عندنا ؛ ولكنه للأسف غير متوفر هذه الأيام .. لا أدري لماذا ؟!

ـ أنا آسفة إذا ضايقتك بالسؤال .

ـ لا يا حبيبتي ، أنا كما تعلمين ليس من اختصاصي البيع والعرض ؛ ولكنه يخصني فيأتيني فأنا

أقوم على خدمته مجاملة للمعرفة فلا تشغلي فكرك .

ـ أشغل فكري ! أنا متأسفة مرة أخرى يبدو أن الحديث معك معصية.. سلام.

ـ مع ألف سلامة يبدو أن الصراحة قاتلة سلام وخبري الجميع بما قلت .

ـ أنت حساسة أكثر من اللازم يا منى .. أنا لم أقصد سوءا عندما سألت عنه قد يكون الفضول آسف .

ـ حياك الله .. قصدك سوءا أو خيرا حياك الله

ـ والله أنت عجيبة يا منى وتتعصبين بسرعة !

وأخرجت علبة الدخان وأشعلت سيجارة وتظاهرت بأنها مشغولة بأوراق أمامها فتيات اليوم يدخنّ كالرجال ، وربما أكثر من الرجال، فتقليد الرجال أصبح لديهن دين وتقدم ، حتى لو كان التقليد قتل النفس، فلم يكفيهنّ التقليد باللباس وقص الشعر، فتقليدهن بأشياء كثيرة بالدخان والخمر والسهر ولعب الورق وكرة القدم .. عافانا الله وإياكم من الجهل والتقليد الأعمى .

انتظر برهان ثلاثة أيام أخر ولم تتصل به منى ، فأدرك أنه لم يترك لديها أي تأثير حتى ولو للثرثرة فهي تتعامل معه بحدود الصفقة والعرض والزبون ، فقال مفكرا : أنا ظننت أنها طلبت رقم الهاتف لتبدأ علاقة جديدة معي .. صداقة .. أنا فعلا مغرور.. أنا لاحظت اختلاس نظراتها نحوي وأشرت لها بأنني عازب .. كل هذا لم يحرك ساكنا في قلبها .. أنا لم أتعود أن أطارد الفتيات ، تعودت أن تطاردني الفتيات يدرن حولي .. لماذا لا تحوم هذه حولي؟! هل تعرف عني شيئا؟ هل حدثتها حنين بهذه الفكرة الجنونية وأنها تعرف أنني ممثل ؟ لا تفعل حنين ذلك ، فهي تخاف أختها بل مرعوبة منها.. فعندما تتحدث عنها كانت تتحدث وكأن وحشا أمامها .. تتكلم عنها بخوف وقلق.. أنا وإياك والزمن طويل كما يقولون .

ظهر اليوم التالي اتصل برهان بالشركة من البنك ، وطلب منى وذكرها بنفسه فقالت : أهلا بك ولكن كيف عرفت اسمي ؟!

تضاحك وقال : سألت أحد العاملين عندما كنا في المعرض في الطابق الثاني عندما لاحظت أنك لا ترغبين بتعريفي بنفسك .. أنا آسف إذا أزعجتك ولكن لي ثلاثة أيام أنتظر الاتصال فلم يحصل فظننت أنك نسيتيني من تكاثر العملاء.

ـ لو حصل شيء يا أخ برهان لاتصلت بك ، فأنت أصبحت معرفة وصديق .. أهلا وسهلا وإذا وصلت تلك البضاعة سأتصل بك .. سبحان الله ! اخترنا شيئا فإذا هو غير موجود .. ما رأيك أن تختار نوعا آخر من الموجود ؟ وسوف ادع أبا محمد شفيق أن يخصم لك ويساعدك على أنك قريب لي.. نحن المشكلة عندنا أننا لا نبيع بالقسط يا أخ برهان

ـ أشكرك يا أخت منى حتى لو لم نشترِ من عندكم ، فتكفينا معرفتك وصداقتك وشهامتك أشكرك الشكر الجزيل ، وعندما نفتح المكتب إذا أحببت أن أدعوك لحفل الافتتاح المتواضع فيا مرحبا بك فلن أنسى مساعدتك .

ضحكت على الهاتف وقالت : لم أفعل شيئا يا أخ برهان ، أنت رجل محترم ، وأنا في خدمتك ، على كل حال ابحث في معارض الأثاث الأخرى قد تجد ما لم تجده عندنا ، وإذا لم توفق فاتصل بي حتى إذا جاءت الشحنة المنتظرة سأتصل بك .. أما إذا كنت تريد نموذجا غير الذي شاهدناه في الكتالوج .. تعال وسأساعدك عند صاحب الشركة شفيق .

ـ لا ، أنا أعجبني اختيارك ومتفائل به ، فشكله جميل وحجمه جيد ورخيص في نفس الوقت آ .. أأدعوك لحفل الافتتاح الذي سيكون قريبا إن شاء الله .. فأنا عاجز عن شكرك .

ضحكت ثانية وقالت : أنا لم أفعل شيء بعد

ـ لا ، لقد فعلت الكثير ، يكفيني أنك لم تكشري في وجهي ، وهل أنسى فناجين القهوة التي قدمتيها لي .. لا أعتقد أن أي زبون يدخل عليكم يحصل له ما حصل لي .

ضحكت منى أيضا وقالت: هذا لطف منك يا سيد برهان ! على كل حال معرفتك مكسب كيف سيكون هذه الحفل الذي تدعوني إليه ؟

ـ كما يحتفل الآخرون .. ولكن حفلنا سيكون صغيرا ومقصورا على بعض الأصدقاء من

أصحاب الشركات والمصانع .. وأنت اعتبري نفسك منهم .

ـ شكرا أخجلتني يا برهان! .. كأننا نعرف بعضنا منذ سنوات.. إنهم يريدون الهاتف آسف يبدو أن الحديث طال .. هات رقم بيتك سأكلمك في البيت .. شكرا لك وربما أدعو نفسي لحضور حفل الافتتاح ـ نقلت الرقم ـ شكرا .

ووضع كلا الطرفين السماعة ، وأخذ يمسح العرق المتصبب عن جبينه ، وهل هذا بداية علاقة غرامية؟.. لحتى الآن لا ندري ، ممكن أن يكون ذلك ، وممكن أن يكون غير ذلك .. فالكلام كله يدور حول العمل والأثاث وحفل الافتتاح .

دعيت منى لمكتب المدير وعاتبها على طول مدة الاتصال ، فتأسفت له وأخبرته أن المكالمة أتت إليها من الخارج ، ليست هي المتصلة ، وأنها استحت أن تقطع الحوار ، فصرفها المدير منبها على اختصار المكالمات سواء الواردة أم الصادرة ، أما برهان فكان الاتصال عبر مقسم فلم يثر إزعاج لدى البنك ، ولما عاد الهدوء لنفس برهان قال : هل وقعت السمكة في السنارة أم لا ؟ الأنثى ستبقى أنثى .. أي صبية من غير زوج يحلو لها الكلام والحديث مع رجل ، ولو لم يكن في الهوى والغرام والزواج .. أعود للسؤال الكبير.. هل أتزوج من تلك المرأة ؟ من تلك المطلقة؟ من سيعترض من الأهل والأصدقاء؟

بعد أيام من الاتصال الأخير اتصلت منى ببيت برهان ، ولم يكن في البيت تلك الساعة ، ولم تترك له لحتى الآن رقم هاتف بيتها ؛ فإنها ما زالت المكالمات متعلقة بالتجارة والبيع وفتح المكتب.. لما أنهى أعماله في الصباح التالي في البنك اتصل بالشركة واعتذر لها عن عدم وجوده في البيت ، فقبلت اعتذاره وقال لها: إنه سينتظر مكالمتها في التاسعة ليلا حتى لا يطيل عليها .

فرحبت بذلك وأغلقت الهاتف وهي مسرورة بهذا التصرف ، فهي خشيت أن يطول الحديث كالمرة الماضية ويحدث إحراج وإشكال .

في التاسعة ليلا كانت منى تتصل ببرهان وأخبرته أن الأثاث المنشود قد وصل بعد أن سألت عن أخباره وصحته فلما قالت ذلك ، قال بنغمة حزن : هذه الأيام حدث إشكال ، ربما يتأخر

فتح المكتب وشراء الأثاث بضعة أيام ، ولما سألت عن سبب ذلك .

قال لها : إن أحد الشركاء انسحب ، فبقي هو وشريك آخر وقال أيضا : إن تأخير هذا الأثاث كان خيرا لهم ، ولو اشتروه لأصبح من الصعب انسحاب الشريك الثالث لظرف طارئ يمر به.. فنحن كما تعلمين يا أخت منى بالكاد دفعنا الإيجار لنصف سنة وخلو رجل المأجور .

فأبدت أسفها لما حدث وعقبت قائلة : كما يقال كل تأخيرة فيها خيرة ..

ـ يظهر هذا .. أنا قد قمت بإجراءات ترخيص المكتب ، وعلى وشك الحصول على التصريح اللازم لمزاولة المهنة .. على كل نحن نبحث عن شريك ثالث ، فنحن نحاول إقناع زملائنا في البنك ، كان يسرنا أن تشرفيننا في حفل الافتتاح الذي كنا نحلم به.. أحيانا الأحلام لا تتحقق بسهولة ويسر يا أخت منى

ـ أكيد

ـ ولكني استفدت من هذا المحاولة أنني تعرفت عليك يا أخت منى .. رغم أنني لم أرك إلا مرتين ؛ ولكنها تركت في نفسي أثرا لا ينسى يا آنسة منى .

ضحكت منى وقالت : أنا لم أفعل شيئا يا أخ برهان ولكنك شاب نبيل .. أنا مستعدة لأي خدمة ، ولو كان لديّ معرفة بالمحاسبة لربما شاركتكم في مشروعكم .. فعندما تستقر أموركم فأنا على استعداد لأي مساعدة تطلبونها مني وشكرا .

ـ انتظري يا أخت منى! أنا راغب بشكرك بطريقة عملية إذا تكرمت عليّ بالموافقة على عشاء بسيط في مكان جميل .

عشاء عمل

منى لقد كان لقاؤها بالسيد برهان بالنسبة لها أمرا طبيعيا ، فهي لم تفكر بعلاقة عاطفية .. كانت تراه صديقا وزميلا مثلما كانت تفعل أيام الجامعة وأيام عملها في شركة عبير ناصر ، فهي مهيأة لقبول أي صداقة بريئة ، ولم تنظر لبرهان على أنه يدور حولها أو يقوم بدور معين لتحبه وتهيم به .. فكلامهم كله حول العمل والصداقة .. فهي منذ التقت بزوجها السابق حازم وهي تعرف الذهاب للمطاعم والمسارح ، فمنذ أن أصبحا صديقين كما يقولان وهي ترافقه وتصحبه بزيارة لبعض مصانع والده ، وأهلها لم يحاولوا الاعتراض ، فكانت ترى هذا من طبيعة الانفتاح على الجنس الآخر ، ولا فرق بين رجل وشاب ما دام كل شخص ملتزما حدود الصداقة ، فهي لم تعتد لبس الثوب الشرعي بل تخرج سافرة متبرجة ، لم يكن التدين وتحكيم أمر الله نبراس الأسرة فهم كعامة الناس متساهلون في حدود الدين بل يمكننا القول أن التدين أضحى أمرا شخصيا فقط ، كتبت هذا الكلام ليعرف القارئ أن قبول منى للعشاء مع برهان وغيره أمر اعتيادي.. فهي منذ دخلت الجامعة ودخلت سوق العمل وتقابل وتتحدث مع الرجال دون حرج وتمييز وحتى لما أحبها حازم نائب مدير الشركة تعاملت معه بعاطفة باردة ، وإنما كان حبها له مصلحة وأملا وهي لم تنكر ذلك ، ولما اقترنت به كانت تجلس مع أصحابه وزوجاتهم وتتقبل دعواتهم وسهراتهم ، فلم تكن تشعر بحرج وضيق وتردد .. فتجلس مع الرجال وتتحدث معهم براحة تامة ، بل تعلمت منهم الدخان والسكر واللهو والرقص ، فهي لما تلقت دعوة برهان وقبلتها كانت عندها من هذا الباب .. دعوة صديق وليس دعوة غرام وعشق ، فهي لم تكن حتى هذه اللحظات تدرك أنها تسير إلى قصة حب وزواج .. فلقاؤها بالرجال منذ سبع وثمان سنوات أمرا غير مثير لها.. فالاختلاط مباح وحتى الخلوة ليس لها اعتبار عندها.. فكما هو معروف للإنسان إذا اعتاد الجلوس والحديث مع الجنس الآخر ذهب الحاجز النفسي والخوف من هذه اللقاءات .

لذلك ذهبت للموعد المضروب بينهما بكل ثقة وطمأنينة ، وعلى إحدى موائد المطعم التقيا ،

وجرت بينهما المجاملات التي تحدث بين الأصدقاء منذ زمن بعيد .. وبذل برهان قصارى جهده ليقدم لها أفضل مأكول ، وهي مستغربة لهذا الكرم والجهد في الحقيقة .. فهي لم تعمل له شيئا مهما سوى أنها حاولت مساعدته في شراء أثاث مكتب ، وعندما وصل الأثاث المعين تأجل أمر شرائه ، وتقبلت الأمر دون ريبة وشك ، حتى لم تفكر بالطريقة التي دخل عليها برهان ابتداء هل هي صدفة أم مرتبة ومقصودة ؟ .. ودار الحديث بينهما أيضا أثناء الأكل حول المكتب والمشروع ، فعاد يشكو لها انسحاب أحد الشركاء والشريك الآخر ازداد تردده بعد انسحاب الزميل الثالث فسمعته يقول : يبدو لي أنه يفكر بالانسحاب ولكنه مستحي مني للزمالة والصداقة ولبعض الأموال التي قمنا بدفعها .. فأنا بدأت أفكر بتأجيل المشروع وأن أتحمل جميع الخسائر وأصبر بضع سنين أخرى وأفتح مكتبا وحدي .. فالشركة تركة .. أليس هكذا يقول أصحاب الأمثال ؟ مع أن أكثر الشركات اليوم شركات مساهمة فيها آلاف الشركاء .

ضحكت منى لخاتمة كلامه وقالت : هذا مثل موديل قديم قبل أن يعرف الناس البنوك والشركات المساهمة الكبيرة .. ولكن شركتك ينطبق عليها مثلك القديم

فتبسم الشاب وقال : جائز .

فتابعت منى قائلة : الشركة اليوم مهمة ، فالمشاريع غدت ضخمة بل هناك شركات تتكون من مجموعة من الشركات .. الآلة كبرت المشاريع ؛ ولكن ضبط الإدارة والنظام والتعليمات يؤدي كل ذلك لحسن الإدارة والنجاح .. المهم الإدارة القوية.. وألا تكون تحت ضغط الشركاء فقد تنجح يا سيد برهان .. ولولا قلة ما أملك يا سيد برهان وجهلي بالمحاسبة لشاركتك ، فأنت إنسان محترم وقد ارتاحت نفسي إليك ، وأنا أحب الشباب الذي لديه طموح ، ولا يكتفي براتب آخر الشهر والراحة .. ولولا أنني لا أحب القروض البنكية لنصحتك بأخذ قرض من البنك ولكن القروض إذا لم يوفق الإنسان في البداية وسريعا تكون عليه نقمة وعبء شديد ؛ ربما تحرقه وتدمره .. هذه البنوك وأنت ابن البنوك تعلم أكثر مني أنها لا ترحم العميل إذا خسر أو فشل العمل .

تظاهر برهان بمعرفة خطر القروض البنكية وقال : أعرف ! .. كم بكى بعض العملاء عندما خسروا مشاريعهم وعقاراتهم وأحلامهم عند المدير .. فالقرض البنكي إذا لم يسدد حسب الاتفاق يزيد ويتضاعف ومن ثَم المحاكم .. فتحجر على عقار الشخص وأملاكه وماله .. فالقروض البنكية مصيبة.. وأنا شاكر لك جدا نصيحتك .. فأنا أقول أن أكبر فائدة استفدتها من محاولة فتح المكتب القانوني .. المكتب الحلم هي أنت التقائي بالأخت منى ، وتعرفي على إنسانة مثلك.. مع عدم معرفتنا السابقة لبعض أبديت أريحية لمساعدتي والتعاون معي دون سابق لقاء .. وأنا أيضا أعبر لك عن سعادتي لهذا اللقاء وقبول هذا الغداء المتأخر.. فأنا أحب حقيقة سد بعض معروفك .

ابتسمت منى وقالت : يا رجل ، أنا لم أفعل شيئا لأسمع الكثير من الشكر ، وأنت لم تشتر الأثاث ولكن كما قلت أحسن فائدة من وراء هذه المحاولة أن تعارفنا.. وأنا ليست لديّ عقدة للتعرف على الرجال والنساء .. فأنا اشتغلت في شركة غير التي تعرفنا من خلالها ، وكذلك فتحت مرة مشروعا كالذي تحلم به ؛ ولكنه خسر وتورطنا مع بعض الشركات والبنوك .

كان برهان كما نعلم يمثل ويكذب ، ولم يشرع في أي مشروع ، إنما اتخذ المشروع ذريعة لفتح حوار مع السيدة منى ربيع ، وقد نجح في ذلك وها هو يدعوها لغداء أو عشاء فسمه ما شئت أيها القارئ العزيز فتقبل ، فلما أشارت منى لمشروعها الفاشل تساءل صاحبنا برهان متصنعا الدهشة فقال: مشروع وفشل ! فإذا لم يكن لديك مانع فإني أحب أن أسمع .

سردت عليه قصة المصنع الذي أنشأته مع زوجها السابق حازم ، ولما انتهت القصة ، قال برهان متصنعا الدهشة ثانية لأنه يعرف الجواب : أمتزوجة أنت ؟!

نظرت إليه وصمتت لحظات وقالت : كنت !.. فشل المشروع الذي بنيت عليه آمالا كبارا ، وفشل الزواج الذي أيضا بنيت عليه آمالا كبارا أيضا .. هؤلاء الأثرياء الكبار عندهم حقد وحسد مخيفان .

ـ لك حكاية يا أخت منى ..وهل أفهم أنك تعيشين من غير زوج ؟

ـ لقد أجبره أهله يا سيدي على طلاقي ، أنا آسف لحديثي معك في أمور خاصة ؛ ولكن توقف مشروعك آثار أشجان عندي أيها الصديق .. فأحيانا العجلة وعدم التفكير المتأني في المشاريع الكبيرة والأحلام الكبيرة يفسدها ولا تحقق المرجو منها.. الصناعة تحتاج يا أخ برهان إلى معرفة شاملة بالمشروع .. وتحتاج لفهم جيد ومتقن للتسويق .. ربما أمور المكاتب المحاسبية تختلف عن الاستشار الصناعي ، حتى لا تعتقد أنني أحاول إحباطك عن مشروعك أو حلمك كما تقول .

ـ أكيد فالمكاتب لا تحتاج إلى آلات كثيرة وكبيرة .. هي طاولة وخزانة وهاتف وقطع من الكراسي وآلة كاتبة وعلاقات عامة مع الأصدقاء وأصحاب الشركات وقليل من الدعاية والسمعة .. ورأس مال صغير .

نهضت منى بعدما وضعت علبة سجائرها وقداحتها في حقيبة اليد النسائية وهي تقول : شكرا يا أخ برهان على هذا الطعام والغداء بالنسبة لي ، وربما يكون عندك عشاء ـ وضحكت ضحكة قصيرة ـ والآن اسمح لي بالعودة للعمل والشركة

ـ تتأخرون في الدوام ؟

ـ للتاسعة ليلا في أيام الصيف هذه .

فنهض برهان وهو يقول : شكرا لك أيضا على قبول غداء العبد الضعيف برهان .. وأنا أرغب فعلا أن نصبح أصدقاء إذا لم يكن لديك مانع .

ضحكت وقالت : ها نحن قد صرنا أصدقاء .

ـ قصدي أن يتكرر اللقاء.. فربما استفدت من أفكارك وخبرتك ، وربما تشاركنا معا في مشروع

ـ أنت تعرف عنواني ، وعندما تحتاج لمشورتي وخبرتي كما تتدعي فاتصل بي إن شئت .

ـ أنا ممنون لك يا سيدتي !

ـ إلى اللقاء ..

ـ أهلا بك وشكرا مرة أخرى على قبول الدعوة .

انصرفت منى إلى عملها وهي تعتقد أنها اكتسبت صديقا جديدا أضافته إلى قائمة المعارف والأصدقاء ، وعاد برهان لبيته مفكرا بما حصل من تطورات ، وهو يقول محدثا نفسه: إنها تحب الحديث عن المشاريع والعمل أكثر من الزواج والعواطف ألا تفكر بي عاطفيا؟! .. لم ألحظ شيئا في هذا الاتجاه ، هي أقرت أنها مستعدة لعمل أي صداقة مع أي شخص يروق لها وليس مع برهان وحده .. فهل أنا مجرد رجل في حياتها ؟! ألم أترك في نفسها أي أثر عاطفي ؟! أعندها برود عاطفي شديد ؟! .. لم تتحدث عن حب وزواج وكيف تزوجت حازما ؟ المشاريع إنها تفكر بالمغامرة معي بالمشروع ؛ ولكنها مترددة بحسم الأمر .. هل أصارحها بأمر المشروع ؟ وأن المكتب ليس مشروعي الآن ، وإن راودني حلم أن أفعله ذات يوم ، وأقول لها إنك أنت مشروعي الحقيقي ؟ هل تتقبلني وتغفر لي هذه الوسيلة للوصول لقلبها ؟!

بعد هذا اللقاء على الغداء اتخذ برهان فرصة للمراجعة والانتظار عدة أيام لحسم الأمر معها ، لقد قرر الزواج منها إذا قبلت به زوجا .

هل ترك هذا اللقاء وهذه الدعوة وما قبلها من مقابلات في المحل واتصالات أثرا في نفس منى؟ هل خطر على بالها الحب والزواج من برهان ؟ هي تحدثت عن زواجها الفاشل ولو باختصار ، ولم تبدِ نقمة وحقدا إلا على والديّ زوجها ، وهي تحملهم فشل الزواج وفشل المصنع .. أراد الانتظار بضعة أيام لينظر ويرى هل ترك هذا اللقاء الطويل أثره على السيدة منى ربيع؟ هل تتصل به منى وتسأل عنه وعن أخباره أم أنها نسيته وتجاهلته بعد خروجها من باب المطعم؟!

مضت عشرة أيام ولم يحصل ويحدث أي اتصال بينهما ، هو لم يتصل بالشركة ، ومنى لم تتصل به في البيت ؛ لأنها تعرف رقم هاتف البيت ، ولم تتصل به في البنك ، فعقب برهان على هذا بعد هذا الصبر فقال لنفسه : أنا مجرد رجل عابر سبيل كأي رجل التقته في سنواتها الماضيات.. لم أترك لديها فكرا .. هل تعرف شيئا عن علاقتي بسعد الدين زوج أختها وتمثل دور الجاهل والماكر معا ؟ هل أتصل أنا ؟ يبدو أن الطبخة لم تستوِ ولم تنضج الثمرة .. المشكلة أنني أريدها هي أن تحدثني عن الحب والهوى كما كانت تفعل بي الفتيات من قبل .. ولكني المرة هذه أنا

الذي يريد إيقاعها في حبي .. دنيا ماكرة ..الصبر جميل .. هذا زواج أيها الإنسان وليس قصة غرام أو مسلسل في تلفزيون .

وانقضت أيام أخرى ولم يأت الاتصال المنشود والذي يتوقعه برهان ، وقد يكون حلم به أيضا في منامه ويقظته .. أليس هو فارس الصبايا والوسامة والمصباح الذي تحوم حوله الفراشات لتحترق؟! .. إذن منى فكرت به كصديق فحسب ، فقرر أن يتصل بها ؛ ولكن قبل أن يتخذ القرار الجازم توعكت صحة أمه ، ودخلت المستشفى، فأجل المغامرة النهائية .. قضت الأم أكثر من عشرة أيام في المستشفى .. ومع مرور هذه الأيام العشرة لم يحدث اتصال من منى ببرهان ؛ ولكن ذكرت له إحدى أخواته مرة أن امرأة اتصلت تسأل عنه مساء ولم تذكر اسمها ووعدت بالاتصال ثانية .. فوقع في نفسه أنها منى ربيع فظل على أمل الاتصال .. وقد شعر فارسنا شعورا غريبا وهو أن وسامته وجماله اللذين كانا محل افتخار وغرور منه لم يؤديا ما يطمع منهما .. فمنى غير كل البنات اللواتي صاحبهنّ والتقى بهنّ ..فهما لم يؤثرا بتلك المرأة مع أنها مطلقة فها هو شهر يكاد أن ينصرم ولم تسأل عنه.. ولم تفكر بالاتصال به .. ربما فكرت ولكنها مستحية وهو يقاوم .. وفي قرارة نفسه كان سعيدا بفعلها هذا ، وأن منى ليست ساذجة وسهلة الاصطياد ، ورغم ما تمارسه من انحلال فلديها جدية .. وبعد أن هدأت عاصفة مرض والدته وخرجت من المستشفى سالمة وانشغالهم بها كل هذه الأيام.. التقى بسعد الدين الذي عتب عليه لعدم إخباره بوجع أمه ، فاعتذر له برهان بالنسيان والانشغال ، وظن أن بعض أخواته لابد أنها تحدثت مع والدته لمَ بينهم من الصداقة والجيرة وإن تباعدت المساكن منذ سنوات .

وساق برهان الحديث عن منى وأخبارها ، وهل تزوجت ثانية ؟ فأعلمه سعد أنه منذ رحل أهلها من حي الرحمات ، وعادوا لبيت خليل في حي برقوقة لم يرها ولو مرة واحدة .. لأنها رافضة الحياة معهم وترك ما هي فيه من سكر وسهر وسينما .. فلم يعد يصادفها كما كان يحدث معه في حي رحمات .. لأنه كلما كان يذهب بزوجته لزيارة أمها وأخيها ، تحضر منى للسلام والجلوس مع أختها فيلتقيان .. فأخبارها كما هي ؛ ولكنها مازالت عازمة ومصرة على الحياة

بعيدا عن أهلها أو حي برقوقة بالذات لماذا؟ لا أحد يعلم سبب حقدها على برقوقة .
ثم أخذ يحدثه عن الحداد خليل وطيبته وبساطته وسماحته ، وكيف ربى أولاد أم ربيع ، ودرسهم حتى كبروا وصاروا يعتمدون على أنفسهم؟ وما زال لا ينتظر منهم جزاء ولا شكورا.. وحدثه عن حي برقوقة وحب الناس فيه لبعضهم وتعاطفهم مع بعض بشكل ملفت للنظر، وحدثه عن مالك شقيق منى وحنين زوجته وانشغاله بشراء بيت لإنشاء عمارة كبيرة عليه.. ولما انصرف سعد بوالدته التي كانت تقوم بزيارة أم برهان التي تعافت من سقمها ، قال برهان لنفسه : لا جديد في حياة منى ، لا أخبار عنها .. حسنا يا ابنة الكرام ! سأستمر في هذه اللعبة
لم يأتِ الاتصال من الفتاة التي حدثته عنها أخته ، فذهب ظنه أنها فتاة أخرى لم تكن منى .. فاستعد للقاء آخر مع منى ربيع الفتاة المتمردة على تقاليد العائلة ، وتحاول أن تستفيد من الحرية التي شاعت بين نساء القرن العشرين بأكبر مساحة وطاقة .. ثلاثة لقاءات وعدة اتصالات لم تحدث شيئا .. اتصل كعادته من البنك ، وجرت المجاملات والاعتذارات اللازمة ودار الحديث من جديد حول المشروع التجاري الذي يرغب السيد برهان بإنشائه ، وادعى أنه وجد شريكا ثالثا وهم يستعدون لفتح المكتب من جديد وربما يشترون الأثاث المزعوم قريبا ، وأنه اتصل بها ليعلم إذا ما زالت راغبة بمساعدتهم على الحصول على ذلك الأثاث السابق الذكر ، وفي نهاية الحديث دعاها لغداء آخر، فحاولت الاعتذار ابتداء ولكنه أصر وأنه سيتحدث معها في موضوع مهم.. فرحبت بذلك .. ولما طال الحديث تعرضت لعتاب جديد من صاحب الشركة وغادرت الشركة غاضبة وهددت بتقديم استقالتها ..
وكان أبو محمد شفيق قال لها : أنت عصبية أكثر من اللازم اليوم يا منى .. هذا شغل .. لو كل مكالمة منا أو مستقبلة تأخذ هذا الوقت لتعطل الشغل .. وإذا أنت غير مرتاحة للعمل معنا قدمي استقالتك وبدون تهديد ، واذهبي لحسام وخذي حسابك.. نحن نقدر ونحترم قدرتك على العمل ومتابعة المراسلات أرجو أن يكون كلامي واضحا لك .
ولما انصرفت غاضبة مكثت يومين غائبة عن العمل ، ولما رجعت سألها المدير عن سبب تغيبها،

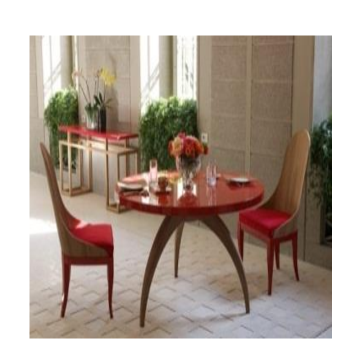
فزعمت أنها كانت مريضة ، واعتذرت له عن سبب عصبيتها قبل يومين وعن تصرفها ذلك .. فقبل الرجل عذرها وطلب منها العودة لمكتبها، كانت منى تحلم بالاستقلال عن العمل كمخدومة ، وأن يكون لها مشروعها الخاص ، وأن تكون هي صاحبة المصنع أو الشركة ؛ ولكن المال الذي تملكه لا يكفي لمغامرة جديدة ، حتى ولو باعت سيارتها الصغيرة ، وما حصلت عليه من مؤخر صداقها بعد طلاقها لا يكفي في نظرها للمخاطرة من جديد ، فإنها ما زالت مدينة لربيع ، فهو لليوم لم يطالبها لا هي ولا زوجها بدرهم واحد .. لذلك لما التقت بالسيد برهان نفست له بمشاكلها في الشركة ، وتعاطف معها برهان وحثها على الصبر وعدم الاستقالة ، وكانت هذه أول مرة تحدثه عن مشاكلها الخاصة شاكية له همها ، فسر من ذلك واعتبر أنها بدأت تثق به ، وتطمئن إليه أكثر، واعتبر ذلك تقدما.. ولما انتهت من عرض مشكلتها مع المدير الذي يضيق عليها عند استعمال الهاتف بحجة ضيق وقت العمل .. ثم تحدث برهان من جديد عن المشروع الخاص ووجود الشريك الثالث ، وأنهم قريبا سيفتحون المكتب المحاسبي ، وأنهم إذا نجحوا في مشروعهم ربما يستعينون بها في إدارة المكتب والقيام بأعمال السكرتاريا إذا لم تمانع في ذلك .

فقالت ضاحكة من فكرة برهان التعاطفية مع مشكلتها الخاصة : عندما يحين الوقت سوف أفكر ، أنا قرفت من شفيق ومعاملته ، هو يفكر بأنني بنت صغيرة .. فعندما يقف مشروعكم الحلم على قدميه ويشب قائما سأفكر بالعمل معكم وربما أساهم معكم بمبلغ معين إن نجح مشروعكم

ـ على الرحب والسعة يا أخت منى .. أنا سعيد باللقاء بك ثانية يا أخت منى .. لقد انشغلنا بمرض أمي ، فقد مرضت ومكثت أياما في المشفى ، وكل أولادها متزوجون إلا أنا.. الصغير متزوج والكبير متزوج وهي تريد تزويجي قبل موتها ومغادرتها الدنيا.. وحدثها عن الأسرة ثم قال في نهاية الحديث عن الأسرة والزواج : أليس حولك فتاة تقبل بي زوجا ؟ .. فأنا لا أريد فتاة من العائلة .

غرقت منى بالضحك قالت : هذه المهمة الوحيدة التي لم اشتغل بها يوما يا برهان .. على كل حال أذكر لي مواصفات الفتاة التي تحلم بها زوجة لك ، رغم اختلاطي بالفتيات والعوانس لم يخطر ببالي أن يطلب مني أحدهم شيئا مثل هذا..

ـ فليكن أنا أول طالب .. فتاة جميلة ، فتاة عاملة ، أنا صحيح لست بحاجة لدخلها ؛ ولكن الحياة كما تعلمين اليوم مشاركة ومصروف وتحمل مسؤوليات وإيجار بيت وغير ذلك مما تعرفينه ، وأنت خبرت الحياة الزوجية كما ذكرت لي المرة السابقة .. قبل شهر .. هذا هو الموضوع المهم يا أخت منى !



اعتراف منى

لما عادت السيدة منى لبيتها بعد لقائها الأخير ببرهان همست لنفسها كأنها أول مرة تفكر بالزواج ثانية: هل يخطبني من نفسي هذا الشاب؟! وأنا لم أفكر بذلك منذ التقينا.. ولكني ذكرت أمامه أنني متزوجة ، وبعدها لم يعد يخاطبني بآنسة التي تشير وتدل على العزوبية في عرف الناس .. ثم أخذت تتذكر وتعيد صور التقائها ببرهان منذ البداية .. أفعال بريئة! وقد التقى بي في مكان العمل.. وتعرفنا من أجل شراء الأثاث ، وعرفني على مكان عمله .. وعلى هاتف أهله ..هل يقصدني أنا بالزواج؟ .. إنه يعرف أنني امرأة تزوجت وطلقت ؛ ولكني ذكرت له أيضا أن سبب فشل زواجي أهل الزوج وليس مني .. برهان الذي لم يسبق له الزواج يتزوج مني أنا ! .. ما موقف أهله بالزواج من مطلقة ؟! هل يرضونني لابنهم زوجة ؟ لماذا يريدني أنا زوجة ؟ هل خلت الدنيا من النساء؟ أوه! هل عنده مشكلة معينة أو عيب ما ؟ الأسئلة كثيرة يا منى .. هو أخبرني أنه لم يتزوج من قبل ولا حتى خطب فترك .. هل أكرر تجربة الزواج ثانية ؟ حازم أين أنت يا حازم؟! لقد تزوج بعدما تخلص من المخدرات .. وولد له كما علمت ؟ لقد نسيني تماما وقد نسيته ، ليس هناك أمل ولو ضئيل بأن يعود إليّ حتى لو قبر والديه .. فهو قد تزوج ابنة خالته .. عندما يموت أبوه ربما ذكرني .. أمه ستمنعه .. عندما تموت أمه سيذكرني ويتذكر أنني ضحيت بكل شيء من أجله .. تزوجته رغم أنف أهلي .. ورغم رفض والديه للزواج .. قدمت له كل ثروتي وثروة أخي ربيع .. عبير تكرهني ووقفت ضد زواجنا .. ستمنعه أيضا .. فلمَ لا أنساه كما نسيني؟! ولم يكترث بي ، لم يتصل بي ليعتذر عمّا سببه لي من دمار وجرح .. منذ افترقنا لم يحصل بيننا أي لقاء .. بإمكانه أن يتصل ويعتذر ويأسف ويشكو ضعفه .. لابد أنه يحملني سبب شقائه .. انتهى هذا المخلوق من حياتي ، قالت ذلك وهي تضغط على أسنانها غلا وقهرا سأذكر لبرهان أنني امرأة مطلقة مرة أخرى حتى يقطع أمله من التفكير بالزواج مني .. هو يعرف ذلك .. ولسوف أوكده له .

تنهدت بعمق وعادت تردد : الزواج والحب .. أيحبني برهان وأنا لا أحس؟ .. لم نقف قليلا

عند الحب .. رجل دخل المتجر لشراء أثاث .. جاهل بالسوق فالتجأ إليّ .. فعظم عنده تعاطفي معه وعدم طرده من مكتبي أو أنني اعتذرت وقلت له ليس هذا من اختصاصي اذهب إلى ...
تنهدت مرة أخرى وقالت: هو والله رجل حسن الهيئة ، بل جميل جدا .. لماذا لم يتزوج بعد وهو بهذا الحسن والبهاء ؟! الناس أمرها غريب .. وهو موفق بالعمل وله أخ طبيب وأخ مهندس لقد تحدث معي عن الأسرة .. أكيد أنه يتحدث عن الزواج مني .. لست حمقاء ليطلب مني أنا أن أبحث له عن زوجة .. ماذا الذي أعجبه فيّ ؟ انفتاحي على الجنس الآخر .. جمالي .. لست بالفاتنة بل هو أجمل مني إذا كان الجمال بالبياض .. أخلاقي .. أي أخلاق؟! وهم يرون جلوسنا مع الرجال حرام وعيب .. لعله ليس منهم .. لم يعلق يوما على شربي للدخان أو على لبسي البنطلون وقص شعري .. هما لقاءان في المطعم كيف سيسمح لنفسه بمثل هكذا نقد؟! .. أمر هذا الزواج غريب .. ربما فعلا يقصد امرأة غيري .. ولكن ما أدراه أني أعمل خاطبة.. فهذا لم يحدث بيننا ليقع في ظنه شيئا من ذلك .. عيناه كانت تخاطبني أنا .. كانت تتكلم ؛ ولكنه أراد أن يترك فرصة للتفكير بما أشار إليه .. شاب ذكي ولطيف .. منى ساعد تتزوج من جديد !.. إنني أشرب الخمر .. هل هو سكير مثل صاحبي القديم ؟ آه! هذا ما جنيته من صحبة حازم وأصحابه الخمر .. قارورة الخمر في ثلاجة البيت باستمرار .. آه !.. حنين عندها ولد ، وبعد حين سيأتي الثاني ، وأنا البكر والكبيرة في عائلة ساعد ولم اخلف بعد لم أحب الأمومة التي يتحدثون عنها .. لا ، لأنك لم تجربيها.. الأمومة فطرة يا منى .. لا تكابري في هذه .. الدابة تحب الأمومة .. إنني أحب الأفلام والسهرات والاختلاط ولعب الورق ، ولا أتحرج من اللعب والجلوس مع الرجال.. هل يقبلني الرجل بهذه الصفات ؟!
أخذت تتذكر أحداثا جرت بينها وبين برهان ، وأعادت التفكير مرات ومرات .. وهمست لنفسها : كان رزينا معي مؤدبا، وكما كنت أنا كذلك ، لم يكن بيننا تهتك ليطمع بي ..

قررت الاتصال به ودعوته لعشاء ليلي ومصارحته بأمرها مفصلا.. وقبل برهان الدعوة بسرور ورضا ، وتعجب أن تكون قد وجدت له عروسا بهذه السرعة .. فلما التقيا وأنهيا الطعام ورفعت الأواني ، وأحضر لهم العامل أو النادل الشاي ، سألته منى عن مشروع المكتب فلما حدثها عن ذلك الحلم بضع جمل قال باسما: لا أعتقد أنك دعوتني وخسرت هذا المبلغ لتسأليني عن المكتب الحلم هو حلم .. يبدو أنه يريد أن يتعثر من جديد .. الناس تخاف ولا تحب الإقدام والمخاطرة .. أنا توقعت أن تحدثيني عن الطلب الذي طلبته منك في آخر مرة التقينا وحتى أنني ظننت أنك أتيت بالعروس معك .

تأملته لحظات وقالت باسمة : العروس ستأتي قريبا إن شاء الله ، وربما خلال هذه الجلسة .. وأنا أحببت أن أكرمك كما تحب إكرامي ، وليس دفع الأموال من أجل الأصدقاء خسارة يا سيد برهان .. فأنا كما تعلم متزوجة .

ـ ذكرت ذلك وأنك قد طلقت بسبب والديه .

ـ لقد ذكرت لك فشلي في الزواج وفي المشاريع .. فأنا أحمل لقب مطلقة يا أخ برهان إذا كنت تفكر بالزواج مني.. أنا لما عدت للبيت فكرت بطلبك الغريب والمفاجئ أن تطلب مني أنا أن أبحث لك عن عروس .. فماذا كنت تقصد بطلبك؟! ألم تقصدني أنا ؟!

كان برهان يتابعها بعينيه بانبهار، ولما سألته سكت لحظات ثم قال : أنت صريحة جدا وشجاعة

ـ الصراحة راحة .. أنا فكرت بكلامك اللطيف ، وحديثك عن أمك ورغبتها بتزويجك وأسرتك أيضا ، ثم طلبك الأخير مني ، فلما تأملته وقع في نفسي أنك تخطبني بطريقة ذكية وغير مباشرة ، وقلت لنفسي ربما أنك خلال الشهر الذي لم نلتقِ فيه قد نسيت أنني متزوجة وفاشلة في الزواج .. فكان لابد من هذا اللقاء لأذكرك .

ـ ذكرت أنك فشلت في زواجك ولم انسَ ، وذكرت أن أهل زوجك رفضوك، وأن هؤلاء الأثرياء لا يحبون الفقراء الذين يحلمون بالصعود لفوق .. اسمعي يا أخت منى.. إن طلاقك لا يعيبك بشيء .. ولا يجب أن ينظر للطلاق دائما أنه شر.. ولكن تعقد المجتمعات المعاصرة

لكثرة مشاكل الحياة اليومية والاستهلاك وأمور أخرى عقدت قضية الطلاق في حياة الناس ، مع أن الطلاق كما هو معروف للجميع حل لمشكلة تعقدت بين الزوجين .. المهم أنا لا أرى أن هذا عيب فيك .. وأنا معجب بك منذ أول مرة رأيتك فيها.. لا تقولي حب من أول نظرة أنا شاب مثقف ومتعلم ولست مراهقا.. والأحداث تطورت وأعلم أنك من غير زوج .. ولي رغبة حقيقية بالاقتران بك إذا وافقت ؛ ولكني خجلت أن أصارحك بذلك في المرة الماضية.. خشيت أن تظني أن ذلك شفقة وعطف عندما حدثتيني بمرارة عن صاحب المعرض وأنك فكرت بالاستقالة .. خشيت أن تفهميني أنني أخطبك عاطفيا ومتأثرا بما رويت وليس بعقلي وفكري وإنما طلبي ردة فعل لضيقك .. وبما أنك تحبين الصراحة فأنا أطلبك من نفسك قبل أن أقابل والديك أو أهلك .

التزمت الصمت وهي تسمع هذه الكلمات والتبريرات وبعد لحظات من سماعها طلب برهان قالت متسألة: أأنا أتزوج مرة أخرى؟ لا أدري ماذا أقول لك أيها الإنسان ؟ أأنت حر مثلي ؟

قال دهشا: حر؟!

ـ نعم

ـ وهل أنا رقيق؟!

ـ لا أقصد الرق القديم .. أنا فتاة أدعي أنني متحررة يا برهان .. وجلوسي معك أكثر من مرة وقبولي دعوتك للغداء أكثر من مرة يؤكد لك هذه الحرية .. وقد لا تعلم يا برهان أنني أشرب الخمر .. لم تفاجأ بالخبر؟!

هزّ رأسه ضاحكا ، ولم ينبس بكلمة فتابعت شرح حريتها : وأحضر آخر الأفلام .. وألبس ما أشاء من الثياب الطويلة والقصيرة .. وأقص شعري حسب الموضة .. وأضع على وجهي كل المساحيق والبودرة والمكياج كما ترى عليّ الآن

ضحك ولم يعقب فتابعت قائلة : والدخان ، إنك تعلم أنني أدخن وأكثر من مرة أشعلت لي السيجارة ، وأنت تدخن سيجارة وأنا أدخن عشرة مقابلها.. وسأقص عليك شيئا من أمري أنا

أكبر أفراد الأسرة .. عائلتي .. مات أبي وأنا صغيرة قبل سني المراهقة ، وولدت ونشأت في حي قديم من أقدم أحياء العاصمة ، ونشأ الحي فوضويا واسمه حي برقوقة، ربما على اسم شخص أو عائلة سكنت فيه ، كان المهاجرون من المدن والقرى الأخرى يسكنون فيه لرخصه وعدم تبعيته لبلدية حتى كبر.. وهو من أشهر أحياء المدينة التي تكبر كل يوم .. أنشئ من غير نظام ثم تطور وتحدث بعد ذلك .. تزوجت أمي رجلا حدادا من الحي بعد وفاة أبي بسنين ، وقام هذا الرجل فينا مقام الوالد.. مشكلة حي برقوقة في نظري أنه لا أسرار فيه ، فالناس يعرفون عن بعض كل شيء.. لا أسرار داخل البيوت وخارجها .. المهم أن هذا الحداد بعد أن وافقت أمي على الزواج منه بعدما طلبها من إخوتها الذين يعيش بعضهم في حي برقوقة ، كان قد تعهد لها بتعليمنا إذا كبرنا ونجحنا في الثانوية العامة حتى نتخرج من الجامعات .

اقترب منهم جرسون فقال برهان مقاطعا : أتشربين شيئا آخر ؟

ـ لا ، شكرا ، دعني أعرفك بنفسي أكثر ؛ لأن هذا الكلام سيكون له ما بعده يا أخ برهان .

طلب لنفسه قهوة ولما ابتعد العامل قال : تابعي ، إنني مصغ إليك .

ونحن نعلم أن الذي ستقوله منى يعرفه برهان أو يعرف أكثره من سعد الدين صديقه ، بعد هدوء يسير قالت منى : تزوجت أمي الحداد خليلا، وأخذ سكان الحي يسموننا بـ أيتام الحداد خليل، وانتقلنا معها إلى بيت خليل أحمد عامل حدادة قديمة.. وكان الرجل عند كلمته فقام برعايتنا أحسن رعاية ، وكان يعتبرنا أولاده لأن المسكين قد حرم من الخلفة والذرية .. فكنا كأبنائه حقيقة .. المهم نجحت ودخلت الجامعة رغم معارضته بداية للأفكار السيئة التي يحملها عن الجامعات وتعليم البنات والأشياء التي تسمع بها ونعرفها نحن أليس كذلك ؟

ـ بلى ؛ ولكن لابد من الدراسة .

ـ ولكنه أمام ضغط أمي والعهد القديم وأنا أول الوفاء بالعهد تكفل بالصرف والنفقة على تعليمي حتى تخرجت من الجامعة .. وبعدي بسنة دخل أخي الأصغر مني الجامعة .. فالحق أن الرجل بذل وسعه وجاهد معنا ، وخلال شهور يسيرة كنت موظفة في شركة وتحملت عبء

المساعدة في تدريس أخي حتى يتخرج من كلية الهندسة ، وظل الرجل يشارك في تعليم أخي ، ويصرف هذا الحداد الفاضل على البيت ويتحمل تكاليف الحياة دون شكوى وأنين .. ولما عملت في إحدى الشركات الكبيرة التقيت بابن صاحب الشركة ، وصار بيننا انسجام خلال شهور .. وأنا كنت فعلا متحررة ، ولا تهمني التقاليد والعادات ولا حتى الاعتبارات ، وقد عشت قصة حب معه حتى تخرج أخي من كلية الهندسة.. وفعلا أصبح أخي ربيع مهندسا وخف العبء أكثر عن خليل وعني .. وكنت خلال هذه السنوات أرفض أي زواج بحجة تعليم أخي والعائلة.. والصحيح أني كنت مرتبطة بمن أصبح زوجي السيد حازم .. هذا الرجل كان فعلا يريدني زوجة صالحة ؛ ولكن أسرته ترفض فكرة الزواج من فتاة معدمة مثلي لا ثروة ولا رصيد لديها .. مع أنني أحمل شهادة مهمة آداب إنجليزي ، وجهدي كان واضحا في الشركة ؛ ولكن مديرة الشركة التي كنت أعمل بها وهي أخت الشاب الذي يرغب بي زوجة كانت من رأي والديها في رفضي دخول عالمهم الغني . وبعد ثلاث سنوات لا أذكر بالضبط وافقت على الزواج والارتباط الجسدي بحازم يا أخ برهان .. كان يريد الزواج مني دون موافقة أهله ، فهم مصرون على رفضي رغم أنهم لا يعرفونني بشكل جيد ربما رأوني أثناء سنوات العمل .. وأمام هذا الموقف الشجاع منه في نظري وافقت أنا على الزفاف منه دون رضا أهله كلهم، ودون اعتبار لتحذيرات أخته مديرتنا أنا وإياه .. قابل الشاب أهلي، ورفض زوج أمي الزواج بهذه الصورة ، وأصر على حضور والديه لخطبتي كما يخطب البشر.. ولكن أمي وأخي المهندس خوفا من زواجي دون أمرهم ورضاهم وافقوا ، فاضطر خليل الحداد أن يطلق أمي ، ورحلنا لحي الرحمات أحسن أحياء المدينة تلك الأيام ، فطلقت أمي من أجل زواجي أنا يا برهان .. وتم زواجي رغم أنف خليل وأنف والديّ زوجي وأخته .. ولكنهما أصرا العناد والتحدي ودفعوا حازما للابتعاد عن شركات والده .. فلحبه الكبير لي ، وربما للتضحية التي قدمتها له من أجل الزواج دون موافقة أهله وتطليق أمي من خليل بعد عشرة تلك السنوات ، وما بذله الرجل من أجلنا أصر على بقائي على ذمته .. وجمعنا ما نملك من مال ، واقترضتنا من

بعض البنوك التي لحازم علاقة ومعرفة بها ، وفتحنا مصنعا ولكنه لم يكمل السنة فقد خسر وانكسر وفشل المشروع وكثر الدائنون.. فدفعنا ما فوقنا وتحتنا لبقاء عش الزوجية ، وكان قد طلب مني من أول الزواج عدم الإنجاب المبكر .. فهؤلاء الأكابر لا يحبون الولادة مبكرا كما نحب نحن البسطاء .. المهم يا برهان أمام ذلك الواقع المؤلم راسل ابن عم له في أمريكا ليسافر إلى هناك ؛ فهو لم يحسن تدبير نفسه، فقد كان هنا يعتمد على سمعة أبيه وأعمامه وأخواله الكبار ولكنّ أباه دمره وحطمه ، وهو كان وراء فشل مشروعنا بمكره وخبثه.. وأنت تعلم أن بضاعة لا تسوق ولا تجد لها زبائن ستفسد إن كان مواد غذائية المهم أيها الأخ برهان سافر صاحبي البطل في نظري إلى أمريكا بعدما غرقنا في الديون ؛ ولكنه اشتغل هناك كما علمت بالمخدرات والهيروين .. فمرض بسرعة ولم يتحمل جسده المخدرات واستسلم لأمر والديه وضعف لطلب والديه وطلقني من هناك ، ودفع لي أحد محامي والده مؤخر صداقي وزادني خمسة الآلاف دينار أخرى لتسهيل إجراءات الطلاق .. وعاد الزوج من هناك دون أن أعلم ، وعالجوه هنا ، وفور تعافيه زوجوه ليقطعوا الأمل لديه بالعودة إليّ ، ولم يحاول الاتصال بي ولو للاعتذار؛ ولكني علمت من أخته عبير وبعض أصدقائنا أنه تزوج فتاة من العائلة ، وأنجب منها ، وهو اليوم مجرد موظف في إحدى شركات أبيه وأمه .. عايش على الهامش يأكل ويشرب ويسكر .. لا رأي ولا مال .. فهو دمر وحطم وذهبت أنا في الرجلين

ولما سكتت وطال الصمت هنيهة قال : يا لها من أيام عصيبة عليك يا أخت منى !

ـ لم تنتهِ القصة يا برهان .. المهم أنني تعلقت بعادات سيئة في نظر أهلي إخوتي وأمي .. الدخان والخمر واللباس العري .. والأنانية فلما طلقت وعدت للحياة معهم بعد إخلائي الشقة التي عشنا فيها .. حاولوا إعادة تأهيلي كما يقول مالك أخي ، ولما أرادوا منعي مما تعودت عليه خلال حياتي مع الزوج حازم صارت مشاكل عائلية اضطررت بعدها للحياة في شقة وحدي ؛ ولكنها قريبة من شقتهم في رحمات .. ثم سافر أخي المهندس للخليج للعمل هناك وتزوج من ابنة خالي وتزوجت أختي الصغيرة رابع العائلة .. ثم أعادوا أمي لزوجها الحداد ورحلوا لحي برقوقة ،

وأنا رفضت العودة لبرقوقة لما كان من أثره السيئ على مسيرة زواجي ، فتعقدت منه وزاد بغضي له .. فأنا اليوم فتاة مطلقة تسكن في شقة وحدها ولديها عادات سيئة كثيرة ويصعب فراقها.. والآن بعدما أسمعتك سيرة حياتي الخاصة .. ادع لك التفكير فيها ؛ فإن رأيتني بعد ذلك المرأة المناسبة لك وللحياة مع أسرتك سأفكر أنا للاقتران بك.. أنا صريحة معك للغاية يا أخ برهان.. واعلم لليوم أنني لم أفكر بك عاطفيا .. فيبدو أن ما يسميه الناس اليوم الحب قد مات في قلبي ربما يتغير ذلك فيما بعد أو كما يقولون حب بعد الزواج .. وأنت إذا أحببت أن تحدثني عن نفسك أكثر فأنا مستعدة للسماع والجلوس معك لآخر الليل .. وأما إذا أحببت أن لا تتكلم بشيء حتى تفكر بما سمعت مني عن نفسي فلك ذلك أيها الصديق .

ـ فعلا أنت صريحة وشجاعة يا منى والصراحة راحة .. نحن نكره النفاق وأنا لا أحبه سأفكر بكل كلمة نطقت بها ، ولي عندك طلب صغير ..

ضحكت منى وقالت : الخمر؟!

ـ نعم الخمر.. أنا لا أبخس ذكاءك أيضا .. أنا قد أغفر كل شيء لزوجتي إلا الخمر .. أنا لم أشرب الخمر وعمري كله ما شربتها ولا فكرت فيها ولو على سبيل المزح ومجاراة الأصحاب.. فهل تعدينني بالتفكير في هذا الأمر؟ ويمكنك التخلص من الخمر.. وباقي الأمور هينة وقد أقبلها وندعها للأيام ، وأعدك أن لا أجبرك على ترك أي شيء تحبينه من هذه العادات .. دخان سينما سهرات رقص .. الخمر يا منى حتى احسم أمري الذي كان محسوما بالزواج منك .

ـ أنت فعلا لطيف يا صديقي العزيز .. لا تتخيل أيها الإنسان إنني مدمنة خمر .. إنما هي أمر عادي في حياتي بعد زواجي من حازم .. ولتعلم أنني لم أتعلم شرب الخمر أثناء العمل معه في الشركة لم أكن أشربها البتة ، لا هي ولا حتى الدخان .. إنما حصل ذلك بعد الزواج ، لقد كانت رائحته كريهة جدا فجاريته حتى لا أتأفف منه ومن رائحته النتنة فتعاطيت الخمر والدخان.. ولما حصلت المشكلة وتبعها الطلاق عن بعد زاد تعلقي بهما أكثر ظانا كما يظن الكثير أنهما يزيلان الهموم والغموم ، وما ذلك إلا ضحك على اللحى كما يقولون .. إنما هما شهوة كباقي الشهوات

السيئة .. على كل عندما أسمع رأيك الحاسم فيّ ربما أعدك بترك الخمر .. أما الحب إذا كنت تنشده عندي فهو لليوم غير موجود .. إنني أبغض الرجال رغم ما تراه من صداقة بيني وبينك.. ربما لوالد حازم وما فعله بي عندما دخلت عليه مكتبه بعد مطاردة شاقة ، وقد ترجيته أن يصفح عن ابنه وكلي دموع واستجداء ، فما كان منه إلا أن طردني وحطمني ودمرني .. إنه يوم شؤم ..

رق برهان لما تعرضت له من الإهانة والطرد فقال : يبدو أن هذا موقف عنيف لا ينسى .

ـ من يومها كرهت جنس الرجال مع أنني موقنة أنهم ليسوا سواء .. الذل والهوان دمار للإنسان يا سيد برهان .. أنا ليست لديّ عقدة قديمة نحوهم ، وإن بدا لك ولغيرك أنني أحب تقليدهم في قص الشعر ولبس البنطال وغير ذلك .. على كل سيكون لنا كلام إذا حدث توافق بيننا ؛ ولكن قبل الانصراف ليفكر كل منا بالآخر لماذا أنت لليوم غير متزوج ؟! رغم أنك قريب من الثلاثين يا سيدي .

ـ فعلا قريب من الثلاثين .. بالضبط ثمانية وعشرون إلا أشهرا .. وأنا التقيت بمئات الفتيات سواء في الجامعة أو البنك أو في الحياة كلها .. لليوم لم أتزوج ربما لتكوني قدري ونصيبي أنت يا منى .

ـ أوه! .. أنا .. أنا لم أكن أظن أن أحدا سيفكر بي كزوجة يا برهان .. ولكني أبيت أن أعيش عشيقة أو خليلة.. ورغم خوف أهلي عليّ من الانزلاق والوصول إلى ذلك .. فقد حاول البعض الحياة معي هكذا ، فرفضت لم أقبل أن أعيش كدابة .. وإن كنت غير مبال بالتقاليد والطقوس فللشرف شأن عندي رغم طول علاقتي بحازم الزوج السابق لي قبل الزواج ، فهو لم يستطع لن ينال مني ولو قبلة واحدة رغم محاولاته الكثيرة .. مع تأثري ببنات أوروبا وأمريكا في هذا الجانب لم أتهاون وأتحلل .. وأنا ذكرت لك سبب تعلقي بالخمر والدخان ، ولا أقول هذا الكلام مبررا لك ومشجعا لك للاقتران بي .. صدق حتى لو لم يحصل بيننا ما عرضت عليّ من زواج سأحتفظ بك صديقا حتى أنت تخرج من حياتي أو تطلب مني هجرك

ـ اسمعي أنا أريد أن أقول لك أنك أول فتاة أو امرأة تؤثر فيّ .. لا أدري لماذا؟! أنا منجذب إليك بقوة مع ما ذكرته عن نفسك من صفات وعادات لا تروق لي.. ومع أن الناس لا يحبون الوضوح والصراحة في مثل هكذا قضية ولكني معجب بصراحتك وشجاعتك ، رغم أن العقل قد يعتبر ذلك فضائح ؛ ولكننا نعيش ظروفا خاصة ، وقد يعتبر هذا مبررا لهذه الاعترافات الخاصة .. وخط دفاع في المستقبل .

ـ أنا كانت أحلامي كبيرة يا برهان .. كنت أحلم بأن أكون ملكة غير متوجة كما يقال .. كنت عندما التقيت بحازم ناصر اعتبره الدرجة الأولى في سلم الوصول للتاج .. ولكنه دمر أحلامي وأعادني لحي برقوقة .. فتاة لا أحلام لها ولا طموح .. كان الزواج عندي مجرد عادة وتقليد وديكور لابد منه ..

ـ والآن؟!

ـ والآن .. أمل في الحياة من جديد .. أمل في تحقيق الأمومة التي تتحدث عنها النساء والأمهات لي أخت متزوجة وإنها ما لقيتني إلا حدثتني عن حلاوة الأمومة وضم رضيع إلى صدر أمه.. إنها تحاول بذلك تشجيعي على الزواج من جديد .. أنا لم أُبدِ لهم اعتراضي يوما على الزواج ثانية إنهم يريدون تزويجي من أي رجل وهذا لا يصح عندي يا برهان .. طال الحديث أيها الصديق لا أنكر أنك هززتني في المرة الماضية بعرضك وهذه المرة ، وها نحن وضعنا النقاط على الحروف وعلينا التفكير بروية بما جرى بيننا.. هيا ننصرف وأشكرك كل الشكر على إصغائك لي .. وأنت أول رجل يسمح لي بسماع همسات قلبي وقصة هلاكي .. لعلك الملاك المرسل لإنقاذي أيها الصديق .. إلى اللقاء .

منى تعرف الحقيقة

دخل برهان بيت العائلة ودخل حجرته الخاصة ، وأغلق بابها بالمفتاح على غير العادة ، وذهب في تفكير عميق في نهاية مغامرته ، وأن الفتاة تنتظر رده بعدما أعاد إليها الأمل في السعادة من جديد .. الزواج حدث كبير ، ومن أهم الأحداث الخاصة في حياة الإنسان مهما حاول البعض من التقليل من أهميته وشأنه .. هل يضحي ويتزوج من مطلقة؟ عاداتها القبيحة هل تتخلص منها ؟.. إنه يريد امرأة صالحة.. منى لديها بذرة وخامة طيبة .. ستعود أنثى طبيعية.. ستتخلص من تفكير الرجل .. من سيعارض هذا الزواج من العائلة ؟! .. أمه ستعارض هذا الزواج .. كيف يتزوج فتاة مطلقة ومن سنه؟ أما أبوه فإقناعه سهل وميسور .. وهل يتزوج بدون موافقتهم كما حصل مع زوجها السابق؟!.. هو يختلف عن حازم.. فهو مستقل في عمله ومصروفه وحركته .. لا يتدخل أبوه في حياته الخاصة .. ترك لهم حرية التصرف .. المهم عنده احترام الناس.. أمه ستعارض الزواج بس لأنها امرأة مطلقة ، ولسنها القريب من سنه وربما تكبره بأشهر .. أو ستعارض لأنه لم يطلب منها البحث عن عروس ، بحث بنفسه وطلب من منى أن تبحث عن عروس ، كان يمهد بذلك لطلب يدها ، وأدركت أنها المقصودة بطلبه ، وفتحت له قلبها وقصت عليه أخطر أحداث حياتها ليكون على بينة من ماضيها ؛ ولتكون الحياة بينهما واضحة وضوح الشمس ..وهي صادقة لم تحدثه عن حب وغرام وغزل ، فمنى لا تعرف ذلك ، واعترفت له أن حياتها وزواجها لحازم لم يكن عن حب وعشق إنها لمصلحة وبحكم العادة .. إنها المحب كان حازم .. واليوم المعجب والمحب برهان لقد طمعت بالزواج مني ، ولها رغبة بذلك ؛ ولكنها تحب أن تعطيني فرصة للتفكير ، لا تريد العجلة ثم نندم .. إنها تريد أن تكون أنثى وأم .. وهذا تفكير جيد وطبيعي .. وقال : إذا رفضت الزواج منها بعدما زرعت الأمل في قلبها من جديد سيدب في قلبها اليأس ، وسأساعد في تدميرها بعد ذلك الأمل الذي كان يلمع ببريق عينيها .. إنها فتاة عاشت في أحلام وأوهام الثروة ، ولما اصطدمت في الواقع الصعب أحست أنها وقعت في بئر عميقة ولا تستطيع الخروج منها .. فأصرت على التمرد

والعناد والبقاء على عادات السوء .. كيف سأقنع أمي بها ؟ ليس بعد الصراحة راحة .. الصراحة راحة .. أنا عن نفسي ليس لديّ مانع من الزواج من منى ربيع حتى ولو كانت مطلقة أمي العقبة الآن !

قضى أياما وهو يقنع والدته بمنى ، وهو يريد أن يحقق لها أمنيتها ورغبتها بزواجه ، وأعلمها أنه تعرف على فتاة وأعجبته غاية العجب ؛ ولكنها تزوجت من قبل وطلقها زوجها بعد سفره إلى أمريكا.. وهي تشتغل براتب جيد ، وليس لديها أولاد من زوجها .. وأخطر ما قاله لأمه أنه اعترف بأن قلبه يميل إليها .. وأنه يرى سعادته معها وإذا لم يتزوجها لن يتزوج أبدا ..

وبعد تردد ورفض من قبل أمه ، وقد رأت أم عبد القادر والدة برهان عزمه وتصميمه استسلمت لرغبته .. وأحبت أن ترى هذه الفتاة المطلقة التي أسرته وجذبته ودفعته ليتفوه أمامها بهذا الكلام الخطير والتهديد الصريح .. وأن تتعرف على أهلها .. والأب محمود الدين لم يعترض فقد ترك الأمر لولده ، وأنه هو الذي سيتزوج وهذه حياته ، وكان برهان يعرف والده وسياسته .. فوالده لا يحب تعقيد الأمور .. وكان برهان يريد صناعة منى من جديد ، وتعود ابنة صالحة للمجتمع، ولا تظل متعلقة بالغرب والانفلات ، واعتبر هذا الهدف غايته المهمة .. وإن أعجب بها وحريتها في الاختيار ؛ ولكنه يحب لها أن تختار الأجمل والأحسن ، وليس فقط التشبه بالرجال لتصبح من رجال الأعمال وأصحاب الشركات .. المرأة يجب أن تبقى المرأة .. فهل الحرية فقط أن ألبس وأسهر ؟ فقال ساخرا : يتشبهنّ بالرجال بلبس البذلات وقص الشعر والاجتماعات .. ثم يضعن أدوات الزينة على حواجبهنّ وخدودهنّ وأجفانهنّ .. قاتل الله الجهل !



رتب صاحبنا برهان أمر الأسرة قبل أن يحسم الأمر مع منى ، ثم اتصل بصديقته منى وحدثها

عن سبب تأخره في الرد .. فسرت من رده ومن موافقة أمه وأبيه ، واتفقا على عشاء آخر ، وكالعادة وفي نفس المطعم الذي دخل تاريخ حياتها التقيا ، وبعدما تناولا الطعام ورفعت الصحون والأواني وأحضر الشاي كالعادة أيضا قالت منى وهي تحاول أن تظهر طبيعية ، وليست منفعلة أو قلقة لأن برهان أعلمها بالهاتف موافقته : هل فكرت جيدا يا برهان باختياري زوجة لك وكنة لأمك ؟!

ـ فكرت بعمق يا أخت منى ، وقضيت الأيام الثلاثة أقنع أمي .. فزواج شاب أعزب لأول مرة من امرأة مطلقة مرفوض شيئا ما لدى الأسر كما تعلمين .. فمن الشائع لدى العوام أن المطلقة يتزوجها أرمل .. كبير في السن .. أو رجل متزوج امرأة ويريدها ضرة .. وغير هذا .. الناس يحبون أن يتزوج البكر بكرا .. ووالدي كما ذكرت لك على الهاتف لقد ترك للإخوة وحتى الأخوات أن يتزوجن حسب رغبتهنّ ، ولحتى الآن لم تطلق واحدة من زوجات الإخوة ولا الأخوات .. فالمهم أن تكوني أنت مقتنعة بي وميل القلب سيأتي فيما بعد .

ـ أنا لم أكن أتصور أن تصل هذه المعرفة بيننا إلى هذه النتيجة ، ربما لأن الرجال كانوا يمرون في حياتي كأرقام وأعلام ..وقلت لك سبب تعاستي وحقدي على جنس الرجال والد حازم .. لقد كان قاسي القلب معي .. فتراودني صورة وخيال .. أن أكون سيدة كبيرة ومهمة في البلد فيدخل عليّ الرجل مستعطفا متوسلا .. فأذكره بنفسي ثم أطرده شر طردة .. آه !

وقال برهان مقاطعا : وقلب أمه ألم يكن قاسيا ؟ أم حازم .

تفكرت لحظات وقالت : ممكن !!.. هي كانت رافضة كما علمت من حازم وأخته عبير .. فأنا لم أرها يا سيدي ولم أفكر بمقابلتها .

ـ قد تكون هي التي قست قلب زوجها عليك .

ـ هي لا تعرفني .. وكما أعلم فهي لا تتدخل في عمل زوجها ولا عمري رأيتها في الشركة .. ومع ذلك لم يخطر في بالي أن أقابلها ..غيرة .. تكبر .. ممكن .. كنت أعتقد بأنني سأفتح الصين والهند كما يقال بمسكي بزمام حازم .. في رأيك كان عليّ أن أحقد على النساء أيضا .. فلماذا

أحمل والد حازم كل الفشل ؟ لا أدري.. كنت أحلم بغرور .. كنت أرى أنني سأصبح سيدة ثرية وصاحبة مال كثير أنا والسيد حازم ، ربما الجلسات الشاعرية لم تدعني أعرفه جيدا ، هو يحدثني عن الحب والنساء ومغامراته الكثيرة مع البنات المتزوجات ، وأن أحدثه عن الشركات والأموال .. كنت أراه درجة في الصعود إلى هؤلاء الكبار أصحاب الملايين .. غدا سأجلس مع المليونير ناصر ومع المليونير فلان وفلان .. ولكني سأصعد اليوم على كتفيّ السيد برهان لا أدري إلى أين ؟ إلى أين يا سيد برهان ؟

ـ على الرحب والسعة ، فكتفايّ قادران على حملك لتري العالم من فوقهما .. لن أقصر يا عزيزتي سأضع كل ثروتي التي لا تتجاوز عشرة آلاف بين يديك .. وربما أنفقتها على زواجنا .

ـ والمكتب ؟!

ـ المكتب !! المكتب !! .. منى! منى ! هل أنت جادة بالزواج مني وموافقة وراضية بي ؟

دهشت منى للسؤال وللحركات التي بدت منه بعد كل هذه الحوارات واللقاءات فقالت بدهشة : ماذا تقصد أيها الإنسان؟! تسرب لقلبي قلق من سؤالك .. بعد كل هذا الكلام تسألني عن الرضا والموافقة ؟!

ـ أسمعي يا منى ولابد أن تسمعي ، أولا أحب أن أقسم لك يا عزيزتي بأنني راغب بك زوجة على كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم .

اضطرب قلب منى لهذا القسم وقالت: إنك تثير الحيرة والخوف في نفسي ! ما الأمر ؟! .. إن قلبي يدق بعنف؟! وكانت قد وضعت يدها على صدرها .

ـ مهلا أيتها العزيزة .. أنا سأكشف لك سرا وأرجو ألا يتغير رأيك فيّ ..

ـ أوه إنك تخيفني الآن وارتفعت دقات قلبي !!

ـ أنت شجاعة وصاحبة تجربة .. أحب أن تعلمي يا منى حتى لا تتفاجئي في يوم ما بأنني مخادع ومنافق وكذاب ومحتال ..

وكان لون وجهها يتغير مع كل كلمة يتفوه بها برهان ، وزادت دقات قلبها ، كانت تنتظر

مفاجأة قاسية ، فقالت باضطراب وقد حاولت أن تبدو هادئة : سر ! .. قل ما هذا السر ! .. هل أنت تسخر مني بالحديث عن الزواج وموافقة أمك وأبيك؟!

ـ يا عزيزتي .. أنا تعرفت عليك ودخلت حياتك من أجل الزواج منك ! .. ولم أكن أريد فتح مشروع أو مكتب تدقيق وإن كان هذا حلمي حقيقة .. ولكني فعلت ذلك لأصل لقلبك والزواج منك .. اهدئي لا تغمضي عينيك ..

فتحت عيناها وحدقت به وقالت بحيرة : لم أفهم منك شيئا بعد .. أين الخداع ؟!

ـ حسنا ستفهمين إن أصغيت إليّ جيدا .. أنا أريد أن أقول لك ذلك حتى إذا جرى الزواج الذي رسمت له وخططت له ، وتكتشفين فيها بعد أنه بدأ مزحا وأصبح جدا فتقولين عني مخادع منافق .. أوكد لك رغبتي بالزواج منك زوجة شرعية ، ولم أفكر يوما بأن أضحك منك واتخذك خليلة أو عشيقة ثم غيرت رأيي بعدئذ .. أتسمعين من البداية وتغفرين إذا كان في الأمر أي خطأ شنيع ؟!

أشعلت سيجارة وأخذت تنفث عليها بتوتر وما زالت ممتقعة الوجه وقالت: عجيب أمرك الليلة يا برهان !.. لقد سقط قلبي بين قدمي .. تؤكد لي بأنك راض بي زوجة وتقول أن هناك سرا .. اكشفه .. تكلم .

ـ سأتكلم .. كان باستطاعتي يا منى أن أتابع الزواج معك بدون كشف السر ووضع الحقيقة بين يديك ؛ ولكني رجل أخاف من الغد ومن كلام الناس غدا ..

ـ إنك ما زلت تضعني في دوامة ولغز .. تكلم يا إنسان ولا تخش شيئا

ـ سأتكلم بصراحة لأن الصراحة راحة كما قلت قديما.. أنا منذ مراهقتي ويراني الأصدقاء والأصحاب فتنة للنساء .. كثير من مراهقات الحي تعلقن بي وأغرقنني بالرسائل والهدايا .. ولما انتقلت للجامعة حصل لي مثل ذلك ، التفت حولي فتيات كثيرات من سنوات مختلفة ومن كليات مختلفة ، فكنت بين معارفي ألقب بفاتن النساء وأحيانا أخرى المصباح لتساقط بعض البنات عليّ أملا بالزواج مني .. لا ينقصني جمال وشباب وقامة ومال أيضا .. ومع ذلك لم أتزوج

لليوم واحدة منهنّ ، وأنا شريف مثلك يا منى ، ولا تسمح لي أخلاقي أن أكون زير نساء .. ولا تسمح لي أخلاقي وإن كان فيها سوء بالزنا والفاحشة ، فهذا أمر قبيح لدينا في الأسرة ، ولم يحدث أن وقع فيه أحد من إخوتي ولا أخواتي ..ولا نرضاه لأخواتنا وأهلنا ولا نقبله لبنات الناس .. حدثني أحدهم عنك وأنك عاصية على الرجال بعد طلاقك من السيد حازم فقبلت التحدي وعرفني عليك .

ـ عرفك عليّ .. متى ؟!

تبسم برهان وقال: أشار إليك وأنت مغادرة من الشركة والمعرض .. هكذا سار وهكذا كانت البداية .. ثم خاف الشخص عليك وسحب التحدي فيما بعد ، وخشي أن تتعلقي بي كالمراهقات التي ذكرت لك أمري معهن ، ثم أصدمك بعدم الزواج ؛ ولكن المغامرة استهوتني وأظهرت له أنني انسحبت وجرى الذي تعرفين تفصيله .. أنا دخلت حياتك عن علم ومعرفة وإرادة وتخطيط .

طرحت السيجارة وقالت : أمعقول ما أسمع ؟! ..

ـ ولِمَ لا يكون معقولا ؟!

ـ يعني أنك رسمت وخططت ووصلت لهذه النتيجة .. أريد شراء أثاث .. أريد مساعدتك إنك لجريء يا برهان .. أين كان عقلي وفكري؟!

ـ كان عقلك وفكرك معك.. وأنت تعاملت معيّ طبيعيا دون اهتمام بالحب والعشق الذي أردتك أن تقعي فيه من غروري وبناء على ذكريات المراهقة والجامعة وحتى البنك الممتلئ بالفتيات الأوانس والعوانس.. كان قصدك مساعدتي في الحصول على أثاث جيد ورخيص خدمة إنسانية للنصيحة التي طلبتها منك .. لم تنظري إليّ على أني فارس أحلامك .. أنت تعاملت معي كصديق ومعرفة تحبين خدمته .. وأنا عرفت ذلك وكل هذه المشاعر .. فقررت أن أتزوجك إذا وافقت ، فأنا أقر بأنني فشلت بأن أجعلك تعشقينني كما تعودت من فتيات غيرك ، وكما طلب مني من أجلك أنت ولأنهم يحبونك !

صفنت لحظات كأنها مذهولة ثم قالت : فعلا هذه مفاجأة كبيرة ..!!

ـ أنا أريدك يا منى ، وقد وافق أهلي فعلا على طلب يدك .. وأرجو أن أكون لك نعم الزوج .. والحب يأتي .. ولولا اقتناعي بك ما قمت بهذا الدور والاستمرار به ..لا أحد يضغط عليّ إنما بدأت فكرة وراقت لي وسلمت أمري للباري في علاه .

ـ عجايب الناس ! ومن الذي سلطك عليّ ؟!

ـ لن أقول الآن ، لأنه هو يعتقد أنني صرفت نظر عن التحدي وعن الفكرة الغريبة .. فإذا لم تقبلي بي قد تغضبين منه .. فأنا يا أخت منى أريدك زوجة .. هل توافقين عليّ بعدما سمعت اعترافي ؟ وإنني لم أوضع في طريقك صدفة ، وإنما كان بترتيب من نفسي .. لأتزوجك .

ـ مغامرة وجهد كبير بذلته يا برهان .. حيرتني يا رجل! أتريدني زوجة بصدق ؟! .. وليس تتمة للفِلم .

ـ أريدك زوجة بصدق .. ولو لم أردك زوجة بصدق ما تابعت التحدي .. وكان باستطاعتي الاختفاء من حياتك كأي رجل تعرفت عليه واختفى .. ولو لم أردك بصدق لما ظللت ثلاثة أيام أقنع أمي بالزواج من منى ربيع .. وأنا سأصعد وأحقق لك أحلامك وتصبحين بمشيئة الله صاحبة أموال وقصور .

ـ أنت ؟ أنت الذي ستصنع لي ذلك ؟!

ـ نحن معا .. لا تستهيني بقدراتي يا منى ، وأنا رضيت بك دون نساء العالمين .. سنبني أحلامنا معا ، فالذي وصل إلى قلب منى سيصل بها إلى كل الأحلام والسعادة . . وقبل المغادرة من هذا المكان الليلة سأسمع ردك ؟

ـ وهل تظن أنني سأرفض بعد هذا الاعتراف وكل هذا الحب ؟! .. أنت كما قلت لك سابقا ورغم ما حدثتني به الليلة إنسان ذكي وفطن .. ومع أن هذه حيلة كبيرة ؛ ولكنها تدل على عقل كبير وصبر جميل .. وأنا سعيدة يا برهان أن تقبل بي زوجة رغم أن هذه مغامرة عجيبة للوصول إليّ .. إليّ أنا ومع ما تعرفه عني من سيئات .

ـ أنا اعترفت لك بهذه المغامرة أو الخديعة للقصد الشريف ، وها أنت رأيت برهان .. إني أريدك فعلا لا مزحا ولا مقلبا ، وأيضا اعترفت ؛لأنه ستكون مفاجأة عندما نعلن الزواج .. عندما يعرف أحدهم أني خدعته أيضا بادعائي الانسحاب من التحدي .. ثم تعرفين الحقيقة من غيري فهذا مؤلم لي ولك ، فلربما لطباعك العنيدة كما قيل عنك ترفضينني غدا كزوج إذا عرفت هذه الحقائق وتظنين أني ضحكت عليك .. فالاحتياط واجب .

ـ ما زلت تثبت لي ذكائك وبعد نظرك.. معك حق وقد غلبتني ؛ ربما الأنفة تدفعني للغضب والثورة .. أنا معجبة بك وبطريقتك المدهشة للتعرف عليّ ، وأريدك كما تريدني ؛ ولكن اسمع لا تطمع بحبي وهواي الذي فعلت كل هذا من أجله .. نحن سنكون زوجين فقط .

ـ سأسعدك يا منى .. لأني اخترتك بكامل حريتي ، وإن كانت طريقة التعارف غريبة .. ولكن الظروف والأحوال بعد مشيئة الرحمن تحكم الإنسان أحيانا .. فلولا رغبة ذاك الرجل الغريبة ما عرفت منى ، ولا أكلت أنا ومنى معا ..ولا سهرنا معا .. القدر والنصيب أراد لنا ذلك ويحكم الله ما يريد .. أنا لست أصغر إخوتي ومع ذلك تزوجوا إلا أنا أليس هذا من قدر الله تعالى ؟!

ـ ماذا تريد مني ؟ وأنا معجبة بك وليس إعجاب العشاق .. افهم ذلك .

ـ أفهمه يا سيدتي .. أمي تريد أن تتعرف عليك وعلى أهلك قصدي أمك وأخوك مالك وربيع وحنين .

سرحت منى قليلا ثم قالت : رائع ! أنت تعرف كل أسماء العائلة .. أمك تريد أن تتعرف عليّ على كنتها وزوجة ابنها الباقي من غير زواج .. هكذا يفعل الناس .. أليست هي موافقة وما فائدة المعرفة ؟!

ـ عادات .

ـ نعم عادات .. ومن أجل هذه العادات طلقت أمي ، ثم طلقت أنا .. أنت تعرف عني كل شيء من قبل أن أشرحه لك يا خبيث ..

ـ ليس كل شيء .. أهمه فقط ..

ـ من هو مصدر معلوماتك ؟ .. مالك ؟!

ـ أخوك ؟! .. لا تشغلي بالك ، هو غدا سيفرح وغيره سيفرح ويتباهى أمامك بأنه السبب في دفعي إليك .

ـ لا يخطر في بالي أحد .. خليل ؟

ـ من خليل ؟! زوج أمك الحداد الغلبان المسكين .

ـ لا يمكن لخليل بفكره البسيط وطيبته أن يفكر بهكذا طريقة وحيلة ، ولا يعرف مكان عملي وسط هذه المدينة .. من يا سيد برهان ؟!

ـ ستعرفين قريبا ـ إن شاء الله ـ وستكون مفاجأة طيبة له .. أمي كيف ستراك ؟

ـ هل تحب أن نذهب إليها سويا الآن في هذا الليل البهيم ؟

ـ أوه ! .. أفعلها إذا شئت.. أنا أعرف أنك لا تحبين حي برقوقة ، وأنك ما زلت في شقتك المستأجرة .. فأرى أنه لابد لك أن تتصالحي مع حي برقوقة حتى نتزوج كما يتزوج البشر.. بضعة أيام وتكونين في بيت زوجك السيد برهان محمود الدين .

ـ حي برقوقة!! .. نعم .. لتعلم إنني لست كما قيل لك عنيدة ومتكبرة ولا أتخلى عن رأيي ولو كان خطأ كبيرا .. سأتصل بأمي وأفرحها بهذا الخبر ، وأني رضيت بالزواج من رجل مثلك يا برهان من أجل خاطر أمي .. وسأفتح صفحة جديدة مع السيد المحترم خليل .. آه يا برهان ! لقد سحرتني بنبلك وحبك .. هل تعلم أنك ستدخل السعادة بهذا الزواج على قلوب كثيرة ؟ ستجعلني أسيرة لك بفرحهم وحبهم لي .

ـ أنت عاقلة ومهما حاول الإنسان تغيير جلده سيعود إليه في يوم طال الزمان أو قصر .. ولكن القوم ربما لم يحسنوا التعامل معك أو أن التجارب الفائتة صقلتك بأسرع وقت .. رتبي الأمور حتى أقوم أنا ووالديّ وبعض أخواتي بزيارة برقوقة ونتعرف على برقوقة وخليل سيد برقوقة ثم نرتب اللمسات الأخيرة من هذه المسرحية أو الفِلم على قولك أو الرواية أو القصة الأسماء كثيرة هذه الأيام .. اختاري ما تشائين .. بس أرجوك أن تحذفي زجاجات الخمر من ثلاجتك

قبل تسليمها لصاحب العمارة .

ـ وحتى هذه تعرفها .. فمصدر معلوماتك قريب مني جدا .. أنا تخلصت منها منذ اللقاء الماضي وكنت واثقا من قبولك بي رغم أنني لست بالفتاة الجميلة البيضاء الطويلة القامة النحيفة ولست بالغنية لا أدري كيف قبلت بي يا برهان؟ هل هي شفقة وعطف وإحسان ؟!

قهقهة الشاب جزلا وقال : زواج يكون هكذا مصيبة في نظري مع أنه يحدث في ظروف معينة أرملة عندها أولاد .. يتيمة فقيرة .. أنا قد عرفتيني جيدا من هذه اللقاءات المتكررة أنا مقتنع بك بكل جوارحي وعقلي .. أنا معجب بك ليس عاطفيا فقط .. المهم أنت أن تقتنعي فيّ !

ـ أنا لا أنسى أنك أخرجتني من أزمة كبيرة عصفت بي يا برهان .. لقد لعبت دورك جيدا ، فأنت أول إنسان تعامل معي بأنني إنسانة.. وكان حديثك جادا وعمليا فأنت ممثل بارع على كل حال .

ـ هو ليس تمثيلا وإن بدأ كذلك .. هو حقيقة ولكنه أتى هكذا وبهذه الصورة .. كيف سأتحدث معك بالزواج ؟!.. أمن أول مرة أدخل عليك المكتب وأقول لك أريد أن أتزوجك بدون معرفة رأيتك في الشارع وأحببتك فتزوجيني .. كان لابد من حوار وجدال وقيل وقال .. هيا بنا طال سهرنا وتعجلي بالأمر .

ـ يقولون في العجلة الندامة .

ـ هذا في الشر وليس في كل شيء والله أعلم .

ـ ألا تريد أن نعيش فترة خطوبة ؟

ـ وهذه الأيام ألا تكفي فترة خطوبة؟!.. نحن خالفنا فيها كل الأعراف والأذواق ولكننا نعلق كل ذلك على شماعة الظروف .

قالت : ليس أمامي إلا أن أقول شكرا لك ، وأرجو أن تكون الزوج المناسب يا برهان، وأن تكون أول وآخر رجل في حياتي بعد ذاك الضعيف .. وسيكون لك مني الاحترام اللائق بك .

ـ سامحيه يا منى وأخرجيه من حياتك .. سنبدأ معا ، وسأضع على رأسك في يوم من الأيام التاج

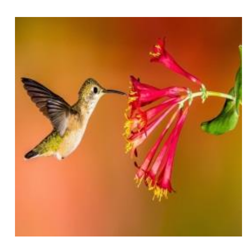
الذي تحلمين به مع أن زمن التيجان ولى ، فاليوم أكثر دول العالم جمهوريات ..

ضحكت منى: ما أحلى كلامك يا برهان! .. أنا خائفة أن نقف بعد حين قصير أمام المحكمة لينصرف كلٌ منا إلى بيت أهله .

ـ هذا في علم الغيب .. نحن الآن منسجمان ومتفقان والسعادة في أيدينا ويمكننا أن نحافظ عليها ونقويها .. إذا تفاهمنا وتحملنا بعضنا بعضا ، ولا ننسى أننا نعيش في أسر ما زالت محافظة وإن تراخت قبضتها بعض الشيء بسبب الغزو الثقافي والاقتصادي والسياسي والتقليد الأعمى ونحن فتحنا أوراقنا أمام بعضنا البعض ، وهناك بعض الهنات ستزول بمشيئة الله سبحانه .

ـ لن أكون معك عنيدة .. أحس هو إحساس أنك تفهمني .. سترى منى الفتاة التي تخرجت من الجامعة فقط .

ـ لا ، أريد منى التي استفادت من تجربتها الأولى .



عجبت منى وهي تقود سيارتها تلك الليلة عائدة للبيت من قصة برهان ، ولم تغضب وتثور ؛ بل أعجبت بحيلة برهان ، وأعادت ترتيب الأحداث ، فوجدت كلامه منطقيا وصحيحا ، وأنه دخل مكتبها زاعما الحاجة لشراء أثاث مكتب لفتح مكتب محاسبي .. أأحد يجهل سؤال الموظفين الذي أمامه ؟.. لم تفكر بهذه النقطة إلا الليلة .. وكانت تتذكر وتبتسم .. لم يتحدث معها عن الحب والعشق لتنتبه لمكره ، كان ينتظر أن تهيم به .. وفي النهاية سرت من هذه الطريقة والحيلة وأرضت غرورها ، والأهم من ذلك في نظرها أن هناك من يرغب بها زوجة صالحة.. واعترفت بأنها ساذجة ، وليس كما تتدعي بأنها ذكية وفطنة وتستطيع تفسير كل شيء وكل حركة وكلمة ، وقالت لنفسها : والله لم يخطر ببالي أن هذا الرجل جاء ليطرق باب قلبي وليس باب مكتبي .. لقد كان ممثلا بارعا ؛ ولكني ارتحت إليه ووجدته ناضجا وعاقلا وغير متعصب

للتقاليد والأصول .. ولم يقع في قلبي أنه يفعل ذلك للزواج مني إلا تلك المرة عندما طلب مني أن أبحث له عن زوجة .. فطنت لمغزى كلامه وأنه يلمح للزواج مني .. لكن من ذا الذي كلفه وأرسله إليّ وعرفه بي ليقوم بهذه الحيلة الكبيرة ؟.. سوف أعرف قريبا !

وظلت مشغولة الفكر والذهن وتراجع ما جرى بينها وبين السيد برهان منذ أول لقاء .. وأنها وافقت على الزواج دون مشاورة أحد من أهلها ، ولا مجال للتراجع .. ومن حسن حظها تلك الليلة الهامة أن السيارات كانت خفيفة في الشوارع وإلا صدمت في إحداهن وهي مشغولة الفكر ، وكانت الساعة قريبة من منتصف الليل عندما وصلت موقف سيارات العمارة التي تسكن فيها .. فلما أطفأت نور سيارتها ونزلت منها ، وقد تأكدت من إغلاق كل أبوابها ، لمحت سيارة قد أضيئت ووقف عندها شبح كان ينظر إليها وهو صامت ، فدققت النظر فيه لحظات فظنت للوهلة الأولى أنه مستأجر مثلها عائد من سهرة ، فلم تعره أي انتباه ؛ ولكنها لما وجدته ينظر إليها أعادت التحديق فيه ثم همست بصوت مسموع : مالك !

فقال بنبرة فيها حدة : نعم ، يقال إنني أخوك مالك .

مشت نحوه مرحبة ومصافحة: أهلا بك .. ما الذي أتى بك.. ونظرت للساعة على معصمها وقالت : بعد الثانية عشرة والربع .. ؟!

ـ نعم ، الساعة نصف الليل ، لي ثلاث ساعات أنتظرك يا ابنة المحترمين .. أين كنت ؟ هل يوجد سينمات لم تغلق أبوابها بعد ؟

ـ أين كنت؟! أين كنت؟! السؤال التقليدي .. تفضل لا داعي للثرثرة هنا .. هل من شيء خطير لتنتظرني ثلاث ساعات؟!

تنهد بعمق وقال : آه منك يا منى !

لم تثر منى في وجهه كعادتها عندما يحتج على تصرف وفعل لها ، فكان لا يعجبها احتجاج أو اعتراض أو حتى أي كلام ، لم تغضب ولم تثر في وجهه المحتج كالمعتاد منها دائما ، ويبدو أن مالكا قد دهش لعدم ثورتها وكذلك لهدوئها ، وقد يكون علله بالليل والوقت غير المناسب

للثورة والغضب ، ثم سمعها تقول ثانية: تعال ندخل ونتكلم في الداخل .. فأريدك أنا في أمر مهم وخطير .

تعجب مالك من هدوء أخته الغريب بالنسبة له فقال مرددا : أمر مهم ـ ومشيا نحو مدخل العمارة للصعود إلى شقة منى بعدما أغلق هو الآخر سيارته ـ على كل حال نحن اتصلنا بك أكثر من مرة ، ولما زهقنا من كثرة الاتصال ولم تردِي أمرتني أمك المسكينة بالمسير إليك .. خافت عليك ، خافت أن يكون أصابك شيء ولا تستطيعين الرد ، وأنا أقول لها صدقي يا أمي الطيبة أن منى خارج البيت في سهرة في مسرح في دار سينما .. وبعد انتظار ومحاولات نفذت أمر أمك المسكينة .. وجئت ولم أجد أختي الفاضلة المرأة المتحررة والتي لا تحسب للناس أي حساب ولا لأمها .. فعدت وجلست في سيارتي انتظر ؛ لأني لو عدت للبيت ستطلب مني الأم المسكينة العودة .. آه .. القلق .. قلق الأم ، وأكيد أمي الآن على نار ، ولو عند خليل أبي أحمد سيارة قد تكون أرسلته ليبحث عني أنا الآخر ..

سمعت منى تأنيب وعتاب مالك بصمت وهدوء ، كانت شقتها في الطابق الثالث فركبا المصعد إليها حيث الشقة ، وفتحت الباب وأنارت الإضاءة وقالت : أهلا بأخي العزيز مالك ! ادخل

ـ سأدخل مع إنني لا أحب زيارتك كما تعلمين ، ولا أحب دخول شقتك !

قالت مداعبة : ادخل .. من اليوم فصاعدا ستزورني وتشرب عندي الشاي وتأكل الطعام .

ظن مالك أن أخته سكرانة مع أنه لم يشم رائحتها منذ وقفا عند السيارة في موقف العمارة ، فقال متهكما : أشرب الشاي وآكل الطعام .. منذ تزوجت منى لم أرها تصنع الشاي وتصنع الطعام أنا خائف أن أشرب الخمر والدخان .

ضحكت وقالت : أنا أعرف أنك مالك! .. لا ، لن تشرب الخمر ، الخمر تخلصت منها .. اذهب إلى الثلاجة ولن تجد فيها خمرا .

أصيب بالدهشة التي لازمته منذ بداية هذا اللقاء . وهمس لنفسه إنها صاحية .. وهادئة بشكل غريب هذا اللقاء ورفع الصوت قائلا: منى ماذا تقولين؟!

ـ هذا ما حصل هجرت الخمر.. يا أخي المحامي ! ماذا تريد أمي الفاضلة من ابنتها الفاضلة ؟!

ضحك مالك لسخريتها وقال : أنا لا أدري لماذا أنت معقدة يا منى ؟ أنا اليوم مع ذلك أرى عجبا ! ألم يحن الوقت لتشفقي على أمك وتعودي للحياة معنا ؟ .. وما دمت ذكرت أنك تركت الخمر فالمشكلة انتهت وانحلت .. سنخصص لك حجرة خاصة لتنامي فيها وتدخني فيها كيفما يحلو لك .

ـ ماذا تريد أمك لترسلك إليّ في الليل ؟.. أم أنها بعثتك لترى هل أدخلت رجلا بيتي ؟!

ـ مسكينة أمك! لا تفكر بهذا الخاطر، فالأم ترى ابنتها أشرف فتاة تمشي على الأرض .. ربما وقع في قلب مالك مثل هذا ؛ ولكنه يعرف أخته جيدا.. أتهزئين من قلقنا وخوفنا ؟؟ لولا معرفتي الجيدة بك من هذا الناحية لاحترقت أعصابي يا منى .. والفجور لا يحتاج لشقة اليوم فالنوادي الليلية وصالات الفجور كثيرة وميسرة .. أمك أرسلتني .. أين ذاهبة ؟

ـ سأصنع لك القهوة ، وأنت تكلم مع أمك بالهاتف لقد نسينا طمأنتها علينا .

كان مالك متعجبا جدا من أخته الليلة فقال : أتصنعين القهوة ؟! .. اصنعي القهوة .. وراء القهوة الليلة سر !

دخلت منى مطبخها ضاحكة ، واتصل مالك بأمه التي لم تنم حتى تلك الساعة ، فهدأ من أعصابها وقال : الآن وصلت ولم تخبرني لحتى اللحظة أين كانت ؟! .. ربما كانت في حفلة عرس لإحدى صديقتها وتأخرت السهرة .. أنت تعرفين أين تسهر منى ؟ .. ألم نتجاور شهورا ؟!.. وها هي قد صنعت لي قهوة يا أمي أتسمعين يا أمي ؟ منى عملت لأخيها قهوة !

وذلك على مسمع من منى التي كانت تضع أمامه منضدة صغيرة وفنجان القهوة ثم قال مكررا : أتسمعين يا أمي ؟ منى صنعت لي القهوة ؛ فإذا حصل لي شيء فمن قهوة منى .. آ .. تتكلمين معها.. خذي كلمي أمك

تناولت منى السماعة من يد أخيها الممدودة وقالت : أهلا أمي .. أنا بخير .. أين كنت ؟ لم أكن في السينما ولا في حفلة عرس كنت أتعشى في أحد المطاعم مع أحد الناس .. لا تثوري ولا

تغضبي ستفرحين قريبا ، وسأعود للحياة معكم في حي برقوقة .. أجل والله وسأتصالح مع العم خليل .. سلمي عليه ..

خطف مالك السماعة من يد منى وقال لأمه : يبدو أن منى قد جنت يا أمي .. فأنا أسمع كلاما غريبا الليلة ! .. منى التي تريد أن تعيش على القمر ؛ لتكون فوق الناس ستعود لحي برقوقة .. يبدو يا أمي أن هناك زوجا في الطريق .

تطلعت منى في عيني مالك وقالت : أتعرف شيئا ؟

ضحك مالك وقال : سلام يا أمي يبدو أن قصة مهمة سأسمعها .

ووضع الهاتف والتفت لأخته وقال : أأعرف شيئا ؟! ماذا أعرف ؟!

قالت منى : اشرب قهوتك .. وقل لي هل تعرف شخصا اسمه برهان ؟!

ـ برهان .. من برهان هذا؟!

ـ مالك احلف بالله إنك لا تعرف شخصا بهذا الاسم

ـ من غير حلفان لا أعرف شخصا بهذا الاسم .. وحتى ولا زبون وعميل لنا في المكتب القانوني بهذا الاسم

فقالت كأنها تحدث نفسها: وهو قال إنه لا يعرفك .. من وضعه في طريقي؟! .. أخي مالك هناك شاب أو رجل يريدني زوجة.. ماذا تقول ؟

ـ أقول في ماذا ؟! من هو هذا الرجل ؟

ـ إنه برهان !!

ـ برهان .. من برهان هذا؟! تحدثي بالتفصيل الممل .. سأقضي الليلة هنا يبدو أن تغييرات كبيرة ستحدث في الدنيا

ـ بس في دنيا منى وأسرة منى .

أوجزت القصة بكل صراحة لأخيها فقال : والله هذا إنسان عجيب! .. يفعل كل ذلك ليتزوج منك .. ليصل إلى قلب منى ، وأي قلب قلب منى ؟! لف كل هذه اللفة الطويلة ليقول لك في

النهاية أتقبلين بي زوجة ؟ ..

ضحك مالك همهمة وقال : ومن أرسله ليقوم بهذه المهمة العظيمة والتمثيلية الغريبة؟!

ـ لا أدري ، ولم يذكر لي اسمه ، خشي أن يوغر قلبي عليه إن لم يحصل النصيب وإذا حصل النصيب سيكون مفاجأة لي ولهذا المحرض .

ـ منى أنت طبعا موافقة عليه!.. فأنت الليلة في ساعة تجلي وسعادة بينة ، الآن فهمت كل تصرفاتك ، والعجيب أنك تقولين لا تحبينه ومصدقة نفسك .. على كل ليس هذا مهما على رأي السيد برهان ، سيأتي الحب بعد الزواج فليأت كما يشاء .. مع أن في نظري كل عملكم هذا هو الحب الحب منكم الاثنان .. منى يا أختي الفاضلة أنت الليلة يجب أن تنامي في حي برقوقة وتتحدثي مع أمك.. فهي لن تصبر للصباح لتراك وتسمعك فأخشى أن تطلب مني أن آتيك ثانية .. وأنت طبعا مقتنعة به بعدما لف حول العالم ليصل إليك وبناء على طلب وتكليف من بعض الناس .. من يكون مرة أخرى أحد الناس ؟!

ـ وأنت ما رأيك ؟

ـ أنا أحب لك الزواج .. وأنت تعرفين ما يعني الزواج في حياة فتاة شرقية ، وفي أسرة تزعم أنها ما زالت محافظة .. أنت أعلم مني بفلسفة ذلك الأمر .. ورغم أن ذلك مريح لنا ؛ ولكننا نحب أن يكون زواجا متكافئا ومناسبا .. فلو لا سمح الله فشلت في الاختيار مرة أخرى ستبكين الدم بدلا من الدمع .. فإذا أنت راغبة بالسؤال عنه وعن أهله ؛ فأنا مستعد للقيام بهذه المهمة التقليدية التي لم تعد تغني ولا تسمن كثيرا في أيامنا هذه لقلة الصدق عند الناس في مثل هذه الأمور .

ـ لم يبق وقت للسؤال ، وتحدثنا عن أنفسنا بما فيه الكفاية .. وقد حدثتك عن الترتيب الذي جرت فيه الحكاية ، وقد وافقت وهو وافق ووافق أهله وبالذات والديه ؛ ولكن أمه تريد أن تراني قبل الزواج وتتعرف عليّ وعلى أهلي.. فأنا سأعود إليكم مؤقتا بضعة أيام .. فسيكون الزواج قريبا ربما بعد أسبوع أو شهر على الأكثر .. فهل عندك اعتراض ؟

ـ وهل إذا اعترضت ستعبرين اعتراضي يا منى ؟! .. رغم هذا فكلامك الليلة جميل وعقلاني وهادئ .. فأنا لما سألت السؤال العادي أين كنت؟ لم تثوري مع أنني كنت أستعد للمعركة وهيجان أختي منى.. ولكنك فاجأتيني حقيقة ، لم تتعصبي ولم تنفعلي مما أثار دهشتي ، فوقع في نفسي أنك قد شربت كأسا أو أكثر قبل مجيئك .. ولكن لا رائحة بادية منك .. فزادت دهشتي.. وهذا جميل وعظيم من هذا البرهان أن قلبك وغيرك بسرعة! ومع ذلك تدّعين أنك لا تحبينه ، مجرد مشروع زواج جديد يا منى ! الزواج أعظم من مشروع إنه حياة جديدة .. دنيا جديدة .. فأنا كم قبلت يديك وترجيتك لتدعي الخمر والدخان .. فلم تفعلي.. فاعلمي يا شقيقتي الغالية أن الرجال ليس كلهم واحد ومثل بعض ..

ـ أنا فرحانة ولن أتوقف كثيرا عند عتابك .. ولكنك تفكر مثل برهان .. عندما تحدثت عن حقدي على الرجال وبغضهم ، ومع ذلك تقبل الاتهام بروح طيبة ، بل قال لم لا تكون أمه سبب قسوة أبيه عليك .. جنس النساء .. فكابرت وحاولت أن لا أقر بذلك .. مع أنني أعرف رفض أمه الشديد لي ..

ـ أحسن الرجل! فهناك رجال طيبون ورجال سيئون والنساء مثل ذلك .. وحتى ممكن أن يكون في الرجل الواحد جانب طيب وجانب خبيث .. وهذا الرجل رائع من غير أن أعرفه الذي شككك في قناعاتك في فترة وجيزة .. أتعرفين لماذا ؟ لأنها لا تقوم على أساس صلب وقاعدة صلبة .. أنا أحب هذا الرجل بدلا عنك !

ـ فعلا أعترف لك أنني تغيرت يا مالك.. وأعترف أن هذا الإنسان فتل لي مخي بسرعة كبيرة .. هو جعلني أن أقتنع أنه ما زال في الدنيا خير وحب .. فأنا أعترف أمامك أن بعض الرجال ، وحتى من كانوا يسمون أصدقاء لنا أنا وحازم حاولوا توريطي في علاقات آثمة وليالي حمراء وصفراء .. وأن الزواج لم يعد مهما في حياة الناس.. ولما يشتاق الإنسان للأولاد فيذهب للملاجئ وقرى الأطفال فيتبنى ما يشاء منهم .. ولولا التربية التي ورثتها من الأسرة لانزلقت ولبغضي للرجال أيضا .

ـ الحمد لله على حفظه ، والله هذا ما كنا نخشاه جميعا عليك يا منى .. انبهارك بالغرب، وما يقال عن الحرية الواسعة كان يخيفنا ، وكم دعوت الله في جوف الليالي أن يحفظك الله .. فأنا ابن المدنية المعاصرة ، ونعرف الحفر الموضوعة لإفساد نساء المسلمين وبيوت المسلمين ..جزاك الله ألف خير يا برهان .. وحفظك الله يا اختنا الفاضلة .. ما أروع العفة والشرف؟!

ـ أشكرك .. على دعواتك الصادقة .. أنت لا اعتراض عندك ..

ضحك قليلا وقال باسما: على ماذا أعترض وأنتم موافقون؟! .. وستتعرف على النسيب والصهر قريبا .. هيا بنا فأمنا بانتظارنا .. وقبل الشاب أخته من رأسها قائلا: أنت الآن أحسن أخت في الدنيا .. كيف ستنامين الليلة في حي برقوقة بعد كل هذه السنوات ؟ وهل سيحصل نوم الليلة أصلا ؟! .. نحن سعداء وفرحون أكثر منك .. نحن أناس بسطاء يا منى سمعتنا وشرفنا أغلى ما نملك .. هيا أسرعي خذي ما يناسبك من الثياب ، وأنا بشوق لأرى وأقابل هذا الرجل الذي أعاد لك عقلك وقلبك القديم قبل أن نتعرف على أصحاب الملايين .

ـ وأنا أريد أن أعرف من أرسله إليّ .

قامت منى وأدخلت الفناجين الفارغة إلى المطبخ ، وتبعها مالك وفتح الثلاجة وقال : فعلا لا يوجد فيها المشروب الخبيث .. كادت أمك مرة أن تشرب من إحدى الزجاجات معتقدة أنها قنينة ماء لولا رائحتها الكريهة التي ملأت خيشوم أمك .

تبسمت منى وقالت : والله تألمت يومها .. وعجزت عن التصرف ..

ـ أنا سعيد بما حصل يا منى رغم أنه في عرفنا غير لائق ؛ ولكنه في عرف منى مشروع وحق .. لا تغضبي دعيني أتكلم بحرية .. أختك حنين ستفرح فرحا لا يعلمه إلا الله .. وأمك وكل الناس في حي برقوقة وحتى خليل الأب الروحي لنا .. أين أنت يا سيد برهان؟.. لأقدم لك ألف تحية وتحية عما صنعت .. دائما الأزواج يصنعون النساء ..

كانت منى تضحك من شدة فرح مالك ، وهي كانت تتوقع ذلك وتعرف الخوف الذي كان يخيم عليهم من أفعالها وتصرفاتها ، ولما سمعت كلام مالك الأخير قالت : يجب أن تقدم التحية

للشخص الذي أرسله وأقنعه بهذه المغامرة أو المصيدة التي ورطته بالزواج مني ، بالزواج من منى ربيع .

ـ هو أيضا يستحق مليون تحية .. ولماذا فعل ذلك؟! وما يهمه من أمرك ومن زواجك ليطلب منه خوض هذه المغامرة الغريبة .

ـ أنا في البداية عندما كاشفني برهان بهذه الحقيقة دهشت وعجبت .. ولكن برهان شجاع وذكي، وهذا يثبت لي أيضا تعوده على مجالسة البنات وفهم خباياهنّ، فلم أشعر أنه يمثل دورا ما في أي لحظة ما.. ولولا ذلك ما قام بهذه المغامرة الغريبة .. فهو دائما كما قال كان يقوم بدور المصباح كما كان يسميه أصحابه لمطاردة البنات له.. فهو هذه المرة قلب الأمر .. أنا أصبحت المصباح وهو الفراشة .. فقام بمطاردة امرأة ومطلقة .. ركز على مطلقة يا مالك.. مع أنه عازب لليوم ولا يوجد عنده عيب يمنعه من الزواج .. فلما حدثني بالحقيقة العجيبة مساء اليوم الفائت ظننت أنك تعرفه، وأنك متآمر معه وسلطته عليّ ؛ ولكنه نفى معرفته بك ، وقال سيكون ذلك مفاجأة لنا ولمن طلب منه ذلك ثم سحب تحديه .. فالرجل المكلف خاف على مشاعري من الصدمة إذا لم يقتنع بي برهان زوجة .

فقال مالك مخمنا : ربيع .. أخونا ربيع ولكن من أين عرف برهان هذا؟! عدنان زوج ابن خالتك؟

ـ عدنان ابن أخت خليل .

فكرت لحظات ثم قالت : والله ممكن !.. ولكنه لا يعرفني شخصيا ، ولا أذكر أنني رأيته ليهتم بي وبمشاكلي .

ـ عدنان .. ممكن عن طريق ابنة خالتك إذا حدثته عنك وعن أحوالك الشاذة في نظرنا فأشفق عليك وأرسل صاحبه هذا .

ـ على كل سنعرف قريبا هذا المحب لنا .. ولكنك يا أخي يا مالك لم تخبرني للآن لماذا أرسلتك أمي إليّ ؟!

ضحك مالك وهما يغلقان باب الشقة ويركبان المصعد وقال : لم يعد الكلام مناسبا بما جئت به إليك ؟

ـ أزوج آخر؟!

ضحك كثيرا وقال: لا .. وهل نستطيع نحن أن نأتيك بعريس؟! يا سيدتي هذا أخوك ربيع وجد لك عملا حيث تعلمين ، فتحدث مع أمي ، فاتصلت بك لتقول لك ذلك فلم تجدك ، ثم اتصلت عدة مرات فخافت عليك فأرسلتني .



العودة لبرقوقة

قالت منى لمالك: إذا صار نصيب وتزوجت من المدعو برهان .. بالتأكيد سنرحل لبيت خاص به .. فأي شيء من أثاث وأغراض هذه الشقة يلزمكم فخذوه قبل بيعه .

قال مالك: لما يحصل النصيب نفكر بالخلاص من هذه الأغراض والذي يريد شيئا نرسله له .. امش .

وركب كل واحد منهما سيارته منطلقين لحي برقوقة بعد ساعات من نصف الليل ، وساروا على أضواء الأعمدة الكهربائية والسيارات والسماء نحو برقوقة .. وكانت مشاعر وخواطر تدور في رأس ودماغ منى وهي تعود إلى ذلك الحي الذي ولدت ونشأت وترعرعت فيه .. فلما وصلت أمام بيت خليل أصابها اضطراب مفاجئ فلها سنوات هاجرة لهذا المكان وهجرته بغضا له.. همست لمالك الذي وقف بجوارها عن اضطرابها فقال : هي أيام معدودات وستغادرين حي برقوقة الذي تستائين منه.. ألم تقولي لي ذلك يوما ؟ بس احذري التشاؤم منه فنحن نحبه . فتح مالك الباب الخارجي بمفتاح يحمله معه، ودخل وتبعته منى ، وقد أغلقت الباب وراءها وكانت إضاءة البيت تنير مدخل البيت .. البيت عبارة عن طابق واحد مكون من عدة حجرات.. كانت جميلة تقف على باب صالة البيت تنتظر رجوع مالك .. فمنذ سمعت صوت ماتور السيارة تهيأت وخليل لاستقبالهم .. هرعت إليها منى وعانقتها ؛ وكأنها لم ترها منذ عهد.. وتقدمت من خليل الذي كان يقف قريبا من زوجته وسلمت عليه وقبلت يده وهي تتمتم بكلمات الاعتذار والعفو والأسف ، فاحتضنها مقبلا رأسها ومداعبا لشعرها وسامحها وقال : أهلا بك يا ابنتي .. البيت بيتك .. الحمد لله الذي أحياني ورأيتك تعودين إلينا فأنتم دنياي .

ـ أنا آسفة جدا يا عمي بما سببته لك من آلام وهموم .

ـ ما فات مات .. نحن أبناء اليوم ، فمرحبا بك يا منى ، ولا نقول إلا قدر الله وما شاء فعل.. والحياة تجارب ، وتجارب الناس تتفاوت في هذه الدنيا .. يا ألف مرحبا وسهلا .

وروت لهم ما جدّ من حياتها ، ففرحت أمها بما سمعت ، وقال خليل : هذا والله ابن حلال ويعرف الأصول .. أتمنى لك التوفيق والعزة يا ابنتي .. وسنتعرف على الأستاذ برهان وأهل برهان .. فهذا هو الصحيح يا منى .. فوسائل التعارف بين الناس كثيرة ولله الحمد .. والأهل درء لحل المشاكل الزوجية إذا استعصت على الزوجين ، كلمة من الأم ، وكلمة من الأب ينصلح الحال.. مع أن كثيرا من المشاكل اليوم بين الأزواج من الأهل .. ولكن الأهل لهم دور مهم في حياة الأولاد .. الأهل لازم أن يتعرفوا على بعض ، ويوافقوا على الزواج لاستمرار الزواج والحياة الزوجية .. العداوة مرة .. لن نعود للحديث في الماضي اطمئني .. صفحة وطويت .

قالت منى: تحدث كما شئت يا عمي .. وكما قلت الحياة تجارب .. كانت الظروف يومها قد دفعتني لقبول الزواج الغريب .. فتحدي حازم لأسرته والإصرار على الزواج مني رغم رفضهم الشديد .. هذا ما دفعني لتجاوز الحدود واللياقة .. وحازم إنسان رائع ؛ ولكنه ضعيف أمام أهله ولم يحتمل الصراع والمعركة .. تكلم بما شئت واعتب كيف شئت .. !

فقال خليل أبو أحمد بحماس: أتحبين أن أذهب واسأل لك عن عائلة برهان وأهله ؟

ـ الشكر لك .. تطوع مالك للقيام بالمهمة ، وقلت له لا داعي فهو قد حدثني عن أهله بالتفصيل فهم أناس مثلنا ماليا واجتماعيا .. ولما يحضروا تحدث معهم بما شئت واسألهم عن أنفسهم بما شئت .. فكلمة جميلة سمعتها منه واصفا للعائلة طربت لها هو ليس أصغر الأسرة .. تزوج أخوته ، ولم تطلق زوجة ، وتزوجت أخواته ، ولم تطلق واحدة منهن .. فهو سيسعى أن لا يحصل ذلك في حياته .. رغم أنني المرأة المطلقة التي ستكون بينهن .. الشاب مقتنع بي جدا ، ونحن تعرفنا منذ أقل من شهرين قد مضيا ..

ـ كلام جميل ووعد حسن ، والتوفيق بأمر الله سبحانه ، وهذا فال حسن .. وأنت تستحقين كل خير وسعادة وحب .. وأنا جاهز للقائهم في أي وقت تحبينه .

ـ بوركت يا أبا أحمد أيها الوالد الطيب .. فأنا ابنتك مهما حصل بيننا .

ـ أكيد .

في مساء اليوم التالي ذهب برهان ووالداه وأخت له لزيارة بيت أبي أحمد الحداد خليل، واستقبلتهم العائلة خير استقبال ، وتم التعارف بين العائلتين ، ولمست أم برهان طيبة جميلة وزوجها الحداد خليل ، وانشرح صدرها لهم ولهذا النسب كما قالت وكأنها تعرفهم منذ زمن وتم الاتفاق على الزواج على حسب رغبة الزوجين برهان ومنى ، وتركوا أمر ترتيب إجراءات عقد القران والزواج للشابين ، وبعدئذ غادر الضيوف البيت فرحين متفقين لولادة أسرة جديدة يتمنون لها الحياة والديمومة والسعادة .

وعند انصراف القوم قالت منى لبرهان وهو يصافحها مودعا: لم تحصل المفاجأة التي حدثتني عنها .

ضحك وقال لها ولمالك القريب منهما : ستحصل .. ربما بعد أيام .. ربما بعد انصرافي ، سوف تحصل وتعرفين من رماني عليك .. شكرا يا مالك .. أنا أتشرف بكم وبهذا النسب .

فقال مالك خجلا : بل نحن نتشرف بك وبأهلك .. حياك الله يا برهان .. أنا أحببتك قبل أن أراك منذ سمعت القصة .. إذا منى لم تحبك بعد كما تدعي فأنا أحبك .. ولا يهمك فما زال عندها بعض بواقي الماضي .. لي كلام كثير معك .

كان مالك يتكلم ومنى تنخز فيه ليصمت فقال برهان : شكرا ، وسيكون بيننا كلام ولقاء فنحن قريبا سنصبح أهلا .

ـ نحن أصبحنا أهلا منذ ليلة أمس .. حياك الله وبياك ..

ورفع برهان صوته مودعا أبا أحمد الذي عقب بعد انصرافهم : هؤلاء هم الناس يا جميلة !!

ضحك الجميع على تعليق خليل ، وأدركوا أنه مبسوط من هذا الزواج ، ودخلوا للبيت مسرورين ، ثم اتصلت جميلة بابنتها حنين فور دخولها ، وأخبرتها بخطبة منى ، فاستغربت من ذلك فهي لم تسمع شيئا عن الأمر ، واستغربت أكثر لما ذكرت لها اسم العريس وعائلته وقالت بلهفة : أنا قادمة الآن وسأتصل بسعد الدين .

فلما سمع سعد الدين كلام حنين استأذن من والده للعودة للبيت فعاد مسرعا، ولما تناول عشاءه

كان يقول : برهان صاحبي يا حنين ؟!

قالت : أنا لما سمعت اسم برهان قلت لفسي إنه صاحبك برهان .. هل حدثك بشيء ؟!

ـ لا ، منذ عهد قريب التقينا بعدما خرجت أمه من المستشفى ، زرته مع أمي وأبي كما تذكرين ولم يحدثني عن زواج ولا غيره .

ـ هل تظن أن هناك برهان آخر .. هيا أسرع .. تكلمت معي أمي وقالت إن أناسا أتوا لخطبة منى ، وإنهم اتفقوا قبل قليل ، ولما سألتها من هو العريس وعائلته ؟ ذكرت اسمه واسم عائلته ولكن اسم العائلة ذهب عن بالي لما سمعت اسم برهان .. وهم من سكان حي (أبو حسبة) فلما سمعت الاسم قلت لعله صاحبك برهان الذي عرفتني عليه مرة فقلت لها إنني آتية واتصلت بك .

ـ صدقي أنني لا أعرف شيئا.. يبدو أن الأمور جرت بسرعة .. هيا بنا نذهب ونسمع .. وهذا اسم حينا القديم إذا كنت تذكرين .

قالت: المهم أن منى عادت لحي برقوقة وتصالحت مع عمنا خليل .. أتصدق ؟

ـ منى ؟ وأين تعنتها ؟! .. لابد أنه برهان صاحبي .. فهذا إنسان ساحر .. سوف ترين منى أخرى غير التي كنت تعرفينها إذا كان الرجل فعلا هو برهان محمود الدين ..

ـ والخمر ؟!

ـ لا أدري ؛ ولكنها ستهجرها بالتأكيد ..

ـ اتصل بصاحبك برهان لنتأكد هل هو العريس ؟

كان سعد يهز رأسه وهو يفكر بما سمع من معلومات وهو يقول : أكيد برهان.. لقد سخر منا عندما تظاهر بالانسحاب .. عندما رأى خوفنا وقلقنا أظهر لنا انسحابه .. أنا أعرف برهان جيدا .. إنه ماكر!

اتصل سعد في بيت صديقه برهان فلم يجده ، فتحدث مع أمه التي أكدت له أنهم قبل قليل عادوا من حي برقوقة ، وقد طلبوا لبرهان فتاة من ذلك الحي ، فشكرها وبارك لها ، ووعدها أن

يتصل مرة أخرى ببرهان ليبارك له ، والتفت لزوجته بعدما وضع الهاتف قائلا : عملها المنحوس! .. نعم عادوا قبل قليل من حي برقوقة وقد اتفقوا على الزواج .. سنذهب لأمك ونسمع منهم الحكاية .. ولا تتكلمي بشيء حتى نرى برهان ونعرف منه تفصيل كل شيء يا حنين .. ولابد أن أحداثا حدثت لتغير منى من أفكارها وعنادها وتعود لحي برقوقة بالذات ، وهي التي كانت تقول عنه عندما نتناقش في ذلك إنه جهنم الحمراء

ـ معك حق .. نلزم الصمت حتى يتضح كل شيء أمامنا .

غادروا العمارة بعد أن مروا على والدة سعد وأخبروها بأنهم ذاهبون لبيت الحداد خليل عم حنين استقبلت جميلة ابنتها بالأحضان كعادتها وبفرح ظاهر للعيان ، وقبلت زوج ابنتها، وفعل مثلها المعلم خليل ، ورحبوا بهم ترحيبا كبيرا ، وحتى مالك ومنى التي كانت تضحك لأختها وهي تستعد لسماع الكثير من الكلام والغمز شاركوا في الفرحة من جديد، وقال سعد مخاطبا لعمته : يبدو يا عمتي أن أمورا كثيرة حدثت في البيت !

قال مالك : معك حق يا سعد !

فقال خليل : أرأيت يا منى يا ابنتي كم يحبك الناس ؟!

فقالت حنين : حدثونا بكل شيء .

فقال مالك : لا شيء ، شاب اسمه برهان من حي (أبو حسبة) يعمل محاسبا في أحد البنوك تقدم لخطبة يدها ، وقد وافقت منى على الزواج منه عن رضا وطيب خاطر ، وجاء أهله لمقابلتنا حسب الأصول وقد وافقنا .

قالت حنين متضاحكة : لا ، لا .. لابد أن هناك تفاصيل كثيرة حدثت لتوافق أختي الغالية منى تعالي يا حبيبتي إلى حجرة أمك لتشرحي لي كل شيء .. لقد بكينا وترجينا من أجل أن تعود لعقلها ولحي برقوقة يا مالك .

أمسكت منى بيد أختها الأصغر منها، ونهضت قائمة ومشتا نحو غرفة أمهم، وفيها سمعت حنين تفاصيل تعارفها على برهان، ولما انتهت منها قالت حنين بحماس وفرح : والله ولد جدع

لقد استطاع أن ينشلك من الضياع والغربة .. يا له من مقدام !

ـ أتعرفينه يا حنين ؟!

سكت حنين لحظات وقالت: أأعرفه؟! من أين سأعرفه ؟ هل ترين أنني أسمح لنفسي مثلك بالجلوس مع الرجال الأجانب ؟!

ـ نسيت أنك شيخة .. هيا نخرج أكيد سعد الدين زوجك مشتاق لمعرفة أسرار هذا الانقلاب لقد كان يتضايق مني كثيرا !

ـ ويلك ، وهل في العائلة أحد لم يتضايق منك حتى ربيع ؟!

وكان هؤلاء خلال خلوة البنات يتحدثون عن الحياة والسعادة والانسجام وأهمية التكافؤ بالزواج .. ولزم سعد الدين التجاهل من حيث معرفته ببرهان رغم انفعاله الشديد لم حدث ، ولما عادت البنتان كانوا قد شربوا القهوة والشاي ، وما زالت الفواكه موضوعة على منضدة أمامهم ، فتناول سعد واحدة ودفعها لمنى وهو يقول : مبارك يا عروس ..

ـ أهلا سعد ، وبارك الله فيك وقد أعلمت امرأتك بتفاصيل المعركة التي دارت بيني وبين السيد برهان وستنقلها لك ..

ـ معركة !! وهل كنتم يا منى في معركة ؟!

فقال مالك غامزا: يظهر يا سعد أنك من الفرح نسيت منى.. ونسيت قساوتها عليك وأنت تحاول تليينها علينا .. ونسيت محاولتها عرقلة زواجك من حنين .

نخزت منى مالك بقوة وقالت : أما زلت تذكر؟! لقد سامحني سعد ، أليس كذلك يا سعد ؟

ـ لقد نسيت .. منى تحبني وتحترمني ؛ ولكنها كانت تكابر وتظن أن القوة بالجاه والغنى فقط فالأخلاق قوة .. أنا مسرور لما حدث لك يا منى .

ـ هل سامحتني يا سعد ؟ .. ربما كنت قاسية عليك في تلك الأيام .. أنا فعلا كنت أمر بعاصفة وأحوال صعبة ؛ ولكن هذا الشاب استطاع قلب تفكيري وردي للحياة البسيطة التي عقدتها اليأس مشكلة .. انهيار الأشياء الكبيرة مشكلة أكبر .. وبالفعل ليس الطلاق والفشل هو نهاية

المطاف أو الدنيا .. أنا جد سعيدة بمشاعركم التي أراها نحوي .

ـ أنا سامحتك اليوم وأمس يا أخت منى .

فقال مالك مداعبا : واعلموا أن منى قد حرمت على نفسها الخمر ، رغم ما بذلنا من جهد وعرق وكلام ونصح وتهديد لترك هذا الجرم ، ولم تكترث لنا ؛ ولكن كلمة من الفارس الشجاع برهان عادت لعقلها الذي حاولت إذهابه بالخمر.. بقي الدخان وستتخلص منه قريبا هكذا وعدني برهان .

ضحكت منى وقالت : الدخان أنتم تعلمون أنني لم أدخن ، ولم اسكر إلا لما ارتبطت بذلك المدعو حازم ، وذكرت لبرهان سبب تعلقي بهما .. والأحداث أثرت فيّ .. ولست بالشرهة والمدمنة في كليهما .. هؤلاء القوم عندهم الخمر والقمار جزء من الحياة .

فقال خليل : الحمد لله على نجاتك من ذلك ومنهم أيضا .

فقال سعد مشجعا : ألف مبارك يا أختي يا منى .. وإن شاء ستتركين الدخان كما تركت المنكر.. أنت على وشك ولادة جديدة .. فكلنا كان خائفا عليك من الضياع والمزيد من الانحراف .

وقضى القوم سهرة رائعة وممتعة فرحين بعودة منى لحظيرة العائلة ، وشاكرين لهذا الشاب الذي استطاع أن يحدث فيها هذا التغيير الذي كان بعيدا في نظرهم ولم يستطيعوه .. وبينما هم في سرورهم اتصل ربيع من بلاد الغربة وعبر لهم من هناك عن سعادته وفرحه الغامر ، فقد كان مالك قد اتصل به فلم يجده ، وتحدث مع زوجته وحدثها عن خطبة منى مرة أخرى ، فلما عاد للبيت روت الزوجة له الخبر السعيد فبان الفرح على وجهه ، واتصل بهم وشاركهم فرحهم وسعادتهم ، وتكلم مع أمه وزوج أمه ثم مع منى وبارك لها العودة للبيت وزواجها وأبدى شوقه لمشاركتهم سهرتهم والتعرف على زوج منى والالتقاء به .. وتحدث مع حنين أيضا وزوجها سعد .



عقد قران منى وبرهان بحفلة صغيرة تمت في بيت الحداد خليل ، واتفقوا أن يكون الزفاف في وقت قريب .. فعرضت منى أثاث بيتها من ثلاجة وغسالة وأواني على برهان فاعتذر عن ذلك وقال : لست متكبرا على ذلك .. ولكني أحب أن أشتري كل شيء جديدا .. فاهديها أو تصدقي بها ..

ولما انتهى كلامهم عن تأثيث البيت ، وعن مكان السكن ، قالت منى : لي زمن منذ جئت بأهلك إلينا لا أراك تدخن يا برهان .. حتى أن مالك قال لي إنك لا تدخن، فأقسمت له أنك تدخن ، وقد كنت تشعل لي أحيانا السيجارة .. وقد قدمت لي مرات السجائر نفسها .. في الشركة وفي المطعم .

ضحك برهان وقال : للأسف لا أملك ثمن الدخان.

ـ أتسخر مني؟ أنا كنت أريد أن أسألك عن ذلك منذ ذلك اليوم .. ولكني قدرت أنك لا تريد أن تدخن أمام أمي وعمي خليل لكرههما للدخان .. وعدم حبهما الدخان والتدخين .. فلذلك عندما أريد أن أدخن أدخل حجرتي الخاصة التي أنام فيها.. فهم يكرهون رائحة الدخان مع أنهم يستنشقون رائحة دخان السيارات والباصات .

ـ هناك فرق .

ـ صدق لا فرق كله دخان .. ولكن ليس هذا مهما الآن .. فيمكنك أن تأخذ راحتك في بيتنا هذا ، وتدخن كما تشاء وخذ هذه السيجارة هدية مني .

تناول برهان سيجارة منى وأخذ يمزقها ، ومنى تنظر إليه بغضب وحيرة ، ثم رماها في منفضة سجائر موضوعة أمامه فقالت : لماذا أتلفتها ؟ ألا تدخن هذا النوع ؟ أنا لم انتبه لنوع وماركة سجائرك.

ـ أنا لا أدخن فعلا كما قال مالك .

أخذت منى بالضحك العالي وقالت : أنت لا تدخن لو لم ترك عيناي هاتين ـ وأشارت لعينيها ـ لربما صدقت أنك لا تدخن .

ضحك برهان وقال جادا : صدقي يا منى بأنني لا أدخن .. إنما دخنت مضطرا .. فأنت تعرفين أن السيجارة أصبحت اليوم وسيلة للقلوب والحديث . وزاد في الضحك .

صرخت قائلة : ماذا أسمع ؟!

ـ دخني يا منى .. إذا الإنسان ما امتنع من نفسه لن يمنعه أحد .. فمرضى القلب المدخنون يمنعون عن التدخين فيدخنون .. بس أنا لم أكن أدخن ، إنما كان ذلك وسيلة وأداة من أدوات المغامرة التي قمت بها لغزو قلب الفاضلة منى ربيع ونجحت .

ـ فعلا نجحت يا برهان .. ولكني لم أعرف من رماك عليّ لحتى اليوم .

ـ لليوم ؟! .. ألم يحاول كشف نفسه ؟

ـ أأعرفه أنا ؟

ـ نعم تعرفينه ؛ ولكن يبدو أنه لا يريد إظهار حماقته ، لا أدري خوفا منك أم مني يا سيدتي الكريمة !

أمالت رأسها قريبا من رأسه وقالت : اهمس في أذني من هو ؟

ـ سأهمس عندما يأذن لي .

ـ يا رجل فكرت بكل الناس ولم أعرفه .. أتعرف شخصا اسمه عدنان جابر؟

ـ عدنان جابر .. ابن أخت خليل ؟

ـ آ ..

ـ نعم ، تعرفت عليه وهو شاب محترم وناضج وفاضل ، وهو صديق لأخيك ربيع كما فهمت من أختك حنين وحتى من مالك .

ـ هم أبناء حارة واحدة .. وكلاهما ربيع وعدنان تزوجا من أقارب أمي .. فربيع أخذ ابنة خالي وخاله .. والأخ عدنان جابر تزوج ابنة خالتي .. عرفتك عليها يوم كتب الكتاب .

ـ أجل وقد دعانا عدنان لغداء أو عشاء حسب رغبتنا .. فشكرته .

ـ نعم هو رجل محترم فعلا .. هل تعلم أنه فكر يوما بالزواج مني ؟.. عندما أراد الزواج ذكرني

ولكني كنت مرتبطة بالمدعو حازم من غير عقد فأخذ ابنة خالتي .

ـ الزواج كما يقال قسمة ونصيب ، مع الاختيار الكامل للإنسان فهو قدر من الله .. لماذا اختار فلان فلانة ؟ ولماذا رضيت فلانة بفلان ؟ .. فهذه قدر مقدر.. كنا تحدثنا مرة عن المشاريع ، وقلت لك فكري لنا بمشروع تجاري نتشارك فيه .

أدنت رأسها من أذنه ثانية وهمست قائلة : مكتب تدقيق كما تحب وتحلم

تنهد قائلا : إيه، والله إنه حلم لي ! وهو حلم بسيط ليس كأحلام منى كما أعتقد .

ـ خلاص أنشئه ودعني أعمل مديرة له حتى تتقاعد من البنك .. أم تفكر بالاستقالة ؟

ـ المكتب المشكلة يا منى لا يحتاج لغة إنجليزية وترجمة .. كل الحسابات تجري بالعربية ربما نكتب الأرقام بالإنجليزية .. سأفكر لك بمشروع تقر به عينيك وتعرفين من هو برهان ذاك المغامر الصعلوك الذي دخل حياتك رغم أنفك .

ـ أحسنت رغم أنفي فعلا ! .. أنا لما تعاملت معك صدق أن الزواج لم يخطر ببالي .. لم أقف مفكرا طويلا عند اقتحامك لمكتبي ذلك النهار ، ولم أسأل نفسي لماذا دخلت عليّ بتلك الصورة البريئة ؟ الرجل الساذج البسيط الذي يخاف أن يشتري مكتبا وأثاثا بدون مشورة أحد .. ويخشى أن يضحك عليه ، وأتعاطف معه وأصدق أنه إنسان طيب مسكين بحاجة لمساعدة ومشورة .

ـ كان لابد من فعل ذلك في نظري لتتعاطفي معي .. دخلت فتظاهرت أنني حائر لا أدري أين أذهب ؟.. ثم دفعت باب مكتبك ودخلت وبصوت ناعم ضعيف أذكر حاجتي وكلي خجل وحياء .. وكنت أحسب أنك رأيتني ولو بطرف عينك عندما دخلت المتجر من وراء الزجاج ولو من غير شعور أو اكتراث ..فاعتقدت أنني إنسان حائر جاهل بالمعرض .. واتجهت إليك من دون الآخرين عفويا وبدون قصد .. فدبت فيك الحمية العربية وأحببت مساعدة هذا المسكين ـ وسكت لحظات ـ وكذلك لإرضاء غرورك .. لا تنكرين .. فكل عيون العاملين كانت تراقبنا وتريد أن تعرف ما الذي جرى؟ .. ولماذا دخل هذا الرجل الأنيق الوسيم مكتب

منى وتحدث معها ؟

ـ داهية ماكر يا رجل! لابد أن ذلك حصل معي .. منحوس أنت.. بل تشاجرت مع بعض العاملات من أجلك .. ثم تشاجرت مع المدير من أجل هواتفك .. أقر لك بأنك مغامر جيد وتفكر بردة فعل خصمك .. أو الشخص المقابل لك .. وأكيد أنك قارئ جيد .

ـ أنا قارئ جيد حقا.. وأحب قراءة الكتب المثيرة ولدي الكثير منها .. ستجدينها في شقتنا إن شاء الله تعالى .

لما حضر المعلم خليل من شغله ، وتناول الجميع العشاء ، واندمج خليل وبرهان بالحديث ، ونسوا منى التي تحضر لهم ساعة فاكهة وساعة تصنع شايا وساعة قهوة ، ولحظ مالك غيظها لإهمالهم لها ، وكان مالك السامع أكثر منه متكلما تلك السهرة ينظر إليها وهو يضحك ثم عقب فقال لها : يا منى .. اهدئي .. لك أكثر من ساعتين ترغين مع برهان .. أعطينا فرصة نتحدث معه .. فبرهان رجل عجيب ومثقف ولديه قصص وحكايات مدهشة .. وفي كل شيء يتحدث فحتى العم خليل معجب به جدا ويراه نوعا فريدا من الرجال في الدنيا ، وقد شرحت له قصة اصطياده لك بالتفصيل .. فهو قد فعل الذي عجزنا عنه في شهور وسنوات وغدا ستتركين الدخان كما وعدنا السيد برهان ..

كانت منى تتحمل تعليقات مالك اللاذعة ، وهي تعرف ربما أكثر من غيرها كيف يكسب برهان الأصدقاء بسرعة وحذاقة ؟ فردت على مالك ببعض الغيظ وردة الفعل فقالت : اسمع أنا تفاهمت معه على كل شيء .. أفعل ما أريد وأترك ما أريد .. والدخان الذي ما زال يزعجك ويثيرك ويهيجك ..حسنا لن أدخنه ، مبسوط يا سيدي مالك .

ـ صحتك غالية علينا ..

وذهبت لحجرتها وأحضرت علب السجائر والتبغ ، وأخذت تتلفها وهي تقول لمالك : ارتحت الآن .

وألقتها في سلة النفايات، وارتفع الصياح في الحجرة مباركا هذه الخطوة الشجاعة ، ورمت على

أمها القداحة قائلة : هذا تصلح لإشعال الغاز .

وقالت جميلة لما هدأت الأصوات والفرحة والنكات والتعليقات التي قيلت: والله هالبرهان ولد مبارك ! والله يا منى نتعجب عندما نتذكر عنادك الماضي وأحوالك وبعدما عرفت هذا الشاب نلمس الفرق الكبير .. رضى الله عنك يا ابنتي وبارك الله لك في زوجك المحترم .

غرق برهان طبعا بالخجل والعرق وهو يسمع كلمات الثناء والمدح ويرى نظرات العيون من منى ومالك فقال : بوركت يا أمي .. هذا من فضل الله علينا .. ومنى إنسانة عاقلة ؛ ولكن النفس تضعف أحيانا فتحتاج لدواء ، وربما يكون الدواء كلمة طيبة ، ربما نظرة حانية فيها عتاب خفيف تفعل الأعاجيب .

قالت منى بابتسامة واسعة : شكرا لك برهان .. أنا يا أمي مع ذلك لم أحبه بعد ؛ ولكني معجبة بطبيبي فالحب غير الإعجاب في نظري ، وقد يكون في نظر الآخرين ، وأنا لست عنيدة كما تشيعون عني .. أنا إذا اعتقدت شيئا لا أتزحزح عنه إلا إذا اقتنعت فعلا بضعفه وبطلانه.. وأنا لليوم لا أعرف برهان جيدا ولكنني مقتنعة به وبأفكاره .

واختلط الحديث بين الجميع ، حتى أن جميلة تمنت وجود ربيع بينهم ليشاركهم السعادة ، فهو كم دعا وتوسل إلى الله أن يهدي أخته ويحفظها مما انزلقت إليه بزواجها من حازم من عادات سيئة ورديئة ، فقال مالك عندما سمع تمني أمه: سأخبره بكل شيء يا أمي .

وأمضى القوم سهرة ممتعة ، واستأذن برهان بالانصراف وهم يحثونه على المجيء غدا وأن البيت بيته حقيقة لا مجاملة ، فيقول : هو أكيد بيتنا ، والله لا يمل من سماع الشيخ أبي أحمد وأم ربيع والأخ مالك وإنني اندمجت معكم في هذه المدة الوجيزة اندماجا كاملا .. حتى بدأت أفكر بالحياة والسكن في حي برقوقة.. فقد لمست عواطف ومشاعر وحنانا عجيبا في ناس الحي .. فهم يحبونكم كأنكم أهل ، وهم ينظرون إليّ كبطل أنقذ ضحية .. مع أني طالب زواج فقط .. فهم يخجلونني بالثناء والمجاملات كلما التقينا بأحد في المسجد أو في الطريق .. وهذا من حبهم لكم .

فتحمس خليل وقال: كلامك دائما سكر وحلو يا برهان .. تفهم في كل شيء وسكنك هنا مكسب لنا وللحي .

فقال برهان : بارك الله فيك يا عم ؛ ولكني وعدت منى بأن أطير بها من حي برقوقة عند الزواج فأمي تريدني أن أجاورها وأسكن معها في العمارة يا عم خليل .. لا أعلم ما القصة التي بينها وبين هؤلاء الناس الذين يحبونها أكثر مني وكانوا خائفين عليها كخوفهم على أبنائهم .

فهتف خليل : أرأيت يا منى ؟! كلام هذا الإنسان .. على كل نحن نتشرف بك يا ابني يا برهان يا ابن الأجواد والله كأننا نعرفك من أربعين سنة .

فتبسم مالك وقال : لم يكن مولودا يا عم أبا أحمد .

ـ رجل يدخل المخ يا ابني يا مالك!

فقال برهان : شكرا لك يا عمي ، أنا مسرور بصحبتكم ومعرفتكم وأرجو أن أكون عند حسن ظنكم جميعا .. دعواتك يا أم ربيع .. ادعي لنا وأنت تسجدين بين يدي ربك .

فقالت جميلة : لم انقطع عن الدعاء يوما ما يا ولدي .. ومنذ تصاهرنا وأنا أخصك بالدعاء .

فقالت منى : والله يا برهان كما يقال أكلت بعقل الناس حلاوة !

فتبسم لمعاكستها وغمزها وضغط على يدها مودعا : أو لم أفعل ذلك؟! .. إنهم أناس طيبون يا مجنونة ! .. هكذا الناس .. البساطة والأمل والحب .. أبغض شيء إليّ النفاق والمجاملات الكاذبة .. سلام الله عليكم نلتقي قريبا .

وركب مالك بجوار برهان الذي جلس في سيارته فقالت أمه : أين ؟!

ـ سأمشي معه لرأس الشارع .

وقالت منى معاكسة : ماذا تريد منه ؟ اطلب مني أولا وأنا أوصل له الرسالة .. جاملني يا أخي على الأقل !

فقال مالك ساخرا وجادا وبصوت مسموع لهم : يريد مني بعض المال ليكمل مشروع الزواج اكتشف برهان أن ثروته لا تكفي فناشدني المساعدة فدبت فيّ النخوة والشهامة .

ـ أنا أولى منك بأسلافه .. على كل سيقول لي برهان ما ستقوله له .

ـ لا أظنه يكشف السر .

أشار لهم برهان مودعا بيده وتحرك بسيارته ، ولما أصبحا على رأس الشارع الصغير أوقف برهان السيارة والتفت لمالك الذي قال : يا أخ برهان أنت أكثر من زوج أخت وأكثر من صديق أنت أخ كريم وكما يقال رب أخ لك لم تلده أمك فنحن إخوة في الدين والعقيدة وإخوة في الصداقة والحب والصهر .. فإذا كنت محتاجا لأي فلوس فلديّ ما يساعد

قبله برهان وقال : أنتم أحلى ناس .. مستورة يا رجل ! والحمد لله أنا لي سبع سنوات اشتغل في البنك ، ولست بالمبذر ولا المدخن ، وعلمنا حضرة الوالد حفظه الله لنا أن نحتفظ بأموالنا لمثل هذه الظروف .. فلا يقبل منا المشاركة في مصروف البيت إلا ما ندخله خفية عنه ، وهو يقول لنا : لما احتاج سأطلب منكم .. فالحمد لله وأشكرك جدا على هذا الموقف النبيل .

ـ نحن فرحون بك جدا جدا يا برهان .. أنت قدمت لنا فضلا ومعروفا كبيرا .. أنت قدمت للعائلة تضحية كبيرة وإيثار كبير .. أنت أنقذتنا كلنا من الضياع وليس منى فقط .. والله لو سقطت منى في الرذيلة لوصمتنا جميعا في العار ، وأنت خير من يعرف أهمية هذا عندنا نحن أبناء مثل هذه الأحياء .. آه لو تعلم كم عانينا في السنوات الأخيرة ؟! منذ تزوجت ونحن نعاني ألما نفسيا وبدنيا ننظر إلى بعضنا في حزن وأسى .. ونحن اليوم نضحك من أعماق قلوبنا كنا عاجزين معها لآخر درجة ..

ـ القدر .. الله يحكم ما يريد !.. فابحث لك يا مالك عن زوجة صالحة تقر بها عينك .. فمنى رغم ما بدر منها وما حصل هو أمر طبيعي .. البيئة لها دور مهم كما تعلم في تكوين الفرد مهما حاول التحرر من قيودها .. البعض منا يحلم أحلاما كبيرة ..ولا يعرفون كيف يكون تحقيقها بسرعة ؟.. منى يا أخي لم تحب زوجها حازما يوما ما إنما كانت تراه جسرا أو درجة في سلك طويل وربما سلك قصير لتصير من أصحاب الثروات الهائلة .. ولكن هذه الدرجة انكسرت بسرعة ، ولم يتحقق شيء من الحلم .. فصدمت فزاد تمردها .


عزيزتي منى ربيع

رسالة حازم

ولما وصلت منى صباح أحد الأيام إلى الشركة ، وذلك بعد كتابتها كتاب الزواج بزمن يسير أخبرها أحد العاملين أن رسالة أتت إليها مساء أمس ، وهي كانت قد تركت الشركة بعد ظهر أمس للقاء برهان والذهاب لمعرض ومتجر أثاث لحجز أثاث غرفة النوم والبيت فتسألت : أين هي ؟

فأخبرها الموظف أنها عند المدير فشكرته ، وطلبت منه فنجان قهوة ، ولما شربت القهوة ، ورتبت مكتبها صعدت إلى مكتب المدير في الطابق الثاني .. وصبحت عليه ، وذكرت له سبب مجيئها ، فتطلع على سطح مكتبه يمينا وشمالا وفتح جوارير أو أدراج المكتب وتطلع فيها فلم يرها فقال : نعم جاءت رسالة للسيدة منى ربيع أمس .. كيف تمشي أمور الزواج يا أخت منى ؟

ـ تمشي بتوفيق من الله .. أنا أول مرة تصلني رسالة خاصة هنا .

ـ فعلا وأنا مثلك دهشت .. ربما تكون تهنئة من أحد الأصدقاء أو الصديقات بمناسبة عقد قرانك .

وبينما هو يقلب في الأوراق والملفات التي أمامه وجد الرسالة فقدمها لمنى وهو يقول بجد : ها هي يا سيدة منى .. هل ستستمرين في العمل بعد الزواج ؟

ـ زوجي لا يمانع من العمل لحتى الآن .. ولما أنوِ ترك العمل سأخبرك قبل استقالتي يا سيدي

ـ أشكرك يا أخت منى .. وحقيقة قد يكون حدث بيننا في الشهر الماضي بعض الحدة ولكن من معرفتي بك إنك تقدرين وضعنا .

ـ بل أنا التي تأسف لما حدث .. آسف جدا يا سيدي .

ـ بارك الله فيك .. وشكرا لك أرجو أن تدعينا عند حفل الزواج .

ـ ولا يهمك ، سأفعل إن شاء الله .

ـ أطلب لك قهوة .

ـ لا ، شربتها قبل أن أصعد إليك .. إن الفراش باسم هو الذي ذكر لي أمر الرسالة .. فأنا لم

أعتد على الرسائل الخاصة ؛ ربما تكون تهنئة كما قلت

وكانت منى قد تناولت الرسالة من المدير ، ووضعتها في حقيبة اليد التي تحملها كما تفعل النساء في هذه الأيام .

ولما انتهى الكلام مع المدير هبطت إلى مكتبها ، ولما جلست وتطلعت على العاملين الذين يرمقونها بعيونهم الفضولية وقد انشغلوا بواجباتهم ، أخرجت الرسالة فكان مظروفها كبير الحجم ومعطر ومن النوع الثمين ، وكان عليه عنوان الشركة التي تعمل فيها ، ويسلم ليد السيدة منى ربيع ، وأما المرسل فلم تجد له اسما معينا إنما عنوان فقط .. تحسستها لحظات ، ونظرت للخط المكتوب به العناوين فارتعش قلبها ويدها وهمست : إنه خط حازم ناصر .. زوجي الأول خطه لا أنساه أبدا !

وضعت الرسالة على المكتب وأخذت تحدق النظر إليها بضع دقائق ولم تفتحها ثم وضعتها في الحقيبة ثانية وهي تقول : سيفتحها العزيز برهان أولا .. أمعقول عرف بزواجي فأحب أن يهنئني بذلك ؟! .. ما الذي ذكره بي ؟! وكيف عرف أني وجدت رجلا قد يكون خيرا منه بل هو خير..؟! لابد أنه يعرف أنني أعمل هنا من عبير من بعض الأصدقاء القدامى .

نظرت في أوراق الشغل التي أمامها دقائق ، ثم رفعت سماعة الهاتف وتحدثت مع البنك وطلبت برهان وطلبت اللقاء به ليلا ولما سألها عن السبب قالت : لما نلتقِ ستعرف السلام عليكم .

وضعت السماعة ، وراحت في تفكير قديم أيام زواجها الأول أيام حازم .. وعادت بعد حين تنظر فيما أمامها من ملفات ومراسلات .

كالعادة زار برهان حي برقوقة ملبيا دعوة واتصال منى حيث وجدها ومعها أمها في انتظاره ، وأن السيد خليلا ذهب للصلاة في المسجد ، وأن المحامي مالكا عند أخته حنين ، وكان برهان قد أتى بأمه معه ، فانشغلت جميلة بأم برهان ، ودخل برهان حجرة منى التي قدمت له العصير الذي يحبه بعدما قدمت منه لحماتها وأمها ، ولما جلست قبالته وسألها عن صحتها وحالها وفعلت مثله ، ثم سألها : هل دخنت منذ مزقت علب الدخان ؟

فتبسمت وقالت : أتريد الصدق ؟

ـ نعم !

ـ ضعفت في الشغل وتسولت بضع سجائر .. لم اشترِ علبة واحدة منذ تلك الليلة .. سأتخلص منه .

ـ إن شاء الله .. ما الذي جد وطلبت زيارتي لبيتكم .. وأنا أمس عندكم لنصف الليل .

ـ أمر مهم وغريب .

ونهضت وأتت بحقيبة اليد الصغيرة ، وأخرجت منها الرسالة التي وجدتها في انتظارها صباح اليوم في الشركة فقال : ما هذا ؟!

جلست وناولته الرسالة ، أمسك بالرسالة وقلبها بين يديه ، وقرأ ما عليها ، وتسأل بدهشة عما تريد ، فقالت: اليوم صباحا عندما دخلت الشركة ومكتبي أخبرني الفراش باسم أن رسالة وصلت أمس بعد الظهر لي شخصيا وهي مع المدير .. فاستغربت وشربت القهوة كالمعتاد وصعدت لحضرة المدير شفيق وطلبتها منه وهو مستغرب مثلي .. فهذه أول مرة تصل رسالة شخصية باسم منى للشركة منذ عملت معه بعد سفر حازم زوجي السابق .. مالك أتغار ؟!

ـ لا .. لا .. دعينا منه الآن أكملي .

ـ تحدثت مع السيد شفيق ، وتسامحنا عن مشاكلنا السابقة ، وطلب مني أن أدعوه لحفلة الزواج فوعدته بذلك ، فاجعله على رأس القائمة .. وأخذت الرسالة ونزلت إلى مكتبي ، وأنا أظن كما ظن المدير أنها تهنئة وتبريك من أحد أو إحدى المعارف .. لما نظرت إليها وإلى اسم المرسل فلم أجد له اسما كما تلاحظ ، فيوجد عنوان ولا يوجد اسم المرسل حتى العنوان ربما يكون وهميا .. أما عنوان الشركة التي أعمل فصحيح .. ولكني لما نظرت الخط ودققته عرفت أنه خط من ؟.. إنه خط حازم !

ـ حازم ؟!

ـ نعم ، حازم يا سيدي العزيز ، فاضطربت وارتعشت وتسألت ما الذي ذكره بي بعد هذه الأيام

والشهور؟! وكيف عرف بزواجي وخطبتي إلى آخره ؟ .. فهو منذ سافر أمريكا تحدث معي من هناك مرتين أو ثلاث على ما أذكر ثم أرسل ورقة الطلاق أو وكالة بالطلاق ، والمحامي محامي والده بلغني ذلك .. وانتهى ما بيننا .. فانزعجت ولم أفتح الرسالة ، وتركت أمر فتحها لك يا سيدي فمن أجل ذلك اتصلت بك.

كان برهان يقلب الرسالة ، وهو يسمع تفاصيل مجيء الرسالة ، وموقف منى منها فقال بعد صمتها : أخائفة من شيء ؟!

ـ أنا رغم انحرافي الذي تعرفه يا سيد برهان .. عندي إخلاص ووفاء وأحسب لكل شيء .. فهذا الرجل لا حق له اليوم ليكتب لي أو أن يتحدث معي .. لا أحب أن أجرح مشاعرك .. ولو كان الشيء تافها .

ـ هل اتصل بك منذ عاد للبلد ؟

ـ أبدا .. هذا أول اتصال، أنا علمت بعض أخباره وبعودته من أخته عبير ومن بعض الأصدقاء لنا الذين ابتعدوا عني بعد سفره لأمريكا الشمالية .. فنلتقي صدفة فنسمع أخبار بعض .

ـ أنا أقدر لك هذا التصرف الحسن .. ولكني لست حساسا لهذه الدرجة .. أقرئيها يا منى ولا تقلقي .

ـ هل أمزقها ولا أقرأها ؟!

ـ أخائفة من شيء ؟!

ـ عندي قلق ما ..

ـ أنا أقدر شجاعتك يا منى !.. وكان باستطاعتك قراءتها وأتلافها دون إعلامي وبدون أن أعلم فهذه شجاعة وأدب راق .. فأنا لما اقترنت بك وصممت على الاقتران بك فعن معرفة وعن دراسة .. ليس اعتباطا كما يتبادر إليك ، فأنا أعرفك جيدا ، وأعرف أهلك جميعهم من قبل الزواج سماعا طبعا ، فلدي معلومات مهمة عنكم .

ـ من مصدرك الخاص .. ليتني أعرف ذلك المصدر !

ـ مصادر كثيرة على كل حال .. أنا أسمح لك بقراءتها .

ـ نقرأها معا ؟!

ـ وحدك أفضل .. فهي رسالة خاصة لك أنت أنت .. وهل أنت متأكدة أنها من حازم ؟

ـ اشتغلنا معا سنوات ، فأعرف خطه جيدا ، وأعرف ضعفه ، فهو خائف أن يضع اسمه ، وحتى عنوانه الصحيح ، حتى إذا فقدت أو ردها البريد ولم تصل لي وردوها لا تعود إليه .

ـ أنا لا أريد قراءتها يا عزيزتي .. أقرئيها أولا وإذا رأيت من المناسب قراءة ما كتب لك ، فربما أسمح لنفسي بقراءتها ..لا تتحرجي من قراءتها

وطرق على الباب طرقا خفيفا فنهضت منى وفتحت الباب : أبا أحمد .. تفضل يا عم.. أنا فكرت أمي أحضرت الشاي الذي يحبه زوج ابنتها .. عمي خليل يا برهان .

نهض برهان مسرعا ومصافحا للعم خليل وهو يقول : أهلا وسهلا بالرجل الفاضل ، وقال برهان لمنى : أقرئي الرسالة ثم الحقي بنا .. هيا يا عمي أبا أحمد نجلس في الصالة .. كنا نتحدث في موضوع خاص وإلا جلسنا مع العجائز .

ذهب الرجلان حيث الصالة وحيث تجلس المرأتان ، وظلت منى في الغرفة حائرة بين القراءة للرسالة أو تمزيقها ، فعندما تغلب أنها مجرد مباركة وتهنئة تهم بتمزيقها .. وعندما تغلب أنه قد يكون فيها شيء غير ذلك ربما معلومات مهمة ترغب بفتحها .

وأما برهان فتحدث مع السيد خليل بضع دقائق ثم التفت إلى أمه قائلا : آ يا أمي كيف أنت وحماتي ؟

ضحكت الأم لسؤال ولدها الساذج ، وأخذت تكيل لهم المدح والثناء والطيبة والصبر على تعليم الأولاد وتربيتهم ، وتثني على همة خليل ، وجميلة تشكرها وتثني عليها وعلى أصلها وجذورها .. وخليل وبرهان يبتسمان ويرشفان الشاي ، ودخلت عليهم منى وأخذت تتحدث مع حماتها وترحب بها ، وقد سمعت آخر الثناء فشكرت حماتها على إهدائها لهم لفلذة كبدها برهان ، ثم تطلع برهان في منى وسألها : أقرأتيها ؟

هزت رأسها بالنفي وقالت : إنني مترددة وسأقرأها فيها بعد .

ولما سأل خليل عن الموضوع غير الشابين مجرى الحديث والحوار بعدما قالت منى : رسالة لي يا عم .

وبينما هم منسجمون بالحديث دخل مالك وخلفه حنين وزوجها سعد الدين الذي قال مازحا : والله يا برهان أنت مرابط هنا !.. منذ متى وأنتم هنا يا خالتي أم العبد ؟!

قالت أم العبد ـ ابنها الكبير اسمه عبد القادر ـ والدة برهان: والله يا ابني منذ ساعة أو أكثر .. كيف أمك وأخواتك ووالدك الحاج ؟

رد سعد فقال : الكل بخير يا خالتي وبشوق لكم .. وكيف أنتم ؟

ـ الحمد لله .

ـ كيف صحتك اليوم ؟ أكيد مع خطبة برهان تحسنت أكثر !

ضحكت وقالت : الحمد لله يا ابني .. ها هو أصبح عديلك .

قالت منى مخاطبة حماتها : أتعرفون بعضا يا خالة من زمان ؟!

ردت المرأة بسرعة وبراءة : طبعا يا بنية .. كم مرة طلبت من برهان أن يتزوج من بنات أم سعدي ولكن النصيب حكم في النهاية لنتعرف على هذه الوجوه الطيبة .

تمتم الجميع بالشكر ، وكانت منى تتطلع في عيني برهان ، وكأنها اكتشفت سرا ، وقالت بنبرة مثيرة : برهان !

هتف وقد فهم مقصدها : نعم يا سيدتي !

فدخل مالك على الخط فورا ، وقال : يبدو أن اللغز يريد أن يحل يا سيد برهان .

أدرك سعد ما يتغامزون حوله ، فنظر في عيني برهان لحظات ، ثم نقله لمنى قائلا : وهل قال لك إنه لا يعرفني قبل تعارفكما ؟

ـ لا .. أنا ما سألته ؟

فقال برهان مريحا لأعصاب الجميع وهو يبدل نظره بين منى ومالك وسعد : أنت لم تسأليني

عن سعد الدين يوما ما .. فسعد الدين هو سبب تلاقينا وزواجنا .. إنه يحبكم جدا ويبغي لكم الخير فألقاني عليكم .. لنصير كما يحب عدايل .

همست منى كأنها مذهولة وهي تحملق بسعد : أنت يا سعد الدين ؟!

قالت حنين : هذا من حبه لك كما قال برهان .

قام مالك واحتضن سعد الدين قائلا : جزاك الله خيرا يا سعد ..

قال سعد متحمسا ومرتبكا في نفس الحين : لم استطع أن أقدم لها شيئا .. فقلت برهان صاحب هذا الشأن .. مع أنني تراجعت من خوف حنين وقلقها على مشاعر أختها وأعلمني المحترم أنه انسحب ولكنه مكر بي .

فقالت منى: أنا أصبحت مدينة لك يا سعد الدين بهذا الزواج.. وبهذا الزوج .

ـ ولحنين .

فقالت : ولحنين ...اسمحوا لي الآن بأخذ حنين لغرفتي بعض الوقت .. تعالي يا كذابة !



سعد الدين

تبعت حنين منى ، وجلستا في حجرة منى التي فارقتها قبل دخولهم بقليل ، وقالت لها : هو الأخ سعد الدين المتآمر عليّ ؟

ـ نعم سعد الدين أبو زكي هو المتآمر على أخت حنين .. هو برهان لم يقل لك ذلك ؟! .. أنا فهمت من سعد أن برهان ذكر لك ذلك .

هزت رأسها وقالت : ذكر برهان كل شيء .. وأنه لم يلتق بي صدفة إنما كان عن قصد وتخطيط وأن أحدهم دفعه لذلك ؛ ولكنه لم يذكر اسمه .. وما توقعت أن تكونا أنتما .. ولما سألتك ذات يوم تعرفين برهان أنكرت معرفتكم به .

ـ أنا لم أنكر .. فأنا لا أعرفه يا أختي فهم جيران قدامى .. سعد الدين كان خائفا وقلقا عليك كالآخرين .. فتحدث معه برهان ذات يوم عن رغبته في الزواج .. فأشار سعد إليك وحدثه بقصتك الرائعة .. وتكبرك على جنس الرجال .. فبدأت مزحة .. ولم هو معروف عن برهان من كثرة التفاف البنات حوله أيام الحي والصغر وكذلك أثناء الدراسة الجامعية.. استغرب طبعا هذه المعلومات وهذه الوسيلة .. وبعد تردد وافقنا على الفكرة والمحاولة .. ثم قبل بداية المغامرة المثيرة طلبنا منه الانسحاب ، خشينا على عواطفك الغالية علينا من الصدمة إذا لم يقتنع بالزواج منك .. لأنه لم يكن حسم أمره بالزواج بعد .. وكان سعد قد تعجب كثيرا من رفضك زواجي منه .. وكنت أنا قد ذكرت لعائشة أخته بعض ظروفك يا حبيبتي .. فكانت مشكلتك مشكلة لسعد .. وهم جيران وأصدقاء قبل أن يبني والد سعد ويرحل من حي أبو حسبة، وبقيت العلاقات والجيرة بينهم مستمرة ، فأشفق عليك وأراد أن يتحدى برهان بك ، وأنك لا يمكن أن تتحدي غروره ، ولما أقنعني بالفكرة طلبت منه أن يعرفني بصاحبه برهان هذا .. واتفقنا على المغامرة .. رغبة منا لإنقاذك من مرضك ، نحن كنا نرى أنك مريضة ولكن خفنا عليك بعد الاتفاق مع برهان ، خفنا أن يحدث شيء ليس بالحسبان فهذه عواطف ومشاعر .. ونحن ظننا أن المهمة انتهت .. لأنه وافق على الزواج وقبل بالزواج إذا لمس عندك قبول للتغير ، أما إذا لم

تقبلي فسيعتذر .. ورفض أن يربط نفسه بوعد مجهول العواقب .. فوافق على الانتهاء من المهمة وانتهى دورنا.. ولكن ظهر لنا أن برهان أخلف الوعد وتظاهر بالانسحاب خوفا علينا .. وتابع مغامرته حتى اصطاد السمكة ونجح في الوصول إلى منى ربيع .

هزت رأسها وقالت : اصطاد السمكة ! أنا سمكة في رأيكم ! والله يا سعد! لا يوجد أحد في الدنيا غير مهم .. من معرفتي بسعد لم يخطر في بالي أبدا .. خطر في بالي في الأول مالك .. وسبحان الله لما عدت للبيت في ليلة اتفاقي مع برهان وجدت مالكا في انتظاري فاضطرب مخي وتسألت: هل بينهما اتفاق مالك وبرهان؟ .. وكان برهان قد أنكر أن يكون لمالك يد في اللعبة ثم فكرت بعدنان ابن أخت خليل .. أما سعد فكنت أراه حاقدا عليّ ولا يطيقني ومنذ رحلت أمي ومالك لبرقوقة لم أره .

ـ سعد لا يعرف الحقد .. كان قد قلق من تدخلك في منع زواجه ، وصعب عليه موقفك الحاد واللئيم منه ؛ ولكنه لما شرحت له قصتك بالتفصيل طبعا أشفق عليك وخشي عليك الضياع ، مثلنا يا عصفورة ..

ـ عصفورة .. سمكة .. على كل حال برهان رجل لا بأس به ومقبول .. فيوجد كثير من التوافق بيننا .. والقدر حكم بيننا .. أنا شاكر لك ولزوجك وأعرف محبتك لي وستبقين أختي الصغيرة مع أنك اليوم أم لطفل والثاني على الطريق.

واحتضنت أختها لدورها ولو البسيط في زواجها وتعرفها على برهان ، كانت منى تشعر وتدرك مشاعر القوم اتجاهها ، ويبدو أنها بعدت عنهم كثيرا في السنوات الأخيرة ، ولما أنهت حنين ما عندها التفتت للرسالة التي ما زالت مطروحة على المنضدة وقالت : من ربيع ؟!

ـ لا .. انظري إليها

أمسكت بها حنين وقرأت ما عليها ثم قالت : ليست من ربيع .. ممن ؟

ـ حازم !

ـ من حازم ؟!

ـ الله ! زوجي السابق .

ـ أوه ..! لقد نسيته ! عمره ما دخل مخي .. والله ما أدري كيف تعلقت به ؟! .. عفوا ، أنت تعلقت بأموال أبيه .. وماذا يريد ؟! ألم ننتهِ منه لليوم ؟! وهل يعرف برهان بهذه الرسالة ؟ وماذا فيها ؟!

ـ ما زلت كما أنت لا تحبين المذكور ؟

صاحت حنين فجأة : خلاص انتهى من حياتنا ، صدقي أنني لم ارتح له يوما ولم يدخل عقلي منه شيء .. دعينا منه .. آماذا يريد منك اليوم ؟

ـ لا شيء .. وجدت هذه الرسالة في الشركة صباح اليوم ، ولما رأيت الخط عرفت أنه خط السيد حازم ناصر ، مع أنه لم يكتب اسمه عليها ، فوضعتها في الحقيبة ، واتصلت ببرهان ليفتحها فاعتذر وأذن لي بقراءتها .. فوضعتها لأقرأها وما زلت مترددا في النظر فيها .

ـ مزقيها .

ـ الفضول يا حنين ، قد يكون فيها شيء غير التهنئة كما أتوقع ، فنحن عشنا مع بعض سنوات قبل الزواج وبعده والمحير لي كيف عرف بزواجي بهذه السرعة ليبادر بهذه الرسالة والتهنئة ؟ وهو يعرف مكان عملي من أخته عبير ، دخلت شركتنا مرتين أو ربما من أحد أصدقائنا القدامى الذين يعرفون مكان عملي .. أما الزواج وعقد القران كيف عرف به ؟!

ـ لك أكثر من أسبوع كاتبة لكتاب الزواج ، والناس تنشر الأخبار بسرعة !

وفتحت الرسالة وهي تقول : ها أنا فتحتها ، وسأقرأها نيابة عنك يا منى .. ترى ماذا سيكتب الحبيب السابق ؟!

ـ حنين !

ـ منى !

ـ أنا أختك الكبيرة سأبقى .

ـ أعرف وأنا سأبقى أختك الصغيرة !

وأخرجت الرسالة المكونة من صفحات أنيقة يفوح منها العطر ، فقالت : يا سلام يا سلام ! هذا مجنون إذا ما زال يفكر بك عاطفيا .

كانت رسالة يتحدث فيها عن أيام الشركة ، أول أيام تعرفه على منى ، وكيف تولع بها وهام بها دون كثير من فتيات العمل؟.. ثم يعتذر لها عن فشلهما، وتحطم أحلامها معا.. ثم تهنئة بالزواج وذكر أنه عرف ذلك من بعض الأصدقاء، وتمنيات بالسعادة ، ويطلب منها المسامحة والعفو.

ولما انتهت حنين من القراءة بصوت مسموع صفنوا ببعض وقالت حنين : هل أمزقها أم تحبين أن تحتفظي بها ذكرى ؟!

ـ مسكين يا حنين! حازم .. ضحى من أجلي ..

صاحت حنين : لم يضح بشيء .. فالطلاق كان واردا حتى لو رضي والده .. فهو ضعيف الشخصية عابث ، ومن أجل هذا لم يجعله والده في منصب مدير شركة مصنع .. كان يعمل تحت إدارة أخته لضعفه وحمقه.. وأنت تعلقت به واستغللت هواه لك ليكون درجة وسلما لتصلي لعرش أحلامك الخيالية .. تقفزين مرة واحدة .. وكنت ترين أن ضعفه سيجعلك تحكمينه كما تحبين .

سكتت منى ثوان معدودات ثم قالت : أنا أعرفك ! وأعرف رأيك فيّ وفي حازم .. وتنهدت وقالت : دعينا منه هل اطلع برهان عليها ؟

ـ كما تشائين .. برهان رجل متزن وعاقل وطموح مثلك ، ويستخدم عقله وفكره قبل عاطفته أنا سأرسله لك

خرجت حنين وأرسلت برهان الذي دخل قائلا وقد وجدها تمسك بالرسالة بعد أن رمتها عليها حنين : آ ؟

ـ فتحتها حنين وقرأتها عليّ فإذا أنت تحب قراءتها فافعل .

ـ شكرا يا عزيزتي .. قالت لي حنين ملخصها .. واحتفظي بها إن شئت .

ـ إن شئت ماذا تقصد ؟!

وطفقت تمزقها قطعا قطعا وكان برهان يقول : يا منى! هذا جزء من حياتك ، أيام عمر، لا يمكن نسيانها بسهولة ستبقى تاريخ .. المهم أن يبقى تاريخ ولا أطلب منك عدم تذكرها .. فالإنسان يتذكر مواقف من طفولته .. فكيف من شبابه وأعصابه ؟! .. ولكن راعي مشاعري واعلمي أنني لا أكن لهذا الإنسان أي حقد وبغض ؛ لأنني لا أعرفه .. فالزواج قدر رباني .. ممكن غدا أموت ؟ وتتزوجين غيري هذه سنة الحياة

ـ أنت كما تراك حنين عقلانيا تستخدم العقل أكثر من العاطفة يا سيدي البطل

ـ ولو حدث العكس ، هل تقبلين أن أبقى من غير زوجة ؟ .. هكذا العقل يقول .. بطل لا بأس .. صراحة حنين ناضجة أكثر منك مع أنها الصغرى آسف لقول ذلك .. ربما لأنها لم تخضع لتجربة عاطفية في حياتها ، فرغت عاطفتها بعد الزواج ، فلذلك تحكم عقلها في فعلها واختيارها لا تغاري من أختك أنا لم أرها إلا بضع مرات بحكم زيارة سعد لبيتنا ، وذلك بعد كتابة كتابنا فلمست فيها رجاحة العقل .. ولا يعني ذلك أنك لا تفكرين .. بل تفكرين ولكن للأحلام والخيال دور كبير في حياتك .. الواقع غير الخيال .

ـ لولا أنني أعلم أنك تحبني وتموت فيّ لصنعت لك مشكلة .

ـ وأنا أعرفك وأعرف أنك تحبينني؛ ولكنك ما زلت متمسكة ببقايا من الماضي .. هيا نمشي للقوم .. سأجلس قليلا وآخذ أمي وانصرف .. المهم أنك علمت الليلة من كانوا وراء تعارفنا وارتاح قلبك .

تبسمت قائلة : سعد الدين .. صدق أنه لم يخطر في ذهني .. لأنه لم يدخل كما يقولون لي من زور ما أحببته يوما ..

ـ ليس مهما أن تحبيه أنت ، المهم أن تهواه وتحبه امرأته .. هو أيضا لا يهمه حبك له ولا يسعى إليه .. مشكلتك أنك لا تحبين أحدا .

ضحكت وقالت : مالك عصبت ؟! .. كنت أراه إنسانا مهملا ، وأعجب من رضا حنين به زوجا .. فهو غير متعلم لم يأخذ الثانوية .

ـ الشهادة ليست كل الدنيا يا سيدتي .. ولكنه تاجر ماهر ، هذا الذي ترينه نجح في التجارة أكثر منك .. ويدير حسابات المحل مثلي أنا المتعلم في الجامعة محاسبة .

ـ عظيم ! .. إنك مغرم به وتدافع عنه بقوة .. هدئ أعصابك ، أنا أقول لك رأيي فيه قبل أن أتعرف عليك ..

ـ لست غاضبا ، وأنت تعرفين أنني لا أغضب بسهولة ولا استفز .. ولكنه صديق وأخ عزيز وأريد أن أبين لك من هو هذا الذي لم يملأ عينيك ؟

ـ خلاص يا سيدي الآن عرفت من هو سعد الدين ؟.. وسأحسب له ألف حساب .. وفعلا وحق أنه نجح في التجارة والبيع مع والده وأنا لم أنجح في التجارة .. يبدو لي فعلا أنني كنت مغرورة .. لا تضحك .. ولا أحسن الفهم والتقدير ..

ـ سعد الدين لا تحسبي له ألف حساب ، فهو صديق وأخ ، ولن يتدخل في شيء بيننا كما أنا لا أسمح لنفسي بالتدخل في حياته .. فنحن اليوم أسرة واحدة .. وأنت تحسنين التفكير والتقدير ولكن الخبرة العملية عندك نظرية أكثر مما هي في واقع السوق والحياة .. وكذلك تتعجلين النتائج ولا تكملين التقدير ، وحصول الانحرافات خلال الممارسة وارد ، ثم تقويمها ومعالجتها مهم ..

ـ على كل أنت زوجي وحبيبي وأميري ، وستعلمني من جديد وتجعلني ملكة غير متوجة .

ـ رائع .. رائع استسلامك يا سيدتي ! وأنا أحب فيك الاستسلام للواقع الجديد وعدم التشدد للماضي .. لقد قالوا لي إنك تحبين الرفض والعناد .. فمنذ التقينا لم ألمس هذه الصفة ولا هذا الطبع .

ـ أنت محاور بارع .. لا أجد مجالا للمكابرة أمامك .. فما أريده تعدني بفعله !

وأحنت رأسها للأسفل وقالت صادقة : غيرتني يا برهان .. جعلتني أعرف من أنا .. كلما أفكر بكلماتك وأفكارك أقر بين وبين نفسي أنك فاضل وخيّر وتبسط الحياة جدا .. لم أكن أظن في يوم من الأيام أن رجلا عاقلا مثلك ومن سني يقبل بالزواج وبفتاة مطلقة مثلي .

ـ هذه عقدتك يا فتاتي .. لست أول إنسان في الدنيا يتزوج امرأة تزوجت من قبل .. فما الفرق بين الأرملة والمطلقة كليهما من غير زوج ؟! .. النساء تضخم هذه الكلمة حتى أصبحت كلمة مخيفة وظلالها مرعبة .. فالطلاق كما يقال ليس نهاية الدنيا والمطاف .. إنما هو حل لمشكلة بين زوجين .. ولكنّ الإعلام وحقوق المرأة في زماننا جعلت منه قضية كبرى وفضيحة ومأساة .. وتحمل عادة المرأة المسؤولية عن الطلاق .. فيخافها الرجال .. فلا يتقبلها كزوجة إلا الناس المتزوجون من قبل على أساس أن لديهم خبرة ومعرفة للتعامل مع هذا النوع من النساء .. وكل هذا وهم.. إنما تسلك المرأة في الزواج الثاني خوفا من الطلاق من جديد .. فترضى بكل هوان وذل ليبقَ الزواج ، فيصبح الزوج الثاني سيد الموقف ، وأنه استطاع ترويضها .. مع أن الأوائل كانوا يتزوجون ويطلقون ويترملون ولا يعتبرون ذلك قضية كبيرة فالحياة وجدت لتستمر حتى حين .

ـ ها أنت صرت فيلسوفا وواعظا عليّ يا سيدي !

ـ نحن أبناء الثقافة الإسلامية.. ومنذ التقينا لم أتحدث معك عن الحلال والحرام ، إنما من الأعراف والعادات والعرف الشائع بيننا أتعامل معكِ يا سيدتي .

ـ أنت كنز حقيقي يا سيدي! ولست مجاملة أو لأنك زوجي.. كلما أتحدث معك أستفيد شيئا كثيرا .. مع أنني ابنة جامعة ؛ فكأنني لم أتعلم شيئا .

ـ لا ، أنت تعلمت ولكن الجامعة لا تعلم إلا العلم الأكاديمي والنظري .. أنا درست كذا مادة في المحاسبة والبنوك والشركات العامة وغير ذلك من فروع البكالوريوس ؛ ولكني عمليا أمارس جزءا صغيرا جدا من المحاسبة ، ربما طفل إذا مرن عليه قام به .. ولا أعني بكلامي هذا التقليل من العلم الأكاديمي .

فرح منى

انتقلت منى لبيت زوجها بعد أسابيع قليلة من عقد قرانها ، وبدأت الحياة الزوجية الثانية لمنى ربيع ، ومرت الأسابيع الأولى من حياتها العائلية طيبة وهادئة، وقد لمست الفرق الكبير بين أيام زواجها من حازم وزواجها من برهان ، كان زواجها الأول كله هموما وتوترا ونكدا من جهة أهله ومن جهة أهلها ، كان يوم زفافها من حازم كيوم إخراج جنازة ، الكل مكشر ومنقبض وينتظر انتهاء حفل الزفاف بفارغ الصبر ، فقد كانت الوجوه واجمة وحزينة ، ويوم زفاف برهان كانت المشاعر الرقيقة والصادقة والابتسامات والفرح واضحا لكل الناس ، وكان الناس كأسرة واحدة ، وكان خليل من أفرح الناس كأنه قد زوج ابنيه برهان ومنى .. وشارك كثير من الجيران وأهل برقوقة العروسين والأسرتين حفلهم وفرحهم ، فحضر عدنان ووالده وأمه صبرية وزوجته ، وخالتها لمنى وأخوالها وأعمامها ، مما دفعها لأن تسكب الدموع تأثرا ، وعجبت من مشاعرهم وحبهم لها ولأهلها ، فعندما تزوجت والناس راضون عن العريس وأهل العريس خرجت عواطفهم محبة .. ورأت الفرح أيضا في عيون أخوات زوجها وزوجات أخوته فقد كانوا جمعيهم مسرورين ، كأنهم يزفون بكرا لأخيهم ، وكأنها تتزوج أول مرة ، حتى أنها لم تشعر بأنها امرأة مطلقة من فرح الناس بزواجها ، فقدرت هذا كله لبرهان ، وعرفت فضل الله عليها ، ثم فضل هذا الرجل الذي اقتحم عليها حياتها ليخرجها من البؤس والشؤم الذي أحاط بها فيزداد تساقط الدموع تأثرا .. وأدركت حب الناس لبرهان وبهذه السرعة .. فقد فرض نفسه على الجيران وأهل الحي بأسابيع قليلة ، ومن مصاحبته لخليل للصلاة في المسجد ، فأصبح كأنه من أهل الحي .. فبدأت تعرف أهمية الناس في حياة بعضهم البعض .. وأن الإنسان لا يستطيع أن يحيا بمعزل عن الناس وإن حاول صنع ذلك .. لابد من الأصدقاء والأهل والأصحاب .. رأت أشياء جديدة في احتفال الناس بزواجها .. وكانت تحاول فهم ذلك ثم قالت : هو نفس السر الذي شدني إليه وجعلني أقف ضعيفة للغاية أمامه .. كأنه مغناطيس .. أتمنى أن أحقق له السعادة التي أملها مني .. أنت حياتي يا برهان .

مرت أسابيع على الزواج ، وهي تعيش هذه الخيالات واللمسات التي مضت من عمرها .. أحست أنها مدينة بهذه السعادة والفرح والمشاعر لزوجها برهان ، أعادها للحياة من جديد .. كانت تهرب من جمال الحياة لتسكب لنفسها كأس خمر لتتوه في ظلمات الشراب ، لتنسى نفسها ومشاكلها التي صنعتها بيدها وبيد من اختارته شريكا لها .. الرجال يتفاوتون في المواهب والقدرات .. تريد أن تسد زوجها الذي صنع لها كل هذه السعادة وغمرها بتلك الأيام الجميلة ولو شيئا يسيرا من المعروف ؛ لذلك كانت تلح عليه منذ زفا لبعضهما بأن يفتح مكتبا للتدقيق المحاسبي كما كان يحلم وكما ادعى لها فيقول : إن شاء الله سأفتح هذا المكتب يا عزيزتي .. ولكني لست بعجلة من أمري .

فقطعت عليه اعتراضه قائلا : أنا أعلم أن العرس كلفك مالا كثيرا ، ورفضت أي مساعدة مني مع أنك قلت لي إننا أصبحنا شيئا واحدا.. فاعلم يا عزيزي أن كل من مالي وسيارتي هو لك من غير منة .. أنا لو قدمت روحي لك ما وفيتك معروفك .. أنا عندي كلام كثير أحب أن أسمعك إياه .

ـ جميل منك هذا الكلام .. والاعتراف بالفضل أجمل وأرقى !

احتجت بأن هذا ليس كلاما بل أنها تريد وتقصد تحقيق ذلك .. ولتعبر له عن مقدار سعادتها به وبأن أحلامه هي أحلامها .. وأقرت له أنها تحبه من أعماق فؤادها ، وأنه أسرها بأخلاقه وفضله وتحس أنها تريد أن تعبر له عن ذلك بشيء عملي ، فأخبرها أنه لا يوجد بين الزوجين فرق فهما جسد واحدة وروح واحدة .. وأن الحياة تفاهم وتحمل وقناعة ، وكادت أموال منى أن تجعل بينهم فتنة ، وتغضب منه منى ، فرفضه الاستفادة من ثروتها يعني أن يعاملها بحساسية وحذر فيصبرها قائلا : يا ابنة الحلال .. اصبري .. ليس المكتب هو أن نشتري الخشب ولوحة يكتب عليها اسم المكتب .. الشغل هذا يحتاج لعلاقات عامة مع أصحاب الشركات والبنوك .. مكتب بدون زبائن لا شيء .. سيغلق بعد أول إيجار لصاحب العمارة .. سأضع الأمر جديا في دماغي وسأعمل في مكتب تدقيق بعد دوامي في البنك حتى أتمرن وأعرف أسرار عمل مثل هذه

المكاتب ، حتى أتقن المهنة ، وبعد سنة على الأقل أكون قد تعلمت أهم أسرار العمل ، ثم أبحث عن شركاء وأنت منهم ، وإن شاء الله تعالى نفتح هذا المكتب .. الكلام كما تعلمين سهل أنا صحيح دارس محاسبة وأحمل بكالوريوس فيها ومن كلية تجارة واقتصاد .. فالتدقيق جهد وتعب ومسؤولية أمام الشركة وأمام أجهزة الرقابة وأمام أصحاب الشركة من مساهمين وغيرهم .

اقتنعت منى في النهاية بوجهة نظره ، ووضح لها أن العلاقة الزوجية ليست شركة تجارية وليست علاقة امتنان وهبة ، وأن الزوج إذا فعل شيئا حسنا لزوجته ينتظر أن تكافئه عليه وهو يفعل مثل ذلك .. فكلمة طيبة ودعاء أفضل من ذلك .. والحياة الزوجية أكبر من التعزيز والحوافز .. هي حب وانسجام وتفاهم .. فتقر له باسمة : يكفيني نجاحا في هذه الدنيا أنني امتلكت قلبك في أسابيع يسيرة .

ـ أنا لا أنكر ذلك .. رغم العيوب التي صورت عنك أو كانت فيك ، فكنت معي غير ما قيل وأحسست أن سعادتي الدنيوية عند قلبك .

فتقر له معترفة أنه ملك قلبها منذ طلبها تلك الليلة للزواج ، وتعترف أنها

كانت تغالط نفسها في ذلك ، فيفرح من صدقها ويقول : من سعادة المرء أن يجد امرأة تفهمه وتقدره ويفهمها ويقدرها .. وإذا خيم عليهم الحب بظلاله الكبيرة فهذا خير وسعادة ؛ لأن الحب الحقيقي يذلل الصعاب والمشاكل ، وتظهر علامات صدق الحب عند المشاكل الدقيقة .



وبعد حملها عرض برهان عليها ترك العمل إذا رغبت في ذلك للتفرغ للحمل ومتاعبه التي ظهرت عليها ، ووعدها أنه عندما يفتح المكتب الذي بدأ يخطط له سيكون لها عمل فيه حتى ينصرف من البنك فتعود هي للبيت .. التناوب في إدارة المصلحة ، ترددت في البداية لقبول هذه

الرغبة ، ثم تركت معرض شفيق للأثاث والتحف والثريات .. وبعد شهور وضعت منى ربيع مولودها الأول ، وعندئذ عرفت معنى الأمومة والولادة والرضاعة والحضانة وبكاء الطفل في أي ساعة من ساعات اليوم والليل .. تستيقظ في نصف الليل لترضع الطفل الباكي لتنظف الطفل الشاكي .. وكانت تتذكر أحاديث أختها حنين لها عن رسالة الأمومة ، وهذه العاطفة بين الأم والطفل .. فتحتقر أفكارها الرديئة ، وتضع اللوم على حازم ، ثم نفسها ، وتتعجب لعدم حبهم لسرعة الحمل الذي يقوي الروابط الزوجية بين الزوجين ، ويدفعهم للتنازل عن كثير من الأخطاء والمشاحنات من أجل هؤلاء الصغار .. واستغربت أكثر عندما أطلق برهان على ابنها اسم زوج أمها خليل ، فلما تسألت عن سبب ذلك الاختيار، فهو لم يسم على اسم أبيه أو أخيه أو جده ، فقال باسما : هذا الرجل كبير عندي يا منى رغم أنني لم أعرفه إلا عندما تزوجتك ؛ ولكني أحبه حبا كبيرا ..وأحبني هو نفس الحب .

ـ الكل مستغرب منكما ، حتى والدتي تتعجب من حبه لك وكثرة سؤله عنك .. متى سيزورنا برهان ومنى ؟ .. متى سيأخذنا مالك إليهما ؟ .. ولما سألته أمي عن سبب هذا الحب الكبير بينكما فلم يقل سوى أن هذا الولد دخل مخي ..

فكر برهان لحظات ثم قال : هذا رجل مجاهد .. علم إخوته وتنكروا له .. أنا أعرفهم .. لقد درسني أحدهم في الجامعة .. ولما أتذكره وأتذكر خليلا استغرب لكليهما أحدهم متواضع بسيط والآخر معقد منفوخ .. لا يزورونه ولا يودونه وهو أكبرهم .. وهم المتعلمون المثقفون الكبار وهو مع ذلك صابر ومتحمل لجفائهم وقال لي لولا أنهم لا يحبون رؤيتي لمشيت إليهم، ولو ذهبت لا يخرجون لمقابلتي، يتركون معي بواب القصر أو إحدى الخادمات والأخ الثاني عرفته من تردد اسمه في البنك وأعرف بعض أبنائهم يا منى .

ـ لست قليلا يا برهان .. نحن عشنا في بيت خليل دهرا ولم نعرفهم ولم نلتقِ بهم .

ـ أنا تعجبت في البداية لما حدثني عنهم .. فظننت أن في عقل الرجل شيئا .. ولكنه لما بين لي أنهم بعدما تعلموا وتزوجوا من بنات أكابر البلد انسلخوا من جلدهم .. أدركت عظمة هذا

الرجل وصبره وإيثاره ، وكان يزورهم قديما ، وكانوا يعاملونه كمتسول أتى إليهم .. ولما عرف ذلك الواقع السيئ وطفح الكيل نسيهم ، ولما تزوج أمكم أصبحوا أسماء يعرفها فقط وهو يحبكم حبا جما ، وذكر لي مرة أنه مرض وكيف وجدكم حوله دون أهله ؟ .. فهو لم ينس لكم هذه الجميل الذي ربما لا يأبه له كثير من الناس .. يا منى الناس في الشارع لو وقع أحدهم مغمى عليه لأخذوه المستشفى وعطفوا عليه وانتهى الموضوع ، ولكنه يراكم خيرا من أهله الأقربين .. وعرفته على أخي الدكتور عبد القادر ، فهو طبيب أمراض صدرية ، وطلبت منه أن يهتم به ، وترجيت خليلا أن يمر عليه باستمرار .. فعبد القادر طبيب يحب الخير والمساعدة أكثر من المال أم أنا غلطان .

ـ أبدا ما شاء الله! .. أنتم عائلة رائعة يا برهان! تعلمتم جميعا ذكورا واناثا ، وقد تفاوت تعليمكم ، وتحبون بعضكم وتحترمون بعضكم احتراما واضحا وحبا واضحا للعيان .. ولا تمايز بينكم.. فالدكتور عبد القادر متواضع جدا لآخر درجة .. بل لا تحس أنه طبيب إلا في العيادة كلكم بركة حتى عمتي الحجة ووالدك الفاضل .. أنا محظوظة بكم جميعكم ..الألفة والانسجام يجثمان عليكم.. وحتى أخواتكم المتعلمات قد علمت منهن أنه لم يصدف أن حردت إحداهن عن بيت زوجها ولو بضعة أيام .. مهما حدث بينها وبين زوجها من شجار وعتاب .

ـ نحن نعتبر هذا عيبا كبيرا يا منى وخطرا كبيرا على الأسرة ، فأبي يأمرنا ويحثنا على الصبر والتحمل للأخطاء وأنه لا كمال بشري .. والحرد وترك بيت الزواج مفسدة .. والتي لا ترتاح مع زوجها تذهب به إلى المحكمة ، وتتنازل عن حقوقها وتعود لبيت أبيها .. والحمد لله حمدا كثيرا أن وفقنا جميعا في اختيار زوجاتنا ، وكذلك الأخوات اختار الله تعالى لهنّ من الأزواج الصالحين والطيبين .. ونسأله تعالى أن يديم هذه النعم على الجميع .

ـ آمين .

ـ وأنا سميت ابني البكر والأول خليلا لحبي لخليل ، ولفضله الكبير عليكم ، وهو لا ينتظر منكم شيئا إنما فعل ما فعل لوجه الله .. ولأن منى جرحت قلبه يوما ما ، فبهذا الاسم نعيد لقلبه

الطيب الحنان والعطف اللذين فقدهما أثناء تمرد منى .. وأيضا لأنه محروم من الذرية ؛ فلعل هذا الاسم يرد له شيئا معنويا هو يبحث عنه ويأمله .. ولقد رأيت كم فرح وتعجب من اختيارنا لهذا الاسم المبارك !

ـ أنت دائما رائع يا برهان !.. والله ما فكرت بهذه التفكير .. وأنا أقر أن المعلم خليلا له أكبر الفضل علينا وعليّ أنا بالذات ، كل تعلمي وشهادتي بفضل إنفاقه وسخائه ، وكان يكرمني بالمصروف أكثر من إخوتي حتى لا أشتهي شيئا في الجامعة ولا أحصل عليه .. لقد غلبتني أحلامي وجعلتني جاحدا لهذا الرجل ، ولم أحسن أن أشعره أنني ابنة حقيقية له .

ـ إذن هذا الاسم شيء رمزي نقدمه يا منى لهذا الرجل .

ـ جزاك الله خيرا يا برهان .

مع ولادة خليل الصغير بدأت منى تستعيد حيويتها وروحها ، وصارت تنظر للحياة نظرة جديدة وآمالا جديدة ، وتتخلص من أفعالها الماضية ، وتعيد ترتيب حياتها وعلاقاتها الاجتماعية مع أهلها وأقاربها من خالات وعمات وأعمام وأخوال وأولادهم ، وكذلك مع أهل زوجها ، ومنذ انتقلت لبيت برهان لم تعد تسمح لنفسها بالجلوس مع الرجال إلا في حدود ضيقة وبوجود زوجها.. وابتعدت أيضا عن الدخان والخمر وهجرت الملاهي والسهر مع الأصدقاء والصديقات خارج البيوت كما كانت تفعل.. ابتعدت أيضا عن السينما والتعلق بالأفلام والمسرح والمهرجانات .. فلما تقارن بين هاتين الحياتين ، الماضية مع حازم الشاب الغني ابن الأموال الكثيرة .. وحياتها مع الشاب الميسور الحال ، فتلمس السعادة الحقيقية مع برهان وحياة الأسرة الممتعة ، وأن السعادة لم تكن بكأس خمر وقهقهة تملأ المكان وغمزة من هذا ولمسة من ذاك .. فحازم يحب اللهو والمزح والخمر ، وبرهان يحب البيت والأسرة والحياة داخل الأسرة .. داخل البيت .. الحنو والاهتمام بمشاكل العائلة والتعاطف والتعاون الإيجابي ففكر برهان ناضج ويعتمد على نفسه .. فحياتها مع برهان ساكنة وهادئة .. تفاهم ونقاش وإقناع .. ليس فقط عرض الفكرة ثم تنفيذها كيفما طرحت .. والاعتماد على التمويل فقط .. شكرت الله كثيرا

على تداركه لها قبل السقوط والهاوية .. كان الأصدقاء من حولها أثناء حياتها مع حازم لا يرون فيها إلا جسدها ، ومحاولة الوصول لهذه الجسد ولو رويدا رويدا ، ولولا المقاومة الفطرية الموجودة في داخلها لسقطت منذ تعلق بها حازم .. ألم يراودها عددا من المرات قبل الزواج منها ولكنها وإن كانت تساير الرجل السابق فهو كالخاتم بيدها.. أما برهان يستخدم ذهنه وفكره ثم يطيع ، ووجدت أن أهلها وإخوتها يحبون هذه الحياة .. يحبون المرأة أن تكون امرأة وبس طائعة للزوج .. تذكرت دموع ربيع وهي تقارن بين حياتيها عندما أتى من الخليج ولمس التغير الذي طرأ عليها ، لقد تفاجأ بالانقلاب الكبير ، فبكى بين يديها حتى أبكاها.. أدركت كم كان في قلبه من الألم والحزن الذي تظاهر بإخفائه وكتمه .. وأدركت أن الانتقال من بيئة تراعى التقاليد والعادات التقليدية ليس سهلا ربما يحتاج لجيل أو أكثر حتى يستقر التغير ولا ينتكس . فهمست وهي تتذكر ذلك: مسكين ربيع ! تحمل المسؤولية صغيرا وكان يخاف مني وعليّ .. لا زالت المرأة أسيرة مجتمعها مهما تطور وتحدث .. الانفلات يعني النبذ ولو من أقرب الناس .. كانت تمر عليّ لحظات عندما أدخل في جدل مع مالك أشعر أنه سينقض عليّ صفعا ولطما وضربا وإهانة؛ ولكنه يسمع كلام أمي ويخشى عليها العوارض .. لم استطع أن أصنع عالمي الموهوم .. والله الولادة حلوة وجزء من حياة الأنثى ولِمَ المكابرة ؟! .. بكاء الرضيع أجمل موسيقى على قلب الأم إنه نداء إليها .. هناك ظلم في الجامعات وكلام كثير عن البنات والتحرر والمجتمع الذكوري .. مع أن أكثر الرجال مساكين في هذا الزمان .. يصارعون ويطاردون من أجل لقمة العيش .. ها هو ربيع يتغرب من أجل المال والطعام ..

أختي حنين الصغرى بيننا كانت أنضج مني تعلمت في الجامعة مثلي، وتحقق حلم أمي وهدفها الأهم وتعلم الجميع بفضل الله .. ولكنها لم تحاول التمرد على ما تعارف عليه الناس في بلادنا.. الناس لا يحبون ولا يرتاحون للمرأة التي ترتدي ثياب الرجال.. ولو تماشوا معها وسايروها.. التقليد الأعمى نحن من نقلد ؟! الشرق أم الغرب .. فالبنات في اليابان وكوريا يفعلن مثلنا ولم يخرجها من أفكارها وخواطرها إلا بكاء خليل الصغير فانتبهت وعادت للواقع ، وهرعت

للسرير سعيدة ومفعمة بالشعور العبق من صياح الطفل .

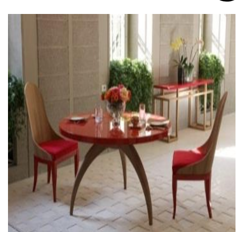
الأمومة كنز لا يعلمه إلا من يعرفها حق المعرفة .. الأمومة عواطف جياشة .. تجديد للحياة جزء من الأم كيف ستصبح أما بغير أبناء ؟

وعادت الخواطر إليها وهي تلقم ثدها للوليد الذي كف عن الصياح وانشغل بالرضع فتممت : أنا أسمي ابني خليلا .. لم أعترض صمت عندما علمت ذلك .. كم فرح خليل للاسم ودفع مائة دينار نقوطا وهدية للصبي .. حتى أمي فرحت ، ولم تصدق ذلك وسرت لاختيار برهان هذا الاسم ، مع أنه لم يكن اسم زوجها الأول .. والدنا الحبيب رحمه الله .. أهل زوجي فرحوا ولم يعترضوا ويحتجوا على الاسم .. وبرهان أكثرهم سعادة ، وكان سعيدا باختياره الاسم وصمتي وعدم اعتراضي .. أبو خليل .. أم خليل .. اسم عظيم .. والله في الدنيا أناس ذو أخلاق كبيرة .. يرغمونك على الخضوع والرضا والاستسلام .. حتى أخي ربيع كان مسرورا لاختيار برهان لهذا الاسم مع أنه هو لم يسم ولده على اسم خليل .. أنا منى التي سببت المشاكل للعائلة تسمي ابنها خليلا .. مع أنه ليس بالرد الكافي لمكارم خليل علينا فرحوا بذلك الاسم .. إنه اختيار سيدي وحبيبي برهان ؟ أسرني هذا الرجل بدماثة أخلاقه .. أخي كان أولى أن يطلق اسم خليل على أحد أبنائه .. هل أنا كنت وحشا وعنيدة ورديئة قبل لقائي بهذا الإنسان؟ .. هل في التمرد على التقاليد ومسايرة الحداثة والمعاصرة قساوة قلب وعناد ؟ لم أكن شريرة أبحث عن المشاكل والشر .. ولو لم يقم والديّ حازم بمحاربتنا هل حصل هذا الانقلاب ؟ هل نصنع نحن أقدارنا بأيدينا ؟! هل أنسى يوم دخلت عليه مكتبه ؟ مكتب ناصر ! وجرحني وشتمني وحقرني واتهمني بسارقة وخاطفة ابنه وأنني دمرته وأغرقته بالديون وطامعة في ثروته وطردني شر طردة .. تذكرت منى كل ذلك وهي ترضع وليدها الأول .. فسقطت الدموع بحرقة من غير أن تشعر وهي تتصور ذلك المشهد الذليل بين يدي رجل لا يرحم مشاعر الآخرين .

وبينما هي في هذه الحالة دخل برهان وانتبه لاحمرار عينيها فهمس : أأنك وجعة ؟!

ـ وجعة !

وتنهدت بخجل وقالت : قلبي مجروح يا برهان!



كما وعدها برهان ، فعلا الوعد دين عند الرجل الحر ، بعد سنة وشهور قليلة وقد عمل في مكتب تدقيق كمتدرب بعد انصرافه من البنك تشجع على إنشاء مكتب صغير للتدقيق المحاسبي للشركات الصغيرة والمتوسطة ، وحصل على الترخيص اللازم له من الدوائر المختصة في البلد ووضع زوجته مديرة للمكتب خلال فترة دوامه في البنك ، ووضع عندها سكرتيرة فتاة متخرجة من الجامعة حديثا .. ولما يرجع من وظيفة البنك يجد زوجته قد عادت من العمل وأعدت الغذاء فيأكلان معا ، ثم يذهبان للعمل ، وتنصرف السكرتيرة في المساء عند الرابعة بعد الظهر .. وبعد حين أدخل زميلين للعمل معه في الفترة المسائية ، ولزمت منى البيت في الفترة المسائية .. ومن خلال علاقاته الشخصية وعلاقات إخوته الآخرين تحرك نشاط المكتب وحصل على عقود محاسبية وتدقيق لكثير من الشركات العاملة الصغيرة الحجم ، وكان يتقدم عمل المكتب ويتوسع وكثر الموظفون ، فقد أضاف فراشا للمكتب ومندوب علاقات عامة متجول .. عدا السكرتيرة وزميليه .. وما مضت سنوات ثلاث على المشروع حتى قدم استقالته للبنك ، وأصبح مديرا للمكتب وعلت شهرته بين الناس ، وكما هو معروف في القطاع التجاري أن الموازنات المالية للشركات سنوية ومستمرة .. فهذا يعني عملا محاسبيا دائما ومستمرا ، وخلال هذه السنوات ولدت منى ابنتها الأولى ، وكانت منى أيضا تدير العمل باقتدار ، وحصلت على دورات في المحاسبة المالية والبنكية وإعداد الموازنات العامة وحسابات الأرباح والخسائر .. وكان الدوام في المكتب على فترتين صباحية بإدارة برهان وزوجته وفراش وموظفة السكرتارية .. والثانية بعد الظهر ينصرف برهان وزوجته للبيت .. وعند العصر في الرابعة مساء يحضر صاحبا برهان للعمل في المكتب والقيام بالمهام الموكولة لهما .. وتنصرف موظفة

السكرتارية عند الثالثة مساء ، ولما يحضر حسن وعمران ينصرف المراسل أبو غسان ، وعندما يشتد الضغط في العمل يداوم برهان معهم مساء وبعض الليل .. كانت الأمور تسير على ما يرام ، والعمل يتقدم والدخل يزيد ، وخلال فترة الصباح كان برهان يترك زوجته منى في المكتب ويتحرك إلى الشركات المتعاقد معها لمراجعة سجلاتها التجارية والمحاسبية قبل أن يعود بها يلزم من تلك السجلات والدفاتر التجارية للمكتب لدراستها وتصحيحها ليقوم بوضع التقرير المالي لها أو تصحيح الأخطاء المحاسبية الموجودة فيها ثم إعادتها للشركة .. ولما استقل برهان بالعمل كانت منى تضع مولودها الثالث .. فانقطعت عن الدوام بإجازة ولادة خاصة ، فقام برهان وحده بالأعمال التي كانت تقوم بها ..وعندما يخرج للمرور على الشركات المتعاقد معها كان يعتمد على السكرتيرة في إدارة المكتب ريثما يعود .. ولكنه كان يعاني من تبدل السكرتيرات .. فلأن أي سكرتيرة إذا وجدت فرصة عمل أفضل انتقلت إليها ، فكانت هذه مشكلة عند برهان ولم يتمكن من حلها بعد ، فما تكاد العاملة تتأقلم على نشاط المكتب حتى تترك العمل .

انتهت إجازة منى بعد شهر من الولادة ، ورجعت للدوام في المكتب بضع ساعات صباحية حتى يرجع برهان من جولته الصباحية على الشركات ، وتعود للبيت لرضاعة مولودها الذي تتركه عند والدة زوجها .

ذات يوم وبعد ولادتها الثالثة التي أشرنا إليها وقد انتهت إجازاتها ، وكانت تجلس في المكتب لتقوم ببعض الأعمال ريثما يأتي برهان الذي خرج بعد قيامه ببعض الأعمال داخل المكتب .. وبينما هي مستغرقة بما كلفت به من مراجعة دخلت عليها فتاة ، فلما رأتها عرفتها ، ولا يمكن أيضا نسيانها رغم مرور هذه السنين ، إنها عبير ناصر أخت حازم الزوج الأول لمنى ومديرتها السابقة مديرة الشركة العالمية للتجارة .. كانت مفاجأة للاثنتين بعد كل هذه السنين .. لقد التقتا مرة عندما كانت منى تعمل في شركة الأثاث المستورد ، فقالت عبير بدهشة كانت واضحة :

منى ! .. مرحبا .. ماذا تفعلين هنا وراء هذا المكتب ؟!

نهضت منى وقد زالت دهشتها وسلمت على عبير، وأذنت لها بالجلوس ورحبت بها وقالت :

أهلا بك .. ها نحن التقينا من جديد .. أي خدمة نقدمها لك يا سيدتي ؟!

ـ خدمة .. أين برهان ؟!

ـ قهوة .. شاي .. ماء ..

ـ لا شيء شكرا .

ـ يا أبا غسان فنجان قهوة للأخت المحترمة .

قالت عبير: أتشتغلين هنا ؟ تركت معرض شفيق .. أذكر أننا تلاقينا هناك في الشركة مرة .

ـ هذا زمان .. منذ خمس سنوات .. اليوم أنا أعمل هنا .

قالت عبير مستفسرة: لقد جئت مرتين خلال الأسابيع الماضية ولم أرك .. أاشتغلت حديثا ؟!

ـ أهلا بك .. لي سنوات هنا ؛ ولكنني كنت ألد .

ـ كنت تلدين ! الحمد لله على السلامة .. آ ، قد علمنا بزواجك .. مبارك يا منى ربيع ..إن شاء مرتاحة مع زوجك الجديد ؟

ـ جدا على أفضل زوج وقعت والحمد لله .. عندي اليوم ثلاثة أطفال بفضل الله .. وأنت هل تزوجت بعد؟

ـ حظي تعيس يا منى .. يبدو أن حظك أحسن .. تزوجت مرتين ، الأولى فشلت قبل ليلة الزفاف.. والثانية عشنا تحت سقف واحد مدة سنة ، ثم حدث الانفصال .. أنا حظي سيئ مع الرجال .. وأنت كيف وزوجك الحالي ؟

ـ كما قلت لك قبل دقائق أفضل الأزواج .. تمام .. أتردين شيئا من المكتب قبل عودة السيد برهان أم تنتظرينه ؟.. هو الآن موعد عودته .

ـ والله الزواج رائع يا منى ! خصوصا الأطفال .. عندك ثلاثة أطفال .. أكيد الحياة حلوة معهم كيف حياتك اليوم مع زوجك الجديد ؟

ـ هي بالتأكيد أفضل من الحياة مع أخيك .. فأنا في قمة السعادة والحياة .. تركت الدخان والخمر والتبرج والسفور والمكياج خارج الدار .. الحمد لله أنا سعيدة .

ـ أنا نصحتك يا منى .. ولكنك لم تفهميني جيدا تلك الأيام .. نحن رغم ملكنا الكثير فحياتنا تعيسة يا منى .. الحياة ليست المال فقط .. فأنا خطيبي الأول بعد كتابة الكتاب طلقني ؛ لأنني رفضت أن أضع في حسابه آلاف الدنانير .. أرأيت المال ؟ هو تزوج المال كما قال لي مودعا .. والآخر مثله صديق لأبي تزوجني من أجل مال أبي .. ولما طلب من أبي المال ، ورفض والدي في قصة لا داعي لسردها هو الآخر قال أنت لا تصلحين لي .. نحن تزوجنا لنستفيد من مال أبيك لفتح مصنع ، فرفض أبوك ، وطلب مني أن أعود لبيت أبي وخلال أسبوع كان الطلاق .. أرأيت طمع الناس ؟!.. وأنا أعترف أنهم تزوجونني من أجل المال .. ولكن طمعهم كبير ..

وبينما هما تتحدثان بحكم صداقتهما القديمة أقبل برهان ، ولما رأى عبير رحب بها وقال لها : معذرة لم أتأخر كثيرا ؟

ـ أبدا .. هذه الفتاة الحلوة ـ وأشارت لمنى ـ كانت تعمل عندنا في يوم من الأيام يا سيد برهان ومضى الوقت بدون أن نحس بتأخرك إذا تأخرت . ونظرت للساعة التي على معصمها .

والتفت برهان نحو منى زوجته ؛ وكأنه دهش من قولها تعمل عندنا وقال : عندكم ؟!

ـ مالك دهشت ؟! منى فتاة جبارة .. وتتقن الإنجليزية بطلاقة .. وتحب العمل وتجتهد فيه .

تطلعت منى في عيني برهان وقالت : أيام شركة التجارة العالمية.. حدثتك عنها ، وكان ذلك عندما تخرجت من الجامعة ، كانت أول شركة أعمل فيها .. أوه ذكريات حلوة ! وهزت رأسها بغيظ .

قالت عبير: فعلا ، كان لمنى هناك ذكريات حلوة ..أليس كذلك يا أخت منى؟!

تبسمت منى وقالت : أكيد والسيد برهان يعرفها بالتفصيل الممل .. أليس كذلك يا سيد برهان؟!

وقبل أن يرد برهان قالت عبير باستغراب : أمعقول هذا يا برهان ؟!

مشى برهان نحو مكتبه وجلس على كرسيه وقال : أتعرفين منى يا عبير؟

ـ ألم تسمع ما قلنا ؟ أول عمل كان لها عندنا .

قال برهان لمنى : أتدرين يا منى؟ .. أن هذه الفتاة كانت معنا في الجامعة ، وكانت تسبقني بسنة أو سنتين .. أتذكرين كم يا عبير؟

ـ سنتان على ما أذكر .

قال برهان وهو ينظر لمنى ويبتسم: أتدرين يا أخت منى أن عبير هذه ـ وأشار بإصبع السبابة إليها ـ التي اشتغلت عندها سنوات كانت تطاردني لتتزوجني مع أنني أصغر منها بسنتين أيام الجامعة ؟ ولكني رفضت .. صح يا عبير؟!

ضحكت المرأة وقالت : صح يا برهان أما زلت تذكر؟! .. لقد كنت شابا جميلا ومثيرا ! ولست الوحيدة على ما أذكر التي كانت هائمة بحسنك .. لقد كنت مثار اهتمام الكثير من البنات ، وكلنا تحلم بأن تفوز بقلب البطل .. ولكنك سخرت منا وخرجت من الجامعة بلا واحدة منا

وكان برهان يبتسم وهو يسمع الرد ، ولما صمتت عبير قال : أتدرين يا أخت منى ؟.. هذه عبير كانت تترجاني لأشارك في حفلة عيد ميلاد لها أو لأخواتها أو مناسبة ما.. كانت تراني مثل هؤلاء الأوروبيين طويل وأبيض وعيون ملونة .. وتسعى لأتعرف على والدها .. فأرفض كل هذا .. صح يا عبير!

كانت هي مستغرقة بالضحك وقالت : صح .. آه .. إنك ما زلت تتذكر .. أيام ممتعة .. لا تنسى .

وتنهدت ثانية وهي تقول : فعلا لا تنسى ها أنت لم تنسها يا برهان .. كنت أسعى لأتزوجك رغما عنك .. فلو تعرفت على والدي ربما أجبرته على أن يزوجني منك .. ولكنك كنت تخاف من لقاء والدي صاحب الملايين .

فقالت منى غامزة بقصتها مع حازم : ولو وافق برهان على الزواج منك يومذاك أيقبل أهلك ووالداك على الخصوص ؟

ضحكت عبير وفهمت مقصد منى الخفي وقالت: كنت أعتبر نفسي أنني ما زلت في فترة المراهقة ، ونحن نعتبر الجامعة امتدادا لتلك الفترة ، ويحق لنا أن نفعل ما نشاء من لهو وحب

وغزل .. وفي تلك الأيام كان لا يستطيع ناصر أن يرفض لي طلبا .. ولنا طرقنا في إجبار والدينا على الاستسلام لرغباتنا .. ولو وافق اللئيم لكان الآن يملك نصف شركات أبي ؛ ولكنه يحب الفقر والتعاسة .. وأنا أرى أن الأخت منى محل ثقة كبيرة عندك يا برهان .. فأتحدث أمامها بكل شيء وبصراحة.

طبعا برهان أدرك منذ أول الحوار أن منى لم تكشف لها أنهما زوجان فلزم الصمت في هذه النقطة فرد على الفتاة : طبعا .. ومنى جزء كبير ومهم من العمل وأكثر من ثقة وتكلمي بكل راحة .

ردت وهي ترمقه هل هو ساخر متهكما أم جادا ؟ : تستحق ذلك فأنا أعرف كفاءتها.. هل تعلم أن الأستاذة الفاضلة كانت في يوم من الأيام زوجة لأخي حازم ؟

تبسم وقال : أعرف ذلك .. حدثتني بذلك منى ؟

ـ حدثتك ! كيف حدثتك؟ هي فاجأتني بوجودها هنا .. لما زرتك في المرتين السابقتين لم أرها وذكرت لي أنها كانت في ولادة ورضاعة .. وهي اليوم عرفت أنني أتيت لشغل معك .. وأنا عرفتك وتذكرتك كما تعلم من الإعلان في إحدى الصحف .. فلما قرأت اسمك على الفور عرفت اسمك وتذكرتك وتعارفنا من جديد .. فكيف حدثتك عن أخي حازم ؟!

ـ صدقي أنها حدثتني بقصة زواجها من شخص اسمه حازم ؛ ولكن لم أكن أعرف من هو حازم ؟ أي شخص هو حازم بالذات فقط رجل ، ولم أكن أعرف أن لحازم زوج منى السابق أختا اسمها عبير إلا الآن .. وأن هذه العبير هي زميلتنا أيام الجامعة ..وهل لك قصد آخر؟!

ـ أتزوجك مثلا ؟! أنا أعرفك؟ وهل أنت لليوم بغير زوجة ؟ .. حتى أفكر بالزواج منك .. صدق أن الذكرى والعمل جمعتنا هذه الأيام .. ولا بد أنك متزوج .. أنا غير محظوظة في الزواج يا سيد برهان يا أبا خليل .. أذكر أنك قلت إنك تنادى بأبي خليل وهذا يدل على أنك ذا زوجة وقبل حضورك كنت أشكو حظي لمنى .

ـ حسن هذا ، ألا تريدين أن ندخل في موضوع الشغل ؟

ـ انسَ يا رجل! أنا جئت لأتحدث مع برهان الصديق الغزال المحبوب .. الشغل لا ينتهي أنا

آتيك للتسلية وقليل من الشغل .

فهز برهان رأسه ضاحكا وهو يقول لمنى : اسمعي بنات الأكابر .. نحن فتحنا المكتب للشغل وهي تريد أن تعود للوراء عشر سنين كانت يا منى السيدة عبير قديما تحاول أن تكتب بي شعرا. وأخذ يرتفع صوته بالضحك فقالت وهي تضحك معه : هل تنكر أنك كنت أوسم شاب في الجامعة ؟ وأننا كنا لا نراك إلا أحد أبناء الأوروبيين .. كانت ابتسامة منك تذيب قلوبنا ، وكل منا تدعي أن الابتسامة كانت لها .. هند قتلت نفسها لتحظى بعلاقة عاطفية معك .. كنت غريبا يوم ذاك يا برهان.. كنت تقترب منا .. وفجأة تبتعد .

ـ عبير.. دعينا من الماضي حتى لا تتضايق منى من كلامنا وذكرياتنا القديمة .

ـ أنا لما شعرت أنك تتحدث أمامها بحرية وراحة ، وأنها حدثتك بكل شيء عن حياتها الخاصة فرأيت أنه لا شيء يخجل منه إذا سمعته مني.. فمنى معرفة قديمة وأخت عزيزة رغم فشل زواجها من أخي حازم ، لو لم يحدث الزواج لربما أصبحت موظفة كبيرة في شركاتنا اليوم .. والله لقد نصحتها بعدم الزواج من أخي .. ليس عن حقد وغيرة ؛ ولكنني أعرف أخي أكثر منها ، وطلبت من أخي أيضا بالوقوف عند حده ؛ ولكن غلبتهم العواطف ونسوا العواصف أمي لما سمعت أن الفتاة التي يريدها حازم تسكن في حي برقوقة كادت تنتحر لتمنع هذا الزواج

ـ يا عبير.. يا سيدة عبير ندخل في الشغل ما الذي تريدونه بالضبط مني؟ .. أنا راجعت حسابات الفرع كلها ، هناك بعض الأخطاء ، وهناك فقد لبعض الفواتير

فقطعت منى استرسال برهان قائلة : ربما وجودي يشوش على عبير .. أنا سأجلس في مكتب السكرتيرة .. انتظرك يا عبير . ـ شكرا لك .

قال برهان مخاطبا منى : منى إذا أحببت الانصراف فافعلي ، لابد أن الرضيع الآن يحتاج لحليبك

ضحكت عبير وقالت : الله ! الله ! حتى في الحليب تتدخل !

ضحك هو ومنى وقال باسما : حتى في الحليب يا عبير ! .. منى ربيع ـ يا أخت عبير ـ هي زوجتي أم أولادي!!

دعوة عبير

كانت كلمات برهان الأخيرة مفاجأة صاعقة ومذهلة لعبير ناصر، فبحلقت لحظات عميقة بعيني برهان حتى استوعبت الحقيقة وقالت : منى هذه ـ ورفعت يدها مشيرة لها ـ زوجتك أنت؟!

لم تتكلم منى ، فقال برهان المبتسم : أجل ، منى ربيع زوجتي ، وأعلم أنها كانت زوجة لشخص اسمه حازم ناصر ، واليوم عرفنا أنه أخوك .. ومنى شريكتي في هذا المكتب يا مدام عبير .

كانت تحرك رأسها وتنقل بصرها بينهما دهشة وعجبا وتقول : دنيا عجيبة يا منى !!

همست منى وقالت محاولة التقليل من دهشة عبير واستغرابها : ما العجب؟! هل الزواج ثانية عجيب لهذا الحد؟!

قالت عبير: ليس الزواج هو العجيب .. فكل يتزوج مرة وثانية ولكن الزواج من برهان هو العجيب .. هل تزوجت قبلها ؟!

رد بصراحة : لأ .. هي أول امرأة ارتبط بها .. وهي سيدة فاضلة ومن عائلة فاضلة كريمة.

قالت عبير : ولكنها مطلقة !

ـ وماذا تعني مطلقة ؟! ها أنت طلقت مرة وتزوجت ثانية وستتزوجين ثالثة إن شاء الله .

قالت بحسرة : إنهم لا يتزوجونني أنا .. إنهم يتزوجون مالي ومال أبي ! قلة بنات غير متزوجات

فقال بحزم وثقة : وأنا أتزوج أخلاقا أهلا كراما .. فربيع أخوها مهندس يعمل في دول النفط العربي منذ سنوات .. وأخوها مالك محام نشيط وله مستقبل باهر في سلك المحاماة والصحافة وبما إنك تحبين قراءة الصحف فسوف تجدين له مقالات موقعة باسم مالك ربيع وربما يكبر ويصبح نقيبا للمحامين ذات يوم .

ـ أنا فعلا أقرأ لهذا الاسم وتعجبني مقالاته يا برهان .. بس اليوم أكتشف وأعرف أنه شقيق منى ربيع ونسيبك يا أخي .. وأنت غارق في الحب لأذنيك .

ـ لنا خمس سنوات متزوجون تقريبا .. وأنا فرضت نفسي عليها .. وهذا هو الحب الحقيقي ..

تعرفنا على بعض فترة ربما امتدت لشهرين وحصل النصيب .. أليس كذلك يا أم خليل ؟!

تبسمت منى لكل كلام برهان ، والتفتت نحو عبير وقالت : أتمنى لك التوفيق يا عبير .. وكل الكلام الذي سمعته منك قبل دخول برهان وبعده لا يهمني كثيرا .. فالحياة عجيبة كما قلت .. وتسرني صداقتك .. وأنا سعيدة بزوجي هذا .. والله ييسر لك زوجا تقر به عينك رغم النكد الذي كنت تسببيه لنا أيام الشركة فهو أصبح من التاريخ .

ـ سامحيني يا منى .. ربما كنت أسيء إليك ولكن من أجلك ، وقلت لك ذلك مرارا ، وإن أخي حازما ليس الرجل المناسب لك .. والأخ برهان أعرفه جيدا منذ أيام الجامعة وهنيئا لك به وهنيئا له فيك .. فهو إنسان يستحق الحب والحياة السعيدة .. وأنا لمست التغيير الذي في حياتك من هذه الجلسة .. لحظت لباسك الجديد وتغطية شعرك ، ولم أرَ المكياج الذي كنت تبالغين في وضعه على وجهك وعيونك .. ولحظت أيضا تركك للدخان ، فلم تدخني أي سيجارة منذ التقينا قبل ساعة أو أكثر .. والآن أدركت مصدر هذا الانقلاب وأنكما متوافقان وستوفقان .. فبرهان رغم ما سمعتي مني عن التفاف البنات حوله ومطاردتهنّ وعبثه بهن أيام الدراسة لم يكن فاسدا وهاملا ،ولم يكن من أهل الدخان والتبغ ، وإن كان يومها ينفق على الحسناوات بسخاء ، ولابد أنه تخلص من هذه العادة .

ضحك الزوجان وقال : تسرنا صداقتك يا عبير أنا ومنى ، ولا تحسس لدينا من جهة زواج منى من أخيك ، فهذا تاريخ كما قالت منى ، والإنسان لا يهرب من تاريخه .. ولكن لا تدعيننا لحفلاتك وسهراتك .

قهقهت عبير وقالت: أنت أيام العزوبية ولم تفعلها ! .. ولم يعد لتلك الحفلات بهجة وروعة ، بل صارت كلها مللا وضجرا وإرهاقا ، وسأحتفظ بصداقتكما .. واسمحوا لي الآن بالانصراف لقد تأخرت عن الشركة .

ـ والعمل ؟!

ـ سأعود .. ألم نصبح أصدقاء؟!

وصافحتهما وخرجت مسرعة ، وهي مستغربة للقدر الذي جمع بينهما ، ولما خرجت أغلق أبو غسان الباب خلفها، وكان برهان يقول لمنى بعد مغادرتها مكتبهما : مفاجأة لك !

ـ ولك !

ـ نعم ، عندما كنت تذكرين اسم عبير على لسانك لم يخطر في بالي أنها تلك الفتاة التي أعرفها في الجامعة .. كانت معروفة بثرائها ولهوها .. وفتيات اسمهن عبير كثر في هذه الدنيا .. فأنا أصلا بعدما تخرجت نسيتها فهي تخرجت قبلي .. وكيف سأفطن أن السيد حازما أخ لعبير إحدى زميلات الكلية .. وهي اطلعت على عنوان المكتب كما قالت اليوم وقبل اليوم من أحد الإعلانات في الصحف .. فإذا كان يا منى في العمل معها ما يزعجك ويذكرك بالماضي سأعتذر لها عن الشغل الذي بيننا وأرسلها لمكتب آخر .. ولكنهم أصحاب شركات وأموال والتعامل معهم مفيد .

ـ لا ، لا أنظر للقضية يا صاحبي من هذه الزاوية وبحساسية .. العمل عمل يا رجل .. ولا أخاف منها ولا من أخيها .. فالماضي كما أخبرتني وعلمتني سابقا هو ذكرى لا يمكن نسيانها بسهولة ولا تجاهلها وهي كامنة في النفس .. ولن تشوش على حياتنا ، وأنا واثقة بك ، ولم يخطر في بالي يوما أنك ستسيئ إليّ .. وحتى ولو فعلت ، فأنا سأسامحك ، فأنت غيرت دنياي وطريقة نظري وتفكيري للدنيا .. ودفعتني لأنظر إليها بمنظار وعين أخرى ... وأنت والد ثلاثة أطفال فهذا أمان آخر .. أنت أعز إنسان عندي يا أبا خليل .

ـ آه ما أقسى هذا الكلام يا عزيزتي وأحلاه ! .. الحياة الزوجية سكن ومودة ورحمة واندماج هذا كلام ربنا .. أنا قصدي حتى لا تشعري بالضيق والنفور والتوتر من دخلوها المكتب أو ذهابنا لشركاتهم لمراجعة السجلات والدفاتر .. هذا تعامل واحتكاك .

ـ افعل ما تراه مناسبا ولا يهمني أمرها .. واعلم أن هذه ليس أول مرة التقي بها بعد طلاقي من أخيها وتركي للعمل معها ..

ـ هذا عمل ليس لقاء فحسب .

ـ لا تخشَ على أحاسيسي ومشاعري من الغيرة والخوف أيها العزيز.. صدق أنني تعاملت معها بأريحية ، وغضضت الطرف عن كثير من إشاراتها فأنا أعرفها .. فعبير إنسانة بسيطة يا برهان ولكن الثروة والأرستقراطية الواهمة تظهر هؤلاء الناس بثياب أخرى .

ـ معك حق .. هيا اذهبي يا عزيزتي للبيت لابد أن محمدا أزعج جدته بالبكاء .. وأنا أحببت أن أعبث بها أمامك .. فأنا لم تهزني أموال أبيها وهي صغيرة لم تعرك الحياة ، مع أن المال أصبح في هذا الزمان كل شيء عند الكثير من الناس .



عادت منى للبيت ؛ ولكنها لم تنسَ هذه الساعة التي قضتها مع عبير، وهمست لنفسها وهي تركب السيارة عائدة للبيت: أنا أثق ببرهان ثقة كبيرة وعمياء ، ولا يمكنها أن تهز شعرة في شاربه ، وإن فهمت من مجمل كلامها أنها جاءت للمكتب لتدور وتلف حوله .. فهي ما زالت تفكر بعقلية الطالبة التي دخلت الجامعة .. فبرهان رجل عاقل ولا يسمح لعواطفه في القضايا ولا يحكمها في قضاياه .

ولكن قلقا ما خيم في باطن منى .. فقالت لنفسها : هل صدفة لقائها في المكتب أم أنها تعرف أنني زوجة برهان وتريد بي شيئا ؟! .. عبير ليست ذكية لقد تعاملت معها سنوات .. هي تقليدية في عملها وإداراتها إنها تنفذ تعليمات والدها وأعمامها ليس عندها إبداع مميز ..

ولم تكن حقيقة قلقها من علاقة بين زوجها برهان وعبير.. فبرهان يتعامل مع عدد كبير من النساء العاملات .. إنما كان قلقها من جهة حازم أن يعرف مكان عملها ، ويحاول اللقاء بها لصنع المشاكل لها ، عندما يعلم بأنها دخلت مشروعا جديدا مع زوجها الجديد ، ولكنها تهمس لنفسها منذ افترقنا لم نتصل ببعض إلا تلك الرسالة اللعينة التي تحدث فيها عن ماضينا الأسود ، وكانت بعد عقدي على حبيبي برهان ، ولأنه يعتبرها كما قال مرات أثناء الزواج إنها

سبب تدمير حياته وفشله .. جعلها السبب .. من هذه الجهة كان القلق الذي لمس قلب منى وتفكيرها وهي تعود للبيت ذلك النهار .. ربما تفكر عبير بوضع أخيها في طريقنا ثانية لتعكير صفونا .. فأنا أعرف حقدها الماضي عليّ ، وإن كانت تتظاهر أن ذلك لمصلحتي.. إنها عادتنا بشدة ، وكم مرة سمعتها تهدد أخاها وتحذره من التورط معي ؟.. قبل أن يعرف والداها شيئا بل هي التي عرفتهم على هذه العلاقة والصداقة .. ولابد أنها هي التي ملئت قلبيهما علينا .. فكيف الفتاة الفقيرة التي أتت من حي برقوقة تتزوج من حازم الثري ابن الثري بسرعة وسهولة وعلى طبق من فضة ؟ وغدا يسيطران على الشركة ويطردانها ..

كانت هذه الأفكار والخواطر والخيالات تمر في ذهنها وهي تعود للبيت مغادرة المكتب حيث أولادها خليل وزهرة ومحمد .

ولما وصلت البيت وأدخلت السيارة الخاصة بها لمكانها مشت إلى أم زوجها ، وجلست معها بعض الوقت ، وحملت أطفالها ودخلت شقتها ، وكانت قد شعرت أن لقاءها بعبير هذه المرة ترك في نفسها هما غامضا .. ولكن معرفتها لبرهان الزوج الذي اختارها دون النساء لا يمكن أن تؤثر به فتاة لعوب ، وإن كانت أموال أبيها تملأ الأرض .. فيسكن القلب ويهدأ من جديد .

بعد هذا اللقاء بين عبير ومنى في مكتب برهان الذي ألقى ظلالا وتوجسا في قلب منى كانت عبير ترسل إحدى موظفات الشركة للمراجعة مع السيد برهان ، ولحظ برهان ذلك وأنها تحاول تجنب اللقاء به شخصيا .. فلم يكترث لذلك فهو يهمه في معرفته بها العمل والشغل ، ولا تهمة العلاقات الاجتماعية الأخرى .

وبعد حين يسير تلقى المكتب دعوة من عبير ، تدعوه فيها وزوجته للمشاركة في حفل افتتاح مصنع جديد .. وذكرت في الدعوة موقع المصنع ومكان الاحتفال الذي سيحدث وساعة الاحتفال ..وكانت هذه الدعوات مهمة لرجال المال والأعمال للالتقاء والتعارف والدعاية والإعلان وأخذ عقود عمل .. فهي ليست أول مرة يتلقى مكتب برهان دعوة لحضور افتتاح أو احتفال .. فسبق له أن دعي لمثلها .. أما من عبير فالأمر يختلف وخصوصا منى المدعوة

باسمها وزوجها برهان وزوجته .. لأنه من الممكن الالتقاء بحازم زوجها السابق ، وليس بينهم رابط من ولد أو قرابة .. فتشاور برهان مع زوجته فقالت : اذهب أنت كالمعتاد ، وأنت تعرف أنني قليل ما رافقتك لمثل هذه الاحتفالات ولا أشارك فيها كثيرا .. والأخت عبير تريد التعبير لنا بهذه الدعوة عن صداقتها لنا.. وصدق لو أرى حازما سيكون الأمر كرؤيتي لأي رجل ..

تبسم برهان وقال: العاطفة مشكلة يا سيدتي .. فأنا لا أعتقد أنك عندما ترين طليقك ستشتاقين للماضي ، فهذا ذهب ومات ؛ ولكنّ الرؤية تجدد الذكريات والجروح ، وقد تسبب لك إحراجا من نوع ما وألما وضيقا .

ـ قد يحدث ذلك ، وأنا في غنى عنه .. اذهب وحدك فهذه المناسبات تفتح لك عملا ومعارف جددا من رجال المال والعمل .

ـ هذه هي الفائدة المرجوة وحدها من مثل هذه الدعوات ، وهي التي يسعى إليها المكتب .. ولكنني قررت الآن أن لا أذهب .. ليس خوفا من رؤية من كان زوجا لك أو حرجا منه .. الإنسان يتزوج ابنة عمه ويطلقها ويزورها ويصل رحمه .. وقد لا نرى حازما هناك .. ولكني سأرسل حسنا وعمران .

ـ هذا جيد ، ولكن عبير تريدك أنت وأنا فخصتنا بالدعوة .

ـ هي تعرفهما .. لقد أرسلتهما للشركة مرات .

ـ على كل حال الأمر سيان عندي يا برهان ذهبت أنت أو غيرك .. أنا لا أتعامل معهم بحساسية التي قد تبدو لك .. فأنت حياتي ، وثقتي بك أكثر من ثقتي بنفسي .. فلولاك لضعت ، ولا يمكن أن أنسى اقتحامك لحياتي ، وجودك في حياتي غيرني يا برهان .. من المهم أن أذكرك أن اليوم سيأتي ربيع من السفر كما أخبرتني أمي.. أراغب أن تذهب معي لنكون في استقباله كما تعودنا أم على تسهيل المولى؟

ـ ربيع ! بل سأكون أول الناس ، فالعم خليل اتصل بي وقال لي إني مشتاق للقياك وللحديث

معك ولخليل.. وهذه فرصة لنراه ونسمر معه .. ثم نرى مالكا فهو يفكر بالزواج كما علمت ويريد أن يطلق العزوبية .

ـ الزواج ؟! هذا خبر سعيد ومفرح .. لم أسمع أمي تتحدث عنه .. متى قال لك ذلك ؟!

ـ زرته من زمن قريب في مكتبه.. وربما ينقل مكتبه إلى حي برقوقة عندما ينتهي بناء العمارة التي أوشكت على التشطيب كما أخبرني .

ـ من سيتزوج ؟!

ـ لم يقل لي شيئا عن الزوجة .. إنما يفكر بالزواج بعد انتهاء البناية .. ولا أدري هل التقى بفتاة أم لا ؟!

ـ على كل هذا خبر يستحق النشر الليلة .

وعاد برهان يقول : أنا أظن أنها فتاة بنت أحد المحامين الكبار .

ـ تظن .. كيف ذلك ؟!

ـ قديما منذ سنة أو أكثر .. تحدث مالك أمامي بشيء عن فتاة ، وأنه يفكر بالاقتران بها إذا وافق أهلها .. ثم انقطع الحديث عنها وعن أهلها ، وبعد ذلك لم يذكر شيئا فاعتقدت أن الموضوع قد انتهى ، وأن تلك الفتاة رفضت أو أهلها رفضوا .

ـ ومن هو هذا المحامي الكبير ؟!

ـ أظن أنها ابنة النقيب الحالي أو الذي قبله .. لا أدري بالضبط .

فغرت منى فاها استغرابا وقالت: أوه ابنة النقيب!.. هذه قصة كبيرة يا برهان!

ـ مالك شاب نشيط في النقابة كما تعلمين ، وصاحب ثقافة وعلم .

في بيت خليل

سبقت منى زوجها إلى بيت أهلها ، واتصلت ببرهان تعلمه أن الطائرة التي تقل ربيع وعائلته قد تتأخر عن موعدها المقرر، كما يتكرر ذلك عادة وباستمرار في مطارات الدول العربية ودول العالم النامي ، ولقد كان الترتيب أن يذهب مالك وزوج أخته سعد الدين لانتظاره في المطار .. ولما دخل الليل أتى سعد الدين بزوجته حنين عند أهلها ومع أولادها الأربعة ، ولما حضر مالك وشربوا الشاي ، وكان قد أتى بعدد من الساندويتشات معه فأكلوها ، ولما أراد الخروج للمطار التفت لعمه خليل وعرض عليه الذهاب معهم ومرافقتهم فقال كأنه معتذرا : علمت من منى أن الأخ برهان سيأتي الليلة أيضا .

ـ آ ، فهمت عليك ، حبيب القلب سيأتي .. أنت لا تحب أن تفوت الحديث مع برهان .. الله يجزيك الخير يا عم أبا أحمد .. سلام عليكم ادع لنا يا أمي .. هل جهزت الشاي لهم يا منى ؟

ـ نعم يا حضرة العريس ! هو على طاولة المطبخ .

نظر إليها مستغربا وقال : العريس ؟! إن شاء الله .. سآخذ لهم ساندويتشات خفيفة عن الطريق سلام عليكم . . هل يلزمكم شيء قبل الخروج ؟

ردت جميلة بالنفي ودعت لهم بالسلامة ، وخرج الشابان في سيارة مالك وسيارة سعد الدين نحو المطار لاستقبال ربيع وعائلته ، ولما اختفى الشابان قالت منى بصوت مسموع لأختها وأمها وزوج أمها : هل صحيح أن مالكا سيتزوج ؟!

تطلعت إليها حنين وقالت: أسمعت شيئا ؟ سمعتك تقولين له يا حضرة العريس .. فاستغرب وقال إن شاء الله ..ألديك أخبار؟

وقال خليل : وممن سمعت يا منى ؟!

فقالت منى : يا أم ربيع مالك صامتة ؟! أتعرفين شيئا ولا تريدين قوله ؟! هل طلب منك مالك أن لا تتحدثي بذلك ؟

أصغت جميلة لابنتها ، وهزت رأسها نافية علمها بشيء دونهم ، ولم يخصها مالك بسر وطلب

عدم إذاعته ثم قالت : منذ بدأ يبني في العمارة وهو يقول سأتزوج ولليوم لم يتزوج .. والله يا بنات لم أسمع شيئا .. تعال يا خليل ! فقد كان خليل في حضن السيد خليل .

فنهض الفتى الصغير من حضن خليل إلى حضن جدته التي اعتنقته وقبلته وأجلسته في حجرها وهي تدعو له ولأبيه بالصحة وطول العمر .

فعادت حنين تتساءل : آ يا منى أخبرينا بما وصل إليك من علم !

قالت منى: اليوم هذا .. أخبرني برهان وأنا أغادر المكتب ظهرا أن مالكا يفكر بالزواج وربما قريبا .. وها هي العمارة التي أشارت إليها أمي على وشك الانتهاء منها ، وهو كما يعلم الجميع كان يؤجل موضوع الزواج حتى ينتهي من البناء والعمران .

قالت جميلة : ما دام حدث برهان بشيء من هذا فلابد أنه سيفعل .. فمالك لا يحب الإفصاح كثيرا عن مشاريعه .

فاحتج خليل وقال : لأ يا جميلة ! فمالك لا يكتم عنا شيئا .

قالت مستدركة : قصدي أنه يقول الشيء ولا يدخل في التفاصيل .

وقالت منى : وأخبرني أبو خليل أن مالكا سينقل مكتبه للعمارة الجديدة .

ضحك خليل وقال : هذا أخبرنا به مالك يا جميلة ! .. بل أخبرنا أنه سيفتح مكتبا في العمارة وسيبقى مكتبه القديم حيث هو ؛ لأن له زبائن هناك يريد أن يحافظ عليهم وخصوصا القدامى ومن ثم يتعرفون على المكتب الجديد .. فمالك شاب فطن يا منى ويخطط بهدوء .. فهذه العمارة التي قامت فمنذ تزوجت أمك ثانية وهو يرسم ويخطط لها .. وقد تشارك كما تعلمين مع ربيع أخيك فيها .. ولا أدري هل اشتركتم أنتم فيها ودار حنين أم زكي ؟!

ردت منى قبل حنين فقالت : عرض الأمر علينا .. وكنا أيامها نخطط لفتح المكتب فاعتذرنا يا عم أبا أحمد .

وقالت حنين : وكذلك اعتذر سعد الدين لمالك وشكره على عرضه .

فقالت جميلة : ولكني علمت من مالك أنه مدين لكم ببعض المال .. كم هو المبلغ يا خليل ؟

فحاولت منى وحنين عدم ذكر الدين ، وكم هو المبلغ ولكن أبا أحمد قال : يا بنات ليس هناك أسرار .. فمالك أخبرني أنه استلف من سعد الدين خمسة آلاف ومن برهان مثلها .. والدنيا حياة أو موت .

فقالت منى : ليست أسرارا يا عمي .. فنحن أهل وأسرة واحدة ..

فقال خليل : أخبرنا مالك بذلك لحوادث الدهر .. فلدي ورقة فيها هذه الأرقام وغيرها ، وستجدونها في أوراقي يا جميلة إن حصل لي شيء .. فالإنسان المسلم المتدين بالذات عليه أن يوضح ذلك للأقربين لعوارض الزمان .

قالت جميلة : بارك الله فيك يا أبا أحمد لم تقصد البنات الإساءة إليك

قال خليل : أعرف وأفهم ذلك .. إنهن فعلن ذلك من باب الأدب ليس من باب الإساءة يا جميلة .

قالت حنين: هذا قصدنا يا عم .. رأينا من العيب أن نتحدث عن ديننا لأخوتنا .. ولا نقصد إخفاء شيء عنك .. فأنت بركتنا ، ولا ننسى أفضالك الكثيرة والكبيرة علينا .

فقال خليل : ولكن الحقوق المالية من المهم أن يعرف بها الأقربون يا أم خليل ويا أم زكي .

ـ بارك الله فيك يا عم أنت بركتنا وخيرنا .. يا منى لم تخبرينا عما قاله برهان عن زواج مالك متى وممن ؟!

ـ هو لم يحدد زمان إنما قال لبرهان إنه يفكر بالزواج قريبا .. ويعتقد برهان أنها فتاة من بنات كبار المحامين .

ردت حنين : كبار المحامين !! من هو ؟!

رن الجرس الخارجي للبيت فقالت منى : برهان!

وقفزت مسرعة لفتح الباب ، وفعلا كان برهان الذي دخل مسلما على الجميع وقال : ذهب الشباب للمطار.

قال خليل : نعم انطلقوا منذ وقت قصير .

وتحدث الجميع سوية بضع دقائق ثم خرج خليل وبرهان لصلاة العشاء ، فقد ارتفع صوت المؤذن يعلن للناس دخول وقت صلاة العشاء آخر صلاة في اليوم .

وقامت النساء أيضا بعد انتهاء النداء للصلاة ، وتركوا أطفالهم يلعبون ويحبون ، ولما أنهين أداء الصلاة دخلن المطبخ لأعداد الطعام والعشاء للضيوف والقادمين .



ولما رجع أبو أحمد وضيفه من الجامع جلسوا في غرفة الاستقبال يتسامرون وينتظرون ، ووضعت أمامهم أم ربيع بعضا من الفواكه المختلفة الأشكال والألوان والأحجام، وجلست تسمع حوارهم وكلامهم ، ومع الفارق الكبير في السن بين الرجلين فهما كانا كأنهما صديقان حميمان من أيام الطفولة ، تحدثوا في السياسة والأخبار والأسعار، والانحراف الفكري لدى فئات الشباب ، والميوعة التي تغلب على كثير من الشباب والإناث في هذا الزمان .. وتكلموا حول مشاكل التجار والصناع والاقتصاد والفساد ، كلمة هنا وكلمة هناك ، ولما سأل برهان العم خليل عن سبب تمسكه بالحدادة القديمة وإصراره على ذلك مع ظهور مادة الألمنيوم وكثرة استعمالها في العمران الحديث ، وأن الحدادة التقليدية خف سوقها وقلّ استخدامها في النوافذ والأبواب

فرد خليل وهو يضحك : العادة والإلف يا أبا خليل .. ألفت هذه الحرفة منذ الصغر ، والشغل ما زال مستمرا وإن قل الطلب .. فصناعة الأبواب الحديدية موجودة .. والأسوار ذات الأشكال والزخرفة ما زالت موجودة .. والعرائش والمراجيح وغير ذلك .. صحيح أن العمارات والشقق لم تعد تستعمل شبابيك وأبواب الحديد ولكن ما زال السوق قائما .. وحتى هذه العمارات ما زالت تستعمل في الأبواب الخارجية الحديد الصلب ، وكذلك أبواب المواقف الخاصة بالسيارات ومداخل العمارات الرئيسية .. فالحديد ما زال سيد المعادن

والصناعة .. فالألف والعادة والوراثة كما تعلم سبب تمسكي بالحدادة القديمة .

ـ رائع جدا يا أبا أحمد .. ما رأيك أن تصبح معلما في مصنع كبير أو محددة كبيرة .. مجرد مشرف لا تعمل بيدك ، فأنت مع قوتك وحبك للشغل فقد كبرت يا أبا أحمد

ـ لا أستطيع .. هذه المحددة منذ عهد وحياة أبي ـ رحمه الله ـ وأنا أعمل فيها .. غيرنا فقد البناء عندما جرى تحديث وتطوير المنطقة ، أنا لا أجد راحتي إلا فيها .. فلو تركتها قد يصير بي كما يصير في السمك إذا خرج من الماء .

ـ حسن هذا ! .. تعمل فيها وفي المصنع .. الصبح في المصنع وعند العصر تعود لمحددتك .. وأنت كما أعلم يعمل عندك شابان .. أنا عارف أنك قانع وراض بما يدخل عليك من المال والرزق ، ولم تعد كما أخبرتني بحاجة لكثير من الأموال ، فأولاد أم ربيع كبروا واعتمدوا على أنفسهم .. وفضل الله علينا كبير ؛ ولكن العمل سنة الحياة ألا ترى أصحاب الملايين يعملون ويديرون الشركات .. فهل هم بحاجة لمال وراتب آخر الشهر؟ العمل مطلوب للرجال في كل وقت .. ونحن أخي المهندس عبد الرحيم أبو بلال والعائلة نريد أن نساهم في إنشاء مصنع للحديد ، فرن ضخم للصهر ولتكوين الحديد بأشكال مختلفة .. مصنع في المعادن والصلب وهو يحتاج لمراقبين ومعلمين مثلك .. فأبو بلال الذي سيكون مالك ومدير المصنع سيعجبه عمل رجل أمين مثلك معه .

وأخذ برهان يشرح لخليل أحمد نشاط المصنع وطموحه ثم قال : ولما حدثت أخي عبد الرحيم أن يجعل لك مكانا في المصنع رحب بذلك ، وقمنا بزيارتك في المحددة وعرفتك عليه .. فعبد الرحيم كما تعلم مهندس معادن .

فقال خليل : أعرفه جيدا .. بل زارني مرات بعدما تعارفنا ، وكلفني بصناعة عدد من الأبواب والقواعد لخزانات المياه العلوية وللمكيفات المعلقة .. نحن أصدقاء وأخوة يا أبا خليل .

ـ عظيم جدا !! إذن الأخ العزيز بحاجتك فهو سيُكون شركة خاصة ، نساهم فيها نحن الأخوة والأقارب والأصهار .. وسأكون له شريكا بمبلغ حوالي عشرة آلاف دينار وهكذا الأخوة أقل

أو أكثر .. وأنت إذا أحببت المساهمة ، وسأطرح الأمر على سعد الدين إذا أحب أن يساهم في رأس المال .. فالمشروع واعد بإذن الله يا عمتي ويا عمي وعبد الرحيم منذ سنوات يخطط له .. ليس فكرة خاطفة .

ـ الحدادة المعاصرة لست بارعا فيها .

ـ يا رجل نحن نريد خبرتك.. فالمصنع سيعمل به مهندسون وفنّيون وسيتكون أكثر من خط إنتاج .. ستصنع فيه قضبان الحدادة والبناء والخزائن المعدنية .. مصنع ضخم ربما يتجاوز رأس المال الأولي المائة ألف دينار يا سيدي في مراحله الأُول .

ـ والله مبلغ كبير!

ـ هو مصنع على مستوى المنطقة ؛ وربما يكون هناك تصدير لخارج الدولة .. وكنت يا عمتي أحب أن يساهم فيه الأخوان ربيع ومالك ، ولكني أعرف ظروفهما وقد أنهك العقار جيوبهما ؛ ولكنه الحمد لله قد انتهى وقريبا سيتم تأجيره وسيدر عليهما دخلا جيدا .. وإذا أحبا المشاركة في المراحل القادمة سندخلهم في المشروع

وقبل أن ترد الأم دخلت منى وحنين وألقيتا التحية ، وجلستا واستمعتا آخر الكلام فقالت حنين : تحدث معهما يا برهان في الموضوع ربما ساهما بمبلغ يسير.

ـ أكيد سأتكلم معهما في ذلك ، ولكن أقدر وضعهما الحالي .. والأخ مالك له علم بالموضوع ، فهو الذي سيرتب لنا العقود والأوراق اللازمة للمنشأ .

فقال خليل : والله هذا مشروع ضخم !

قالت منى : طبعا يا عمي .. هذا مصنع حديد .. عبد الرحيم الأخ عبد الرحيم لديه طموح كبير وسيجعله مصنعا ضخما وعلى مستوى المنطقة ولكن على عدة مراحل كما فهمنا منه ..

فقال خليل: الله يوفق يا إخوان .. أنا وجميلة سنساهم بمبلغ بسيط إذا أحببتم أو إذا ساهم الأولاد سنضع رأس مالنا في حصتهم يا جميلة .

قالت جميلة شاكرة : إن شاء الله .. الطعام جاهز يا بنات ؟

ردت حنين : نعم يا أمي .

فالتفتت جميلة لخليل وبرهان: هل تتعشيان يا أبا أحمد أنت وبرهان .. أم تنتظران باقي الناس؟

قال خليل ضاحكا: أنا عن نفسي شبعت من كلام برهان .. وأستطيع أن أصبر .. وأنت يا أبا خليل .. ألا تريد أن تأكل؟ .. لا تجامل عمتك إذا كنت جاهزا للأكل فتفضل .

فتبسم السيد برهان لكلام الحداد خليل ومداعبته البريئة ورد عليه : شكرا يا عمي .. أنا تغديت متأخرا ، فلما أخبرتني منى عن تأخر الطائرة أخرت الغداء .. وهذه الفاكهة قد ملئت بطوننا .. المهم يا أخ أبا أحمد فكر جيدا بالعمل معنا في المصنع ، فأنت صديق عزيز وخبرة لا يستهان بها

ـ هذا من فضلك يا أستاذ برهان .. أنت أحسن إنسان تعرفت عليه في حياتي كلها رغم فارق السن بيننا .

ـ السن ليست عبرة يا صديقي! المهم الانسجام وتلاقي الأفكار والخواطر وقبل كل ذلك المحبة وتدخلت منى قائلة ومعقبة على كلام أبي أحمد : والله مناي أن أعرف سر تلاقيكما لهذه الدرجة يا عمي يا أبا أحمد .

تطلع إليها ضاحكا وقال : لا أدري يا عزيزتي يا منى !.. منذ دخل هذا الرجل بيتنا في اليوم الذي تعرفينه انشرح له صدري ، ووقع حبه في قلبي ونفسي كأنني أعرفه منذ سنوات ، وحدث انسجام بيننا وأنا أفضله على إخوتي من أبي .

فقال برهان : على ذكر إخوتك يا أبا أحمد ، ذكرت لنا قديما أن لك إخوة من امرأة أبيك الحاج أحمد فرفر .

تنهد الحداد خليل وقال : نعم ، نعم ، يا أخي يا برهان .. عندما تزوج أبي أمي خلفتني أنا وصبرية ، ثم مرضت ولم تعد تستطع الحمل ، وبعد يأس تزوج امرأة عليها أنجبت منه ولدين وابنتين ، ثم ذهبتا إلى الموت هما الاثنتان رحمهما الله .

العمارة

عند منتصف الليل أقبل مالك وسعد الدين بربيع وعائلته ، وتعانق الأحباب واجتمع الشمل في بيت السيد خليل فرفر، وكان لقاء طيبا ظهرت فيه العواطف الرقيقة والمشاعر الناعمة والود والحب بين هذه الأسر الأربعة .. وبعدما استراح المسافرون قليلا وضع بين أيديهم العشاء المتأخر ، وتناول الجميع طعامهم ، ثم أخذ برهان أولاده الثلاثة خليلا وزهرة ومحمدا وزوجته قافلين لبيتهم بعدما استقبلوا ربيعا وأسرته كما اعتادوا على ذلك سنويا ، وبعد مغادرتهم بقليل انصرف سعد الدين بعائلته الأولاد والزوجة مغادرين لبيتهم وقد قاموا بواجب الترحيب بأخ زوجته ، وقضت العائلة ساعة أخرى في الحديث والترحيب ، ثم انصرف كل منهم إلى حيث يرقد وينام ، ورقد القوم سريعا في نوم عميق بعد السهر والعشاء.

وفي الصباح التالي انطلق خليل لمحددته وهو يفكر بعرض صاحبه برهان ، ولم يتخذ القرار الحاسم بعد ، فهمس لنفسه محاولا إنهاء ما يدور في نفسه من تردد .. كان الأمر صعبا على روحه ونفسه ، فهو قد اعتاد على المحددة الصغيرة والعمل البسيط ، بل كان عندما يطرح عليه عرض كبير من الشغل يستعين ببعض المعارف من الحدادين الآخرين لإتمام المهمة والعطاء .. كانت حياته بسيطة لا تعقيد فيها .. أجرة بيت لا يدفع ، فهو يملك البيت ، والأمور ميسرة ، وكان أخوته قد تنازلوا له عن البيت قديما قبل أن يهجروه وقد قام بتوسيعه وتحديثه .. والفواتير الأخرى من ماء وكهرباء وهاتف لا تكلفه كثيرا ، ومنذ كبر أولاد زوجته قل الإنفاق على البيت فالأولاد قد تحملوا المسؤولية كاملا .. فمالك وربيع يرسلان المال لأمهما باستمرار ، وحتى البنات يدفعن المال لأمهن بسخاء فكان أكثر ماله يدخره .. وحياته هادئة والأيام طيبة .. والأولاد دائما حولهم في البيت ، وهم لا يشكلون أي عبء مالي على جيبه رغم محبته لفعل ذلك .. فمالك لا يمر يوم إلا وهو يدخل صناديق الفاكهة المتنوعة للبيت .. فكان يرى العمل في المصنع مشقة وتغيير ما تعود عليه .. ولكن برهان حبيبه يحب تعاونه معهم .. إنه يريد أن يكرمه بطريقة لطيفة فهمس قائلا لنفسه المترددة : عندما يتم بناء

المصنع وصنع الفرن سأقرر وأتخذ قراري الأخير .

فلما وصل لهذه النتيجة ارتاحت نفسه ، فخفت حدة التوتر بينه وبين روحه فهو يقدر برهان ويعتبره أكثر من ابن وأخ .



وأما مالك فبعد أن صلى الفجر جلس في المسجد كعادته ، ولما صلى صلاة الشروق عاد للبيت فوجد أمه قد صنعت له القهوة بالحليب وطعاما يسيرا ، فأكل الطعام وشرب قهوته ، حتى أتى وقت الذهاب للعمل فودع أمه وسألها كالعادة إذا كان يلزم البيت شيء هذا النهار فقالت : سأشترى ما نحتاجه من هنا من دكاكين الحي وإذا اضطررنا لشيء سأتصل بك .. فبعد قليل سيأتي إخوتي للسلام على ربيع وابنتهم .. وربما تأتي صبرية أخت خليل ، فقد تحدثت معي على الهاتف قبل دخولك تسأل عن وصول ربيع وزوجته وأولاده .. المهم أن البيت سيظل اليوم مشغولا طول النهار.. وإذا رغبت أن تتغذى مع أخيك فافعل .. فمنى وحنين ستحضران بعد الظهر .

ـ إذا صار لدي وقت سأحضر الغداء يا أمي .. لا أدري ماذا سيحدث اليوم ؟ . . فالقضايا تملأ المكتب وشركائي لهم رأي .. أحيانا الجلسات تأخذ منا وقتا غير مخطط له .. السلام عليكم يا أمي .

ومشى نحو الباب الخارجي للبيت ، ولكنه بعد لحظات سمعها تنادي عليه : انتظر يا مالك .

توقف والتفت إليها فقالت : هل صحيح أنك ستتزوج قريبا ؟

تبسم وقال : قريبا ! .. من قال ذلك ؟!

ـ منى سمعت برهان يتحدث بذلك !

ضحك وقال : سأتزوج إن شاء الله تعالى يا أمي ! أما قريبا فصدقني أنني لا أدري يا أمي ! كما

قلت لك سابقا عندما ننتهي من العمارة ونؤجر ما نريد تأجيره سيكون الزواج .

ـ بل سمعنا أنها ابنة أحد كبار المحامين .

تعجب مالك وقال : برهان قال ذلك ؟!

ـ قاله لمنى ، ومنى أخبرتنا به .

تبسم مالك وقال لأمه : يبدو أن برهان هذا يعلم أكثر مني يا أمي .

ـ لا تمزح

ـ هو في كلام يا أمي ، ولكن قبل أن يحصل شيء جدي وحقيقي فالكلام غير لائق .. فكما تعرفين الكلام يمشي وأنت تعرفين كيف يمشي ؟ .. فعندما يحدث شيء ستعلمون به .. فبرهان هذا عجيب فعلا من أخبره بذلك ؟!

ـ أنت ؟!

ـ أنا ؟! ممكن ولكن متى كان ذلك ؟! .. أنا تحدثت فعلا منذ عهد قريب مع برهان بفكرة الزواج وأنني قد أتزوج خلال العام ؛ ولكن لم أقل بالضبط متى ؟ ولم أقل من هي المرأة ؟

ـ هذا ما سمعناه من أختك أم خليل .. هو للحق لم يتكلم أمامنا بشيء .

ـ على كل ادع لي يا أمي بالتوفيق .. كلام برهان فيه كثير من الدقة بس الذي أدهشني معرفته بأمر العروس وكبار المحامين!

ـ أنت لم تقل له ذلك ؟! ما بك يا ولدي ؟! وكيف عرف إذن ؟!

ضحك مالك لحظات وقال : لا أذكر أننا تحدثنا بشيء من ذلك .. السلام عليكم يا أمي سلمي على ربيع وامرأته وعلى كل ضيوفك اليوم .. أنا وصيت أبا خضر صاحب المطعم على كمية من الحلويات الشهية لتقديمها لضيوفك اليوم وتكريمهم بها .. لقد صلى الفجر معنا وسيرسلها لكم .

ـ وصيت ، جزاك الله خيرا .. والله أنا نسيت أمر الحلويات ..

ـ أنا لا أنسى .. ألم يعد هذا تقليدا عندنا ؟ كلما يرجع الأخ الكريم من السفر نقدم للناس

الحلوى والفاكهة .. وإذا نقصت الفواكه فخذي من عند سعدي وأنا سأمر وأدفع له إن شاء الله

ـ توكل على الله رضي الله عنك ، لقد عوضني الله خيرا بكم يا ولدي الحمد لله على توفيقه .. وهذا الرجل الصالح ـ تعني خليلا ـ ماله حلال جزاه الله خيرا قام عليكم أحسن قيام .

ـ الحمد لله يا أمي.. فأبو أحمد بركتنا وسيدنا وخيرنا، وكسب أجرنا ، فالساعي على الأرملة واليتيم كالمجاهد في سبيل الله.. ونحن بودنا لو نقدم له أفئدتنا ؛ ولكنه بفضل الله تعالى مرتاح منا ، ودائما يثني علينا ، ونحن نقدر له كل شيء ..

ـ صحبتك السلامة يا ولدي .. انتبه وأنت تسوق سيارتك فحوادث السيارات تزداد وتكثر في المدينة .

ضحك الشاب وقال : الأعمار بيد الله يا أمي بسيارة أو غير سيارة .

ـ الحذر مطلوب ..

ـ لا مفر من القدر يا أمي ! سأفعل بنصحك .. المهم رضاك علينا وأكثري من الدعاء لنا ، فدعاء الأم عظيم ومسموع عند الله الرب العظيم .



لما استيقظ ربيع عتب على أمه على أنها لم توقظهم للصلاة فقالت: قد فعلت ولكن يبدو أن النعس والتعب حط رحاله عليكم ، فرحلة الطائرة رغم الراحة المتوفرة فيها ففيها مشقة وإرهاق نفسي .

صلى الصبح هو وزوجته ، وما كاد يخرج من الحمام ويتناول الإفطار حتى كان خاله والد زوجته وزوجة خاله حماته يجلسون مع أمه ، وقام الترحيب والعناق والسؤال عن الصحة والعافية والسفر والغربة .

بدأ أقارب ربيع يهلون للسلام عليه كعادتهم عندما يرجع كل سنة من سفره .. وانقضى النهار باستقبال وتوديع ، وفي المساء زاره بعض أعمامه وزوجاتهم وأبنائهم الكبار .. وقام بهذا الواجب أيضا بعض الجيران ، وقضت الأسرة بضعة أيام على هذه الحال والمنوال .. فقد اعتاد أهل برقوقة

على هذه المجاملات للتعبير عن حبهم للمغترب .

ولما عاد مالك أحد الأيام مساء مبكرا وقد خفت الرجل عن البيت فجلسوا جلسة عائلية في صالة البيت ، وكانت زوجة ربيع قد أخذت بعض أولادها لزيارة أهلها والمبيت عندهم ليلة قال ربيع مخاطبا أخاه مالكا : ما أخبار العمارة ؟

ـ ألم تذهب إليها بعد ؟!

رد ربيع باسما وقال : الناس ، وأنت عارف ناس برقوقة .. لي أربعة أيام لم أخرج من البيت إلا للمسجد .. وذهبنا فقط لمنزل خالي والد زوجتي للغداء عندهم فقط ؛ ولكن أمي حدثتني عنها بعض الشيء .

ـ الحمد لله رب العالمين شهر ونصف أو شهران سينتهي كل شيء بمشيئة الله .. الطابق الأول تم تأجيره كما اتفقنا محلات تجارية ، والطابق الثاني كما تعلم ثلاث شقق استأجرت شقة لمكتبنا الجديد ، وشقة استأجرها الدكتور حسن عيادة وهو صديق لنا ، والثالثة شبه محجوزة لأحد الأصدقاء وهم يعملون في الطباعة والورق .. والطابق الثالث شقة لك وأخرى لي والثالثة لم تؤجر بعد ، والطابق الأخير كما تعلم عليه شقتان يا سيدي ، هناك بعض الناس حدثوني عنهما ولكن أجلت الأمر للتشاور معك ، فربما يريد أحد يخصك السكن فيهن ، وسمعت أمك تقول إن أخ زوجتك حسني ابن خالنا ربما يرحل ويسكن في الحي

فقالت جميلة : أنا قالت لي ذلك امرأة خالك فاطمة حماتك يا ربيع .

فقال ربيع : لا حرج يا أمي .. لك الشكر يا مالك على المجهود الكبير الذي بذلته خلال هذه السنوات الماضيات .

ضحك مالك وقال : سامحك الله يا أبا ساعد! هل بين الأخوة مجهود ؟ ولو أن المال متوفر بين أيدينا مرة واحدة لانتهى المشروع منذ سنوات أو من سنة واحدة .. ولكنني أحببت أن نعمل حسب الإمكانيات حتى لا نغرق بالديون كثيرا ، ونحن ما زلنا مدينين لسعد الدين وبرهان وبعض المحلات لها بواقي حسابات ، وكذلك والد سعد له علينا باقي ثمن حديد وإسمنت

ومواد طلاء ودهان وهو رجل فاضل قال لي على أقل من مهلك يا بني .. فنحن أهل ولولا أنني أخشى أن يزعل لسددته فورا ولكن قلت رويدا رويدا ، فالرجل طيب ومحترم ، ولو دفعتهن له مرة واحدة لظن أن في النفس شيئا فيزعل ويزعل سعد .. وحنين طلبت مني فعل ذلك ، فالرجل يحب أن يخدمنا ويفعل من أجلنا شيئا ، إنه يريد أن يجاملنا .

فقال خليل : الحمد لله يا أولادي.. الله فضله كبير علينا .. والحقيقة أن أصهارنا أناس أصحاب فضل ومروءة ، وأنتم يا أولاد طيبون وتستحقون كل خير

قالت جميلة: الحمد لله على فضله.. والشكر لله .. كل هذا ببركتك يا أبا أحمد .. ومن حرصك على الحلال وإطعامنا الحلال ، الله يسر لنا أولاد الحلال .

- بوركت يا أم ربيع .. أنت أصيلة وطيبة يا أم الجميع .

قال مالك : بارك الله فيك يا عم أبا أحمد.. غدا إن شاء الله عندما أرجع من المكتب سنذهب للبناية ونتفرج على ما سميته يا ربيع المجهود .. نحن منا المال أما الذين قاموا بالجهد والإنشاء هم العمال والمقاول وأهل الحرف .. وإذا أحببت اذهب في الصباح وخذ معك أمك وزوجتك وتفرجوا .. فستجدون الحارس أدهم فهو ما زال يعمل معنا ، وقد نبقيه بوابا للعمارة إذا أحب البقاء معنا .. ففي الطابق الأرضي سكن قد يصلح لبواب أو حارس عازب .. وظل شيء واحد بعد تشطيب العمارة وقد أجلته إلى أجل غير مسمى كما تعلم وهو المصعد الكهربائي .

واختلط الحديث بينهم في مواضيع شتى حتى جاء ذكر الزواج ، فعاد ربيع يسأل : ألم تقرر الزواج بعد ؟ .. أصحيح ما يشاع عن زواجك ؟

ضحك مالك ووضع كأس الشاي من يده وقال: كما يشاع ..حلوة هذه الكلمة! .. فعلا هي الكلمة المناسبة .. أنا ذكرت قديما أنني عندما أنتهي من العمارة وأستلم الشقة الخاصة بي سأبدأ بتجهيزها ، وعندما أجد بنت الحلال سنتزوج كما يتزوج خلق الله سبحانه .. فالحمد لله والشكر لله والفضل كله لله الأمور تسير تمام لليوم .

وقطع ربيع استرسال مالك قائلا: وهل صحيح ما يشاع أنها ابنة أحد المحامين الكبار؟

ـ هذا الغريب في الأمر يا ربيع! والعجيب أنهم ينسبون القول لبرهان ولا أدري من أين أتى به برهان ؟!

تبسم ربيع وقال: وبرهان حبيبنا لا يرمي الكلام كما تعلم جزافا .. ربما صارحت صاحبا بذلك وألقاه في أذن برهان .

ضحك مالك لحظات وقال : معك حق .. من سيكون ؟!

تبسم ربيع وقال: معناه صحيح .. هناك كلام يبدو في ذلك .. وهذا الكلام وصل لبرهان الحبيب .. هذا الرجل لو ذهب معي للخليج لصار مليونيرا .. فهو رجل فهمان في المحاسبة والشركات والدراسات ؛ لكنه قنع بهذا المكتب الصغير .

ـ الرجل فعلا عجيب عرضت عليه الملايين فرفضها .



قام ربيع كعادته عندما يرجع من السفر كل سنة بزيارة أعمامه وعماته وخالاته وأخواله وبعض الأقارب وأختيه ، فيمكث شهرا في ربوع الوطن بين الأهل ومحبيه ، وبين مستقبل وزائر ومودع ولم ينس زيارة صبرية أخت خليل ، فكان يعتبرها كعمة له ، وكذلك يخص بزيارة صديقه عدنان جابر وزوج ابنة خالته ، وكان يتمنى لو يزور أخوة خليل وأخواته الأخريات ، ولكنهم لا يعرفونهم ولا يعرفون سكناهم ، فهو يقدر ويعظم دور خليل زوج أمه في حياتهم وتربيتهم وتعليمهم ، ولما انتهت الإجازة السنوية سافر من جديد للخليج ، وعاد السكون والهدوء لمنزل السيد خليل فقد سافر الضيف العزيز .

ربيع لم يعادِ ويجافِ أهله وأقربائه وخصوصا أعمامه اللذين تخلو عنهم صغارا .. ولكنه عذرهم ولم يجافهم أو يفكر بالانتقام منهم ؛ بل قدر ظروفهم وحياتهم ، وكان يصل عماته بالمال ، وكذلك أعمامه المحتاجين ؛ بل ساعد بعض أبنائهم للعمل حيث يعمل ، وقد تحسنت العلاقات بينهم خصوصا بعد سكناهم ثانية في حي برقوقة ، وأصبحوا كبارا بل يتطلع بعض

أعمامه وعماته لتزويج بناتهم من أخيه مالك ، وهم مستغربون لتأخر مالك بالزواج لهذا اليوم ، فقد كان ولدا بارا بالجميع، وحتى مالك المحامي لم يكن يقصر في هذا الجانب الاجتماعي والإنساني، فكثير ما يأخذ أمه ويشارك أعمامه وأولادهم في مناسبتهم من فرح وترح ، ويساعدهم بما استطاع ، فعلاقته طيبة مع الجميع بل كانت أسرة خليل مجال فخر لأهل الحي فهم يستفيدون من عمله في سلك المحاماة في حل مشاكلهم وقضاياهم ، وكانوا يفخرون به أيضا بأنه كاتب بارع في الصحافة والمجلات .

وكان مالك الشاب القوي البنية الأنيق دائما يقدر زوج أمه خليلا التقدير اللائق به والكبير كان يراه رجلا عظيما ، ويتمنى من أعماق قلبه أن يقدم له شيئا ولو يسيرا من بعض دينه ومعروفه معهم .. فلليوم هم عاجزون عن سداد شيء ، فهو لم يحتاجهم في شيء مهم .. وكان يحترم زوجي أختيه أيضا الاحترام اللائق بهما ، ويرى أنهم من خير الناس وأحبهم إليه ، ويقدر لبرهان العمل الكبير من زواجه بأخته منى ، لقد كان خائفا عليها جدا من الضياع ، وتؤرق فكره منذ كان يدرس في الكلية الجامعية .. كان يخشى على أخته من هذا المجتمع الذي يتفتت وينفلت كل يوم .. ويزداد فيه تمرد الإناث على تقاليد العائلات ، ومع ذلك الانفلات المعروف إن أصابت الفتاة شيئا سيئا يبقى عار على العائلات ، رغم ضعف الروابط الأسرية والعائلية مقارنة بعقود مضت .. ورغم ترك الناس لبناتهم بالانخراط والتقليد الأعمى والبعد عن الدين.. ما زال يعاب الآباء والأخوة والعشيرة بتصرفاتهنّ المشينة والمنحرفة .. فكان خائفا من انفلات منى وكان يرى ذلك بأم عينيه لقد أصبحت تدخن وتشرب الخمر وتلبس الملابس الفاضحة وتجلس مع الرجال والنساء دون حياء ، وتتكلم مثلهم بسخيف الكلام باسم المدنية والحضارة والحرية والتعليم .. فكان ينظر لبرهان على أنه بطل صنع لهم معروفا عظيما ، ويتمنى من أعماق قلبه أن يجزيه بعض الجزاء .. فكان يرى برهان أكثر من صديق وزوج أخت ، كان يراه أخا لم تلده أمه دخلت منى المكتب بصحبة زوجها كالمعتاد صباحا ، وبعد حين يسير استأذن برهان للمرور على بعض الشركات للمراجعة والمتابعة والتدقيق ، وبينما منى تقوم ببعض أعمال العمل التي

طلب منها برهان القيام بها ريثما يرجع رن جرس الهاتف فرفعت السماعة وقالت : نعم

ـ عفوا .. ألم تعرفيني يا منى ؟!

ارتبكت وهي تسمع السؤال وقالت : آسف ، أرجو ألا أسمع صوتك مرة أخرى!

ووضعت السماعة وتوترت أعصابها ، وظهر الغضب على محياها ، وتغير لونها واكفهر وجهها غضبا.. ورن الهاتف ثانية فرفعت صوتها للعاملة التي في المكتب المجاور أن ترد على الهاتف : ردي عليه يا سلام !

تحدثت سلام مع المتصل ثم قالت لمنى وهي مستغربة رفض منى للحديث مع المتصل: إنه يريدك أنت .. يريد أن يسألك عن سبب عدم حضورك حفل المصنع الذي دعيتم إليه من قبل السيدة عبير ناصر!

ردت عليها بغضب قائلة : أغلقي السماعة في وجهه .. إنه رجل حقير!

عجبت سلام بالطبع لهذا الكلام ، واعتذرت للرجل ووضعت السماعة ، واقتربت من منى الغاضبة وقالت : مالك يا أستاذة منى ؟! عفوا طبعا للسؤال !

عادت منى للجلوس على مكتبها ونظرت إليها لحظات ثم قالت : أنا آسفة يا سلام لرفعي صوتي في وجهك .. المتصل استفزني ، ولما اتصل ثانية أذنت لك أن تردي عليه لأنني أغلقت السماعة في وجهه ولا أريد سماع صوته .. معذرة يا أختي

ـ أتعرفينه ؟!

ـ نعم ، أشكرك .. أين أبو غسان ؟

ـ ذهب للفطور .. هل تريدين شيئا ؟

ـ كنت أرغب بشرب كوب من القهوة .

ـ أصنعه لك .

ـ لا .. أرجوك عودي لمكتبك .. أنا بنفسي سأعد القهوة .

مشت نحو المكان الذي تصنع فيه القهوة والشاي ، وصنعت لها ولسلام القهوة ، شكرتها سلام

على تواضعها ، وكررت منى الاعتذار ثانية وهي تقول : اعذريني يا سلام .

ـ لقد عذرتك يا أختاه .. بس لو أعرف سبب انفعالك الشديد فقد احمر وجهك للغاية .

ـ ستعرفين .. وليس الآن .

عادت الفتاة ترشف القهوة وتنظر في الملفات التي أمامها ، وأما منى فدخلت لمكتبها وهي تقول : اللعين ماذا يريد ؟! ليس هناك شيء يربطنا ؟! إنهم يريدون تدمير حياتي .. عبير شيطانة .. إنها تحلم ببرهان! غبية جدا .. فهو أيام الجامعة لم يهتم بها .. فاليوم تتصور أن يقع في حبالها !

لما رجع برهان أدرك بحسه المرهف وهو يدخل المكتب قلق وتوتر منى ، فشحوب وجهها واضح فسألها عم بها فلم تكتمه شيئا وكانت تحدثه بغضب وهيجان ثم قالت : أرأيت تلك الملعونة ؟! ماذا ستفعل ؟!

ـ اهدئي أولا يا عزيزتي .. فالتوتر يوهن التفكير.. سأتكلم مع عبير .. وأيضا سأقطع علاقتي العملية معهم .

ـ لا تفعل أنا لا أخوض حربا معها !

ـ هذا لا أسمح به يا منى .. هذا عبث ولعب عيال وسخافة .. أنا عند الضرورة سأتكلم مع ناصر نفسه ، ونحن في غنى عن الشغل معهم .. اهدئي أيتها العزيزة .

ـ أفكر أنا بترك العمل !

ـ الهروب .. لا يا حبيبتي .. فالهرب لا يحل دائما المشاكل .. فالسخفاء ..

دمعت عيناها وهي تقطع كلامه قائلة : أنا لا أريد أن أخسرك !

استغرب برهان التصريح وضحك وقال : نحن لنا سنوات متزوجون يا ابنة العم .. أنا لا تؤثر فيّ حركات الصبيان ، ونحن كبرنا على لعب العيال ، وأنت لم تعرفي لماذا اتصل ؟ هل فقط اتصل ليسأل عن سبب عدم حضورك حفل الافتتاح .. ولماذا يريدك أن تحضري ذاك الحفل ؟!.. أنت تفاجأت بالاتصال فتوترت بسرعة وخانتك الحكمة .. وأنا أستطيع أن أوقفه عند حده ، ولكني خائف عليك على أعصابك .

ـ فعلا تهيجت أعصابي .. عندما قال ألم تعرفيني يا منى؟ فما كدت أعرف وأتحقق من صوته حتى ارتبكت ووضعت السماعة .

ـ صدقي لو أراد التعامل معي كعميل ربما لا أهتم ، فسيكون كأي زبون وعميل .. أنا أحب أن تكوني طبيعية وحتى مع حازم ، وأنا واثق بأنه أصبح ماض في حياتك .. على كل حال لا تقلقي سأتحدث مع عبير بداية وأعرف منها سر هذا الاتصال ، وأعرف أيضا مدى دورها في هذه اللعبة إذا كان هناك لعبة ، وإذا وجدت أي عبث سأنهي كل الأعمال التي بيننا وبينهم ، فنحن في ألف غنى عن شركاتهم ومشاريعهم وحفلاتهم .. عودي للبيت الآن ، وسوقي السيارة بكل هدوء ، فأمي تريد زيارة أمك فخذيها وانسِ هذا الهاتف وسأتصرف .

أثنت عليه منى لسانا وقلبا ، وهدأت أعصابها قليلا ، واعتذرت لسلام ثانية وهي تغادر، وانصرفت قافلة لبيتها ، ومع كل حديث برهان المطمئن لها ما زال القلق من المجهول ، وكانت ترى أن هذه بداية لتحرشات جديدة ، فهي تعي بشكل جيد أن حازما ابتعد عنها لخاطر أهله وضغطهم ، وحتى زواجه من قريبته كان رغم أنفه .. وكانت تعتقد أن مجيء عبير بعد سنوات من فتح المكتب لم يكن صدفة وقراءة إعلان في جريدة .. كانت ترى أن عبير لما عرفت من هو برهان صاحب المكتب طمعت فيه ، وظنت أن الأيام والحياة الصعبة غيرته .. ولكنها فوجئت بأن زوجته هي منى زوجة شقيقها حازم .. فإدخال عبير حازما بطريقة ما سيكون فيه خراب لبيتها ، هذا ما كانت تتخيله منى من الاعتقادات والتخيلات .. بل ذهب بها التفكير أن عبير كانت تعرف بزواجها من برهان للرسالة التي جاءت لها من حازم بعد كتبها كتابها على برهان بأيام .. وإنما تظاهرت بأنها تفاجأت بزواجهما من بعض .. كانت خواطر تروح وتجيء في ذهن فتاة قصتنا هذه .

لما خرجت منى قام برهان ببعض الأعمال ، ثم تكلم مع عبير وحدثها عن اتصال أخيها حازم بمنى فقالت عبير : لا تزعل يا برهان .. أنا كنت قد حدثت أخي عن زواج امرأته السابقة منك وكان المسكين يأمل برؤيتها في حفل افتتاح المصنع ليعتذر لها عما سببه لها من ألم وعذاب وخذلان

ـ يا عبير .. هذا كلام فارغ وسخيف .. فهي على ذمة رجل اليوم .. وهي لا تريد اعتذارا ولا أسفا ..أنا أعرف أنه ما زال لها في نفسه شيء لأنه طلقها مكرها ومجبرا .. ولكن كل شيء انتهى فليحترم نفسه .

ـ لا .. لا .. يا برهان .. حازم مسكين محطم شخص من غير إرادة .

ـ لا ، هو ما زال في نفسه من ناحيتها شيء .. عندما أعلنت زواجي منها كتب لها رسالة تهنئة ، وفيها كلمات حنين وأسف وغير ذلك ، ولما لم يحدث بعدئذ شيء نسيت الأمر .. فحذار من غضبي .

ضحكت المرأة وقالت ساخرة : ماذا ستفعل ؟!

ـ اضحكي ما تشائين .. أنت تعرفين برهان ماذا يفعل إذا غضب ؟! لقد عرفت بعض حكاياتي أيام الكلية .

ـ هل نحن في العصور الوسطى !

ـ العصور الوسطى .. عصور شيكاغو .. المهم إذا أحببت أن نبقى أصدقاء فلتكن صداقتنا العمل وحده .

عادت عبير للتهدئة والاعتذار وقالت : قلت له دعنا من هذه الدعوة .. دعنا من منى ربيع .. فهي تعيش في كنف غيرك وأنت عندك امرأة .. فالملعون كان مغرما فيها .

ـ كلام سخيف يا عبير .. هذا حب مراهقين .. ساعة هنا وساعة مع تلك .. أليس هو الذي طلقها ؟! والآن أنا زوجها ..فليفهم ذلك وإذا اتصل مرة أخرى سأتكلم مع والدكم مباشرة

ـ خلاص يا سيدي .. أنا آسفة .. سأفعل ما تشاء .. لن يعيدها بل أنا سأتحدث مع الوالد إذا علمت بشيء .. اطمئن .

ـ أنا أقبل منك هذا الكلام.. فنحن عرب ونغار على أعراضنا يا عبير .. نحن ما زلنا نعيش في تقاليد وعادات الماضي .. لسنا مثلكم نتزوج ونترك نساءنا على حل شعورهن ومصاحبتهن للرجال مهما كانوا.. أو الزوجة تترك زوجها يصاحب من شاء .. نحن عرب مسلمون .

ـ ما أقسى كلامك !

ـ هذا واقعكم لم نأت بالكلام من دورنا .. أرجوك أن تنصحيه أن ينسى هاتف المكتب .. رجاء يا أخت عبير .

ـ ولا يهمك يا عزيزي .

شكرها ووضع السماعة ومسح العرق المتصبب على جبينه وقال لنفسه : أرجو أن تكون قد فهمت الدرس .. أنا إذا غضبت وحقدت أدمر الدنيا .. لعنة الله تعالى عليه .. سم بدني وأعصابي .. مسكينة منى !!

وما كاد برهان يضع السماعة ويتكلم بهذه الكلمات حتى رن الهاتف فإذا هي عبير ثانية ، فاستغرب وقال : آ .. يا عبير ؟!

قالت : حازم عندي ويريد أن يعتذر لك ؟

ـ لا أريد اعتذاره .. المهم أن ينسى أنه كان يعرف أنثى اسمها منى ربيع ، فليكن تعاملكم معي في الشغل فحسب ، وإذا شئتم اسحبوا العقود التي بيننا .. فأنا بغنى عن مشاريعكم .

ـ يا ابن الحلال لا تغضب .. فنحن معرفة وزملاء قبل أن نعرف كلينا منى .. ولكنّ حازما مصر على الحديث معك لديه كلام خاص كما يقول

ـ لا أريد أن يكلمني ، أنت فهميه كل ما قلته لك يا عزيزتي يا عبير .. مع السلامة

أعاد سماعة الهاتف لمكانها وقال : لو كان هذا الرجل صادقا بعلاقته بمنى لما انشغل بالمخدرات للهروب من الحياة ومن زوجته .. لكان قد كافح وعمل أي شيء لتدوم الحياة مع منى ، أليس معه شهادة جامعية ؟! كان باستطاعته أن يعمل في أي شركة ويفتح بيتا .. لكنه اعتاد على التبذير والسكر والقمار .. وأنا متأكد أن أكثر أمواله هلكت على موائد القمار .. ولكن يبدو أن منى لم تكن تعرف ذلك .. فإذا عبير وهي في الجامعة كانت تمارس الميسر .. فكيف بحازم المدلل الضعيف الشخصية ؟! ولو كان يحب حقيقة ما طلق متظاهرا بالاستسلام لوالده .. إنه صاحب منى أصلا محاولا الضحك عليها بالحب والعشق ، ولما فشل في تحقيق مأربه الشهواني رضخ

لأمر الزواج اضطرارا وهي أرغمته على ذلك ؛ لأنها كانت تريده سلما للمجد والمال ، فشخصية منى قوية وحذرة .. أنا أعرف هؤلاء الناس !

عكف برهان على العمل من جديد وهو مشوش الذهن وسارح الفكر بما حدث ، فالاتصال هذا عمل اضطراب في هذه الأسرة الوادعة الحالمة .. وقبل أن يغادر المكتب رن الهاتف في الثانية ظهرا ، رفعت سلام السماعة وردت ونادت عليه فهو يقف بالباب لينصرف وقد ارتدى جاكيتته فقال : من ؟

ـ رجل يريد الحديث معك لم يذكر اسمه .

عاد لمكتب سلام وأخذ السماعة من يدها وقال : نعم .. نعم .. أنا برهان

ـ أريد أن أقابلك أنت شخصيا يا أخي .

ـ تقابلني من أنت ؟!

ـ أنا حازم !



لقاء مع حازم

لما عادت منى من بيت والدتها بصحبة والدة زوجها أم عبد القادر ، وتعشى الزوج والأولاد ، وجلسا في حجرة التلفزيون يسهران ويسمران ، ولما خيم الصمت على الحجرة قالت منى : أكلمت عبير يا أبا خليل ؟

ـ نعم ، اتصلت بها وبهدلتها وهددتها بالحديث مع والدها ، وترضتني ألا أفعل ، ثم أنهيت الاتصال ، ثم عاودت الاتصال مخبرة أن حازما يرغب بالحديث معي ، فرفضت وأكدت تحذيري .. ولكن قبل مغادرة المكتب رن الهاتف ، وأنا أقف على الباب مغادرا ، فردت سلام ونادتني للرد على المتصل ، فإذا هو حازم ناصر، ويطلب مقابلتي أنا شخصيا ويترجاني لقبول هذه المقابلة .

ـ مقابلتك ! .. ما أوقحه ! لا حياء عنده !

ـ المهم أننا اتفقنا على اللقاء يا منى .

ـ اتفقتم !.. ماذا تريد منه ؟!

ـ سأسمع ما الذي يشاءوه منا.. ولا تخافي ولا تحزني يا عزيزتي .. هذا إنسان ضائع.. هناك مشكلة كما يقول ويطلب مساعدتي في حلها .. أريد أن أعرف ماذا يريد منا ؟!

ـ أمرك غريب يا عزيزي!

ـ علينا أن لا نأخذ الأمور بحساسية كبيرة يا عزيزتي الغالية.. فحياتنا

وسعادتنا وتفاهمنا أكبر منه .. وأنا مستغرب لهذه التصرفات الصبيانية .

صفنت منى لحظات ببرهان ثم قالت: أنا سأقول لك هاجسا في نفسي واستحيي أن أقوله .

اهتم برهان بكلامها وقال: هاجس ! .. احكي ؟!

ـ أنا منذ رأيت عبير في المكتب وأنا متوجسة خيفة منها .. وأظن أنها لم تدخل المكتب عن جهل وحسن نية .. فأخشى أنها تريد منك شيئا خاصا

ضحك برهان لهاجس زوجته وقال : أتعنين أنها تقصد الزواج مني ؟!

ـ يعني !

ـ لا ، هل هي غبية لهذه الدرجة يا منى ؟

ـ هذا ليس غباء .. هي امرأة فاشلة في الزواج .. وهي تريد زوجا وهي تظن بالاقتراب منك وبدعمها المالي لك سيكبر المكتب ورويدا رويدا تتزوجك .

قهقهة برهان لأفكار زوجته وخوفها وقال : هذا كلام أفلام يا منى ! .. يظهر أن الأفلام القديمة التي كنت تكثرين من حضورها تشوش عليك وتضع هذا الوهم في نفسك .. فخيالك القديم يستيقظ .

صفنت منى بكلام زوجها ثم قالت : أترى ذلك ؟!

ـ بكل تأكيد يا عزيزتي .. أنا لست طفلا لتغرر بي فتاة وتافهة مثلها .. أنا فلوسها لم تشتريني وأنا طالب ضعيف يأخذ مصروفه من أبيه .. ومعها سيارة وعطر وشلة .. فكيف اليوم وأنا مرتاح نفسيا ومبسوط وسعيد بزوجتي منى وخليل وزهرة ومحمد ؟.. لا تخافي أيتها العزيزة .. صحيح النساء ذات مكر وحيل ولكن ليس لهذه الدرجة .

ـ حسنا ، ومقابلتك لهذا الرجل؟!

ـ أقصد أن أعرف ما الذي يريده من طلب المقابلة ؟! .. لا أعلم بالضبط لماذا أنت خائفة وقلقة من هذا اللقاء يا عزيزتي ؟!

ـ أنا لست خائفة من المدعو حازم .. فهو ضعيف الرأي والشخصية أنا خائفة ممن يحركه ويسره

ـ لا أعتقد أن عبير بهذا الذكاء والتخطيط الذي تتحسسين منه .. إنها لا تفكر جيدا إنها تعمل وتنفذ فقط ، أنا راغب أن أعرف ماذا يريدون وما الذي إليه يسعون؟ .. هل يفكر هذا الغبي بأنه الممكن أنك سترجعين إليه ؟ وأين أبوه يا صاحبتي ؟

ـ إنه يعرف أنني متزوجة كما تذكر من رسالته السخيفة قبل سنوات ، ويعرف من هو زوجي عبير تسعى لشيء منا يا برهان !

ـ الأيام ستظهر ذلك .. وأنا فكرت بما حصل ، ومنذ التقيت بعبير أول مرة ولليوم بالهاتف

الأخير بيننا لم ألمس مكرا وحيلة .. يبدو لي أن في البيت عندهم مشكلة ما ، فدخول منى على الخط فجأة .. ربما يحدث شيئا ما .

ـ لم أفهم عليك !

ـ تخيلي معي لو أن مشكلة أو مشاكل بين حازم وزوجته التي هي قريبته كما سمعت منك يوما ما .. بل ابنة خالته أو لا أذكر ربما ابنة عمه ناسي الآن .. المهم أنها قريبته.. وهذه القريبة بالتأكيد تعرف قصة زواجه من منى ، ومحاربته لأهله من أجل الزواج منها والتفاصيل المعروفة لك .. هذه الزوجة غضبى من حازم .. فلقاء مع منى يوم افتتاح المصنع أمامها وأمام الآخرين .. ثم اتصال ثم لقاء .. تسمع هذه القريبة والأهل بذلك .. سيحدث قلق داخل العائلة .. فتعود للهدوء والسكينة وترقيع الموضوع .. ممكن أن يكون هذا صحيحا ؟!

ـ معقول ما تقول! .. فبمثل هذه الحركات والبلبلة تحدث ضجة وكلام وإشاعات عن محاولة السيد حازم العودة إلى مطلقته القديمة .. سخفاء !

ـ معقول ، وهذا الكلام ليس تخيلي أو من عندي ، أنا تحدثت مع فتاة عاملة في مكاتب الشركة عند عبير .. تعرفت عليها أثناء ترددي على دفاتر المحاسبة في الشركة .. فلما عدت للبيت قبل عودتك أنت وأمي تذكرتها وتحدثت معها مباشرة ، وبطريقتي الخاصة علمت منها أن حازما لديه مشاكل كثيرة داخل البيت وكثيرا ما تصل أخبار مشاكله مع زوجته أو أمه للشركة .. وكثيرا ما غضبت منه وهجرته لبيت أهلها ثم تعود ، تصلحهما الأختان أمه وخالته .. بل صرحت لي أن الأمور مرة وصلت بينهما للطلاق .. مشاكل كثيرة داخل البيت.. فرتبت الأمور على ضوء هذه المعلومات فوقع في نفسي أنه يحاول الاتصال بك لإرباك العائلة .. فأقنع أخته بدعوتنا لحفل الافتتاح ، ولكننا خيبنا رجاءه بعدم الذهاب، فلو ذهبنا للحفل لقاء عابر معك باسم الاعتذار تسري إشاعات معينة .. ففكر بعد الفشل بالاتصال .. تحدث إشاعات أن حازما جدد الاتصال بزوجته السابقة .. تصل المعلومات للزوجة والأم .. تعود الزوجة الغاضبة منه خاضعة خوفا من عودة منى لحياتهم من جديد .. فربما اتصل ممهدا لطلب لقاء.. الأخلاق

إذا فقدت عند الناس مشكلة، ويستسهلون كل الوسائل لارتكاب ما يشاءون .

ـ كلامك معقول إلى حد كبير .. وهذه سهلة إذا أحببت أن أتصل ببعض الصديقات القديمات وستحدثني بكل شيء مفصلا ولكن لماذا يريد اللقاء بك ؟!

ـ سؤال مهم .. ومربك لم رتبته وتخيلته .. وهذا سنعرفه من اللقاء .. وأنت اتصلي بمن يستطيع أن يمدك بمعلومات صحيحة وواضحة .. وعندما أذهب إلى اللقاء الذي سيكون يوم الخميس الآتي في نادي السبع بجعات المعروف تكونين جمعت لي معلومات مهمة .. للخميس باقي يومين حاولي .

وبعد صمت قالت منى : غريب تفكيرك ! .. ودور عبير في الموضوع ؟!

ـ بعد اللقاء سيتضح دور عبير وغير عبير .. فاصبري أيتها الحبيبة .. فحبنا أكبر من هذه التفاهات .. نحن لا نعيش في مسلسل أو فيلم يا حبيبتي .

ـ معك حق .. الوسواس مخيف أحيانا .

ـ هل ترين أنني أفرط بك بسهولة ؟ تضحك في وجهي امرأة لعوب أنسى منى وأضحي بسعادتنا .. فنحن نعيش حياة طيبة بفضل من الله تعالى .. هؤلاء أبناء القصور العالية والحدائق المعلقة حياتهم ضحلة بحث عن الملذات والمفاسد إلا من رحم ربك .. هدئي قلبك المضطرب منذ سماع صوت ذلك الرجل .. ما أخبار العم خليل ؟

تبسمت وهي تقول : عاتب عليك لأنك لم تأتِ معنا .

ـ معه حق لي أكثر من أسبوع لم أره .. سندعوهم الجمعة للغداء معنا ما تقولين ؟

ـ لا مانع لديّ وجاهزة لصنع أحسن وأطيب الطعام .

ـ لا ، سأوصي على طعام من المطعم .

احتجت منى على الاقتراح قائلة : لا ، لا .. أبو أحمد يحب طهي البيوت يا أبا خليل !

ـ أعرف ذلك ؛ لكني لا أحب إتعابك هذه الأيام ، فالحمل في أوله وهو متعب ومرهق ، وهنا يقولون يكون خوف على الجنين في مراحله الأولى .

ـ لا تهتم .. فسوف تساعدني أمي .

ـ كما تشائين .. أنا أستطيع أن أطلب من أختي أم محمد المجيء والمساعدة ، ولكن هذا سيضطرنا لندعوها للغداء معنا .. وأنا أريد أن أقصر الدعوة على أسرتك فقط أمك وأخوك وأبو أحمد .

ـ ادعها إذا شئت ، ويسرني فعل ذلك .

ـ لا ، أنا أريد أن أتحدث وأجلس مع أبي أحمد وحده .

ـ والله أنا أتعجب من هذه المحبة بينكما .. فكلما أجلس مع أمي ساعة يتردد اسمك على لسانه عشرات المرات .

ـ مسكين فقط يا منى !! رجل وحيد في الدنيا .. أهله تخلو عنه لما أصبحوا بشوات وكبار .. فلمس فينا الحنان والحب والإحسان والسماع والإصغاء لحديثه عندما يتكلم .. فأحبنا وأحس أنني كأخ أصغر له .

ـ بارك الله فيك ، فأمي دائما تدعو لك لحب أبي أحمد لك وفرحه بك .. والله يا برهان لقد عرفت رجالا كثرا شبانا وأصحاب أموال في حياتي القديمة قبل أن ألقاك وأتعرف عليك فوجدتك رجلا عجيبا فريدا كأنك لست من طينتهم .. مع أنك طبيعي في تصرفاتك وأقوالك وأفعالك وسلوكك .. لقد كنت قبل أن تتحدث عن عبير وحازم كنت أتخيل أن مؤامرة تحاك حولي .. مع أنهم لا يربطني بهم شيء .. قدر الله أن لا أخلف منه حتى لا يكون بيني وبينه رابط في يوم من الأيام ، ولا يوجد بيننا أي قرابة .. ومع ذلك لما سمعت صوته وتذكرته .. اشتعلت نار في قلبي وتهيجت مما يجري حولي ، ولكن تبسيطك للأمور أراح نفسي وروحي .. أنت رجل مختلف عن الآخرين .

ـ أنا رجل مثلهم ، ولكني زوج وحبيب وأستخدم عقلي قبل قلبي .. ربما لو إنسان غيري سمع أو حدث عن اتصال بين زوج وطليقته وهي على ذمة رجل آخر لهاج الشك والريب في نفسه ولعب الفأر في عبه كما يقال .. وظن أن شيئا يدور من ورائه .. فأنا إذا لم أعرف زوجتي وأخلاقها

وطبيعتها فهذا إقلال لعقلي .. المحاسبة والرياضيات مادة عقلية يا منى .. الحساب مادة عقلية معنوية فهي أفادتني في حياتي الواقعية .

ـ الله يجزيك الخير .. سأتصل ببعض الصديقات القديمات إذا استطعت أن أصل إليهنّ بعد كل هذه السنوات ..ثم أتحدث مع والدتي وادعوها للغداء .

ـ جيد .. وأفضل أن لا تذهبي للمكتب هذين اليومين لترتاح أعصابك.. لأ اذهبي .. اذهبي سأغير ترتيب خروجي من المكتب .. أنا خائف أن يأتي فجأة ويصيبك شيء .. انفعال غضب فيضر بك وبما تحملين في رحمك .. أنا أعرف من هي منى ؟! أما إذا كنت معك ستقوى عزيمتك وشجاعتك .

ـ أنا لا أخافه .. لكني لا أسمح لنفسي أن أتحدث معه بعدما غدر بي وتخلى عني وأصبحت زوجتك ..

ـ مشكلتك معه نفسية ، صدقي لو رأيتيه مرة واحدة ، ولم تكترثي به سينتهي كل هذا الإشكال النفسي يا حبيبتي .. الإنسان يخاصم ويعادي كثيرا من الناس ويراهم ويجالسهم ، فقط أول مرة بعد المشكلة يتوتر ويكثر من اختلاس النظر لخصمه .. وبعد حين ينتهي الموضوع ويصبح الأمر عاديا ؛ كأنهم لا يعرفون بعضهم بعضا .. فالإنسان يحضر جلسة ندوة يرى كثيرا من الأشخاص الذين يحضرون تلك الجلسة ، ربما رأى بعضهم أثناء الدخول والجلوس ، وبعد حين لا يعرفهم إلا إذا كان أحدهم لفت النظر خلال الندوة بسؤال ، بظهور موقف منه أو صورة من أحدهم تبقى عالقة في مخيلة الإنسان .. الإنسان يتزوج قريبة ابنة عمه ابنة خاله أو خالته وينفصلان بسبب معين فيلتقيان ويتحدثان ، وربما يتناسبان في يوم من الأيام بأولادهما طبعا .. حركة الحياة والعمر فيها صور وخيالات لا تخطر على البال .. فلو التقيت بذاك الرجل مرة فاجتهدي أن تكوني عادية غير متوترة لحظات ودقائق ولسوف يختفي من حياتك .. فإذا فعلت ذلك لسوف ترتاح نفسك وخوفك يزول .. وأنت كما كنت تقولين الشخصية الأقوى فلا تهابي .

ـ أنا خائفة على مشاعرك ، وأن تسيء فهمي ، وتظن سوءا ، ويدخل الريب والشك لقلبك

نحوي .

قال : لا ، هذا تفكير ساذج للغاية ، فأنا أكبر من ذلك ، وأنا أبني قراري كما تعلمين ـ وقد جربت ذلك ـ على يقين ودراسة وفهم .. ليس اعتباطا .. الموقف والمشهد المريب معروف .. لو ـ لا سمح الله ـ لو رأيتك مع رجل ، حازم أو غيره في وضع مريب ممكن أن يقوى الشك لديّ كأن أراه واضعا يده على شعرك على جبينك .. تجلسين جلسة مبتذلة .. فهذه صور تثير القلق وتزرع الشك في نفس الرائي .

ـ لا سمح الله أن أفعل ذلك . وضحكا معا .



ذهب برهان يوم الخميس عصرا حسب الموعد المضروب بينه وبين حازم إلى نادي السبع بجعات ، وفي إحدى صالات النادي جلس ينتظر ويبحث عن السيد حازم ناصر في المكان المتفق عليه ، ولم يطل الانتظار فبينما هو يراقب الداخلين والخارجين دخل شاب من سنه يتطلع ويتلفت يمينا وشمالا حتى تلاقت الأعين فاقترب منه الشاب وحياه باسما : السيد برهان محمود

قام برهان وسلم على الرجل وقال : نعم .. تفضل يا أخ حازم .

جلس وقال : كيف أنت؟!

ـ تمام وأنت ؟!

ـ بخير.. أنا آسف جدا لهذا الإزعاج .. أكيد الأخت منى انزعجت وتضايقت من ظهوري المفاجئ في حياتها .

ـ أكيد يا أخ حازم .. ولا تنسى أنك تتكلم مع زوجها ، وأنت تجلس مع والد وأب أولادها .

ـ أعرف كل شيء يا سيدي! .. أعرف أنها زوجتك وأن لديك ثلاثة أطفال ، وأنها سعيدة بحياتها الزوجية معك .. الإنسان لا يستطيع أن يتخلى عن ماضيه بسهولة ويهمله !

ـ ماذا تريد منا يا أخ حازم ؟!

ـ ألا تشرب شيئا ؟!

ـ سنشرب .. المهم لماذا اتصلت بمنى ثم بي يا سيد حازم يا محترم ؟!

ـ لا تظن بي سوءا ، وإني أريد أن أخرب البيوت .. ولو كان لدي نية سوء لما سعيت للقائك .. أنا كنت أحب أن أسمع رأي منى في أمر دون علمك.. لا أريد أن يحصل بينكما مشاكل وزعل ولكنها خافت وأبت أن تفتح حوارا بينا .. منى تغيرت!

ـ رأي منى ! أفصح !

ـ اصبر يا أخي .. فمنى شكت لك ، أظن أنها خافت مني ، وظنت أني أريد أن أعيد الماضي .. أتحدث عن الحب الذي كنت أتحدث عنه قديما ، الحب قد مات في أمريكا مع الماريجوانا والكحول .. أنا آسف لهذا الكلام .. فاطمئن يا أخي .. فأنا أعرف أنها زوجتك ، ولكما أبناء ولا أسعى لشقاق بينكما ، فأنت علمت بالاتصال ، وأنا كنت أحاول رؤيتها في يوم افتتاح المصنع أحد مصانع أبي الجديدة .. علمت من عبير علاقتك بالشركة .. فلما لم تحضرا سعيت للاتصال فرفضت التجاوب ، وأنت لما علمت تحدثت مع عبير بعصبية وتهديد.. فاضطررت أنا للحديث معك ، وتم هذا اللقاء بناء على ذلك الاتصال .

كان برهان يسمع ويظن أن الشاب غير واع لما يقول مع أنه لم يشم منه رائحة خمر .. فكان دهشا ويصبر نفسه ويراقب حازما ويترقب ماذا سيقول ؟.. أشعل حازم سيجارة جديدة وقال : سأشرب شيئا .. أتشرب شيئا ؟

ـ قهوة إذا ممكن .

نادى حازم على النادل وطلب منه قهوة لهما ، وعاد ينظر لبرهان وهو شارد البصر، وتابع الحديث قائلا : اطمئن أنا لا أفكر بالعودة لمنى إذا تبادر لذهنكما شيء من ذلك القبيل .. ولا تظن أنني سأترجاك لتطلقها ، فهذا غير منطقي وغير سليم يا أخ برهان وصعب .. فالأسرة التي أنا منها ما زالت تكره منى .. بل يبغضونني لليوم بسبب هذا الزواج .

احتار برهان بعقل هذا الرجل ، وأحضرت القهوة فرشف رشفة وقال : ولماذا اتصلت بها إذن؟! إذا لا يوجد عندك مثل هذه الخواطر الرديئة !

ـ الرديئة !.. المشكلة يا سيد برهان كما قلت قبل دقائق إنني كنت أرغب أن يكون الموضوع بيني وبينها .. هو لا يخصك ولكن الأخت عبير طلبت مني أن أتحدث معك مباشرة قائلة منى القديمة التي تعرفها يا حازم ليست منى التي تزوجت برهان .. فاتصلت بك بعد تفكير وتردد وقلق خاشيا أن تسيء فهمي وقصدي

يكاد الصبر أن يفقده برهان فقال : يا رجل ادخل على المشكلة التي تريد أن تتحدث عنها .. ها نحن تقابلنا لنرى ونسمع .

ـ جيد! .. لابد أن منى ربيع زوجتك اليوم ، وزوجتي سابقا حدثتك عن ماضيها وكيف تزوجنا وكيف تطلقنا ؟

قال برهان بضجر وضيق : نعم ، أعرف كل شيء .. وأنك كنت مغرما بها وضحيت برضا أهلك من أجل الزواج منها .. أعرف كل هذا .

ـ لا تتعصب يا عزيزي.. المهم أنك تعرف ، جيد هذا .. ولابد أنك تعرف أيضا أن والدي ناصرا حاربنا بعد الزواج مباشرة وطردنا من العمل في شركاته .

ـ أعرف هذا أيضا .. وإنكم قمتم بفتح مصنع مواد غذائية ، وإنه فشل بعد زمن يسير .

ـ جيد .. جيد .. أنا أريد الوصول لهذا المصنع التعيس .. المصنع يا حبيبي هو المشكلة ، وكنت أريد الحديث مع السيدة الفاضلة منى ربيع من أجل المصنع .. كنت أريد أن أسمع كلامها من دون علمك حتى لا أسبب لها مشاكل ومعاناة معك .

ضجر برهان وقال بغضب مكتوم : ما هي المشكلة يا سيد حازم ؟!

ـ المشكلة .. هي مشكلة .. سأقول ما هي المشكلة ؟

ـ لا تتردد إذا كانت هناك مشكلة سأساعدك قل ما هي المشكلة ؟!

ـ جيد .. لما أنشأنا هذا المصنع ـ يا أخ برهان ـ احتاج لمال لاستئجار المبنى ، ومال لشراء سيارات

توزيع .. مال للعمال والفنيين .. مال لشراء الماكينات .. مال لدفع الأجور .. مال لشراء المواد الخام .. وأنا ومنى لم نكن نملك المال الكافي لمشروع طموح .. فبعد تفكير كامل أخذنا بعض القروض من مؤسسات مالية .. وتم إنشاء شركة بيني وبين منى ، وسجلت رسميا واستأجرنا أرضا صناعية ، وتم تركيب مباني جاهزة عليها وقيام عنابر فوقها .. وتم شراء الماكينات بالتقسيط ، وكل ذلك بالقروض التي حصلنا عليها.. واشترينا أربعة سيارات للنقل والتوزيع وبالتقسيط أيضا ..وكانت القروض والمشتريات تزيد عن مائة ألف يا صاحبي ، منها قروض نقدية حوالي خمسين ألف .. خلال أربعة وخمسة شهور بدأ العمل والإنتاج ؛ لأن ماكينات العمل اشتريناها من السوق المحلي .. وهذا الإنتاج مطلوب منه كما تعلم ولأنك تشتغل بالمحاسبة والتدقيق مطلوب منه أن يغطي تسديد القروض البنكية وأقساط الشركات الأخرى ، الشركات التي أخذنا منها السيارات والماكينات ومواد التصنيع وأجور العمال والمهندسين .. وبعد حين تبين لنا ضعف التسويق للمنافسات الأخرى في السوق ، ولكثرة الصيانة في ماكينات المصنع فقد صار عندنا عجز في التسديد ، وبعد سنة فشل المصنع فشلا ذريعا ، ولم نغطِ الديون فأحبطنا إحباطا كبيرا .. ترك العمال والمهندسون المصنع المنهار لتأخرنا المتكرر في صرف رواتبهم .. شركات توريد مواد التصنيع امتنعت عن التوريد إلينا .. بعنا بقايا المصنع .. آلات المصنع أصبحت مستعملة وبيعت بهذه الصفة .. سيارات المصنع أصبحت مستعملة.. أرض أعيدت لأصحابها .. المهم بقي لشركة السيارات حوالي عشرة آلاف من ثمن السيارات .. وشركة استيراد الماكينات حوالي عشرين ألف .. سددنا باقي حساب القروض البنكية من تصفية المصنع .. أمام هذا الواقع المرير هربت إلى أمريكا آملا بالعمل والنجاح في بلاد الدولار.. كانت كل القروض والمشتريات باسمي الشخصي وحدي يا برهان .. اتفقت مع هؤلاء الدائنين أن تدفع لهم منى الأقساط حتى أرتب أمري في أمريكا ..وهناك وبسرعة تعلقت بالمخدرات ، فلم أتمكن من العمل ، ودبت بي الهموم والأسقام .. اتصل ابن عمي الذي ساعدني بالوصول إلى هناك بأهلي لأني دخلت المستشفيات كذا مرة .. أهلي طالبوني بتطليق زوجتي

لإعادتي إلى حضن العائلة ، لم يكن أمامي إلا الاستسلام لهم ، فحصل الطلاق هناك حسب طلبهم ، وقام محامي والدي بالاتصال بمنى وجرت إجراءات الطلاق المعروفة .. وأحضرت إلى هنا وتمت معالجتي في أحد مراكز علاج الإدمان مع أنني لم أدمن بعد .. وأنا في فترة الأحداث والهروب نسيت قروض السيارات الأربعة والماكينات .. ومنى التي اشتغلت وتعهدت بالسداد حتى أدبر أمري ، فبعد الطلاق لم تسدد أي دفعة ، ولم تهتم ولم تشعرني بذلك ، وأنا لم انتبه لذلك مع تسارع الفشل والحياة عندي يا سيدي المحترم .. وبعد حين اتصلت بي هذه الشركات .. ولم علموا بإدخالي مركز المعالجة تريثوا إلى حين ، وطلبت منهم عبير أن يصبروا حتى أتعافى.. فصبروا على أمل تحصيل حقهم وأموالهم .. ولما تعافيت من تعاطي المخدر وخف تعلقي بها .. رتبت الأمور معهم وبالمبلغ البسيط الذي يهبه لي والدي آخر كل شهر أسدد هذا وهذا .. ثم زوجوني بقريبة لنا .. وأمضيت سنوات وأنا جليس البيت والملهى إذا سمح لي بالخروج .. ثم علمت بزواج منى من بعض الرفاق .

ـ لم نصل للمشكلة بعد ؟

ـ اقتربنا يا سيدي .. لشح ما أحصل عليه من أبي لم أعد أسدد كثيرا من الديون المكتوبة عليّ لهذه الشركات .. ورفض والدي مساعدتي أكثر من مرة ، وكذلك أمي وعبير وكل إخوتي .. وحتى زوجتي وأهلها .. الكل يقول لي من ورطك في الديون والمصانع فليسدد عنك .. أمام هذا المنطلق كنت أدفع شهرا لهذا وشهرا آخر لذاك .. وبعد تفكير وضغط اقتنعت يا سيدي أنه يجب على منى أن تساعدني في تسديد الديون لأننا شركاء وهي تعرف هذا .. فأنا حاولت أن أتحمل تسديد الدين وحدي .. ولكنني ضعيف وعاجز .. فهذه المشكلة التي دعتني أحاول اللقاء بمنى ربيع .. يا أخ برهان .. علينا ديون قديمة ونحن اشتركنا في الحصول عليها ، فلا يجب أن أتحملها وحدي ، وهي التي دفعتني لهذه المغامرة الكبيرة .. وهذا سبب محاولتي الاتصال بها دون علمك وبعد هذه السنوات الخمس أنا لم أسدد لليوم إلا خمسة آلاف دينار ، والباقي مبلغ كبير يزيد على العشرين ألف .. جزء منه لشركات بيع السيارات وجزء آخر لشركة بيع

الماكينات الصناعية .. فهم يقولون منى شريكتي في الشركة فعليها أن تساعدك في تحمل هذا الدين ! .. أنا يا سيدي لو كنت أملك هذا المال لدفعته ، ولم تسمعا صوتي أنت ولا منى .. فنحن مستعدون ـ قصدي أهلي ـ لخسارة مليون على طاولة القمار ولا ندفع فلسا لآخر ولو إحسانا .. ماذا يا سيدي أفعل؟! أنا لا أعمل منذ عدت من أمريكا .. أنا مريض منهك البدن .. جلسات علاج طبيعي مستمرة .. مراجعات للطبيب النفسي كل شهر .. راتب ضئيل صدقة من الوالد لا تستغرب ما أقول !.. أنا بزواجي من منى غصبا عنهم وهم يعادونني ؛ كأنني ارتكبت جريمة كبرى .. لا أدري لما يكرهوننا لهذه الدرجة .. يرون أنها هي التي دمرتني وعلمتني تعاطي الأفيون والحشيشة وحب الهلوسة .. وحتى الخمر التي تملأ بيوتهم.. هذه هي المشكلة يا سيد برهان .. علينا أموال وعلينا تسديدها.. فقل لمنى إن هذا سبب محاولة الحديث معها أو اللقاء بها .. لا سبب غيره .. كنت أحب سماع رأيها وقولها دون أن تعرف أنت .. لنتصرف .. ولكنها تحسب لك ألف حساب وتخاف أن أثير في نفسك الشك فهربت من الإجابة .

فكر برهان تفكيرا عميقا وهو يسمع المشكلة ، وقد أدركها عقله واستوعبها، ثم قال: أخ حازم حذرها مطلوب .. والحل بسيط أنا سأزور هذه الشركات التي اشتريت منها الماكينات والسيارات وأنظر كما دفعتم وكم بقي .. المهم أن البنوك حساباتها مغلقة .

ـ البنوك حسب علمي أن حساباتها قد سكرناها من المبيعات الأولى ، ثم من تصفية أموال الشركة.. ومن حقك أن تتأكد من ديون الشركات ، وأنا في خدمتك .. وحاول أن تساعدنا في حل المشكلة ، فكما أنا عليّ دين فعلى منى مثله .. فنحن شركاء يا سيد برهان .

ـ لا أنكر أنكم شركاء في الدين .. دع المشكلة عندي.. سأعرف مقدار الدين بالضبط أنت عليك النصف وعلى منى النصف .. أليس كذلك ؟

ـ نعم يا سيدي الشركة باسمينا ، المتبقي يزيد على العشرين ألف .. وأنا سددت خلال هذه السنوات ما يقارب الخمسة آلاف دينار .. وكانت منى قد سددت بعض الدين عند سفري لأمريكا.. ولما حصل الطلاق لم تعد تدفع شيئا .. سأعطيك عناوين الشركات وأسماءها

التجارية وانظر في دفاترهم .

ـ أعطني فقط أسماءها ، فكثير من الشركات أعرف عناوينها ومقراتها ومواقعها .. ستتعاون معك في حل المشكلة مشكلة هذه الديون يا أخ حازم .. وهذا من حقك أيضا ..

ـ صدق أتيت إليك وكلي خوف وحرج .. وأنت لا ذنب لك في هذه الديون .. وستقول أصحاب الملايين يعجزون عن تسديد مبلغ بسيط تافه .

ـ لا حرج عليك يا صاحبي .. وهم لا دخل لهم في تسديد ديون قديمة .. ولو فعلوا لكان كرما منهم .. ستحل المشكلة بمشيئة الله .. إن شاء الله أنت مرتاح في حياتك الزوجية ؟!

ـ حياتي الزوجية !

ـ نعم .

ـ أنا حي ميت يا أخ برهان .. أنا مثل الدابة أو قطة عند أمي .. آكل وأشرب وأنام .. أنا زوجوني بعد تحسن صحتي من ابنة أخت أمي ابنة خالتي ويا ليتني لم أتزوج .. إنهم بعدما عالجوني من تورطي في المخدرات زوجوني سريعا حتى أنسى امرأتي المطلقة حتى لا أفكر في يوم من الأيام بالاتصال بها والعودة إليها ، هذا قبل أن تتزوجك .. خافوا أن أعود إليها .. زوجوني بهذه الفتاة التي كانت أبغض امرأة عندي في هذه الدنيا .. نحن نعرف بعض بحكم القرابة .. المهم يا سيدي أني رجل بغير إرادة .. مسلوب الإرادة عليل .. زوجوني وسكنت مع أمي وزوجها .. تخرج هي للعمل ، وأظل أنا الرجل في البيت حتى تعود في المساء .. نخرج لزيارة أمها .. أختها وأحيانا كثيرة تذهب وحدها.. إنها فقط شريكة في غرفة النوم وأحيانا كثيرة أهجر هذه الغرفة وأنام في زاوية من زوايا البيت الواسع .. ولدت لي ولدا سميته جلالا أو قل هي سمته .. من جلال لا أدري قد يكون اسم صديق لها ، وقد يكون اسم عشيق لها .. لا أدري .. لم أحبه .. لا أدري لماذا ؟ وقبل أيام ولدت لي المولود الثالث وسميناه ناصرا .. تريد أن تنافق لأبي ؛ ولكنها ولدته عند أمها .. فلها شهور أو قل منذ حملت وهي تعيش عند أمها .. طبيب داخل وطبيب خارج ..المهم أنا اسمي زوج .

وصمت لحظات يتأمل فيها برهان وعاد يقول : أكيد أنت سعيد جدا مع منى .. فهي امرأة نشيطة ومخلصة !

ـ الحمد لله رب العالمين .. سأهتم بمشكلتك يا أخ حازم واعتبرني صديقا لك .. وستكف الشركات عن مراسلتك والاتصال بك .. ولكن قل لي .

ـ ماذا أقول ؟!

ـ قل لي .. هل تملك ما تسدد به حصتك من الدين ؟

ـ ليس لدي رصيد .. رصيدي صفر مكعب ..أنا يصرف لي خمسمائة دينار آخر كل شهر يا أخ برهان .. لا تكفيني خمرا وسيجارا .. جلسة واحدة في مطعم تكلف خمسين دينارا أو تزيد

ـ ألا تلعب القمار؟!

ضحك حازم وقال : هذه المشكلة الكبرى يا صاحبي .. القمار مرض أشد من الخمر .. القمار تعلمتها منذ المراهقة .. وما الذي ساعد في تدميري إلا القمار!

ـ أكانت منى تلعب القمار عندما كنتم تديرون المصنع ؟

ـ لا أدري .. صدق أنني لا أعلم .. أنا ألعب القمار وأمارسها ولكن ليس باستمرار وشراهة قماري هي مبالغ بسيطة .

ـ أتمارسها اليوم ؟

ـ عندما تسنح لي فرصة للالتقاء بالأصحاب .

ـ نعود للدين ، كيف ستسدد حصتك من الدين يا صاحبي ؟!

ـ سأسدد كما أسدد اليوم .. أدفع شهرا وشهرا آخر لا أدفع .

ـ لأ ، يا حازم نحن نريد أن نخلص من هذا الدين حتى لا يعد لديك حجة للاتصال بمنى .

ـ صح معك حق ! .. تحدث مع عبير فهي تتدعي أنكما أصدقاء قدامى !

ـ صديق أيام الجامعة فقط يا حازم .. درسنا في كلية واحدة .. وأخذنا بعض المواد الدراسية معا .. وهي كانت تسبقني بسنتين .

ـ تكلم معها .. تسلفني حصتي وتخصمها من راتبي .. فهي التي تعطيني الراتب ؛ لأنني كنت ضمن كادر الشركة التي تديرها .. فهم يعتبرون أنني ما زلت أحد موظفي الشركة !

ـ جيد ! .. سأتفاهم وأتفق مع عبير إن شاء الله .. فلما أعرف المبلغ المتبقي عليكما عند إغلاق المصنع وتصفيته سأتصرف.. لو أنكم بعتم المصنع نفسه بماكيناته وسيارته وخسارته لإدارة جديدة ربما هم تحملوا الدين .

قال : لم يتيسر يومذاك مشتر يا سيدي الفاضل .. وكان الوضع النفسي لنا سيئا والفشل والإحباط كانا قد دمرانا .. ومعاداة أبي كانت أهم أسباب الفشل الذريع لنا.

ـ حسنا يا حازم سأدقق الحسابات القديمة، وأنظر كم دفعت منى قبل أن تطلق وتكف عن الدفع ؟ وكم دفعت أنت خلال هذه السنوات وبعد الطلاق .. وأرتب الأمور مع عبير ومعك فإذا دفعت عنك عبير انتهى الموضوع بيننا وبينكم .. وإذا لم توافق عبير على إسلافك المبلغ لتغطية دينك وحصتك .. سأضطر أن أذهب بك للشركتين وأدفع أمامك حصة ونصيب منى لكل منهما ، وأنت تسدد ما عليك كما تشاء ، ولا دخل لمنى في دينك الباقي يا سيد حازم .

ـ افعل ما تراه مناسبا .. ولنبق أصدقاء يا أخ برهان .. أنت رجل عملي وفهمان .. وأنا حقيقة كنت قلقا من اللقاء بك ومترددا أقول لنفسي ما دخلك في دين قديم على امرأة لم تكن زوجتك أيام إنشاء الدين ؟

ـ أنا وزوجتي اليوم شيء واحد .. وهي مسؤولة الآن مني.. وهذا حق ودين عليكما معا .. نحن لا نرض بأكل الحرام .. وشكرا على ثنائك لشخصي .. ولكن صداقتنا لا تنفع يا أخي فأنت من بيئة وأنا من بيئة .

ـ مضبوط يا سيدي ، ولولا أن تفهمني خطأ لقلت إنني أتمنى أن أكون لك صديقا دائما ، لكن عدني واسمح لي أن أتحدث معك كلما احتاج لمساعدة منك .

ـ افعل يا حازم أنا تحت أمرك .. كلما تواجه مشكلة وتحتاج لمشورة اتصل بي .. وإذا تحب أن أتحدث مع والدك من أجل أن يساعدك في تسديد الدين عن حصتك فأنا مستعد .

ـ لا .. لا .. تكلم مع عبير ، وإذا لم توافق فالحل الثاني مقبول عندي .

ـ والآن سأدعوك للغداء معي يا حازم .. ولولا الحساسية التي قد تسببها لنا يا سيد حازم لاتخذتك صديقا وقبلت صداقتك .. أنت إنسان مسكين .. بس تعلقك بعادات قبيحة من شرب خمر وقمار وتدخين يضعفك ويضعف إرادتك ، وما تراه من علة وهوان هو بسبب ذلك فلو أنك تبتـعد رويدا رويدا عن هذه الرذائل ستتحسن صحتك ويصحو عقلك وتصبح رجلا بمعنى الكلمة .

ـ فكرت بذلك ونصحني بعض المخلصين .. ولكن لا حياة لي إلا بالخمر والدخان .. ألا تسكر منى زوجتك ؟! .. على علمي أنها تعلمت ذلك .

ـ الحمد لله لقد تابت عن كل ذلك ، تابت عن الخمر والتبغ والعري.. بل تركت الخمر قبل عقد القران ..

ـ تحسد على ذلك ، لقد تخلصت من هذه السموم .. الحمد لله منى إنسانة عظيمة .. أخ برهان أنا أزداد بك إعجابا .. بل صبرك عليّ كل هذا الوقت زاد من اعترافي بشهامتك وتحملك .. ألم تتزوج قبل زواجك منى ربيع ؟!

ـ هي أول امرأة تدخل قلبي .

تنهد الشاب العليل بعمق وقال : ليتنا كنا نعرفك أيام زواجنا يا برهان ؛ ربما وقفت بجانبنا .

ـ لا تأسف على ما فات .. الحياة أمامك يا أخي .. من المهم أن تتوب وتترك هذه الأشياء القبيحة التي تهلكك وتدمرك ، وابدأ من جديد بعزم وقوة وستتغير وتتحسن صحتك وإرادتك

ـ ولكنهم يفعلون مثلي يا برهان ومع ذلك هم أقوياء وأثرياء وأشداء .

ـ الناس قدراتهم متفاوتة ، وأنت تعودت أن تعتمد على غيرك .. فلما حاولت أن تعتمد على نفسك لم تنجح ولم تفلح .. لضعف القدرة التفكيرية عندك وتعودت أن توجه من قبل غيرك

ـ كانت معي زوجتك !!

ـ صحيح يا حازم ، ولكن منى كانت موظفة مكتب! ..لا تدري ما السوق وما المصنع ؟ .. وكانت مغامرة كبيرة منكما في ظروف نفسية حادة وشرسة .. وربما الأشخاص الذين استشرتموهم لم يكونوا ذوي خبرة كافية .. ولا يعني كلامي أن كل من يسكر لا يدير شركة وفاشل .. فكل هؤلاء الأجانب يسكرون ويملكون ويديرون شركات ضخمة .. فأحيانا الذكاء والمستشارون عندهم ذو فهم في الإدارة والنجاح .. وهناك عباقرة في الذكاء ولكنهم فاشلون في جمع المال .. فأنا أطلب منك ذلك شخصيا لأنك ضعيف الإرادة والتفكير، وذكاؤك مع الاحترام اللازم يا أخ حازم ضعيف كذلك .. فالاعتماد على الآخرين في إدارة حياة الفرد يضعف التفكير ويصبح مجرد متلقيا ومنفذا للأوامر والتوجيهات ..

ـ لا يسعني أيها الأخ إلا أن أشكرك وأنتظر تدبيرك .

ونهض الرجلان إلى حيث المطعم في نادي السبع بجعات ، وعلى إحدى موائد الطعام تناولا وجبة طعام على نفقة برهان الذي أصر على الدفع رغم محاولة حازم أن يدفع ، ولما انتهيا من الطعام كباقي البشر قال برهان : سأنصرف الآن .. وتحدث معي واذكر لي أسماء الشركات يا أخ حازم .

ـ أعرف أسماءها .

وذكر أسماءها لبرهان الذي دونها على قصاصة ورقية وعرف موقعها ، وتصافح الرجلان ثانية واتجه كل منهم حيث تقف سيارته .

وهكذا افترق زوجيّ منى ربيع الأول والثاني بعدما التقيا ، وصل برهان البيت بعد العصر وقبل الغروب بساعة ، فقد طال اللقاء بمن كان زوجا لامرأته التي كانت تنتظر عودته على جمر ، فما كادت تراه يدخل مسلما حتى ازداد اضطرابها وهي لا تدري كيف تفسر هذا التوتر ولما خلع الجاكيت قالت : تكلم !!

ضحك من توتر أعصابها وقال : بماذا أتكلم ؟! اطمئني لا شيء مما تحدثنا به .. فهو إنسان مسكين ، وما زال يعاني من زواجه بك .

ـ يعاني ! لم أفهم !

ـ سأفهمك بكل شيء . قال: هل تغديت ؟!

ـ نعم ، مع زوجك السابق .

ـ مع زوجي السابق ؟!

ـ أليس هو زوجك السابق وشريكك السابق في المصنع ؟

ـ برهان ! .. تكلم لترتاح أعصابي .

ـ فلترتاح يا سيدتي .. هناك مشكلة قديمة من أيام الشركة .

ـ مشكلة قديمة من أيام المصنع لم أفهم ؟!

ـ حسنا ، سأفهمك ولكن بعد إحضار كوب من الشاي المعروف لك .

احتجت وقالت: هذا وقته يا سيدي العزيز! تلعب بي! تكلم قبل أن تشرب الشاي .. لنشربه معا .

ـ جائز !

جميلة في المستشفى

نهضت منى لصنع الشاي بعد أن طمأنها برهان ، وقبل أن يشرع برهان بالحديث مفصلا عن مقابلته لحازم رن جرس الهاتف في البيت ، وكان المتصل مالك شقيق منى وبعدما استمع لكلام مالك قال : نحن قادمون .

وضعت منى صينية الشاي على منضدة وتسألت برأسها فقال : الحاجة جميلة ما زالت مريضة

ـ تحدثت معها ظهرا وطمأنتني .. هل حدث شيء؟!

ـ لا أعلم ..المهم أن مالكا يريدنا.. وقال إن الطبيب المعالج خرج من عندهم قبل قليل .

قام برهان فارتدى الجاكيت وجلس يشرب الشاي وهو يقول: جهزي نفسك للخروج وجهزي الأولاد .. أو دعيهم عند أمي أو أختي .. ثم الحقي بي عند السيارة سأشرب الشاي وأنزل .

ـ إنني خائفة على أمي يا برهان!

ـ مم؟! .. هو إذا دخل الطبيب على أمك ستخافين .. ما هو كل يوم يدخل .. الكل يمرض يا عزيزتي .

انصرفت منى لتلبس ثياب الخروج ، وتجهز الأولاد وتخيرهم إما مرافقتهم عند جدتهم المريضة جميلة ، وإما بقاؤهم عند جدتهم السليمة ، شرب برهان الشاي وخرج يجهز السيارة .

وبعد عشر دقائق أو ربع ساعة كانت منى تجلس بجواره وهما ينطلقان نحو حي برقوقة ، وفي الطريق فصل لها برهان لقاءه بحازم ، فتذكرت منى ذلك الدين، واعترفت بوجوده وأنها نسيته وأهملته بعدما أتتها ورقة الطلاق ، وقالت : أنا لما طلقت نسيت أمر هذا الدين .. ولم يخطر ببالي لليوم ، والآن عندما سمعته منك تذكرته .. وعبير لم تشر إليه كما حدثتني عندما عاتبتها .

ـ هي أكيد تعرف بالمشكلة وتركت الأمر لحازم .

ـ لو أنها ذكرت شيئا لذهبت كل الظنون التي خيمت على عقلي وقلبي .. وماذا ستفعل؟!

ـ سأدبر الأمر، ووضعت الحل بين يدي حازم .. ولما نطمئن على الحاجة جميلة ـ إن شاء الله تعالى ـ نحل مشكلتنا الخاصة ، وهي محلولة بمشيئة الله تعالى .

ـ جزاك الله كل خير أيها الأمير .. لولاك لكنت ...

ـ لا داعي للولاك .. فنحن شيء واحد ، ودينك هو ديني ، وجزاك الله أنت خيرا .. ألم تأتيني بثلاثة أولاد والرابع على الطريق .. ؟

ـ المبلغ كبير!

ـ سعادتنا أهم من المبلغ .. وأنت عاملة عندنا ولا تأخذين راتبا لليوم بل جعلته من الأرباح ..لا تنزعجي ولا تتألمي أحسن أتضايق أنا .. فالمال خلق لقضاء الحاجات وحل المشاكل .

ووصلوا لحي برقوقة ودخلت السيارة الشارع الضيق الذي وصفناه في أول القصة ، فوجدوا سيارة سعد الدين أيضا أمام البيت ، فركن السيارة بجوارها وهبطا منها واتجها إلى بيت المعلم خليل ، فتلقاهم مالك باسما ومعتذرا عن الإزعاج ، ولما دخلوا على الحاجة المسجاة على سريرها حيوها ، وتقدمت منها منى وقبلت يدها ، وكان خليل يجلس على كرسي قريبا من رأسها ، ولما رأى برهان نهض مصافحا ومعانقا له ، ثم سلم برهان على أم زوجته داعيا لها بالعافية والصحة ورافعا من روحها المعنوية ، ثم بعدما صافح سعد الدين ، وحيا حنين جلس على كرسي قدمه له المعلم خليل الذي عاد يجلس بالقرب من رأس جميلة التي كانت تهمس بصوت ضعيف تعتذر عن إزعاجها لهم ، وهم يجاملونها ويدعون لها بالخير والسلامة ، ثم خرجوا يجلسون في صالة البيت ، ولما هدأ المكان قال برهان مخاطبا مالكا وسعد الدين : ما دام الدكتور قال ادخلوها المستشفى فلتفعل يا مالك وأنت يا عم خليل

قال مالك: إنها ترفض ، وترى أنها وعكة عابرة .. أمي تنسى السن والضعف البشري، وتقول إنها ستذهب في الصباح للمستشفى ، وتأخذ الصور والتحاليل الطبية المطلوبة وتعود ، لا تريد المبيت بأي مستشفى .. والطبيب يرى أنها تحتاج لإدخال الليلة للمتابعة تحت الأجهزة فالقلب ضرباته غير منتظمة .. ويضيق النفس عندها كثيرا .. حاول يا برهان ! فقد حاول سعد وحنين منذ دخلا إقناعها بالذهاب وتهز رأسها بالنفي .. ونحن ما زلنا في المساء وعلى وشك دخول الليل حاول يا برهان !

قالت منى وقد خرجت من عند أمها من لحظات فقال برهان : آيا منى .. كيف عمتي ؟!

ـ لا تتكلم .. بعدما خرجتم لزمت الصمت ، وتحرك شفتيها فقط ، وتفتح عينها وتغمضها ، وحنين تقول إن الطبيب طلب إدخالها المستشفى وهي ترفض .

التفت برهان لخليل أحمد وقال : يا أبا أحمد ما رأيك أنت؟!

ـ أنا ؟!

ـ طبعا أنت!

ـ أنا يا ابن أخي لا مانع عندي ، فصحتها غالية عليّ ، كما هي غالية على مالك والبنات وعليكم كلكم .. أتشكون في ذلك؟

ضحك برهان وقال: أيشك أحدنا؟! فكلنا يعرف ما تعني لك العمة جميلة .. ولكن لو أنك أنت ترجيتها أن تفعل ستطيعك .. فلك معزة عندها يا أبا أحمد .

ـ لقد فعلت قبل أن تأتي ولكنها خائفة .

ـ أنت زوجها لو ضغطت عليها بكلامك ستفعل.. أتقصدون مستشفى معينا ؟

قال مالك: الطبيب عسيب محمد يعمل في مستشفى (الإيمان) وهو الطبيب الذي تراجعه أمي منذ سنوات إلا إذا كان عندك مستشفى آخر .

ـ أنا سأتحدث معي أخي عبد القادر ، وأسأله عن أفضل مستشفى لمتابعة مشاكل القلب والتنفس .

قال خليل : تكلمه قبل موافقة جميلة .

ضحك برهان وقال : يا عم خليل ! موافقة جميلة قصدي عمتي جميلة عليك أنت .. صح يا سعد ؟!

قال سعد : هذا أقل شيء يقوم به العم أبو أحمد البركة .

قال خليل مستسلما : أمري إلى الله سأحاول مرة أخرى .. عسى أن توافق عندما أنقل لها قرار أولادها وأنسابها .. تعالي أنت يا منى فلنحاول وها هي حنين عندها

فقام برهان وهو يقول : وأنا ذاهب للحديث مع الدكتور عبد القادر .

فقال مالك : أين ستذهب ؟. التلفون موجود هنا .

ـ أنا عارف أنه موجود هنا سأذهب إليه .

اقترب برهان من جهاز الهاتف المركون في إحدى زاوية الحجرة ، واتصل بأخيه الطبيب عبد القادر ، وحدثه بضع دقائق ، ووضع سماعة الهاتف والتفت لمالك وسعد الدين قائلا : يقول أخي عبد القادر إن المستشفى (الإيمان) لا بأس به مقبول وفيه أجهزة حديثة .. قوموا ندخل على العمة لنرى هل يقنع أبو أحمد حرمه بالدخول للمستشفى بضعة أيام ؟! .

لما دخلوا وجدوا الجميع صامتين وبعد السلام قال برهان : مالكم صامتون ؟! .. هل فشل العم أبو أحمد بإقناع زوجته الفاضلة أن تهتم بصحتها وعافيتها وتدخل المستشفى بضعة أيام لمراقبة قلبها الحنون ؟

قالت حنين وهي تمسح دمعة خرجت من بين رموشها : للأسف يا أبا خليل أمي مصرة على البقاء في البيت ، وأن وضعها لا يحتاج لمستشفى .. لا تريد أن تفهم أن القصة هي إجراءات وقائية ومراقبة لمشاكل في القلب بضع ساعات تحت أجهزة عناية دقيقة .. حاول يا برهان !

فرفع برهان من صوته قائلا لتسمع عمته : أخشى أن تكسفني عمتي الطيبة فدعوها على راحتها أو لننقل المستشفى للبيت .

فتحت جميلة عينيها المسبلتين من الإرهاق أو النعس وغمغمت ببضع كلمات تبين فيها أن برهان لا يكسف ولا يرد طلبه ، ففرحوا بذلك الكلام فهتف سعد الدين: ما دام يا خالتي الطيبة أن البرهان هذا لا يكسف ولا يفشل .. ولا يرد فقومي البسي ولنذهب بك للمستشفى حتى نطمئن عليك ، ويطمئن مالك وأم خليل وأم سعدي .. وأولنا الحاج أبو أحمد .. فنحن سنبقى في قلق وسهر ، وهناك بعد مراقبة ضربات القلب وعضلة القلب فهم أهل الاختصاص سيقررون أن تباتي أو لا تباتي .. فنحن نريد أن نطمئن عليك يا أم ربيع كيف سنعود لبيوتنا وننام؟ ونحن لم نطمئن على صحتك الغالية يا أغلى حماة في العالم .. وأنت تعرفين خوف الأبناء

والبنات .. فعندما نعود للبيت ستبقى حنين على خوف وقلق اتصل يا سعد اتصل يا برهان .. وتقول أمي أمي .. سأقوم وأتصل .. آيا مالك آيا عمي خليل كيف الحاجة ؟!..سنقضي الليل في إزعاج لكم وسيظل التلفون يرن طول الليل .

قال برهان : والله يا عمتي بعد كلام أبي زكي لم يبق لك حجة .. وهو كلام منطقي يا أم ربيع وإذا اتصلنا بربيع سيضطر لأخذ إجازة .. أنت كنت ترين كم كان يوصينا عليك كلما أراد السفر.. هيا يا عمة يا بركة .

أمام إلحاح الأسرة استسلمت الحجة جميلة لرغبة الجميع ، فدمعت عينيها من التأثر بكلامهم ومشاعرهم ، وركبت سيارة مالك بعدما جهزت للخروج ، وأغلقوا الدار وانطلقوا للمستشفى ، وبعدما تحدث مالك مع الطبيب عسيب الذي قال لهم: سأتحدث مع الإدارة وأنا قادم .

قاموا بإجراء اللازم مع هيئة الاستقبال من تقديم المعلومات الأولية للسيدة جميلة ، ولما وصل الدكتور عسيب المشرف على متابعتها ، قام هو وزملاؤه بإجراء المناسب وتركيب الأجهزة اللازمة .. وجلس الأخوة في قاعة قريبة من الغرفة التي ادخلوا جميلة إليها ، وكان القوم يتحدثون ويهمسون ويلهجون لها بالشفاء ، وبعد زمن خرج لهم الدكتور المختص عسيب وطمأنهم ، وطلب منهم توديع أمهم والعودة لبيوتهم ، ففعلوا وشجعوا الأم على الصبر، ولما خرجوا من الحجرة قال برهان لخليل: ما دام يا أبا أحمد أن الحاجة جميلة البركة سترقد هنا للصباح ما رأيك أن تذهب معي أنا ومنى للمبيت معنا الليلة وتحل علينا ضيفا ؟.. وأنت يا مالك ما تقول ؟

فقال سعد الدين : واحد عندك وواحد عندنا .

فقال مالك : لا أستطيع أيها الأحبة.. فعندي قضايا وملفات في البيت تحتاج لمراجعة .. أما يمكنني بعد اتفاقكم أن أذهب للعشاء عند أحدكم .. أو نتعشى عندك يا سعد ، ويذهب العم خليل مع برهان .. فالعم خليل لن يعرف الليلة النوم .. ولسوف ندعه يزعج برهان ومنى الليلة

لأنه كل وقت سيقول يا برهان يا منى اتصلوا في جميلة .. اتصل يا برهان في حماتك .

تبسم الجميع لمداعبة مالك وقال خليل : والله صحيح يا ولد ! .. عشرة عمر يا بني .. اقتراح مالك جيد ما رأيك يا أبا خليل ؟ .. خلينا نرى العم خليل .

ضحك الجميع فهم يعرفون حب خليل لسميه ابن برهان ومنى خليل الصغير كما يقولون عنه

فقال أبو خليل : وماذا ستفعل منى بالطعام

الذي صنعته اليوم ولم نأكل منه بعد؟!

قالت حنين : ألم تتغذيا منه ؟! آه يا منى ألم تغذي زوجك اليوم ؟!

ردت منى ضاحكة قائلة : اليوم قد تغذى البطل مع من كان زوجي السابق حازم ناصر!

دهش القوم للخبر وقال مالك : حازم ناصر .. ما الأمر يا برهان ؟!

وقال برهان وكأنه عاتب على منى : نعم .. نعم ، اليوم التقيت به في موضوع .. فأنتم تعلمون أن عملنا المحاسبي يدفعنا للتعامل مع كثير من الشركات والمصانع والمحلات والمتاجر .. ولنا علاقات عامة مع أشخاص .. وحازم ابن صاحب كثير من هذه الشركات ، فالتقينا به في نادي السبع بجعات وقسم الله لنا أن نأكل معا .

فقال مالك : مع حازم زوج منى السابق ؟!

قالت منى : نعم يا مالك مع السيد حازم شخصيا .

تبسمت حنين وقالت : هناك شيء يا أبا خليل ؟!

قال سعد الدين : طال وقوفنا .. تكلم يا برهان .

تكلم برهان بالموضوع صراحة، وكان يتكلم والقوم ينظرون لمنى ، وختم قائلا: هو ليس سرا إنما كنت أريد أن أحل الإشكال أنا ومنى ؛ ولكنها يبدو أنها تريد نشره للعائلة .

فقال خليل : وماذا ستفعل يا أبا خليل؟!

ـ اتفقت معه على الحل .. سأذهب يا عمي إلى أصحاب الشركات الدائنين وأعرف مقدار الدين كاملا ، وما دفع منه من قبل منى وحازم ؛ لأنه قبل طلاقها سددت جزءا منه ، وهو بعدما

رجع سدد جزءا آخر خلال هذه السنوات .. وسنرى كم حصة منى من هذا الدين وندفعها إن شاء الله .. والأخ حازم يسدد حصته ونغلق هذا الملف إلى الأبد إن شاء الله .

فقال سعد : لقد ذكرت أنه لا يملك شيئا .. فكيف سيغطي نصيبه ؟!

فأجاب برهان : هو يأخذ راتبا شهريا مقداره كما يقول نصف ألف من أخته عبير مديرة الشركة التي كانت تعمل بها منى عندما تعرفت عليه ، ولكنه يبذرها على لهوه وعبثه .. وسأتفق مع عبير أخته أن تدفعها عنه مرة واحدة لتغلق حسابه وتخصمها من راتبه .. وإذا لم توافق سأذهب به للشركة وأدفع حصة منى أمامه والباقي يدفعه هو بطريقته الخاصة .. المهم نحن نبرئ ذمتنا أمام الله .

قالت حنين وهي منفعلة من موقف برهان : أنت إنسان رائع جدا يا برهان ! .. أخلاقك عالية ومرؤتك كبيرة .. لو أن أحدا غيرك ربما تخلى عن امرأته في مثل هكذا ظرف وأزمة .. لأن المبلغ الذي سيدفعه سيزوجه مرة أخرى .. بارك الله فيك .. ونحن وسعد الدين سنساهم في تسديد المبلغ فمنى حبيبتنا .

أثنى الجميع على شهامة برهان بعد كلمات حنين مم أبكى منى وسقطت دموع بعضهم تأثرا ، وشكر برهان حنينا على كلامها في شخصه ، وأبدى امتنانه لهم جميعا على مشاعرهم واقتراحهم وقال : لا تنسوا يا إخوان أن منى تعمل في مكتبنا موظفة وهي شريكة في الأرباح مثلي ، وإن لم يكن لنا راتب محدد كباقي العاملين .

قال مالك مداعبا ومستفزا لمنى : أي شغل لمنى يا أستاذ برهان ؟

ـ إنها موظفة، ولها حق مالي ، وإن كان وقت دوامها قليل للرضاعة والحمل !

فقالت منى : نعم يا أخوة .. أنا أعرف أن هذا عبء جديد ألقيه على سيدي برهان ، ويمكنني أن أرفض الدفع ولو فلسا واحدا ؛ لأن الدين كله مسجل باسم السيد حازم وفي عنقه ، ولكن علمني برهان أن أضع مخافة الله بين عيني ، وأنا كنت شريكة لذلك الرجل في ذلك القرض وإن لم يكن باسمي .. وزوجي الفاضل والله وعد بتسديده قبل أن يحدثني بشيء ويستشيرني والله

ما علمت بتصرفه إلا بعد رجوعه من مقابلة الرجل ونحن سائرون إليكم ؛ لأن مالك اتصل ليخبرنا عن تعب أمي في دخول زوجي الفاضل البيت ، وأنا آسف لكشف الأمر لكم ولكن رأيتها فرصة لتعرفوا بأمر هذا الدين الجديد والذي يضعه برهان في عنقي

فقال برهان : يا ابنة الحلال لا داعي لمثل هذا الكلام ، فنحن شيء واحد وإن كنا جسدين .

فقال مالك : ونحن أهل .. ورضي الله عنك يا أخ برهان .. وقد طال بنا المكث أمام المستشفى وركبوا سياراتهم منطلقين لبيت سعد الدين ، وعنده تناول الجميع عشاء خفيفا وشربوا الشاي وأكلوا الفاكهة وسهروا لقرب نصف الليل ، وكانت منى أثناء السهرة قد تحدثت مع ممرضات المستشفى تسأل عن أمها فطمأنوها على وضعها ، ولما حان الانصراف قالت منى لبرهان : الآن الأولاد قد ناموا .. وشبعوا نوما .

وخرج مالك وخليل وبرهان ومنى عائدين لبيوتهم ، ولكنهم مروا على المستشفى قبل التوجه إليها ، فقيل لهم أن جميلة نائمة ، فأخذ برهان العم خليلا ضيفا عنده ، وانصرف مالك وحيدا للبيت معتذرا لأخته وصهره

وقضى خليل ليلة في بيت زوج بنت امرأته ، وفي الصباح حمله برهان إلى عمله ، ثم عاد للبيت وأخذ زوجته وانطلق بها إلى مكتب العمل ، ولما جلسوا قليلا قامت منى بالاتصال بالمستشفى ثانية ؛ لأنها اتصلت صباحا مبكرا فقيل لها إنها نائمة بعد أن صلت الفجر ، واطمأنت على أمها بالحديث معها ، ولما اطمأنت عاتبها برهان على كشف أمر الدين فقالت : أنا أعلم بما في قلبك من حب لي ولأهلي ، وأفضالك كثيرة والمجهول منها أكثر من المعروف.. وهذا جميل كبير يا برهان .. ولقد عبرت حنين عن امتناني لك ، كان باستطاعتك التجاهل أو التزوج على رأي حنين .. فلا تزعل من ذكر هذا الفضل يا أبا خليل .

ـ أنا كنت سأتحدث مع مالك بذلك ، لأعرف هل يحتاج الموضوع لأجراء قانوني أم لا ؟!

ضحكت وقالت : اختصرت عليك الطريق.

تبسم وقال : الأمر ليس سرا .. ولما تعلم أمك بذلك ستقول لمالك ادفع لا يجب أن يدفع زوج أختك كل المبلغ عيب و .. و .. ومالك كما تعلمين لا يقصر بذلك ، ولكنه مقبل على زواج كما تعلمين قريبا .. فالعمارة قد انتهت بفضل الله ، وبعض المستأجرين سكن ، وبعضهم بدأ يعمل ديكورات محلاته وتجارته .. ولنا عليه مبلغ فسيزداد الضغط عليه .. على كل حال طلبت من خليل ليلة أمس أن لا يتحدثوا بالموضوع أمام أمك يا منى .. وسأتحدث مع مالك بذلك ، وأنت حدثي حنين أن تكتم عنها الأمر هي وسعد وألا يفشو هذا الأمر أمام الناس والحاجة جميلة .



كان جابر زوج صبرية أحمد ووالد عدنان المدرس المعروف لكم يجلس أمام بيته على رصيف الشارع ، ومعه زوجه صبرية ، وبعض الجيران يجلسون حوله، ويتحدثون عن الحفلة والدعوة التي أقامها مالك لأهل الحي بمناسبة إنهاء أعمال العمارة الكبيرة بالنسبة إليه ، وامتد إنشاؤها ما يقارب خمس سنوات كما يعلم قرائنا الأفاضل .

وكان الحديث يدور عن وفاء أبناء جميلة للحي ، وعن التوفيق الذي يحيون فيه ، وكان الأكثر منهم معجبا بهم وبمالك على الأخص فقال جابر : والله أولاد جميلة صاروا وصاروا !!

فقالت صبرية: هذا وفق من الله ..الله سبحانه لا يضيع الأيتام .. بس ها المالك لو أنه يتزوج كباقي إخوته .. المسكين لليوم عازب !

قالت امرأة جالسة معهم : سمعت أكثر من مرة جميلة أم ربيع تقول إنه سيتزوج بعد انتهاء العمارة .. وها هي العمارة قد انتهت!

وأكد ذلك أكثر من رجل حاضر وأكثر من امرأة وقال أحدهم : بل في العمارة شقة له وشقة لأخيه ربيع .. والله إنهم أولاد حلال وبركة وصاروا كما قال زوجك يا صبرية ! .. وحتى

أصهارهم ناس طيبون ، فزوج منى أستاذ فهمان وعارف بكل شيء .. وأخذ الناس يكيلون المدح لبرهان وعائلة برهان وأهل برهان ، ثم لحق سعد الدين وأهله شيئا من ذلك المدح والثناء وما ساعدوا به مالكا من مواد البناء والإسمنت والدهان والمواسير بأنواعها المختلفة

فقالت صبرية: ما هو بفلوس ! صحيح هي دين وبطيء السداد كما سمعت من أخي أبي أحمد وشرق القوم وغربوا في قيل وقال .. فإذا عدنان وزوجته آتيان نحو بيت الوالدين فقالت امرأة : ها هو الأستاذ عدنان قادم يا صبرية ومعه زوجته ابنة أخت جميلة وأولادهم .

اقتربت عائلة عدنان منهم وألقوا عليهم السلام ، وصافح عدنان الرجال وأمه وصافحت زوجته النساء وعمها جابر، ثم قال عدنان: خير يا ناس.. مالكم مجتمعون على باب الدار .. هل من شيء ؟!

ضحكوا كأنهم استغربوا سؤال عدنان ، وقال أحدهم : كنا عائدين من وليمة ودعوة مالك ربيع .. ورأيناك هناك مثلنا .. فوقفنا هنا على باب داركم نتحدث عن هذه الدنيا وعجايبها!

تبسم عدنان وقال مداعبا الجيران: آ .. تتحدثون عن الطعام وحسنه أم العمارة وآل ربيع ؟!

جابر : عن الجميع .. نتحدث عن العز الذي صار لأولاد ساعد ربيع زوج خالتك يا حليمة .. الذي مات ولم يترك لأولاده شيئا يذكر !

فقال عدنان : ترك لهم الله يا أبي! .. الله لا ينسى عبيده وخلقه فهو الذي يرزق الطير والنمل والسمك .. فكيف هذا الإنسان؟!.. الحق أن أولاد أم ربيع صبروا وتحملوا فظفروا .. وفضل الله يؤتيه من يشاء .. فهم يستحقون كل خير وسعادة ألا تريدون أن تدخلوا البيت يا أمي ؟!

وقبل أن ترد الأم صبرية قالت إحدى النساء : إيش يا أبا رفيق ألا تحب أن تقف معنا ؟!

ـ أبدا يا أم محمد .. فأنتم بركتنا .

فقالت صبرية : تفضل يا ولدي .. تفضلوا يا نسوان !

فقالت امرأة مستفسرة : شكرا يا أم علي ألا تريد أن تبني لك عمارة يا عدنان مثل أقاربك ؟!

تبسم الشاب وقال : إن شاء الله .. بس أنا اشتريت بيتا وهو من دورين .. ألم تسمعي بذلك؟!

ـ أخبرتنا أمك يا عيني !

ـ ها أنا أخبرتك ، وقد أجرت طابقا ، وأعيش أنا والأولاد في طابق ، وهو يا خالتي في شارع (النعسان) غرب برقوقة .. قريب من بيت المختار الأحمدي أبي عز الدين إذا أحببت زيارتنا .

ـ يا ابني ألف مبارك .. والله يوفقك يا ابني .. هل صحيح يا أبا رفيق أن مالكا سيتزوج بعدما أنهى تشطيب العمارة وأجرها ؟!

ـ طبعا يا خالتي .. مالك شاب ناجح بمعنى الكلمة .. وسيفرح أهل برقوقة بجميع شوارعهم ودورهم بزواج مالك ، وسيكون زواجا مهما يتحدثون عنه إلى الممات .

ضحك البعض بصوت عال ، وبعضهم أبدى دهشته فقال جابر : إيش يا عدنان .. هل سيتزوج مالك ربيع ابنة الحاكم والسلطان ؟!

تبسم عدنان ونظر لزوجته وهي ابنة خالة مالك وقال : علمت أن سيتزوج من ابنة نقيب محامين البلد .

هتف أحدهم : ابنة النقيب مرة واحدة ؟!

ضحك عدنان لسذاجة الناس وقال : مرة واحدة .. مالك محامي مثل أبيها .. قريبا ستسمعون مثل هذا الكلام .. فمالك ابن حيكم سيصل إلى فوق .. ربما ترونه في يوم ما وزيرا !

فقال جابر : والله يا عدنان كلامك ثقيل اليوم !

ـ لا تستغرب يا أبي! .. فمالك خلال هذه السنوات شق طريقه بنجاح رغم أنه لم يبلغ الثلاثين من العمر؛ ولكنه نشيط جدا في النقابة والانتخابات ..وهو متواضع للغاية ، كلكم تعرفونه وتعرفون ذلك عنه.. فرغم نشاطه فما زال يسكن في بيت خليل بيت زوج أمه .. ولكن الذي أشرت إليه من التوقع ربما يحدث بعد سنوات عشر .. خمس الله أعلم .. لأنه إذا تزوج ابنة النقيب القانوني الكبير عبد الكريم سيدفعه لرئاسة النقابة في المستقبل ، فلربما يصبح نائبا للنقيب في السنوات المقبلة ، وبعدها نقيبا ، وهؤلاء كما تعلمون تعرض عليهم الوزارة .

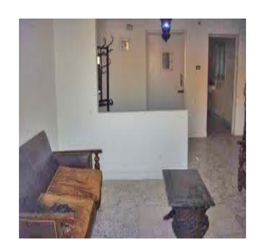
قال أحدهم : والله ممكن ! .. الله على كل شيء قدير .

ـ وأيضا الأخ مالك سيجعل له مكتبا في هذه العمارة .. فقد استأجر مكتبا .

فقالت صبرية بدهشة : استأجر ! .. أليس هو صاحب العمارة ؟!

ـ هي له يا أمي ولكن أخاه ربيعا شريك له ، ودفع كما دفع مالك .

تمتم بعضهم بأنهم فهموا القصد ، ودفع عدنان باب البيت ودخل وتبعته أمه أم علي ، وبدأ الناس ينفضون من أمام البيت وهم يقولون : والله يا جميلة عرفت أن تربي !.. أيتام المعلم خليل بركات الحداد خليل أبي أحمد .



لم يكد يمضي أسابيع على هذا الكلام الذي تحدث به عدنان أمام بيت والده حتى أعلن في الحي عن خطبة الشاب مالك ربيع على ابنة السيد عبد الكريم نقيب المحامين في المدينة ، وكان مالك قد تعرف على الفتاة قدرا فقد عمل متدربا عند والدها قبل أن يصبح النقيب نقيبا بزمن فأصبح معرفة وصديقا للأستاذ القانوني الكبير في البلد ، ولما تخرج من الكلية الحقوقية عمل في أحد مكاتب الأستاذ عبد الكريم ، فقد كان

للرجل عدة مكاتب منتشرة في المدينة الكبيرة وضواحيها ، والمكتب الذي مارس فيه العمل كان يديره ابن النقيب الذي صار نقيبا فيما بعد ، وأصبح صديقا لابنه نضال ، وتصادف أن تعرف على الفتاة أثناء حفل زواج نضال ، وأعجبت الفتاة الطالبة بعد بالشاب ، وظهر لمالك أنها تعرفه أثناء تردده على بيت أبيها مع نضال أيام الكلية ، ووعده نضال خيرا .. وهي كانت تدرس الطب في بريطانيا فهي أنهت الثانوية وسافرت لبريطانيا للدراسة في جامعات بريطانيا لأن أخوالها يعيشون منذ زمن في تلك البلاد .. ولما عادت وجدت الشاب ما زال في انتظارها وكان لديه أمل وكان الأستاذ عبد الكريم محبا لمالك ويرى له مستقبلا مهما في النقابة لنشاطه الفردي الكبير ، ولنشاطه الواضح في الحزب رغم صغر سنه ، ولقوة كتاباته في الصحف والمجلات العامة

والحزبية .. فهو شاب نشط متحرك واجتماعي معروف .. ورغم دخوله الحزب مبكرا منذ التحق بكلية القانون فقليل من سكان برقوقة يدركون هذا النشاط الحزبي .. كانوا يرونه إنسانيا مساعدا متعاطفا مشاركا.. ومكافحا ومحبا لهم جميعهم وابن حيهم الوفي ولم يقصر في مساعدة يستطيع ويقدر عليها ولا يفعلها.. فبعضهم كان يرى أنه جدير بأن يصل لأي مركز في البلد.

المهم لنا أنه بعدما عادت الفتاة الطبيبة من أوروبا وقد حصلت على شهادة كبيرة في الطب وأخذت تستعد للتخصص في أمراض النساء.. وأنهى مالك مشروعه الخاص تم القران المنتظر وسعد أهل الحي بهذا القران ، وسعد خليل وأم ربيع بهذا القران ، وذكره بإخوته الذين عندما تزوجوا من بنات الأكابر نسوا أهليهم وحيهم ، فذا مالك يتزوج من ابنة رجل كبير ومعروف في البلد وما زال ابن برقوقة ويسكن عند زوج أمه ولم يستعر ويخزَ من ذلك ، وظل بيت جميلة وخليل أياما في استقبال المهنئين والمادحين ، وكانت منى تقول لبرهان : والله يا برهان أنت تعرف مالكا أكثر منا !

ـ مالك عندما كنت أجلس معه أسمع منه بعض الهمسات ، وبطريقتي التي عرفت بعضها أجمع هذه المعلومات وأصل لحقيقة ما .. هو قديما تكلم معي عن ابنة النقيب قبل أن يصير نقيبا عندما كانت تتعلم في كلية الطب وكانت طالبة .. وحدثني يومها عن الأمل الكبير لقوة علاقته بأخيها نضال .. وجاءت الأيام ومضت الأيام .. وأحيانا أسأله فجأة عن العروس مازحا فيقول إنها في بريطانيا ثم يفطن للسؤال ويقول الله أعلم ، نحن لم نتفق على شيء هو مجرد وعد منها ومن صديقي نضال .. ولما لم يتحدث عن الزواج خلال هذه السنوات توقعت وحسبت أن الأمل ما زال لديه .

ـ الحقيقة الفتاة رائعة الحسن وأديبة جدا .. رغم أنها طبيبة متخرجة ومن أوروبا ، وهي ابنة النقيب بالنسبة لنا ولو لم تحمل هذه الشهادات .. وأنا رغم ما حدثتني عنه سابقا حول هذا الزواج يا برهان لم أكن أتصور مالكا يفكر بهذا الطموح ، ويصبر هذا الصبر .. كنت أظن أنني أنا الوحيدة في حي برقوقة أو قل أسرة ربيع لديها طموح في العائلة .

ضحك برهان وقال مداعبا : عادت منى لغرورها القديم !

ـ اضحك ومعك حق في أن تضحك .. كان مالك منزعجا مني قديما .

ـ كان مالك منزعجا منك قبل أن يتعرف على النقيب وعلى ابنته!

ـ أيضا كلامك حق!! .. نسيت أنني تزوجت وهو في الكلية بعد .. اعلم يا عزيزي أني سعيدة بذلك .. ولا تظن أنني أحسد أخي وإن كان يحسد ويغبط .. فأنا أحب أهل الطموح !

ـ مالك هادئ وصبور.. هو أثناء تدريبه في مكتب الأستاذ الكبير عبد الكريم وأثناء الدراسة وبعد الجامعة حدثت الصداقة بينهم ، ويومها كان السيد عبد الكريم من كبار المحامين ومن أقطاب الحزب ، وكما فهمت من مالك فيما بعد أن السيد عبد الكريم يصادق كل من رغب في صداقته شابا كان أم كهلا .. يصادق كل الناس .. ليس مالك خاصة.. وهو رجل شعبي مع أنه قانوني كبير ومعروف في ذاك الوسط .. حصل التعارف بينهم والزمالة في المهنة والنقابة والحزب ، المهم أن الرجل أعجب بأخيك مالك .. ولما أنهى الدراسة شغله في مكتب ابنه نضال ونضال زميل لأخيك في الكلية وهو أقدم من مالك بسنة على ما أذكر .. تعمقت صداقتهما لتوافقهما في كثير من الأفكار .. وكان نضال هذا يحب مالكا جدا ويثق به ثقة كبيرة ، واستطاع دمجه وإدخاله في الحزب فقويت الصداقة أكثر.. وكانت الفتاة هناء تتردد على المكتب للقاء أخيها ، وكانت قد دخلت كلية الطب وتأتي في العطل من بريطانيا.. فتعرفت على مالك في تلك الفترة وتعرف عليها .. احذري أن تتخيلي أن قصة حب وغرام حصلت بينهم .. هو مجرد تعارف عابر .. فمالك شاب متدين منذ صغره كما تعلمين ويعرف نفسه جيدا ، وهي ابنة السيد عبد الكريم الرجل الذي يحترمه ويقدره .. وأخت صديقه نضال .. والفتاة أيضا متدينة وربما أكثر من مالك وتلبس الثوب الإسلامي إذا يحق لنا أن نسمي هذا الاسم .. المهم أن الفتاة أبدت اهتماما بمالك بمعرفة نضال .. ولما تزوج نضال اقتربت المسافة بينهما أكثر وتشجع مالك ساعد ربيع وتحدث مع نضال عن أخته .. فسر الشاب من ذلك ووعده بأن يتحدث معها .. ويوم زفاف نضال حدث لقاء عابر بين الاثنين ووافقت الفتاة على الزواج منه إذا لم يمانع والدها

وباقي إخوتها .. وأخبرته أنها تدرس خارج البلد ودراستها طويلة .. فذكر لها ظروفه ومشروعه وأنه سينتظر .. وانتهى الموضوع سنوات وهذا كلام مالك ، وكان أحيانا يسألني : هل تغير رأيها يا برهان بعد عودتها ؟! أنا نضال يطمئنني وأنها تسأله عني وعن أخباري .. وحتى أن بعض أولاد خالها الذين يعيشون في بريطانيا فكروا بالزواج منها فاعتذرت لهم ، وأنها تحب الحياة في بلدها العربي.. كانت الفتاة تريد مالكا .. ولما عادت قبل سنة تقريبا كان مالك يستعد لإنهاء العمارة .. وظهرت الأخبار التي سربتها لكم ، كان مالك قلقا من ناحية أنها ربما لا تريد الزواج منه بعد رجوعها .. فلما شجعه نضال .. وقوت هي بنفسها قلبه صارح والدها بذلك فلم يمانع نهائيا بل أثنى على أخيك ورحب به صهرا له ، ويبدو أن نضالا كان قد مهد له عند والديه .. وهذا نتيجته ظهرت اليوم .

كانت منى تسمع وهي تسرح أحيانا ولما صمت برهان قالت : رغم ثرائهم الواضح يا برهان عندهم تواضع كبير .. فقد تعرفت أثناء الحفلة على بعض أخواتها لأن بعض الأخوات الأخريات متزوجات في بريطانيا ..

ـ ونحن تعرفنا على إخوتها الشباب قبل الحفلة ويوم الحفلة ..

ـ المهم أنني لمست فرقا كبيرا بينهم وبين أهل زوجي القديم ، وقلت شتان بين الثرى والثريا ، مع أنهم أصحاب أموال كثيرة وأصحاب شهادات .. مع أنني كانت لديّ فكرة سيئة عن كل الأغنياء ..

تبسم برهان وهو يرد عليها : أنت تعاملت مع طبقة أغنياء غير طبقة هؤلاء الذين تعامل معهم مالك .. ليس كل الأغنياء انسلخوا من جلدهم وتغربوا وتفرنجوا على رأي بعضهم .. فكل شخص له تجارب شخصية خاصة .

ـ عندي سؤال خجلت أن أسأله لها ولمالك! وهو هل ستسكن في حي برقوقة ؟!

ـ بالتأكيد .. أليس لمالك شقة هناك ؟!

كان أكثر سكان حي برقوقة ينظرون لخطبة مالك نظرة إعجاب وتقدير مع أنه زواج كأي زواج والقدر جمع بينهما بين مالك وابنة المحامي الدكتور عبد الكريم ، فحي برقوقة الذي يتردد اسمه كثيرا في سطور هذه القصة لا يذهب بك الظن للوهلة الأولى أنه حي فقراء وعميان وعجزة ، إنما هو حي شعبي أي نهض ابتداء على غير ترتيب وتنظيم إداري مدني ، كان البناء فيه عشوائيا وبدون ترخيص من البلدية والإدارة العامة للعاصمة .

كان كلما قدم فقير من مدن وقرى البلاد المختلفة للعمل في العاصمة أو للعلاج إذا كان مريضا ينصب بيتا أو خيمة في ذلك المكان ، ثم تزايدت العائلات المهاجرة من الأرياف والقرى البعيدة إلى العاصمة ، ولا يستطيعون السكن في الأحياء المنظمة لعجزهم عن دفع الضرائب مقابل الخدمات المقدمة لهم ، فينزلون الحي المذكور ، فكبر الحي وتمدد شيئا فشيئا ، ويبدو أن أول من أقام فيه إنسان اسمه برقوقة أو عائلته تحمل هذا الاسم فاشتهر بذلك ، ولما اهتمت به الدولة والبلدية ظل يحمل هذا الاسم الشائع، ثم دخلت عليه بعد زمن خدمات البنية التحية، ونظمت شوارعه ، وهدمت بعض أبياته لتوسيع وإعادة تنظيم الحي ، فأدخلت عليه خدمات الكهرباء والماء والصرف الصحي والهاتف والبريد ، وتحدثت بناياته وعماراته ، وشوارعه أنيرت بالكهرباء بعدما أنشئت الأعمدة اللازمة ، لقد جرى تطوير الحي ولكنه ظل يحمل اسم الحي الشعبي ، وظلت بعض شوارعه ضيقة إلى حد ما ، وبقيت أكثر عمارته ومبانيه متلاصقة وتخلو من الحدائق الجانبية ، ومع الأيام ورحيل البعض من العائلات توسعت المباني بالنسبة للذي تمكن من شراء بيتين متجاورين فأكثر ، فمالك عندما قام بإنشاء العمارة التي مر ذكرها قد تمكن من شراء بنايتين قديمتين وهدمهما وأقام العمارة مكانها ، وهكذا كان يفعل غيره إذا تمكن من شراء مبنيين هالكين .. ندخل منزل صبرية زوجة جابر وعندهم عدنان وأولاده وأهله ، وكان جابر يقول مخاطبا عدنان : والله مالك صار وصار يا عدنان ! .. لقد كان في الحفل من رجالات البلد!

قال عدنان باسما لأنه هو الآخر حضر الحفل ورأى ما رآه أبوه : آ .. يا أبي .. حتى زوجته طبيبة

في البلد ، وتقول عنها أم رفيق فتاة مؤدبة للغاية ، وتحسن المجاملة ، وكانت فرحة بزواجها من مالك ابن حي برقوقة .. فهي قد درست الطب عند أخوالها في بريطانيا ، وتخصصت في أمراض النساء أو بدأت دراسة هذا التخصص ، ولها أكثر من سنة في البلد وهما يرتبان لهذا الزواج .. فقد كان بينهما معرفة منذ سنوات .

ـ يعني كانوا يحبون بعضهم كما نرى في التمثيليات .

ـ ليس بتلك الصورة .. مالك شاب على خلق طيب كما يعلم الجميع .. والفتاة مثله متدينة ولا تخالط الأجانب .. وقد تعرفوا على بعض صدفة ، وعمره طبعا ما جلس معها في خلوة .. لم يلتق بها في منتزه أو مسرح أو سينما .. هذا كلام فارغ بالتأكيد .. هو كان يعمل عند أبيها قبل أن يراها أثناء فترة التدريب المعروف .. وقبل أن يفتح مكتبه الخاص مع بعض الزملاء .. ولما تخرجت الفتاة من الجامعة الطبية تحدث مع أخيها نضال زميله في المحاماة .. وجرى ما يمكن أن نسميه خطبة ووعد ، ولما عادت من لندن حصل النصيب والقدر .. هذه هي القصة لا حب وعذاب وسوالف .. والفتاة ليست دميمة أو جاهلة بل هي متدينة وتلبس الملابس الشرعية الكاملة !

وأخذت صبرية تكيل لها المدح والثناء واللطف ، وتتحدث عن حسنها وتواضعها وحلاوة كلامها وعلى أدب أخلاق أمها وأخواتها ، وتدعو لمالك بالتوفيق وقالت متحسرة : أما أنا إخوتي لما تزوجوا بنات الأكابر لم نعد نعرفهم .. لعنة الله عليهم !

وقال جابر : يا أم علي دعينا من إخوتك وأخواتك .. وما هو الحزب الذي يشتغل فيه مالك ابن جميلة ؟

تطلع عدنان في وجه أبيه وقال : الحزب جماعة يهتمون بالسياسة وأوضاع الحاكم والمحكوم ، ويتجمعون على مبادئ معينة ، ويشكلون هيئة تسمى حزبا .. والكلام واسع في ذلك يا أبي .. أهم شغلهم الاهتمام بالحكم والسياسة .. ومالك لما كان في الجامعة التقى ببعض أفراد الحزب لأنهم ينشطون في الجامعات وبين الطلبة ، فنشط ودخل الحزب ، والحزب لا يعطي راتبا بل

الأعضاء يدفعون اشتراكات في الغالب يا أبي .. فبعض الشباب الجامعي يستهويه العمل الحزبي للحركة والنشاط وتحقيق الأحلام والهوايات.. والسيد عبد الكريم من كبار رجال الحزب وهؤلاء دعاة للحفاظ على النظام الحاكم والبعد عن التبعية للغرب والدول الكبرى فدخل مالك الحزب أيام الجامعة ، وتعرف على هؤلاء الناس وأصبح منهم ، ولما تخرج ساعدته مهنته للبقاء معهم لنشاطهم في النقابات ودفاعهم عن الحريات وحقوق الضعفاء ، والسعي لتحقيق ما نسميه العدالة الاجتماعية لكل رعايا الدولة .. وله مستقبل إن عاش معهم فربما كما قلت سابقا وعشنا أن نرى ابن حارتنا وزيرا .. فعندما تنشأ حكومة حزبية تحكم البلد تزداد فرصة هؤلاء الشباب في الوصول لكرسي الوزارة .. لأنه لما تشكل حكومة حزبية أو من عدة أحزاب يتوزعون المناصب بحسب اتفاقهم .

فتعجب جابر وقال : والله مالك ممكن أن يصل ! .. فهو ذكي وصبور كما عرفنا من قصة زواجه من بنت النقيب .. فهو يعمل بهدوء وأناة .. والله عظيم يا أولاد ! .. الله أنقذهم بعد أن كادت أختهم منى أن توسخ سمعتهم كما تذكرون .

قالت صبرية : إيه منى اليوم سيدة فاضلة وأم لأربعة عيال .. زوجها ابن حلال استطاع أن يعيد تربيتها من جديد .. فهي تصلي وتلبس مثل أختها حنين .. ولم تعد تدخن منذ تزوجت ذاك الشاب المحترم .. لقد التقيت به أكثر من مرة في بيت أخي خليل .. والله شاب بطل ..

أخي خليل لا يحب في الدنيا أحدا سواه .. وهو قد سمى ابنه على اسم أخي خليل .

فقال جابر : فهو صديق خليل الوحيد في الدنيا .. أنا كنت خائفا على خليل لما يكبر أولاد جميلة

فقال عدنان : برهان أخ كريم ، وحتى أهله ناس طيبون كرام .. فإخوته كلهم متعلمون فأخوه الأكبر طبيب ، وأنت تعرفه يا أبي أخذتك مرة إليه

ـ أعرف يا ابني .. الدكتور عبد القادر هو طبيب وإنسان أيضا ، ويحترم كل من يأتيه من طرف برهان وحتى أولاد جميلة ، فيهتم بهم ضيافة وعلاج .

فقال عدنان : وله أخ مهندس فتح مصنعا كبيرا للحديد وصهره ، وحتى خالنا خليل التحق

بالعمل معهم فيه .. وأي شاب من الحارة أحب العمل فيه يسهل له برهان الالتحاق بالعمل

فقالت صبرية كأنها تسمع ذلك أول مرة : خليل معقول وسكر المصلحة ؟!

ـ لأ .. المحددة مفتوحة ؛ ولكنه يعمل مراقبا ومشرفا على بعض نشاط وخطوط إنتاج المصنع وعماله .

فقال جابر : آ ..سمعنا بذلك .. بل قال لي إنه ساهم بمبلغ في المصنع .

فتبسم عدنان وقال : نعم هو مبلغ زهيد ، وإنما هو من باب المشاركة والتعاون يا أبي .. فالمصنع كلف عشرات الألوف .. ففيه فرن ضخم لصهر الحديد وتحويله لعجينة لإعادة سكبه

قالت صبرية : الله يوفق الجميع .. كل إنسان يأخذ نصيبه في هذه الدنيا .. أولاد جميلة قصة نجاح جميلة في الحي .. أنا أذكرها أيام ترملت المسكينة ، كان حالها مؤلما جدا .. فأهلها لم يستطيعوا تقديم اليسير لها ولأطفالها الأربعة .. حتى أفرجها الله عليهم بزواجها من أخي خليل فتحسنت حالهم قليلا قليلا .. ونياتهم صالحة .. يا عدنان يا ابني هذه العروس التي سيتزوجها مالك ستسكن هنا في حي برقوقة كما يشاع ؟

ـ ولماذا يشاع يا أمي ؟!.. هذه الحقيقة .. ألم يخص مالك نفسه بشقة في العمارة التي بناها هو وأخوه .

ـ بنت عائلات كبيرة .. من بنات القصور والفيلات تعيش هنا !

ـ تعيش يا أمي كما نعيش نحن من عشرات السنين.. المهم أن يقنع الزوجان ببعضهما البعض فمالك لا يستطيع في الوقت الحالي أن يعيش بعيدا عن أمه وزوج أمه .. فليس له إلا هذه الأم والزوج الذي كبرهم وعلمهم وصبر حتى اشتد عودهم .

قال جابر : الصحيح أولاد جميلة أبطال وجدعان ويستحقون كل خير .. ويحبون بعضهم بعضا ومتعاونون مع بعض إلى أقصى درجات التعاون ويعملون يدا واحدة .. ويستحقون كل إعجاب وتحية .. فكل أهل الحي من أوله لآخره يحبونهم ويحترمونهم .. كثير من أبناء الحي لما كبروا ووسع الله عليهم كثيرا رحلوا وأخذوا أهليهم ونسوا الحي .. وحتى بعضهم نسوا أهليهم

..فأولاد جميلة ثبتوا على حبهم لهذا الحي وناس الحي رغم خروجهم منه أيام طلاق أخيك لأمهم عندما حدثت تلك الفتنة .. ولكن الله لطف بهم بظهور ذاك الشاب الكريم في حياتهم .

ـ صح .. متى سنذهب لنبارك لهم يا أبي ويا أمي .

قالت صبرية : أنا باركت لجميلة وخليل .

ـ نريد أن نبارك لمالك نفسه .. الناس لا تنتهي من المباركة لأمه ، فكما قال الوالد أهل الحي يحبونهم .. فتقول أم رفيق أن أهل الحي يوميا يمشون لبيت أم ربيع ونحن نريد أن نبارك لمالك نفسه .

قال جابر : وقتما تشاءون يا أبا رفيق .. فالعادات الحسنة يفضل أن تبقى حية بين الناس .

ـ جيد .. سأكلمه بالهاتف .

وطلب من رفيق أن يحضر له هاتف بيت جده من صالة البيت ، فأحضر

الفتى الهاتف من الصالة وغرزه في موضعه داخل الحجرة التي يجلسون فيها واتصل بمكتب مالك فردت عليه موظفة فقال : مالك موجود ؟!

ـ نعم من يريده ؟!

ـ صاحبه عدنان !

ـ لحظات

أخذ مالك الهاتف ورد على عدنان : آ .. يا أبا رفيق !

ـ كيف حالك ؟

ـ بخير يا عدنان .. كيف أنت وعمتي صبرية ووالدك وأم رفيق ؟

ـ الكل بخير .. والكل يسلم عليك .

ـ أي خدمة يا صديقي المحترم ؟!

ـ نحب أن نراك لنبارك لك بمناسبة عقد القران .

ـ بارك الله فيكم .. أهلا وسهلا مساء اليوم بعد صلاة العشاء سأكون في البيت يا أستاذ عدنان

وأحلى عدنان .. وأنا في انتظاركم وبارك الله فيكم .



لم يتغير مالك بسبب هذا الزواج الكبير في نظر الآخرين ، واستقبل زوج صبرية أخت المعلم خليل السيد جابرا وبعض أفراد أسرتهم وابنة خالته التي أتت أيضا بصحبتهم استقبلهم في بيت زوج أمه خليل ، ورحب الجميع بهم ، وشربوا الشاي والقهوة وتمتعوا بالطيبات من الفواكه والحلوى التي لم تنقطع من البيت منذ إشهار الخطبة والقران .. وسهر القوم سهرة ممتعة حتى عقب جابر قائلا : ما شاء يا جميلة يا أم ربيع ! صبرت ونلتي .. مالك بطل لم يتغير به شيئا ابنك ابن مبارك

ضحكوا وقال خليل : يا أبا علي مالك يحب أهل برقوقة ، ويحب الحي أكثر مني ، وسيبقى الابن الوفي مهما ارتفع في هذه الدنيا الهالكة ، فكثير من هؤلاء الناس الكبار يعرفهم مالك شخصيا بحكم أنه عضو في هذا الذي يسمونه الحزب .

قال مالك : يا أبا علي الناس سواسية كأسنان المشط ، ولا فرق بين أسود وأبيض إلا بالتقوى ، وكما تعلمون هذه أقدار يقدرها العلي القدير .. يعني لو التقيت بفتاة أخرى خلال هذه السنوات ربما تزوجتها.. فأنا لم اسعَ للزواج من ابنة مسؤول كبير .. ولو رفضتني عندما التقينا أول مرة لربما تزوجت قديما ؛ ولكنها زرعت عندي أمل ، وتحقق هذا الأمل .. وكل هذا بفضل الله تعالى .. لا هو بشطارتي ولا بقوتي .. والحمد لله على أفضاله التي لا تحصى ولا تدرك ولو سكنت في أي أرض سأبقى ابن الحي والأهل والجيران يا أبا علي يا بركة !

قالت صبرية: هل ستسكن هنا يا مالك بعد الزواج ؟!

ضحك مالك وقال: أكيد يا عمتي أكيد .. أمي هنا وزوج أمي هنا .. فأنا معهم حتى المات وأمد الله بأعمارهم .

فغمغم خليل قائلا : مالك ولد بار بنا يا صبرية .. وأمير!

مالك رد فقال : شكرا لك يا عم! .. أنت بركتنا ولولاك بعد فضل الله لم نكن شيئا .. فالله سخرك لنا .. ونحن مهما فعلنا لك سنبقى مقصرين ، ونحن معا حتى يفرق بيننا ما يفرق بين الأحباب .. سأتزوج في الحي يا أم علي ، وسأسكن في شقتي التي تعرفونها في عمارة الربيع .. ولو رضي العم خليل بالبناء هنا لبنينا طابقين أو حتى ثلاثة لهم واحد ولربيع واحد ولي واحد

فقالت صبرية : ولماذا لا يرضى أبو أحمد ؟!

فقال خليل : هذا عبء كبير على الأولاد .. فالعمارة كلفت يا صبرية .. ويريد أن يكتب البناية إذا بنوها باسمي من أجل أن يأتي أخوتك العاقون خالد ومنير غدا يطلبون ميراثهم .. وعندما نموت يبنون كما يشاءون !

فقال جابر : أصيل يا أبا أحمد ..

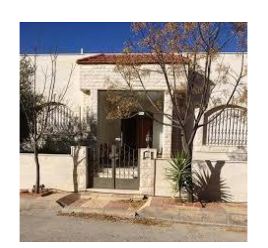
قال عدنان : يا خال .. أمد الله في عمرك .. لا أعتقد أن الشباب سيرحلون من برقوقة .. من الميلاد حتى الممات آ يا مالك !

قال مالك : أكيد هذا يا عدنان ! أنا قد عشت كم سنة خارج الحي في حي راق جدا في العمران والخدمات والنظافة .. كما تعلمون في حي الرحمات ، ولم أكن فيه سعيدا .. آه كم فرحت لما عدنا إلى هنا ! .. ولست متكبرا على غيره من الأحياء والشوارع .. الناس هم الذين يصنعون حلاوة المكان والحي أو تعاسته .. لو كان جيراننا أشقياء وسيئين لربما هجرنا المكان ، وأقنعنا العم خليل بالرحيل ، رغم أن هذا صعب علينا ومؤلم.. ولكن الحمد لله الناس هنا كالأهل .. فالعم أبو أحمد أيضا من الميلاد حتى الممات .

قالت صبرية : أبو أحمد لم يولد هنا مثلك !

قال خليل باسما : فعلا أنا لم أولد هنا يا مالك ! .. أنا ولدت في مدينة أخرى .. ثم رحلنا إلى هنا وأنا صغير، كانت أمي ـ رحمها الله ـ بعدما ولدت صبرية قد مرضت ، فجاء أبي إلى هذه المدينة لعلاجها .. ولما طال العلاج وكان يحتاج للتنقل بين المدينتين .. اشترى هذا البيت ، وكان عبارة

عن حجرتين من الطين القديم .. واستأجر محددة في شارع الربيع الذي تعرفونه يا أبا علي .. واستمر العلاج لأمي ، ولم تستطع الخلفة بسبب المرض ، فتزوج أبي عليها .. صبرية تذكر ذلك لأنه استمر في علاجها حتى كبرت صبرية ، وصار عمرها قريب من العشر سنوات ، وأنجبت امرأة أبي أربعة من أبي ، ثم هلك أبي وأنا شاب صغير دون العشرين .. فتحملت المسؤولية الكاملة ، وكنت قد تركت المدرسة صغيرا وتعلمت الحدادة من أبي .. ثم ماتت أمي بعد حين بعد زواج صبرية بأيام .. وتكفلت بإخوتي الأربعة الصغار وأمهم ، وربيتهم وتعلموا وهاجروا لأمريكا والبرازيل وغيرها من البلاد ، ولكن قبل هجرتهم وبعدما أنهى منير الجامعة رحلوا وسكنوا في منطقة أخرى قريبة كما ادعوا من مكان عمل خالد ، وكانوا قد أصروا على تعليم البنات في الجامعات وصار بيننا مشاكل بسبب هذه الموضوع.



عبير ناصر

كانت صحف الحزب قد نشرت خبر عقد قران السيد مالك ربيع على الآنسة هناء عبد الكريم الذي كان في تلك الأيام نقيبا لمحاميي البلاد ، ومالك نفسه معروف شخصه في الوسط الحزبي قبل ظهور هذا النسب والمصاهرة ، فلذلك كان من الأمر الطبيعي أن تنشر مجلات الحزب وصحيفته اليومية خبر هذا الزواج ، وإن لم يكن مجاملة لمالك فللنقيب نفسه .. وكذلك لكتابات مالك الصحفية ، فهو منذ أيام الجامعة وهو يكتب للصحيفة اليومية للحزب ، وباستمرار للمجلات المختلفة من أسبوعية شهرية نشرات توعية .. فلذلك جاءت صور مختلفة ومشاهد من الحفلة في تلك الصحف .. منها العريس مع حميه أبي عزام النقيب .. صور للعريس مع بعض رجالات الحزب .. وصور لوالد العروس مع شخصيات معروفة وعامة .. فبعد نشر هذه الصور اتصلت ذات صباح عبير ناصر بمكتب السيد برهان وبعد التحية والسلام قالت :

يا برهان .. أليس هذا الشاب الذي ظهرت صوره في بعض الصحف نسيبك ؟!

كان برهان يعرف أنها تدرك الجواب ، وإنما للتأكد وللحديث في الموضوع ، فاسم مالك ظهر واضحا في الصحف التي نشرت الخبر والصور .. وعبير رأت مالكا وتعرفت عليه أثناء قضية تسديد دين حازم ومنى ، فقال برهان وهو يستحضر هذه المعلومات : نعم هو يا عبير .. لقد زرناك مرة .. لابد أنك تذكرينه ؟!

ـ هذا هو الذي دفعني للحديث معك .. فصوره والتهاني تلفت النظر .. وخصوصا عندما تكون العروس ابنة النقيب وهو من شخصيات البلد .. إيش القصة ؟!

ضحك برهان وقال : تكلمي بصراحة !

قالت باسمة وغامزة : صعود غريب وسريع فالذي فشلت فيه منى سوف يحققه مالك أخو منى !! .. إنهم يتطلعون لفوق أكثر من اللازم !

استمر برهان في ضحكه وقال : وما الذي يضيرك أو يضيركم ؟

ـ ثم أنها طبيبة ومتعلمة في لندن .. كيف التموا على بعض ؟!

ـ ألم تذكر الصحف القصة ؟!

ـ لا .. الصحف لا تذكر قصص التعارف يا أبا خليل .

ـ الصداقة يا عبير .. فالأخ مالك صديق للعائلة .. وهو رجل فاضل وخلوق ونشيط في عمله ومهنته .. وهو ابن الحزب أيضا ..

ـ الحزب !! هذا واضح من كثرة التهاني الحزبية .. إنه ابن الحزب ؛ ولكن هذا صعود مبكر!

ـ كيف مبكر؟! له عشر سنوات في الحزب .. والأمور ليست بالسنين إنها بالبروز والنشاط !

ـ اسمع قل بصراحة ألا يوجد قصة حب بينهما ؟ .. ليرضخ النقيب وأسرته لهذا الزواج!

ـ لا ، صدقي ذلك وإلا لأشارت الصحف المعارضة لذلك ، وغمزت في هذا الزواج .

ـ معقول !.. حتى أن بعضها تبارك له شخصيا ، فكثير من زملاء العمل السياسي يهنئونه ويكبرون خطوة النقيب ، ثم يتبعون التهنئة للنقيب بالتهنئة لمالك والعروس الدكتورة .. أكيد زوجتك منى سعيدة من ذلك؟!

ـ أليس العريس أخاها ؟! ولم لا تفرح يا سيدة عبير!

ـ أين سيسكن الفتى ؟!

ضحك برهان وقال : أنت مثل سكان حي برقوقة .. يسألون أين سيسكن ويعيش ابن الحي عند الزواج ؟.. ليس هناك أسرار سيقطن العرسان في حي برقوقة

ـ أوه !!

ـ مالك صعقت وصرخت ؟! .. هذا الشاب سوف ترونه يوما ما على كرسي الوزارة .. وقولي برهان قال! .. أنا أعرف مالكا جيدا وذا قدرات عجيبة في التفكير والإدارة والتخطيط .. فلتة من فلتات الزمان ، وإن يظهر للمتعرف عليه ابتداء أنه ليس كذلك !

ـ شكرا لك! والله يوم عرفتني به كان يوما سعيدا .. عندما يعلم أبي وأعمامي وأخوالي بذلك سيندمون على تطليق منى .

ضحك برهان ، ولم يغضب منها بالإشارة لزوجته وقال : هذه هي الدنيا يا عبير!

ـ شكرا ثانية أنت شجاع .. خفت أن لا تشبع فضولي .. سأقول لأبي وأنظر ماذا يكون رد فعلهم فأبي له علاقة بالنقيب عبد الكريم قبل أن يصبح نقيبا وقد التقوا كثيرا في حفلات خيرية .. بارك للأخت منى هذا الإنجاز .

ـ ابشري !

لما علم والد حازم من عبير من هو مالك نسيب الدكتور القانوني الكبير والمعروف عبد الكريم أبي عزام ، وأنه شقيق زوجة حازم الأولى والمطلقة دهش وعجب من ذلك ، ولما نظر في الصور التي قدمتها له عبير من بعض المجلات والصحف التفت لزوجته وقال : أرأيت يا فطوم ما تقول عبير؟!

قالت نافرة : عرفت قبل أن تقول عبير .. فبعض النساء تطوعن وقلن لي ذلك!

فالتفت ناصر لعبير وقال : وما أخبار تلك البنت يا عبير؟! .. هل تزوجت أم ما زالت مطلقة عزباء ؟!

ـ تزوجت زميلا لي أعرفه عندما كنت في الجامعة .

ـ زميل لك ، كيف ؟!

ـ بالصدفة عرفت .. شاب أنت تعرفه مدقق حسابات له سمعة طيبة في التدقيق .. الأستاذ برهان محمود .

رفع صوته استغرابا ودهشة وقال : برهان هو الذي تزوج منى ربيع طليقة حازم ..!!

ـ نعم يا أبي .. تعرف عليها أثناء عملها في شركة الثريات والأثاث وتزوجها، وهي سعيدة معه للغاية ، وأنجبت منه لليوم أربعة أطفال أو ثلاثة لا أدري بالضبط

ـ السيد برهان أعرفه والتقيت به عدة مرات في مناسبات مختلفة ، وهو شاب طموح وذكي في المحاسبة ، لقد عرفني عليه بعض الزملاء والعملاء .. هو نفسه زوج منى ربيع ؟!

ـ نعم يا أبي .. وهو الذي أغلق دين منى مع حازم .

هز رأسه وقال : علاقتكم جيدة !

ـ الشغل ، ثم يجر الشغل الأمور الخاصة .. إعلان قرأته في عدة صحف إعلانية تذكرته .. فاتصلت به فوجدته فعلا الزميل الذي درس معي في الجامعة ، ثم التقيت بمنى في مكتبه ذات صباح فظننتها عاملة عنده ؛ فإذا هي زوجته وشريكته في المكتب .

ـ إذن مالك الذي ناسب الأستاذ القانوني عبد الكريم هو شقيق منى ؟!

عبير : أجل يا أبي !

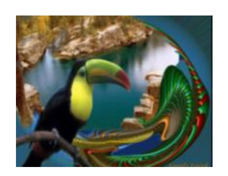
تنهد وقال: إذن هو يعلم أنني والد حازم زوج منى الأول ! نتمنى له التوفيق ونحن انتهى ما بيننا وبين منى ربيع .. أليس كذلك يا فاطمة ؟!

قالت الأم بضيق : بالتأكيد هؤلاء الناس من طينة ونحن من طينة .. اهتمي بعملك يا عبير وابحثي لك عن زوج ، فها أنت قفزت على ثلاثين وليس عندك ولد ولا بيت .

ـ الأبطال الذين يتطلعون إليّ ليسوا من طبقتنا .. أناس مثل برهان ومالك .. أولاد أصحاب الملايين لا ينظرون إليّ .. كم لأبي من الأصدقاء؟ ولك أنت أيضا ومع ذلك لليوم لم تتمكنوا من إيجاد رجل يقبلني زوجة دائمة !

صاحت أمها فيها : أنت خائبة كل أخواتك تزوجن وخلفن .. التهي بشغلك ودعيك من هؤلاء الناس .

كانت كلما تفكر بكلام أمها تتعجب من بغضها الشديد للفقراء أو أبناء الفقراء حتى ولو أصبحوا ميسوري الحال ، وأصبحوا من أهل المال والشهادات والأعمال .. ومع ذلك يبقون عند أمها فقراء .. فتلزم الصمت وتعود للإلتهاء بشغلها والمهمات التي تكلف بها من قبل والدها وشركائه .



وعندما دخل الصيف ورجع ربيع ربيع إلى بلده في إجازته السنوية كالمعتاد تم حفل زفاف السيد مالك ربيع على كريمة السيد عبد الكريم علي ، وتم الاحتفال في قاعة من قاعات النادي

للحزب الكبير، وشارك أناس كثير في هذا الحفل ، فمحبو مالك في برقوقة وغيرها حضروا حفل الزفاف ، وأصدقاء ومحبو النقيب والزملاء أيضا تواجدوا في قاعة الحفل ، وانتقلت الطبيبة هناء عبد الكريم إلى بيت زوجها في عمارة الربيع في شقة مالك في الطابق الثالث من العمارة ، ولقد كان الحفل مشهودا من الصحافة العامة والخاصة ، وكان فرح أهل برقوقة لا يوصف بزواج ابن حيهم من ابنة النقيب وكانوا يرونه زواجا نادرا من وجهة نظرهم .

كانت منى تنظر لأخيها قبل أن تعرف أنه يفكر بالزواج من ابنة النقيب القانوني المعروف في البلاد شرقا وغربا على أنه إنسان يكافح ويبحث عن المستوى الاجتماعي اللائق به ، وهي بلا شك تذكر موقفه الحاد معها ومنها عندما قررت الزواج بحازم .. كان رافضا لهذا الزواج بقوة ولكنه استسلم لقول ربيع وأمه .. وهي كانت لا تعتبر كلامه معها شيئا يستحق الاهتمام والرد والإقناع وأنه مجرد طفل ، وحتى عندما أصبح محاميا كانت ترى أن عمله مجرد وظيفة لتدر عليه دخلا ثم سيتزوج فتاة يلتهي بها كباقي البشر .. وأنه منغلق الفكر ، وربما تشبهه بزوج أمها خليل لحبه لحي برقوقة .. وحتى بعدما تزوجت برهان كان مالك بالنسبة لها الطفل الذي يصغرها بسنوات ، وأنه إنسان ليس لديه طموح رغم كثرة كتاباته للصحف والمجلات ونشاطه الحزبي ؛ لأنها لا تؤمن بالأحزاب وما تنادي به هذه الأحزاب ، وما فكرت مرة بقراءة مقال لأخيها ربما تقرأ عنوان المقال فقط .. فلما سمعت بمشروع زواجه من ابنة أحد كبار المحامين .. تغيرت الصورة النمطية في ذهنها قليلا .. رأى فتاة حسناء وأعجب بها .. وها هو بنى عمارة ليكون له بيت كباقي الشباب .. أما لما عرفت من هي الفتاة وما تحمل من شهادة طبيبة كبيرة ودراسة في الخارج وصبر سنوات على وعد أدركت أن أخاها رجل بمعنى الكلمة وأنه يتطلع للمجد وأنه صبور.. وأن ربيعا الذي جاراها قديما في أحلامها ومغامرتها لا شيء أمام مالك ، وأنها كانت جاهلة أو متجاهلة لقدرات مالك وطموحاته المعقولة .. وعجبت من قدرته الكبيرة على إخفاء شخصيته الحقيقية الشخصية القوية عن الناس ، والظهور أمامهم بالشخص البسيط الساذج .. وأخذت تدرك عمق تفكير مالك وسياسته وتفاعله مع الناس وأهمية انضوائه

للحزب الكبير أحد أهم أحزاب البلد .. ومع ذلك كان قليل الكلام عن ذلك النشاط والطموح وجعل أعماله وأفعاله تدفعه للإمام وتعرف به.. وأن أمامه مستقبل زاهر.. فبرهان يقول قد يصير وزيرا في يوم ما عن طريق الحزب والنقابة .. ومع هذا الطموح الموجود لديه كما يقول برهان ، وله هذه القدرات ، ومع ذلك يسكن في حي قديم حي تاريخي.. شوارعه الداخلية ضيقة .. فميله السياسي وحسن خلقه واهتمامه بالناس وقضاياهم يدفعون به للبقاء في حي قديم .. قاعدة شعبية بالمفهوم السياسي .. إذا فكر بالانتخابات ومقاعد البرلمان ستكون قاعدته أهل حي برقوقة أولا .. وكانت تنزعج جدا عندما تسمعه يتحدث مع حنين عن الحكم والمحكوم والحاكم والعدالة الاجتماعية فتعتقد أنه شاب فارغ.. أما هي فكانت تفكر وتحلم بالقصور والمال الكثير والرحلات العالمية والسهرات في أنحاء العالم .. وأما هو فيحلم بتحسين أحوال البلاد ، أحوال الناس ، رفع دخل الفرد في البلاد ، رفع مستوى الخدمات المقدمة للشعب في كل ربوع البلاد .. تحسين حال الضعفاء تحسين الحياة الاجتماعية للجميع رفع مستوى الطبقات الفقيرة

بعد زواج مالك عرفت من هو مالك ؟ فكانت تهمس لبرهان ببعض هذه الأفكار فيقول لها برهان : مالك فارس صادق مع نفسه ومع الآخرين .. وما هو انتهازي .. والحزب يحقق الطموح السياسي للفرد ، فاستفاد سريعا من فرصته عندما دخل الجامعة ، وربما يكون أحسن الاختيار والحزب المناسب لأفكاره وأحلامه .. فهو أحب برقوقة قبل التعرف على الحزب ، ثم أحب أن يصنع لنفسه قاعدة شعبية ، فكما يحب الحي فيريد أن يستثمر هذا الحب لنفسه ولأهل الحي .. فعندما يكبر ويصبح مؤهلا للانتخابات البرلمانية يكون مقبولا من العامة بشخصه وحيويته .. ليس بماله وشراء الأصوات كما هو معروف .. وها هو الحظ خدمه فتعرف على النقيب عبد الكريم ثم أصبح صهرا له ، وهو غير مزور بل واضح وشجاع .. والفتاة التي تزوجها ليست ساذجة وقليلة الثقافة ؛ بل ربما تكون ثقافتها أكبر من ثقافة مالك أو تعادلها.. وهي قد مالت إليه وتجاوزت كل التقاليد المتبعة عندهم فأعجبت به وبطموحه ، ولم تنظر ماذا

كان قديما؟ وهل يليق به أن يناسب عائلتهم الكبيرة والمعروفة ؟ فما دام والدها يجله ، وكذلك صديقه نضال يجله ويراه مناسبا لها ، فلم تتردد ولم تختر عليه من الآخرين .

ـ أنا لم أعرف أخي مالكا إلا عندما خطب ، وأظهر الخطبة على الملأ ، ثم عرفت من هم أهل برقوقة ؟ .. وكم يحبونه ؟! فالحب من الطرفين .. ليس مجرد ساكن بينهم وابن فلانة وفلان .. فعرفت معنى مهتم بقضاياهم ومطالبهم وسعيه معهم والتصاقه الكبير بهم ، أدى كل هذا ذلك اليوم ثماره ، وأن حياته المتواضعة في بيت خليل الحداد أكدت للناس أنه منهم ومثلهم .. أنا الآن قد أكون بدأت أفهم ابن أمي وأبي .

ـ مالك بسيط يا منى .. غير معقد .. يسعى لتحقيق أهدافه ككل إنسان يضع أهدافا نصب عينه لتحلو الحياة ؛ ولكن ببطء وهدوء وحسب الحاجة ، ويمكن أن يعدل ويغير في الأداء .. فمع تحزبه ونشاطه في الحزب فمن النادر أن يطلب من أحد أن يتحزب ، هو يحب نشر الوعي السياسي بين الشباب ، والشاب بنفسه يتجه للحزب المناسب .. هو إذا سنحت له الفرصة ذكر الحزب وأهدافه وأحلامه أمام الحاضرين .. فمن راق له الكلام خصه وتوسع معه في الموضوع فيما جرى ويجري في البلد بدون تضخيم وتكبير لموقف الحزب ، عرف الناس الحزب من الأفعال والنتائج .. هو معهم في كل قضية .. في دار البلدية في دار كذا وكذا .. مشكلة في مدرسة جاهز للمساعدة .. طالب عمل مشكلة مع أستاذ أو مديره ، طلبوا منه المساعدة ضحى بوقته وساعد في حل المشكلة أو التخفيف من أضرارها ونتائجها .. امرأة فقيرة تحتاج مساعدة يقوم ويرسلها للجهات المهمة .. وبمعرفته يساعد قدر الإمكان دون مبالغة .. هذه هي حيوية مالك ربيع .. قضايا سيئة يبتعد عنها .

ـ أتعرف كل ذلك عنه من أين ؟!

ـ أنا أُسأل عن ذلك .. عجيب أمرك يا منى ! .. من معاشرته .. من الجلوس معه في جلسات بعيدة عن النساء .. عن أم منى ومنى وغيرهن .. فمالك يعرف كيف يتكلم ؟ ومتى يتكلم ومن يخاطب ؟ فأمه لا تهمها سياسة واقتصاد ، فلماذا يملأ رأسها ويزعجها بالسياسة والاقتصاد

وقضايا وعواصف الوطن ؟! خليل يجب أن يتكلم عن الحدادة ومشاكل الحدادين والسوق والجيران .. فيتحدث معه عن الحدادة والجيران .. فلان مريض يذهبان معا لعيادته والسؤال عنه فلان في المستشفى اركب يا عم خمس ..عشر دقائق .. فلان عاوز مساعدة .. يساعده ، ما عنده كبر وتعالي ! ولما يجلس معي ونتحدث بالسياسة يتحدث معي بالسياسة ، ويبين رأي وموقف الحزب في القضية وتعليقهم وتحليلهم .. نتحدث عن الاقتصاد وسوق العمل .. يفعل فهو قارئ جيد للغاية .. يكتب كما تعلمين للصحف الكبيرة مقالات وأفكار وتعليقات جيدة .. صحيفة الحزب يكتب بها باستمرار من أيام الكلية فظهر وبرز اسمه .. الإعلام دعاية للشخص مجلات الحزب المتنوعة يكتب فيها أيضا باستمرار ومنذ سنوات .. ها هو يستعد بعد هذا الزواج للماجستير والدكتوراه !

فغرت منى فاها دهشة وقائلة : يريد أن يدرس ثانية ؟!

ـ هكذا تريد منه زوجته هناء .. وهذا ضروري حتى يصبح خبيرا كبيرا في القانون المحلي والدولي .

ـ والفلوس ؟!

ـ العمارة المؤجرة له نصيب فيها .. والمكتب .. والزوجة الطبيبة .

ـ لماذا لم يدرس قديما ؟!

ـ حاول الدراسة فترة ثم انقطع لظروف معينة .

ـ ظروف أي ظروف ؟! لم أسمع بذلك .

ضحك برهان ؛ لأنه يدرك أن منى لم تكن في هذه الفترة تهتم بإخوتها

وقال باسما : أعتقد بناء العمارة .. وأنا عرضت عليه المال يا منى فقال يكفي ما أخذنا منك .. واعلمي أنه دفع ألفين من جيبته في موضوع حازم .

ـ ألفان ! لم تقل لي ذلك ؟!

ـ حلفني أن لا أقول .

ـ ولماذا قلت ؟!

ـ انفعال ولتعلمي ذلك ، وليبق معلوما لديك للزمن ..هذا زمن يا منى أحداثه كثيرة ومتلاحقة وسأكفر عن يميني إن شاء الله تعالى .

قالت بتأثر وندم على ماض مازال يعشش في مخيلتها : أنا يا برهان كلما أتذكر صراخ مالك في وجهي واحتجاجه على تصرفاتي تدمع عيناي ، أيام كنت أظن أني عاقلة وعارفة الدنيا وأنها للأغنياء فقط .. أتسكرين يا منى وتحششين؟ ويصرخ في وجهي وهو يهدد بقبضته غضبا ، وأنا أصيح في وجه ابتعد عني لا دخل لك في حياتي وتصرفاتي .. اسكر .. احشش .. اسهر .. ولولا احترامه لأمي وخوفه من حدث لها ، وكذلك خجله من ربيع الأكبر منه كنت أظن أنه سيخنقني ويتخلص مني .. بل كنت أتخيله أو أحلم به يضغط على عنقي ، كنت أخاف وأصاب بالرعب من عصبيته .. ولكن كانت طباعي حادة .. ولما طلقني حازم .. سمعت منه كلاما يمزق ويدمي القلب وأشد من الطلاق كان عليّ هذا حازم الذي تاجرت فيه .. كم سمعت منه من الكلام القاسي ؟ .. ماذا استفدت من حازم أفندي ؟! .. سكر .. دخان .. سهر .. رقص .. عودي لأصلك .. انظري إلى حنين الصغيرة التي تفهم أكثر منك ، تعرف من هم أهلها وعاداتهم ؟ .. فأصفه بالغباء والتخلف والرجعية والعقد .. لي أيام وأيام أتذكر مثل هذه المشاهد والصور .. كان يخيل لي أنه يكرهني بشدة ، ويحقد عليّ ويريد الخلاص منى وربما كان أسعد بني آدم عندما عرف أنني تركت الخمر .. كان قلقا عليّ أن أسقط سقوطا مريعا في براثن الفجور والنوادي الليلة ..لأنني أخذت حرية أكثر من اللازم في نظره .

ـ ومع ذلك لم يحاول يوما أن يراقبك .. سلم الأمر لله ولدعاء أمه .. عندما يتكلم عن تلك الأيام يا منى تكاد الدموع تطفر من عينيه .. إنه يتألم عندما يسمع عن سقوط امرأة أو فتاة في مهاوي الشيطان ، وخصوصا إذا كانت عفيفة وشريفة وأهلها كذلك .. وكان يخشى أن لا تكوني عرفتيني على نفسك جيدا ، قصده على الأشياء التي اكتسبتيها من معاشرة حازم وأصحابه .. فلما عرف أنني أعرف كل شيء كاد لا يصدق أني إنسان عاقل .. وأخذ يعانقني ويبكي ، وسألته

مرة ألم تحاول التجسس عليها ؟ .. أتدرين ماذا قال ؟!

مسحت دموعا تساقطت على خديها وقالت : أيام سوداء .. ماذا قال ؟!

ـ قال أخاف .. كنت أخاف يا برهان أن أرى شيئا قبيحا لا أحب أن أنطق به على لساني لهوله فأفقد أعصابي وروحي ، فافعل شيئا لا تحمد عقباه وأنا له كاره .. أو لا أفعل شيئا .. كانت أيام عصيبة مرت في حياتي .. أخاف أن تضيع منى انتقاما من الحياة والفشل .. تضيع كما ضاعت آلاف الفتيات .. ولكن الله سلم وجاء المنقذ الأستاذ برهان محمود .. البطل .

فعلا كان مالك يرغب بالحصول على الشهادات العليا في القانون والمحاماة ، وحاول قديما أن يدرس الماجستير المرحلة التي تسبق الدكتوراه ، ثم انسحب للضغط المالي وانشغاله في بناء العمارة ، وأخذ يفكر بجد بعد زواجه أن يأخذ هذه الشهادات من سوربون فرنسا أو كامبردج بريطانيا إن تيسر له ذلك ، فشهادة الدول الأجنبية خاصة الأوربية الغربية لها قبول لدى العالم ، فالشهادة من بلاد العرب في هذا الزمان قيمتها ضعيفة عالميا داخل البلاد وخارج البلاد ، فترى الذي يحمل شهادة من أوروبا أو أمريكا له احترام وتقديم على غيره ممن يحمل نفس الشهادة ولو من بلده .. فتخلى مالك عن الدراسة أو المحاولة وانشغل بالبناء وانتظار الزواج ، ولما حصل الزواج وفرح بزوجه هناء ، وكانت الفتاة تعلم رغبة مالك تلك من أخيها نضال .. وأنه راغب بالدراسات العليا .. فلم يكد يمضي على زواجها أيام معدودات حتى ذكرته بتلك الرغبة ، وأن أموالها وما تملك من ثروة بين يديه .. فهي قد اشتغلت أثناء حياتها في لندن ، وبعد عودتها ، فهي تملك ثروة جيدة .. فوافق مالك بعد نقاش وحوار وجدال بالتي هي أحسن على الدراسة للقانون الدولي العام ، وهي تعمل في مستشفى على تدريب كاف في قسم النسائية والتوليد لتحصل على التخصص ، فراسل بعض الجامعات الأوروبية ، وجاءته عدة موافقات ، ومنها موافقة من إحدى جامعات بريطانيا بمساعدة أخوال هناء .. بقيت مشكلة أمه من سيبقى عندها ؟ صحيح هي عند زوجها ؛ ولكن لها حق كبير أن يبقى على الأقل أحدهم قريبا منها .. فتحدث مع ربيع بذلك الأمر.. فأبدى استعداده للاستقالة والعودة للوطن ، وأن لأمه حقا عليه

وأن لمالك الحق بالمزيد من العلم، وإنما هي سنوات معدودة ، فهو لم يخرج من البلد إلا في رحلات قصيرة .. وفعلا خلال أسابيع يسيرة كانت العائلة تستقبل ربيع وعائلته وذلك أمام دهشة الجميع ، وتفاجأ الأهل والمحبون بهذه العودة ، ووضح لهم مالك الأمر ، فأكبر الجميع هذه التضحية والإيثار من ربيع نحو أخيه مالك .. واعتذر مالك من أمه وزوج أمه وأختيه وبين لهم وجهة نظره .. فاقتنع الجميع بطموحه وأثنوا على ربيع أبي ساعد خيرا .. وودع الأهل والأحباب مالك ربيع وزوجته هناء عبد الكريم المسافرين لبلاد الإنجليز ، ولم يعترض أحد ، وقال ربيع : نعم ، من حق مالك أن يسافر وأرعى أمي .. فهو قد قام بالواجب وزيادة .

فشكروه على موقفه الشجاع والنبيل وحبه لأخيه ، فهما لا يحبان أن يتركا أمهما وزوجها بدون أحدهما .. فقدر لهم الناس والمعارف هذا الموقف .. وخلال أيام يسيرة كان المهندس ربيع يمسك عملا في إحدى الشركات الكبار .. وساعد في ذلك خبرته خلال هذه السنوات ، وكذلك والد هناء كما أوصاه مالك وابنته هناء ، فقام بالاتصال بمعارفه قبل عودة ربيع ، وكان مالك قد قام بفرش شقة ربيع حسب طلب ربيع ، فلما حضر ربيع صيف هذه السنة عندما تزوج مالك نزل في شقته المفروشة .. فلما رجع كانت الشقة جاهزة للسكن فيها مباشرة .. ولما يريد المولى سبحانه أن يصير أمر ما يسره ولا يرده أحد .. له الأمر من قبل ومن بعد !

بعد سفر مالك كانت منى ربيع تقول لبرهان : الأمور تسير سريعا يا أبا خليل .. إلى بريطانيا ابن أمي وأبي يرحل !

ـ الله يوفقه فمالك رضى الوالدة .. دائما أسمعها تدعو له وتثني عليه .. والأيام تمضي سريعا قبل هذا القرار العاجل والرحيل العاجل كانت قيادة الحزب تفكر أن تجعله في أكبر هيئة قيادية لنشاطه وكفاءته ولمصاهرته زعيم كبير من رجال الحزب .. فالسيد عبد الكريم من مؤسسي هذا الحزب منذ كان شابا متخرجا من الجامعة حديثا.. ولكنهم لما عرفوا رغبته بالسفر لبريطانيا والدراسة أجلوا القرار .. وأنا عن نفسي معجب بأخيك إعجاب لا يعلمه إلا الله سبحانه ، وقد يغيب عنا خمس سنوات ، وأنا من الآن أشعر بأنني فقدت جزءا من روحي وبدني .. نعم

الأخ والحبيب مالك .

ـ الله يجزيك الخير يا أبا خليل .. ومالك دائما يوصيني عليك ، ويذكرني بك وبطاعتك ، فهو يحبك في الله .. ويفرح عندما يراك في البيت ويهمس في أذني : برهان سيد وملك ! لما أره ينفتح له قلبي ، احذري أن يتضايق منك ولو عن مزح .. فأهمس له : إنه سيدي وأنا أسيرة عنده!.. هو حياتي يا رجل!.. فيفرح ويقول: أنت فعلا أختي وهذا العشم فيك .

فهمس برهان متأثرا : شعور متبادل إن شاء الله ، وأنا أحبكم في الله الذي لا إله إلا هو الفرد الصمد .. أنا يا منى كلما أراك معي وتحدثينني أستغرب عم كان يقال لي عنك. آه ! عندما أتذكر كلام سعد الدين عندما طلب يد أختك وهو يتحدث عنك بخوف ورعب ، وأنت تتحدثين معه بعجرفة وتعالي .. وإنك وإنك .. أتخيل أنك جبار يسعى في الأرض .. ولا رحمة ولا شفقة فقالت باسمة : ما أقسى ما حمل عني! .. لا أنكر أنني كنت غبية وعصبية أكثر من اللازم .. كنت أرى أنَّ أفكاري وثقافتي خير الفكر والثقافة .. أنا أتكلم لغة الإنجليز أقرأ ما يكتب بلسانهم .. كان تأثير المدرسين عليّ في الجامعة كبير .. كانوا يغرسون فينا أفكارا سيئة عن التخلف العربي والإسلامي ، ويحدثوننا عن محاسنهم والديمقراطية والحقوق .. فأرى كل تصرف من مالك وأمي وخليل تصرفا عبيطا وغبيا .. وأن الحياة الثروة الكبيرة والمال الكثير حتى صدمت عند الزواج الأول كيف رفض أهله المتحررين المتغربين دخولي حياتهم ؟! .. فتحديت التقاليد وصممت على الزواج على طريقتي الخاصة .. ولما حدث الطلاق بالصورة التي تعرفها زاد ارتباكي وتشتتي .. وجاء زواج حنين من سعد الدين الجاهل الأمي يومذاك في نظري هدما لكل أفكاري ..

ـ سألته ذات مرة بعد زواجنا عنك فيقول ضاحكا منى التي عرفتها عندما تقدمت للزواج من حنين غير التي تزوجتك ونأخذ بالضحك ، وأقول له صدق أننا التقينا بضع مرات وكل كلامنا كان عن الأثاث وفتح المكتب وشركاء .. لم ندخل في قصة غرام وغسل دماغ فلا يصدق وربما لليوم لا يصدق .

ـ أنا اعتذرت له عن تلك الساعات المرعبة، وعن موقفي الحاد منه .. وشكرته ألف مرة على فكرته الغريبة التي أنقذتني فعلا من الحيرة ووهم الحرية وعلى اختيارك عريسا لي .. كثيرا ما تسحرنا تلك الأفكار الكبرى والشعارات الواسعة الرنانة .. فنتمسك بها ولا نمحصها .. أنت أمير حياتي يا أبا خليل ! وتستحق الشكر في كل ثانية .. شكرا لله الذي رماك عليّ ..

ـ منى عندي فكرة تراودني منذ زمن وأنا متردد في طرحها عليك !

ـ فكرة ! وما هي الفكرة هذه؟!

ـ الدراسة !

ـ الدراسة ! من يدرس أنا أم أنت ؟!

ـ أنت طبعا .. أفكر أن تدرسين دراسات عليا حتى تحصلين الدكتوراه ، وخلال هذه السنوات سأقوم وبمساعدة إخوتي وإخوتك بإنشاء شركة خاصة لإنشاء وبناء مدرسة خاصة .. ولما تنهين دراستك تكون المدرسة قد جهزت .. فأنت شابة ناضجة .

ـ آه .. كم بغضت التعليم والتدريس يا برهان ؟

ـ الشهادة العليا تعطيك قوة ومركزا في الوسط التعليمي ، وصدقي أن خير قطاع لعمل النساء هو التدريس .. يكون أغلب المجتمع الذي تتعاملين معه من النساء والبنات.. فيكون هناك العمل بحرية وانطلاق وابتعاد عن تقليد ومراعاة الجنس الآخر .

ـ فلسفة إذن ؟!

ـ فكري بجد .. فأنت ذكية وتقرئين بالإنجليزية وتجيدينها، وهذا شهادة تفتح الأفق أمامك ، وستكون الدراسة أمامك سهلة .. المهم الإرادة الصادقة .. صدقي لو الشهادة العليا تفيدني شخصيا في عملي لسعيت إليها .. فعمل المكتب عندي عال للغاية كما تعلمين ..

وعدته منى بالتفكير وبعدما فكرت وتناقشت بالفكرة مع أختها حنين التي شجعتها لآخر درجة فقالت لها منى : ولماذا لا ندرس معا ؟!

قالت حنين : أحب ذلك ؛ ولكني رضيت بمهمة ربة بيت أكثر من الدراسة .. فأنا أحب

الأمومة والبيت ، وربما إذا أنشأتم مدرسة قد اشتغل معكم .. مع أنني لم اشتغل بالتدريس منذ تخرجت .. البيت حياتي وسري ، أنا مشكلتي ـ إذا كانت مشكلة ـ لا أحب العمل خارج البيت وحتى أناس يطلبون مني تدريس أبنائهم دروس خصوصية فاعتذر .. ولا تظني أن زوجي يمنعني من العمل والتدريس .. فكل أخواته المتعلمات يشتغلن بشهادتهن .

فبعد تشجيع حنين لمنى وافقت على فكرة برهان ، وطلبت منه أن تدرس بدون علم أحد إلا هو وحنين حتى ترى نفسها هل تستطيع الدراسة والاستمرار فيها أم لا ؟ .. فبعد نظر قال : لا بأس ؛ ولكن إذا عرف أحد لا تتعاملي مع الموضوع بحساسية .. فهذه سنوات وليس ساعات وليعرف الناس ! ثم عندما تندمجين في الدراسة لن تهتمي بالناس وحديث الناس .

سجلت منى للماجستير في إحدى الجامعات المحلية ، وبعد حين يسير سجلت لدراسة تربوية عليا تسمى الدبلوم التربوي لمدة عام واحد .. وكان برهان ينفق عليها بسخاء .. فعمله يدر عليه دخلا جيدا .. بل كان يفكر بتوسيع المكتب قبل أن يقنع منى بالدراسة العليا .. هو يعلم طموحات زوجته الكبيرة وأحلامها الكبيرة وأنها استسلمت لأفكاره وسيطرته عليها .. وأنها تراه ملاكا هبط عليها من السماء .. فما يقوله ويعرضه تقبله وتسلم له تسليما كاملا وإن تناقشا حوله .. فهي ترى أن أفكاره صائبة وملهمة .. فهي اعتبرته الفارس الذي هبط عليها لينقذها من الضياع والحيرة ، ويحفظ سمعة عائلتها وشرفها من السقوط .. فما أوحى به إليها تنفذه عن رضا وحب ودون تردد .. مع أنها لم تحب وتهوى التدريس يوما مع أنها تحمل بكالوريوس لغة إنجليزية ، وهذا تخصص مقبول في كل المدارس العامة والخاصة .. لم تفكر بالعمل معلمة بل تبغض هذه الوظيفة .. فلما حثها على الدراسة العليا وأنه يفكر بتكوين مدرسة .. أقنعت نفسها بالقبول والرضا بها ، ونفذت رغبته ، إنها كثيرا ما تحاول فهم سيطرة برهان عليها لدرجة أنها لا تقول لا .. فلم تفهم السر ؛ ولكنها كانت سعيدة ، وترى أن زوجها أنجح زوج في العالم .. هي عندما فارقت زوجها الأول وطلقها اعتقدت أن حياتها كامرأة صالحة ونافعة انتهت ، ولا تظن أن رجلا يفكر بها كزوجة وحبيبة .. قد يتزوجها مطلق لتربي له أطفاله أو أرمل لنفس

الغاية ، أما أن يتقدم لها رجل بكر لم يتزوج فكان احتمالا ضئيلا .. وإن فكرت بشيء من ذلك فترى أن رجلا عجوزا له عدة نساء يرضى أن يضمها لنسائه عطفا وإحسانا .. فكان الزواج الجيد من جديد في نظرها بعيد المنال .. فالبنات كثير، وربما أكثر من الذكور في المدينة .. فلذلك كان كلام برهان وطلباته أوامر لا تقبل الرد .. ومع ذلك الانقياد التام لم تره زوجا متسلطا أو جشعا أو بخيلا .. إنما تراه يبحث عن سعادتها وسعادة أبنائه الأربعة .. ويعمل من أجلها وأجلهم .. لم يتعامل معها خلال هذه السنوات على أنها مطلقة أو أنه تصدق عليها بهذا الزواج وأنه يريد إذلالها وتحقيرها .. إنه يتعامل معها على أنها حبيبة وصديقة وأم أطفاله وأنها امرأة فاضلة .. فحتى الدين الذي سدده عنها لم يقف عنده كثيرا ، وتعهد بسداده قبل أن يشاورها .. فقد دفع الجزء الأكبر منه دون تردد واستبطاء .. إنه دائما يقدم سعادتها على سعادته وإن حياتها كأم لم تكن مرهقة .. تعمل ساعات قليلة ثم تعود لبيتها .. وأمه تقبل حضانتهم أثناء غيابها بكل أريحية وحب مع أن أحفادها كثر فهذه أفعال ومشاعر تأسر الإنسان ..

تقدمت للدراسة المزدوجة بقوة وحذر وترقب أيضا .. فهي لم تفكر بعد تخرجها الجامعي الأول بالدراسة العليا .. كانت تريد المال سريعا .. ولكنها تتذكر الظروف عندما تخرجت وأسرعت لسوق العمل من أجل الأسرة ، كان عندها هذا الهم .. فالعم خليل لم يقصر خلال كل هذه السنوات ، الأقربون صمتوا ولم يفعلوا شيئا لهم .. كان خليل الحداد ينفق بدون ضجر وملل ومنة .. عجيب هذا الإنسان .. علم إخوته وقابلوه بالجحود ولم تره يعيب عليهم إلا عندما مرض ذات سنة ، يومها شعر بأن لا أهل له إلا هم أولاد جميلة .. لم تكن أنانية ، هي تعلم حجم الجهاد الذي قدمه خليل زوج أمها لها ولأخوتها .. ومع ذلك لم يأخذ منهم شيئا لحتى اليوم .. وما زال كما تقول أمها يشارك في مصروف ونفقات البيت ولو بشكل رمزي .. إنه إنسان رائع يعادل برهان في الطيبة والشهامة والإيثار.. فلما كانت منى تفكر بخليل تتعجب من بعد أهله عنه ، وهو بهذه الأريحية والطيبة .. فتتسأل لماذا إخوته خالد ومنير لا يتعرفان عليه ؟! .. أليس هو أخاهم ؟ .. صحيح هو أخوهم من جهة الأب فقط ؛ ولكنه الأخ الأكبر لهم ! .. فخليل

إنسان طيب ويحب الناس .. ولا يكره ولا يعادي .. هل فقط لأنه اعترض على تعليم أخواته في ذلك الزمان يكرهونه ؟!

غرقت في تفكير عميق في هذه النقطة .. فلم تجد سرا أو شيئا غامضا .. فهو رجل ذو سلوك حسن ، يحترم الآخرين والجيران وإن كان فيه حدة وعصبية لكنها تذهب سريعا .. لم تذكر أنه تشاجر مع جيرانه يوما ما .. فقط مرة تشاجر مع زوج أخته صبرية وتقاطعوا سنوات على أثرها فلم تصل إلى معرفة شيء ولسبب مقنع لهذه العداوة بينهم .. فكرت أن تتحدث مع عمها خليل لعله يوضح لها السر .. فكانت أمها تحبذ ألا يتحدث معه أحد بذلك .. فإنه يتضايق .. تذكرت المرة التي مرض فيها وأدخل المستشفى ورقد فيها أسبوعا .. كم كان غضبه عليهم شديدا ؟! وكم كان ممنونا لهم يريد أن يضع الدنيا بين أيديهم ؟! .. إنهم وقفوا معه بأنهم نقلوه للمستشفى وعادوه فيه .. فاعتبر ذلك معروفا كبيرا .. وهذا المعروف يقدم لكل محتاج وجار ..

أقدمت منى على الدراسة بتردد وقلق ، وبعد حين بدأت تتأقلم مع القراءة والمراجعة والاستذكار .. وقف معها برهان بكل جدية وتعاون .. وأخذ هو يدرس فكرة إنشاء مدرسة بشكل جدي كذلك .

فكان بين أمرين إما البناء أو الاستئجار .. الاستئجار أسهل وأخف ماليا في المرحلة الأولى .. فتشاور مع إخوته أو بعضهم ، فبعضهم شجع وبعضهم توقف وفضل عدم إبداء رأيه.. فهم يحبون التعاون والمشاركة في المشاريع .. فالمهندس عبد الرحيم مكث سنوات وهو يخطط لبناء مصنع المعادن وها هو ينهض على قدميه .

فكانت فكرة بناء مدرسة فكرة مشجعة ولها سوق واعد .. فطلبوا من برهان إعداد دراسة أولية عنها ، وعن الموقع المناسب لها .. وهل تكون للذكور أو الإناث أو مدرستان واحدة للذكور وأخرى للإناث ؟ .. مراحل التدريس .. جميع المراحل أم التدرج .. فأخذ برهان جميع الملاحظات ، وبدأ يفكر بالأمر ويشاور ويناقش مع الأصدقاء ورجال المال .. حتى أن أحدا من أصحاب المال عرض أن يفتح له مدرسة ويكون هو المسؤول عنها .. فاعتذر عن ذلك وهو

يقول : أنا أريد أن يكون هذا المشروع خاصا بي يا سيدي .. أنا لا أبحث عن ممول واحد ، وربما أنا لا أعمل في المدرسة إلا مدقق حسابات فقط .. ولكنه وعده إن فشل في تدبير الشركاء أن يستعين به في إقامة المشروع .



شراء مدرسة

أمضى برهان شهورا يدرس مشروع بناء مدرسة ، وقام بدراسة الأمر .. مدرسة كبيرة أم مدرسة صغيرة جنس واحد أم جنسان .. وذات يوم اتصلت امرأة ببرهان وذكرت له أنها تملك مدرسة صغيرة وترغب ببيعها ، وذكرت له أيضا أنه هنالك إمكانية لتوسيع هذه المدرسة ، فأخذ منها العنوان وذهب للقائها ببيتها وبصحبته زوجته منى .. ولما وصل لبيتها فوجدها تسكن في فيلا كبيرة .. وفتح لهم بواب الفيلا ، ورحب بهم وساقهم لسيدة الفيلا وعاد لبابه .. وجلسوا في الصالون ينتظرونها ، وبعد دقائق أقبلت عليهم امرأة فوق الأربعين هكذا قدرها برهان ، وعليها مسحة كبيرة من الحسن والجمال والاحترام ، وبعد التحية والترحيب قالت : أنا نازك حاتم مربية ومعلمة ولي أخ يعرفك يا أخ برهان .

تنحنح برهان بصوت هادئ وقال: تشرفنا .. ومن هو؟! فعملي يا سيدتي الفاضلة يسمح لي بالتعرف على أشخاص كثر .

ـ إنه مراد حاتم !

ـ نعم ، أعرفه حق المعرفة ! صاحب شركة سيارات ، ومعه وكالة مهمة في شارع زرياب .. صح ؟

ـ نعم هو .. يبدو أنك ذكرت أمامه حاجتك لشراء مدرسة ، لتستثمر أموالك فيها .. فتذكرني ؛ لأنني منذ فترة قد قررت بيع مدرستي ، وأن أسافر لأوروبا عند ابني .. فأنا منذ سنة واحدة قد فقدت زوجي وترملت .. وأصبحت في البيت وحيدة ، فدعاني ابني للحياة معه في أوروبا .. فأعطاني مراد رقمك رقم هاتفك لأتصل بك .

قام الزوجان بالتعزية والمواساة والدعاء وقال برهان: أعرف الأخ مراد ، وبارك الله فيك .. فمراد أعرفه معرفة جيدة .. أين هذه المدرسة وكم فصل دراسي فيها ؟

قالت المرأة : ستراها على الطبيعة أنت وزوجتك الأخت منى كما ذكرتم لي .. يا مرحبا بكم .. بعدما نشرب القهوة سنذهب .

ودخلت الخادمة أو الشغالة بصينية عليها ثلاثة فناجين للقهوة ، ورشف الجميع فناجينهم ، وكان برهان يعرفها على نشاطه وعمله بأنه صاحب مكتب تدقيق مالي وحسابات منذ سنوات ثم ركبت المرأة سيارتها ، وانطلقت أمامهم إلى المدرسة التي أنشأها لها زوجها قبل وفاته بسنوات ؛ لتكون هي المسؤولة عنها ومديرة لها .

رحبت نائبة المديرة والمعلمات بالمديرة نازك وضيوفها .. وتفرج برهان ومنى على بناء المدرسة وكانت مدرسة صغيرة تتكون من خمسة فصول دراسة ، فقط أطفال صغار .. ومكاتب إدارة ومكتبة ومختبر وساحة صغيرة .. وتبين لبرهان أنه يمكنه تحديثها وإنشاء طوابق جديدة ومسموح البناء في تلك المنطقة .. ولما عادوا للإدارة شكرها برهان وقال : يوم أو يومان أرد لك خبرا .. فهي صغيرة ولكن كما ذكرت يمكن توسيعها ، وبجوارها أرض خالية لم يبنَ عليها ، ربما تمكنّا أيضا من شرائها .. فنصنع عليها ساحة للعب .. وكم تريدين ثمنا لهذا البناء والترخيص؟

ـ عندما توافق مبدئيا على الشراء سنتفق .. فأنت صديق مراد وأوصاني أخي عليك ، وإذا اشتريتم فهؤلاء العاملات حافظوا عليهن ، فلهن سمعة طيبة عند التلاميذ والأهالي .

ـ أكيد يا سيدتي الفاضلة .. قريبا سأتصل بك ثانية .

ـ آ يا منى لم تتكلمي منذ دخلنا هنا ؟!

تبسمت منى وقالت : لا شيء لديّ يا سيدتي .. لا بأس بها ، كخطوة أولى لنا جيدة يا برهان .

شربوا العصير المثلج ، وشكروا السيدة والمعلمات الأخريات ، وانصرف برهان وزوجته عائدين للمكتب ، وخلال العودة استطلع رأي منى فكررت العبارة التي قالتها في المدرسة .

فقال برهان : ممكن تحديث المدرسة أو هدمها وبنائها من جديد وبتصميم جديد إذا تم الشراء للقطعة المجاورة .. عندما أسمع وأعلم كم تطلب سأحاول تطويرها لمدرسة متوسطة الحجم للإناث ، وربما اجعل المشروع خاصا بنا فقط واعتذر لأخوتي .. فلي قطعة أرض اشتريتها قديما قبل أن نتعرف على منى ، وبعد أن اشتغلت في البنك .. وهي حوالي خمسة دونمات .. فسأعرضها

على أخي المهندس فهو شريكي في المكان له خمسة ولي خمسة .. أو نُكون شركة ونبحث عن بناء آخر ونجعله مدرسة للذكور ، وإذا نجح المشروع نفتح فروعا أخرى في مناطق أخرى في المدينة فالتعليم الخاص يحقق نجاحا لدى الناس في هذه الأيام

ـ هذا أفضل من الانفراد الكامل .. فأنتم ما زلتم تتشاركون في المشاريع الضخمة والكبيرة يا أبا خليل .

ـ أعرف هذا .. أنا لا أفكر بالتخلي عن الشراكة مع الإخوة ، لكنّ بعضهم غير متحمس للمشروع لا أريد أن يشاركوا خجلا .. وستحل المشكلة إن شاء الله إذا كان هناك مشكلة .. المهم إذا اشترينا هذه المدرسة ستصبحين مديرة عليها فورا بدلا من المديرة نازك .. وتبقين الكادر كما هو اعتبري نفسك بينهم ضيفة حتى تنتهي الدراسة العليا وتصبحين دكتورة .

ـ رائع هذا !.. أتدرب على الإدارة المدرسية ، وأتعلم كيف التعامل مع المعلمات والأهالي والطلبة الصغار؟

ـ إن شاء الله سنتفق على السعر .. حتى أعرض الأرض للبيع

ـ على بركة الله .

تشاور برهان مع بعض إخوته في أمر المدرسة التي عرضت عليه ، فقال له أخوه الدكتور عبد القادر : ممتاز ! قبل أن نبني مدرسة كبيرة تكون هذه نواة .. أنا أعرف أن التعليم قطاع تجاري واعد والاستثمار فيه جيد ، ولكن الكثير من الناس يدبون عليه .. نحن نساعدك في شراء هذه المدرسة كقرض حسن لك ولأم خليل .. وعلى ضوء تجربتكما ونجاحها نكبر المشروع وننشئ مدرسة فخمة ، ونضم لها هذه المدرسة وندفع لك المبلغ المناسب .

قال المهندس عبد الرحيم : هذا أحسن من الدخول في مشروع كبير ، شراء وإنشاء مباني وشراء باصات وتعاقد مع مدرسين فرأي أبي حسن جيد .. لما تعرف الثمن نقرر كيف سيدفع الدين ولا داعي لبيع قطعة الأرض اليوم .

وعلق باقي الأخوة وكلهم أبدى استعداده للمساهمة في قرض حسن لأخيهم برهان وزوجته

منى .. وترك بيع الأرض ، ثم تقوم التجربة للمشروع الأكبر في المستقبل .

ولقي هذا الاقتراح هوى وراحة لدى برهان ومنى أيضا .. فهي فرصة لامتلاك مدرسة صغيرة وتدريب منى على إدارتها ، ووافقوا أيضا على دعمه لشراء الأرض المجاورة لها على سبيل القرض الحسن .. فشكرهم برهان الشكر الجزيل وعانقهم فردا فردا معربا عن امتنانه لهم جميعهم ولنسائهم اللواتي شاركن في المشاورة ، ثم قال الوالد : وأنا سأكون معكم في القرض الحسن .. وأنا مستعد للتنازل عنه إذا قبل أبو خليل .

فشكرت منى والد زوجها وأخوته ، وأثنت على تجمعهم وحبهم واتفاقهم ، فشكروها بدورهم وهم يرجون لها النجاح التام في إدارة هذه المدرسة .

عندما اتصل برهان بالسيدة نازك وأخبرها بأنه فكر ودرس الموضوع ، وأنه أصبح جاهزا للشراء إذا ناسبه الثمن المعروض ، فدعته لزيارتها في الوقت المناسب له والعاجل بالنسبة لها للحديث حول الثمن ، فلبى الدعوة وساق منى وانطلق إليها ثانية ، وبعد مجاملات طلبت المرأة ثمن الأرض والبناء والرخصة عشرين ألف دينار .. فوافق برهان دون تردد وجدال ، فقد كان يضع ويقدر لهذه المشروع خمسين ألف من الدنانير ، وهو قد دهش من هذا السعر ؛ لأن المدرسة تعتبر في حي من أحياء المدينة الراقية ، وعادة تكون أثمان الأراضي والمباني والإيجارات فيها مرتفعة .. وأمام الدهشة التي أصابته من السعر صمت ولم يفاصل ويساوم ، وخلال أيام كان مكتب صديقه مالك يوقع له عقد البيع والشراء مع السيدة نازك ، حتى أن برهان بعد إتمام الصفقة اتصل بأخيها حاتم وسأله عن سبب بيع أخته للمدرسة بعد أن عرفه بنفسه وأنه اشترى العقار منها ، فقال له حاتم : بارك الله لك يا صديقي ! أختي منذ مات زوجها قد زهدت في الدنيا والعمل .. وهي ليس لها إلا ولد وبنت .. البنت ماتت بحادث منذ سنوات ، وعلى أثر موتها تعب زوجها وقبل سنة لحق بابنته .. وهي قد ورثت ثروة كبيرة عنهما .. وهذه المدرسة قديمة يا صاحبي فباعتها على سعرها القديم ، وهي ستسافر إلى ابنها في أوروبا للحياة عنده بقية العمر .. ومرة أخرى بارك الله لك .

ـ إنها سيدة فاضلة .. شكرا لك .

تم نقل ملكية المدرسة للسيد برهان محمود الذي رفضت شريكته منى أن يكتبها باسمها فتعجب برهان من ذلك .

ورحبت المعلمات بالصديقة منى ، وأبدين الاستعداد التام للتعاون معها كما كن يتعاملن مع أم شريف ، وتعرف برهان وزوجته على السائقين العاملين في المدرسة ، وعلى الحارس ، وعلى خادمة المدرسة ، وطلبوا منهم الاستمرار على ما كانوا عليه ، وأنه لن يحدث أي تغيير حتى نهاية الموسم الدراسي ، ثم تجدد العقود في الإعداد للموسم الدراسي القادم .

وأخذ برهان يسعى لشراء الأرض المجاورة .. لم يقترض برهان من إخوته أي مبلغ ، واستغرب إخوته لزهد المبلغ المدفوع مع أن المدرسة تقع في ضاحية راقية .

وتفاجأ أهل منى بالمشروع الجديد بعدما قصت عليهم منى أنها صارت مديرة مدرسة صغيرة وشاركوها الفرحة والابتهاج ، وأبدى ربيع لصهره برهان المساعدة بأي مبلغ عند شراء الأرض المجاورة .. وكان ربيع ومالك قد سددا دين برهان ، وبقي القليل من دين سعد الدين ووالده وكان ربيع يفكر بتركيب المصعد الكهربائي للعمارة الذي أجلوه لحين .

وأرسل مالك تهنئة خاصة لمنى وبرهان، وكان مما قاله في رسالته لمنى ... كنت أحب لك هذه المهنة منذ أول يوم تخرجت فيه من الجامعة ؛ ولكن أقول سبحان الله !! ولله في خلقه شؤون ، وقدر الله وما شاء فعل أيتها الأخت الحبيبة .. وخطوة جيدة وإلى الأمام يا ابنة الكرام ...

وتلقت تحية واتصال من هناء .. وقد فرحت منى بتعليق مالك الحبيب .. وكانت منى تذهب للمدرسة في الصباح ساعتين من الزمن ، ثم تعود للبيت والاستعداد للذهاب للجامعة .. ثم تفاجأ ربيع والعائلة مرة أخرى بعودة منى للدراسة من جديد ، فأثنى ربيع على زوجها برهان الثناء الجزيل واعتبره عملة نادرة في هذه الأيام .. فمنذ اقترن بمنى لم تشكُ منه يوما ما ولو شكوى بسيطة .. بل كانت تعترف أنها عاجزة عن شكره إلا باللفظ دون الأفعال ، وتود أن ترد ولو شيئا من معروفه وكرمه معها ، فتعجب لضعفها وعجزها من تقديم الشكر ورد الجميل

له ولزوج أمها خليل .. فهم لا ينقصهم المال والسعادة .. فتدعو لهم بقول جزاكم الله خيرا ، وكان صاحبنا برهان من أسرة طيبة يعرفون

الأدب والحلال والحرام ، ويعرفون العيب ، وهو رجل ناضج .

خلال شهور تمكن برهان محمود الدين من شراء الأرض المجاورة للمدرسة ، وطفق يتصل بالمهندسين والمصممين لإجراء تصميم مقبول ولائق بتحديث المدرسة الصغيرة .. وهذا لم يكن صعبا على ابن السوق .. وتقرر بدء الإنشاء عند بداية العطلة الصيفية للطلاب.. ورصد الأموال اللازمة كما بينها ووضحها له المهندسون المعماريون والمدنيون .. وأرسل له مالك خمسة آلاف جنيه إسترليني هدية منه لأخته .. وبعدد تردد قبلها برهان على اعتبار أنهم أسرة واحدة ، وسرت منى لتصرف أخيها ولفة ذكية وكريمة ، وعرفت قيمة الأخوة أكثر من ذي قبل رغم ما كان بينهم من جفاء قبل زواجها من برهان ، وهو كما علمنا قد أصبح من ضمن الماضي الذي ذهب مع حازم ناصر .. وفوجئت منى أيضا بمبلغ آخر من مالك أرسله إليها خاصة لما علم بدراستها للماجستير والدبلوم المهني في التربية ، مما دعا برهان أن يتحدث معه بالهاتف ، فأقنعه مالك بقبوله وأن لا يأخذ الموضوع بحساسية ، وأن منى غالية عليه ، وأنه مهما دفع من مال لها فهو يسير، فهي التي ساهمت بدراسته ودراسة حنين مع ربيع أيضا .. وبين له أن يعمل في بريطانيا منذ وطئت قدماه البلاد فأخوال زوجته أصحاب مصالح وأعمال مهمة وكبيرة في البلاد فالأموال كثيرة ، وأنه أرسل لحنين مالا وحثها على الدراسة مثل منى ؛ ولكنها تصر على حياة الأم داخل بيتها ، وربة بيت كأمها وأنها سعيدة بأطفالها وزوجها .. وأنه أرسل لها ثمن سيارة والمال قد وصل لربيع .

كان كرم مالك مثيرا للدهشة مع أنه كريم منذ عرفوه ؛ ولكن أموال بريطانيا كثيرة ، وأخوال هناء وفروا لهم العمل فور استقرارهم ، فوجدوا العمل والراحة والدراسة .. بل أحبوا مالكا واستلطفوه وهنئوا هناء على حسن اختيارها ، وأنجبت له المولود الأول هناك وقد سموه برهان فلم علم برهان بذلك سجد لله شكرا ، وزاد حب مالك في قلبه وعلم أكثر صدق ومقدار حب

مالك له ، وأما منى فلما سمعت من زوجها الخبر ذرفت الدموع تأثرا بتسمية مالك لمولوده الأول على اسم زوجها .. فقام الزوجان بشراء هدية خاصة وثمينة وإرسالها بطرد بريدي للمولود ، واتصلوا بالهاتف شاكرين ومتأثرين فقال لهم مالك : والله هذا أقل القليل .. فبرهان حبيبنا وأخونا الكبير والفارس الجميل في حياتنا وأسرتنا.

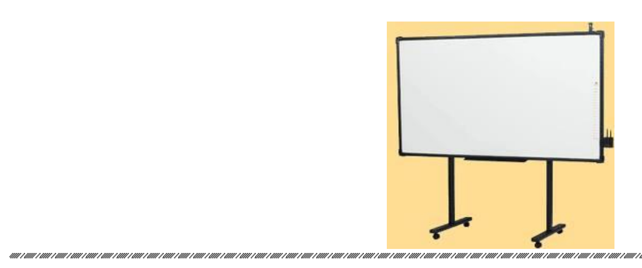
كانت أخبار مالك وتقدمه هناك تفرح أهله ومحبوه ، والكل ينتظر عودته بفارغ الصبر.. وحتى صحف الحزب التي كان معها على اتصال بالمقالات والخواطر والأفكار ذكرت نجاحه وتقدمه في أبحاث الجامعة وهنئوه بالمولود وتمنوا له المزيد من التوفيق والنجاح والعودة لتراب الوطن سالما عالما .

قالت عبير مرة لأمها مناكفة : أرأيت يا أمي نسيبنا السابق .. يدرس في بريطانيا القانون الدولي وولدت له امرأته ولدا فسماه برهان تيمنا باسم صاحبه وصديقه وزوج أخته منى ربيع ؟!

فتمتمت الأم بحقد وضيق وقالت : يا عبير! ألم أقل إنني لا أحب سماع اسم هذه المرأة أمامي

ـ المهم أن الصحف تتحدث عن نشاطه وأخباره هناك ، وهو يعيش في بريطانيا .

ـ وما يعنيننا هذا ؟!



خليل في بريطانيا

مالك ربيع منذ سافر كما ذكرنا آنفا ظل على اتصال دائم بصحف الحزب وغيرها، ويمدها بأفكاره ومقالاته ومشاهداته في بلاد الإنجليز ، وتنشر له الصحيفة اليومية والمجلة الشهرية والصحيفة الأسبوعية .. فقد ظل على تواصل مع قرائه ومحبيه ، وكما هو بارع في المحاماة ، وكذلك في الصحافة التي نشط فيها منذ أيام الكلية ، فقد كان خطيبا مفوها في مهرجانات وحفلات الحزب وفي قاعات المحاكم .

وكما يقال غائب بجسمه حاضر بروحه ، ولا ننسى زوجته هناء ، كانت تكتب بين الحين والآخر للصحف المختلفة ، ومنذ الصغر وهي تشارك في الكتابة ، فقد نشرت بعض القصص القصيرة الشائعة في هذا الزمان .. فقد نشرت لها عدة صحف متداولة في البلد قصصها ، بل كانت تكتب لمجلات ثقافية خارج القطر والمصر.. ولديها أيضا محاولات شعرية ، وإن لم تكن بالقوة والبراعة التي في كتابة القصص القصيرة والخواطر والنشرات العلمية .. وقد حاولت كتابة الرواية الرومانسية ولكنها لم توفق .. وكانت تقرأ لكثير من الشعراء ، وكان لها مقال دائم في مجلة طبية يرعاها الحزب ، ولها صداقة قوية مع مديرة التحرير لتلك المجلة ، وحتى لما ذهبت لبريطانيا قبل سنوات ظلت تواصل الكتابة والنشر لمجلتها المفضلة ، وتكتب أحيانا لصحف الحزب الأخرى ، وكانت أثناء الجامعة عضو مهم في الحزب ونشيط بين النساء المثقفات ، فهي معروفة وإن كانت شهرة والدها تغطي عليها وعلى إخوتها العاملين مثلها في الحزب .. فقد كانت تعلق وتنتقد .. وكان والدهم له تأثير كبير عليهم في دفعهم للانخراط في العمل السياسي مبكرين وعاملين ليسوا خاملين .. فنضال شخص مرموق في الحزب لا يقل عن مالك همة ونشاطا وظهورا .. فحياتهم في الغرب الأوروبي لم تمنعهم من الحياة وجدانيا وعاطفيا مع وطنهم وهمومه ومشاكله الكثيرة التي لا تنقضي ولا تنتهي .

ولما تعرف أخوال هناء على مالك زوج بنت أختهم معرفة حقيقية فرحوا به ، وكان أكثرهم فرحا خالها سامي وهو بروفيسور وأكاديمي معروف في إحدى الجامعات الإنجليزية ، وحثه

على البقاء في بريطانيا وأن يسعى للعمل الأكاديمي فيها . وبين له مالك تعلقه الكبر بأهله وببلده وأمه وإخوته .

لقد كانت دراسة مالك في بريطانيا تمشي بكل توفيق من الله تعالى ، وكان يتحرك بين المحاضرات والمحاكم ومكاتب المحاماة ، والمستشفى الذي تشتغل فيه هناء ، وللمزيد من الشهادات الطبية والعلمية ، وقد تعرف مالك على أخوال زوجته المهاجرين منذ عهد بعيد ، وتعرف على كثير من أبنائهم ، وكان يشاركهم في دعواتهم ومناسباتهم ، وسعد جدا عندما وضعت هناء مولودها الأول ، فسماه برهان على اسم زوج أخته السيد برهان محمود ، وكان فرحا به وعق عنه يوم سابعه ، ودعا بعض المعارف وبعض أخوال زوجته وأبنائهم وزوجاتهم وملأ الطفل عليهم البيت صياحا وبكاء وأعطى للحياة مذاقا آخر، وكانت هناء في غاية السرور بهذا المولود رغم مشاق الحمل والولادة ، فهو حياة جديدة ، وأجمل شيء في الكون أن تصبح المرأة أما ، فهنا تكون التضحية والإيثار والسهر والإرضاع بدون مقابل إلا بسمة بريئة تتكون على وجه الرضيع .

وكان مالك فرحا بما يصل إليه من أخبار أخته منى واشتغالها بالتدريس الذي كان يتمناه لها قديما ، فلم يجد ليعبر لها عن حبه لها وفرحه بمشروع شراء المدرسة إلا المال ، فقدم ما تحدثنا عنه وأهدى لأخته حنين محاولا العدل والبر مقابل ذلك ثمن سيارة كلف ربيع بشرائها .

ولما أنهى الشاب الماجستير في القانون نزل البلاد في إجازة قصيرة مدة شهر للكرة الثانية والحصول على الدكتوراه كما خطط ورسم .. وأمضى الشهر في أحضان الأم والأهل والأصدقاء والأصهار ، وقبل أن يغادر للندن عرض على أمه والحداد خليل السفر معهم لزيارة بلاد الإنجليز والنظر للبلد التي استعمرت الكثير من البلاد في القرون الخالية .. فوجدت الدعوى قبولا لدى السيد خليل .. وبعد تردد يسير راقت الفكرة لجميلة أم ربيع .. فليس كل حين يلوح للمرء زيارة تلك البلاد ، وقد وعدتهم هناء بإجراء فحوصات طبية لهم في مشافي بريطانيا ذات الشهرة العالمية .. وبالفعل سافر خليل وجميلة إلى بلاد الضباب والبرد والبلاد التي يقال عن حريتها الواسعة .

ووجدا الود من أقارب هناء ، وامضوا عدة أسابيع ممتعة في بريطانيا ، بلاد الاستعمار والحضارة الإنجليزية .. ولما عادوا لبلدهم كان في استقبالهم في المطار الدولي ربيع أبو ساعد وسعد الدين أبو سعدي وبرهان أبو خليل وزوجاتهم وأولادهم الغلمان .

وقد لمحوا الفرح والسعادة عليهم من هذه الرحلة التي لم تخطر لهم في بال في يوم من الأيام خليل الحداد يدخل بريطانيا بلد تشرتشل ومونتغمري والملكة فيكتوريا وشارل ديكنز .



بريطانيا هي مملكة تسمى المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وإيرلندا الشمالية .. وتتألف هذه المملكة من إنجلترا وويلز وإسكتلندا وإيرلندا الشمالية ، يزيد سكانها على الخمسين مليون .. ومناخ بريطانيا معتدل رغم تعرضه لتقلبات جوية متكررة ..الحرارة لا تتجاوز الثلاثين مئوية ولا تقل عن عشر درجات تحت الصفر .. يوجد فيها ثمانون ميناء بحريا تجاريا ، وأهم مطاراتها مطار هيثرو في لندن ، وأشهر جامعتها أكسفورد و كامبردج .. وقصر باكنجهام مقر إقامة ملوك وملكات بريطانيا ، لندن هي عاصمة المملكة وعاصمة إنجلترا خاصة ، عملة بريطانيا الجنيه الإسترليني ويقسم إلى مائة بنس ، واللغة الرسمية هي اللغة الإنجليزية .

تزخر العاصمة لندن بالحياة والمباني الأثرية التاريخية ، فهناك متحف لندن الذي يحكي تاريخ هذه المدينة منذ العهود القديمة ، ومن أشهر حدائقها حديقة هايد بارك مساحتها ٥٥ هكتارا تضم أكثر من ٣٠٠٠ نوع من الأشجار والنباتات البريطانية الغريبة .

🕮 🕮 🕮

كان مالك عندما يجلس مع زوجته تسمعه يكثر من الحديث عن خليل ويثني عليه ، ويذكر ما قدمه لهم وهم صغار أيتام ، فحينئذ تدرك فضل هذا الحداد عليهم ورعايتهم صغارا .. وترى كيف سخره الله ليكون لهم أب ؟ فوالدهم مات ولم يترك لهم شيئا يذكر ، وأعمامهم تخلوا عنهم

لفقرهم هم الآخرون ، فإعالة أسرة عند الفقير لأمر قاس .. والأخوال قدموا النزر اليسير جدا فقد كان أولادهم صغارا مثل أولاد جميلة ، ولديهم أسر كثيرة العيال ، ودخلهم المادي ضيق ، فجاء الفرج على يد هذا الحداد ، وقدم الغالي والرخيص دون ابتغاء جزاء منهم .. فأعجبت وأكبرت الفتاة هذا الرجل الذي قدم ولم ينتظر جزاء ولا شكورا ، وكانت تعرف حب مالك لبرهان ، ومع ذلك لما تسأله عن برهان فيقول باسما شاكرا حامدا : برهان !.. هو الذي أعاد لنا حلاوة وجمال الحياة يا هناء .. أنا كنت أعيش في كابوس دائم ، في توتر وقلق على منى لا يعلمه إلا الرب المعبود .. منى كانت قد اختارت طريقا كاد أن يهلكنا لم تحسن اختيار الزوج .. نظرت فقط للمال والثروة التي يملكها والداه .. هذا الكلام عن زوج منى الأول .. وإن كان هذا الزوج مجرد موظف صغير ويحمل لقب نائب المدير .. وكنت أنا صغيرا في أول سنوات الجامعة .. وعندما عرضت هذا الزوج على العائلة حاولت الاعتراض والرفض ؛ ولكن اعتراضي لا قيمة له عند منى يومذاك وضعيفا ، ومنى البكر وعمرها وصل لربع قرن وقد رفضت كثيرا من شباب الحي من أجلي أنا وحنين والعائلة .. مع أن ربيعا أنهى الجامعة بعدها بسنة وشارك في تحمل أعباء العائلة ، والعم خليل ما زال ينفق علينا بسخاء كعادته .. وللأسف كان أخي الأكبر ألعوبة في يدها ويخاف ويخجل ويغير رأيه بسرعة ، وساعدت في تعليمه في السنة الأخيرة مع العم خليل فكان أسيرا لها .. المهم حكمت علينا بأن نخرج من حي برقوقة لإتمام زواجها من ذلك الشاب ، واستأجرت لنا بيتا في حي الرحمات أجمل أحياء العاصمة ، فعلت الكثير للزواج ممن كانت تراه أنه سيضعها على سلم رجال الأعمال والمال .. لقد كانت مبهورة بالحرية التي يتحدث عنها مدرسوها في الجامعة .. فرأت تطبيقها علينا ونسيت واقعنا وأين نعيش ونسكن أهل هذا الشاب الغني بغنى أبيه وأمه حاربوا هذا الزواج بشدة وقوة ؛ لأنه لم يرق لهم ولا يناسب مستواهم الاجتماعي .. لماذا لليوم لا نعلم ؟! ولكن الشابين أصرا عليه وتزوجا رغم أنف الجميع ، هو رغم أنف أهله ، وهي رغم أنوفنا ، وإن تظاهرنا بالرضا خشية هربها أو تتخطى دور ربيع القائم بمقام الولي والأب .. ورغم طلاق أمنا من خليل .. بالطبع رفض عمي

أبو أحمد هذه الطريقة وطلق أمنا ومع ذلك لم تهتم منى وتزوجا .. وتعلمت منه شرب الخمر والدخان والسهر والمجون من رقص وغيره .. المهم فشل وتحطم هذا الزواج بضغط من أسرة الشاب ، فتحطمت منى معه ولم تقبل أي علاج نفسي .. وهرب الزوج لأمريكا مثقلا بالديون والهموم آملا بالثروة في بلد الدولار .. سكنت معنا ولسوء أخلاقها تلك الأيام رفضت أنا وحنين حياتها معنا وهي تشرب الخمر والدخان .. وبعد مشاكل وشجار ولسع كلماتنا ، وأمام تكبرها وتعجرفها وعنادها استأجرت بيتا قريبا منا .. وكانت بعد سفر الزوج المدين والهارب تعمل في معرض أثاث مكتبي وغيره .. آه يا هناء كانت أيام سوداء ومخيفة للرجل الشريف ، ونخشى عليها السقوط والانحدار في الفواحش والملاهي وخاصة لما أعلن طلاقها من أمريكا بواسطة محامي والد الشاب .. ولكن الله سلم ولطف .. كانت مستقلة عنا لها حياتها الخاصة .. حتى تخرجت أنا وحنين .. وكان العم خليل قد تزوج بعد طلاقه لأمنا ؛ ولكنها ماتت بسبب علل فيها وانتهاء الأجل المحتوم ، فتدخل ابن أخت خليل الأستاذ عدنان ـ وهو متزوج من ابنة أخت أمي ـ وربيع أخي فتزوج خليل أمنا ثانية ، وعدنا لحي برقوقة الذي أحببناه صغارا وكبارا وتزوجت حنين من سعد الدين ونحن في المهجر في حي رحمات .. وظلت منى وحدها في حي الرحمات .

كانت هناء تسمع باهتمام لهذه المعلومات الجديدة ، هي كانت قد سمعت أن منى تزوجت وطلقت ثم تزوجها برهان ؛ ولكنها لم تسمع مثل هذه التفاصيل إلا اليوم ، ولم تسمع عن طلاق جميلة من خليل ثم عودتها إليه ثانية ، فقالت وهي مشدوهة بهذه القصة الإنسانية : أين دور برهان الذي فتح عليك كل هذا الكلام ؟!

ـ أنت أكيد تسألت كثيرا .. لماذا اقترح هذا الزوج تسمية بكره برهان ؟ .. هل فقط لأن زوج أخته اسمه برهان وبينهما ود وحب واحترام ؟! .. برهان ظهر دوره بعد زواج حنين من سعد الدين .. كانت منى تريد عرقلة زواج حنين من سعد الدين من شاب غير متعلم في الجامعة ؛ ولكن حنين الطيبة أصرت على الزواج منه عن رضا وقناعة .. وسعد هذا دهش من اعتراض

منى الحاد على شخصه ، وأنه طلب الزواج من حنين ليس منها لترفضه .. وجلس معها عدة جلسات فتعقد من أفكارها ومنها أيضا ، وخشي على زواجه منها .. فخطر في باله خاطر غريب يتلخص بأن صاحبه برهان معروف بين الأصدقاء بالمصباح .

ـ المصباح ؟! .. ماذا تعني بالمصباح ؟!

ضحك مالك وقال ضاحكا : نعم المصباح .. أنت رأيت برهان ، فلن أصفه لك .. فمن حسنه ووسامته كانت فتيات الحي المراهقات يطاردنه ويتلقى رسائلهن وإشاراتهن ويتسلى بهن ، الفتى المحبوب .. ولما انتقل للجامعة كانت أيضا فتيات الكلية طبعا اللواتي ما زلن مراهقات يدرن حوله وكل واحدة تحاول صيده ، وأن تحبه أو تعيش معه قصة عاطفية .. القصص المعروفة لديك.. فصار عنده خبرة بالغزل والمشاكسة والجلوس معهن في ساحات الجامعة وغابات الجامعة .. وكان له صديقات أيام المراهقة والثانوية ثم أيام الجامعة ، فشبهه أصحابه بالمصباح الذي تحوم وتدور حوله الفراشات ، تشبيه لطيف إلى حد ما .. فخطر لسعد صهرنا العزيز أن يجرب برهان غزلياته القديمة مع منى ربيع لعلها تهواه وتقع في حبه ويتزوجان .. سعد يريده أن يلعب اللعبة القديمة ، بعد تفكير وتردد رضي برهان بلعب هذا الدور .. وأطلع سعد حنين على هذا الدور والفكرة وبعد الموافقة وإقناع برهان بها سحبا العرض ؛ خشيا على منى أن تتعلق بالشاب ويستنكف عن الزواج بأن لا تروق له منى .. وكان برهان لذلك السن لم يتزوج بعد ولم يخطب .. فلغوا الاتفاق ، وتظاهر برهان بالرضا والاستسلام لرغبتهما .. ولف حول منى التي عرفه سعد عليها قبل إلغاء العرض على شخصها عندما خرجت ذات مساء من مكان عملها فتعرف برهان بحيلة ذكية على منى وتصادقا دون أن تقع في هواه كما كان يظن ويرسم .. بل هو الذي أحبها واقتنع بها كزوجة .. ولكنها لما عرض عليها الزواج منه قبلته ، بعدما اتفقا على أن تترك الخمر قبل حدوث الزواج ففعلت .. وبعدما كتبا كتاب الزواج تخلت عن الدخان لما عرفت أنه لا يدخن .. ثم أخذت تتغير شيئا فشيئا .. والحمد لله عادت للحياة من جديد .. وتخلت عن كل تلك العادات التي اكتسبتها من عملها السابق وزواجها الأول .. كان انقلاب

كبير يا هناء ! .. وكانت منى تفعل كل ما يوحي به برهان ولا تقول لا ، ومع ذلك تدعي أنها لا تحبه .. وبعد ولادتها لابنها خليل الذي سماه سميا لزوج أمنا .. أقرت له بالحب .. أما أنا وحنين فقد غمرنا الفرح وعادت إلينا الحياة الضاحكة وشكرنا مولانا عزّ وجل الشرف غالي يا هناء .. سقطة واحدة تخرب الدنيا !

فعلقت هناء التي اندمجت بسماع القصة : هو فعلا بطل .. سمعت اعترافها بحبها الكبير لبرهان منها وأنه أعطاها حياة جديدة .. ولكنها تفاصيل مثيرة يا أبا برهان .. وحنين تحدثت بشيء يسير عن برهان وهي مثلك تراه ملاكا هبط عليكم .. وتقول نحن فرحنا وسعدنا بزواج برهان ومنى أكثر من منى نفسها .. مع أن منى شخصية هادئة ومحببة .

ـ أنت عرفتيها بعد زواجها من الفارس الصديق والأخ الكبير برهان .. لو كنت تعرفينها قبل لقائها ببرهان لكنت تندهشين وربما لا تصدقين .. كانت دائما تحب الرفض والمعارضة .. فلو بقيت على ما كانت عليه قبل لقائها ببرهان ، فقد تكون ستعترض على زواجنا ، كانت تعتبر المجلببات فتيات مريضات ومعقدات ومقهورات من الكلام الأجوف والفارغ المعروف عند دعاة الانحلال والفسوق .. كانت بوقا لهم .. فلما صارا زوجين لعمري ما سمعتها تقول له لا وهو ذكي وفطن أيضا لم يدعها تحتاج لهذه الكلمة يوما ما .. فلليوم ما زلت أنا وحنين مستغربين من شخصيتها أمام برهان .. وحتى نسيبنا سعد الدين يقول لي منى التي عرفتها في رحمات غير منى التي عرفتها في برقوقة ، ولا يقع في خلدك أنه جبار وقاس .. لا .. لا .. إنه إنسان بسيط ، ولا يحب تعقيد الأمور ؛ ولكن له أسلوب ذكي في عرض الأمور ومناقشتها للوصول للنتيجة التي يرغب فيها هو .. ولا يقع في قلبك يا هناء أن الرجل كان زير نساء .. رغم ما حدثتك عنه من مغامراته العاطفية .. إنما كان يراها نوعا من اللهو والتسلية في تلك الأيام .. أنا أقول ذلك حتى لا يذهب بك الظن إلى خلق سيئ في الرجل .. حتى قبل الزواج من منى كانت بعض عاملات البنك العازبات يحاولن التغرير به .. فلم يكترث ولم يتزوج أي واحدة منهن .. وأقسم لي أنه ما زنى بامرأة قط ، رغم الفرص والفتن التي وقع فيها ولكن الله حفظه ونجاه .. والحافظ

هو الله تعالى .

وأخذت هناء تثني على برهان ومنى ، وتدعو الله لهما بالثبات وحسن الختام ، فشكرها بدوره مالك ، وعرفت حينئذ لماذا اختار مالك هذا الاسم لابنه البكر؟ ثم انتقل الحديث بينهما لموضع آخر فقالت : الكتاب .. ماذا فعلت بالكتاب؟!

ـ ذهبت مع ابن خالك محمد إلى دار نشر هنا ، وبعد أيام سيردون عليّ ، وهم يرغبون بترجمة الكتاب إذا وافقوا على النشر .. فما رأيك بأن تترجميه للإنجليزية أنت ؟ إذا كان لديك وقت .. فهم يريدون أن يصدر بطبعتين إنجليزية لتوزع في أوروبا وعربية للشرق العربي وعرب أوروبا

ـ لي ابنة خال إنجليزية أكثر من الإنجليز سأتشاور معها ونترجمه معا إذا حصل أي تفاهم بينك وبين دار النشر ، ولسوف أتحدث معها قريبا .. فهي مغرمة بالأدب الغربي ، ونشرت العديد من الترجمات لكتب وقصص عربية .. وإنجليزية للعربية .. وأنت تعرفها .. فزوجها طبيب جراح في المستشفى الذي أعمل فيه .. علا ابنة خالي عماد .

تذكرها مالك وزوجها وقال: خيرا إن شاء الله .. اذهبي لزيارتها ، نحن نباشر بالترجمة قبل موافقة دار النشر .. فإذا رفضوا سنعرضه على غيرهم .. قال لي ابن خالك محمد إن دور النشر كثيرة هنا ، ربما يحتاج الإنسان لطبعه كتابه أو ديوانه أن يعرضه على عشرين أو ثلاثين دار نشر حتى تقبله واحدة .. فقلت له لي سنتان أصنف فيه وأكتب فيه منذ سكنت لندن فلسنا بعجلة .

ـ دور النشر كما تعلم عندها أولويات .. أنا قرأته كله كما تعلم ، فالكتاب ممتاز ، فالعلم والحديث عنه مهم فالكتاب يوضح للناس الاهتمام بالعلم ، وكيف كان العلم عند المسلمين إبان حضارتهم التليدة ؟ ومشجعا للشباب المسلم وغير المسلم على مواصلة رسالة العلم .. بل قرأت كل المسودات قبل أن تبيضه .. ولسوف يلقى قبولا إن شاء الله عند المثقفين .. وسأدفع بعض الأصدقاء الإنجليز إذا ترجم وطبع للحديث عنه في صحفهم ومجلاتهم

ـ كنت أريد نشره في البلاد ، ولكن صاحبنا زياد نبهني أنه لا يجوز نشر الكتاب في أكثر من دار للنشر إلا بالاتفاق بين الناشرين لحفظ حقوق النشر والتأليف.. فأنا أعرف هذه الإشكالية ؛

ولكن في بلادنا يتساهلون فيها مع أن القوانين تمنعها .. فيمكن نشر المصنف في بلدين دون اتفاق دور النشر .

ـ إذن أنا سأهتم بترجمته مع ابنة خالي ـ إن شاء الله ـ قريبا ، خلال شهر واحد سيكون مترجما الترجمة الأولى ثم تراجع وتكتب على الآلة الكاتبة ثم يصور .. وفي أي لحظة يحصل الاتفاق مع أي دار نشر ستكون ترجمته جاهزة .

ـ وها أنا قد بدأت أضع خطة لكتاب عن الأدب العربي في أول الحضارة الإسلامية وعهد الصحابة الأوائل والأمويين .. وقد نصنف أنا وأنت كتابا مشتركا عن بعض الشعراء نذكر فيه قبسا من حياتهم وقبسا من أشعارهم .. فننشره أولا في الصحافة المهاجرة ثم نحوله لكتاب

ـ إذا وفقت في نشر بعض أعمالك هنا سأحاول أن أفعل مثلك .. فلدي الكثير من الكتابات الأدبية والعلمية .

ـ ما رأيك بأن ننشئ دار نشر ومكتبة كبيرة عندما نعود للبلد ؟

ـ تحتاج لتفرغ يا أبا برهان .

ـ يا سيدتي لن نعمل فيها بأنفسنا .. لعلي أجد من الأحباب من يقوم على إدارتها ، ولي أصحاب عشاق للأدب والذوق الفني والأدبي .. سأكتب لبرهان زوج أختي في هذا الموضوع

استقالة معلمة

كانت المدرسة التي اشتراها برهان تتكون من خمسة صفوف بين روضة أطفال والتعليم الابتدائي الأساسي ، وهم خليط من الجنسين .. وتم إنشاء عشرة فصول أخرى ، فأصبح بإمكان المدرسة تدريس سنتين قبل المرحلة الأساسية الإلزامية ، ثم الصف الأول والثاني والثالث والرابع فقط .. وبقيت صفوف خالية تستوعب الطلاب كلما تقدموا حتى الصف الرابع الابتدائي .

أبقت منى المعلمات الخمسة العاملات ، وأبقت نائبة المديرة السابقة ، وعينت مجموعة أخرى من صديقات المعلمات العاملات في مدرستها ، وكانت نائب المديرة المعلمة سلمى خليل معلمة قديرة وذات علاقة واسعة في المنطقة .. وكانت منى تعتمد عليها اعتمادا كليا.. فكانت تأتي صباحا وتمكث في المدرسة حتى خروج التلاميذ الصغار ذكورا وإناثا للاستراحة ، ثم تنصرف للبيت أو غيره بعد عودتهم للفصول .. فكل اعتمادها كان على السيدة سلمى ، وكانت هذه المعلمة عند حسن ظن برهان ومنى .. وكانت منى تعود للبيت قبل الظهر رغم أن دراستها كلها مساء .. ولكنها أحبت أن تبقى تقوم بدورها في البيت كما كانت في المكتب.. فهي عندها أربعة أطفال .. ثم أنهت الماجستير، وناقشت الرسالة العلمية وحققت النجاح المطلوب ، وكانت قبله قد أنهت بشهور دراسة الدبلوم التربوي ، وقد بذلت جهودا جبارة خلال السنتين الماضيتين ؛ ولكن تمكنها من اللغة الأجنبية تمكنا ممتازا قد ساعدها في تحقيق الإنجاز والنجاح.. فهي قد عملت سنوات في الشركات في قطاع الترجمة فظلت على اتصال باللغة الأجنبية .. وحتى لما نكحت السيد برهان لم تنقطع عن قراءة الأدب الأمريكي والإنجليزي بلغة القوم .. فظلت على تواصل مع تلك اللغة .. فلما أنهت دراسة الماجستير وسجلت للدكتوراه كانت تقضي الأيام التي لا تذهب بها للجامعة كاملة في المدرسة .. ومع ذلك كان اعتمادها كبيرا على سلمى التي كانت تشتغل كأن المدرسة لها، وهي التي كانت علاقتها قوية بالأهالي، ويرسل الناس أبناءهم للمدرسة على سمعتها وشهرتها ..وهي التي تأتي بمعلمة مكان معلمة انتقلت أو استقالت..

فهي صاحبة الاختصاص، ومنى تقر كل تصرفاتها وتبدي سرورها لهمتها وقدرتها ونشاطها وإخلاصها ، ولم تقصر معها في الجانب المادي والحوافز .. وكان الأهالي أكثر معرفتهم وعلاقتهم خلال السنوات بسلمى أكثر من منى .. فكانت منى تعتبر نفسها ضيفة عليهم وعلى المدرسة ومشرفة تربوية .. كانت المدرسة ناجحة كما تبين لبرهان من تدقيق ومتابعة حسابات المدرسة حتى بدأ يتشجع لإنشاء مجموعة مدراس بأن يشكل شركة تعليمية ضخمة ؛ ولكن إخوته طلبوا منه التريث ، فمدرسته ليس لها إلا سنتان ودخلت في الثالثة ، وهي تقع في منطقة أغلب سكانها من ذوي الدخل المرتفع ، والمدارس دعاية وشهرة .. بل طرح عليهم أخوه عبد القادر أن ينشئوا مصنع دواء .. فالدواء له سوق كبير في الداخل والخارج ، وكان ابنه البكر قد تخرج صيدلانيا منذ سنوات ، وهو يستعد لأخذ دكتوراه في الصيدلة .. فوجد عبد القادر تشجيعا من الأخوة ، وطلبوا من الصيدلي محمد الاهتمام بالموضوع فالاستثمار في القطاع الصحي له سوق نشيط هذه الأيام .. فاستسلم برهان لرغبتهم وقال : أنا خلال هذه السنة سأسدد لكم ديونكم إن شاء الله تعالى ، وعندما تنشئون المصنع أنا مستعد لشراء أسهم أم سيكون شركة خاصة مثل مصنع عبد الرحيم ؟

ـ نفكر بأن يكون شركة خاصة كما فعلنا في مصنع الحديد والمعادن .. الأقارب والأصدقاء فحسب .

ـ أنا معكم ؛ ولكني سأستمر في نشاطي بقطاع التعليم ، ربما أستعين بإخوة منى وأشاركهم في بناء مدرستين كبيرتين .

فقال المهندس عبد الرحيم : لا بأس .. افعل ما تشاء .. المهم اعمل مدرسة واحدة كبيرة إما للذكور وإما للإناث .. ونحن في المستقبل إذا رأينا تقدما واضحا ومفيدا للجميع نشارك معكم في تضخيم المشروع .

📖 📖 📖

أخذ برهان موافقة إخوته على مشروعه في إنشاء مدرسة كبيرة ، ويريد الآن شركاء بعدما

رفضوا المشاركة في هذه المرحلة أيضا .. فتحدث مع ربيع ومع سعد الدين ابدوا استعدادهم للمشاركة بنسب معينة ، حتى إن مالكا عندما تحدث معه برهان بمشروعه الجديد قال : سأساهم أنا وزوجتي وأولاد حماي عبد الكريم .

فسر برهان من مشاركة الجميع ، وبدأ يخطط لشراء الأرض في المكان المناسب .

ذات صباح بينما المديرة منى تجلس في مكتبها المدرسي تشرب الشاي دخلت عليها مساعدتها سلمى وبعد المجاملات التقليدية قالت لها : المعلمة التي تم تعيينها حديثا منذ أسبوع المعلمة سلوى فراس ..

ـ ما بالها ؟ .. هل تريد أن تستقيل ؟

ـ لأ ؛ ولكنها ترغب بالحديث معك في موضوع خاص .

ـ خيرا إن شاء الله .. فلتتفضل .

ـ خاص خاص .. عائلي!

ـ عائلي .. ماذا تقصدين ؟! دعيها تدخل .. أم هي في الفصل ؟

ـ هي فراغ ليس عندها درس .. معلمة الإنجليزية في فصلها .

ـ دعيها تأتي .. أنا مستغرب للموضوع العائلي .. لم أفهم معنى عائلي!!

خرجت سلمى وعادت بعد قليل بالمعلمة سلوى ، رحبت بها منى كعادتها ، وطلبت منهما الجلوس ، وطلبت للجميع قهوة من شغالة المدرسة أم أحمد ..

وقالت منى : أهلا بك .. الأخت سلمى تقول إنك تريدينني في موضوع عائلي خاص تفضلي

ـ أنت لم تعرفيني؟! أدركت ذلك منذ تقابلنا من أجل العمل معكم ، وكانت معنا المعلمة الفاضلة سلمى .

ـ أجل .. أنا لم أعرفك ؛ لأنني لا أظن أننا التقينا قبل ذلك اليوم .. أتعرفينني أنت قبل تعارفنا هنا ؟!

ـ نعم .. ألا تعرفين مدام اسمها عبير ناصر؟

جفلت منى وتململت في مقعدها وقالت : بلى ! وما زلنا أصدقاء .

تفاجأت الأخرى بالجواب وقالت : أصدقاء ؟!

ـ نعم .. أصدقاء .

ـ لم أفهم بعد ؟!

تبسمت أم خليل وقالت : أنت عرفيني على نفسك ، وسوف أعرفك ما تجهلين أو ما أربكك

ردت سلوى : أنا ابنة خالة عبير !

رددت منى : ابنة خالة عبير ناصر مديرة شركة التجارة العالمية !

ـ آ .

ـ يا أهلا وسهلا بك .. أنا لا أعرفك حقا إلا لما انتسبت لمدرستنا هذه .. وأنا وعبير رغم ما جرى بيني وبين أخيها ما زلنا أصدقاء .. ولابد أنك تعرفين ما جرى بيني وبين السيد حازم .

ـ أجل يا عزيزتي .. أنا لما رأيتك في المقابلة عرفتك .. أنا معلمة متقاعدة ، كما ذكرت لكم سابقا ونحن أثرياء طبعا والعمل هنا للتسلية ولحبي للتعليم .

لم تتكلم منى ، وتابعت سلوى الكلام قائلة : أنا جد فخورة بك يا أخت منى رغم ما سببه ابن خالتي لك من تعاسة ، وهذا أمر مضى منذ سنوات .. فأنا أعرفك عندما كنت تعملين في الشركة مع عبير وحازم .. وذلك عندما كنت أمر على عبير في حاجة ما .. فرأيتك أكثر من مرة ، وربما ألقيت عليك التحية ، فكانت عبير لا تحب لنا الجلوس مع العاملات معها .. وهي أيامها كانت غاضبة ناقمة عليك على ما أذكر لمَ كان بينك وبين أخيها حازم .. فلما رأيتك يوم المقابلة التي رتبتها الأخت سلمى تذكرتك جيدا ، وسامحيني بأن ذكرت للأخت سلمى بعضا من قصتك .

نظرت منى لسلمى وقالت : سلمى أخت عزيزة .. وها أنا أتكلم أمامها ، ولم أطلب منها أن تتركنا .. هذا ليس سرا .. هذا فعل حدث ومضى ، وعشرات من الناس يعرفونه .. ولست أول امرأة تتزوج وتفشل في زواجها ، ثم توفق بفضل الله في زواج آخر .. أليس كذلك يا أخت سلمى ؟!

ـ طبعا .. أنت سيدة رائعة يا منى ! وتفرضين احترامك على الآخرين .. فأنا لا أذكر أنني سمعتك ترفعين صوتك عليّ أو على أيّ معلمة .. وهذا الأمر الذي أحبت أن تكشفه لك الأخت سلوى يا أم خليل ..

فقالت المرأة : ذكرت أنك صديقة لعبير ابنة خالتي كيف ذلك ؟!

ضحكت منى وقالت : هذا ما أربكك إذن .. نعم نحن أصدقاء رغم ما جرى .. وقد التقينا أكثر من مرة بعد طلاقي من أخيها .. ولها شغل خاص مع مكتب زوجي برهان .. زوجي له شركة تدقيق محاسبي ، وله تعاملات مع عبير وبعض أقاربكم أيضا .. بس للأسف لا أعرف أحدا منكم إلا عبير .. وزوجي صديق لها منذ أيام الجامعة .. عندما كانا يدرسان معا .. الزواج حظ يا أخت سلوى ، فإذا الإنسان لم يوفق في جانب ، ربما يوفق في آخر .. فمرحبا بك يا أخت سلوى ، فأنت عزيزة وصديقة أيضا .. بس الذي أرغب أن أعرفه لليوم يا أخت سلوى ! هو لماذا خالتك أم حازم كانت تكرهني وتبغضني؟! مع أنني لم أرها يوما ما ، وهي لم ترني على ما أعتقد زوج خالتك رأيته في الشركة عدة مرات .. ولم يحدث بيننا كلام سوى التحية والسلام !

ـ ونحن صدقيني لا ندري .. نحن تفاجئنا يومذاك من رفضهم الزواج منك ، ولم نعرف السبب وقد تعجبين إذا قلت إن خالتي هي سبب الرفض الرئيسي .. وحتى منعتنا من المشاركة في العرس !

ـ على كل أشكرك ، وإذا عرفت في يوم من الأيام هذا السر الغريب وسبب الرفض فخبريني به فأنا أحب أن أسمعه .

ـ وأحب أن أذكر لك أيتها الأخت الفاضلة .. أن زوجك السابق الأخ حازم هو زوج أختي ولهما بنت طفلة تدرس هنا .. وربما درس بعض أولاده هنا قبل استلامك لأدارتها .

ـ صدقي أيتها الأخت المحترمة .. أنني لا أعرف آباء هؤلاء الأطفال .. ربما القليل .. فالعبء الكبير حقيقة واقع على كتف أو أكتاف الفاضلة ـ وكانت تشير لسلمى ـ سلمى جزاها الله كل خير .. وهذا أمر عادي يا سلوى .. واعلمي حتى بعد طلاقنا وزواج كل منا ، رفضت خالتك

وزوجها تسديد دين كان علينا أيام زواجنا ، وكان مقداره حوالي خمسة وعشرين ألف دينار .. فاتصل بنا حازم وقابله زوجي برهان وتفاهما على تسديد الدين ، ودفعت عبير حصة حازم على أن تخصمها من راتبه الذي تعطيه إياه الذي ينفقه حيث تعلمين

فغضت تلك المرأة من طرفها وتابعت منى قائلة : وسدد زوجي العزيز برهان النصف الثاني وانتهى الأمر بفضل الله .. وكما قالت أختي الصغرى كان باستطاعته طلاقي والزواج بالمبلغ الذي سدده عني .. فليس كل الناس واحد .. ولكن كما قلت لك قبل لحظات .. أنا بشوق لأعرف لماذا خالتك تبغضني وتكرهني بشدة ؟! وعداوة وحقد لماذا ؟!

ـ تأكدي يا أم خليل إذا عرفت شيئا سأحدثك به .. فأنت سيدة رائعة كما قالت الأخت سلمى استمعت الكلام بأريحية وراحة كنت لا أتوقعها منك .. فنحن صحيح أقارب ولكن لكل منا حدوده ، واعلمي بأنني سعيد جدا بالعمل معكم ، وأنا تعجبني مثابرتك ومكافحتك وجهادك للوصول إلى هذه الدرجة من العلم

ـ شكرا .. وأنا سعيد بما أسمع من ثنائك .

خرجت المعلمتان من غرفة المديرة منى ربيع التي نهضت تنظر لصورة ومنظر معلق على جدار الحجرة وتقول : أخت زوجة حازم ! .. وابنة أختها تلميذة هنا .

وبعد أيام يسيرة من هذه المقابلة ، استقالت السيدة سلوى من المدرسة التي مديرتها منى ، وتم سحب الطفلة (سهى) من المدرسة ، فلما تسألت سلمى أمام منى عما حدث قالت لها : الأمر هين يا سلمى!.. الأخت الكريمة سلوى تحدثت أمام أمها عني عن منى ربيع وأمها حدثت أختها أم زوجي الأول جدة الطفلة سهى ، فكان القرار الصارم بأن تترك المعلمة سلوى المدرسة بأي حجة من الحجج .. لا أدري يا أخت سلمى منذ سنوات وسنوات وأنا أتمنى أن أعرف لماذا هؤلاء الناس يكرهونني ؟!

وقصت عليها طرفا من قصتها وزواجها من حازم ابن خالة المعلمة سلوى .. ولما انتهت منى قالت سلمى : أمر محير .. كل هذا الحقد !

ـ مع أنني كما ذكرت سابقا لا أعرف هذه الأم .. وربما التقينا ولم أعرفها ؛ لأن حازما كان يخافها جدا .. وأزعلت أهلي وزوج أمي وتزوجته ؛ ولكنه خذلني ومع ذلك كان الذي حصل خيرا لي فيما بعد فأنا الآن من أسعد الناس بزوجي وأولادي .. الله لا يضيع عباده يا سلمى !

ـ ونعم بالله .. لا إله إلا الله !



سلمى صديقة لسلوى فراس أثناء عملها في مدرسة حكومية ، ولما حصلت على التقاعد عملت مع السيدة نازك إحدى صديقاتها منذ أنشأت مدرستها الخاصة ، فهي قد خدمت في المدارس الرسمية للدولة ما يقارب العشرين عام ، وخلال هذه المدة تعرفت على أعداد كثيرة من المعلمات فكانت تعمل لإشغال وقت الفراغ ، وللصداقة التي بينها وبين السيدة نازك واندمجت معها ، ولما اشترى ـ كما نعرف ـ برهان المدرسة وافق على بقاء الكادر العامل في المدرسة كما هو ، بل زاده وترك أمر التعيين أيضا للسيدة سلمى خليل ، ومنى تمسكت بقوة بالسيدة سلمى كما وضح لنا أيضا ولم تتخلَ عنها ، فهي صاحبة خبرة كبيرة في التعليم والإدارة المدرسية ، مع أنها أمضت حياتها في مدارس الدولة معلمة غير مديرة .. ولأن المدرسة بدأت صغيرة فتمكنت من القيام بدورها بنجاح ، وثانيا منى مشغولة بالدراسة كما هو معروف لقارئ هذا السفر ، وثالثا منى لم تعمل بالتدريس سابقا ، لا في القطاع العام ولا القطاع الخاص مع أن شهادتها الجامعية تسمح لها بذلك .

فكانت السيدة سلمى هي التي تتصل بالمعلمات الزميلات والمعارف أيام العمل في الحكومة لتعينهنّ في مدرسة نازك من قبل وبرهان في الوقت الحالي ، وعندما وسعت المدرسة وأضيفت فصول جديدة تركوا لها مهمة جلب المعلمات العاملات .. وكان لهذه المعلمة تعلق كبير في المدرسة الصغيرة ، وأصبحت جزءا من كينونتها ؛ كأنها ملك لها .

ولما تعينت سلوى كان ذلك بناء على رغبة واتصال من سلمى ، وكانت سلوى سعيدة بالعمل مع عدد من زميلاتها وعلى رأسهنّ سلمى .. ولكنها فاجأت الجميع بعد حين عندما قدمت استقالتها بعد أسبوع من جلستها الخاصة مع منى .. ومنى لم تحاول إخفاء شيء أمام سلمى ولا أمام سلوى .. فكانت سلمى تقدر لمنى ذلك الموقف ، وتجعل ذلك الاعتراف من باب الثقة بها وأنه لا أسرار خاصة وخطيرة في حياتها.. وأحبت منى أن يكون الحديث أمام سلمى قطعا للإشاعات التي ستحدث لو كان الجلسة سرية وخاصة .. وهذه الاستقالة المفاجأة بعد ذلك الاجتماع لو لم تكن سلمى موجودة ربما كثر القيل والقال في وسط المعلمات .. فكان هذا من حس حظ منى .. فإذن الاستقالة كانت صادرة ونابعة من عند تلك المعلمة وحدها ، مع أن منى وسلمى تدركان أن تلك الجلسة وراء وخلف تلك الاستقالة ، ولم يكن استنتاج منى بعيدا عن الصواب .. فكانت سلمى تعتبر ذلك من ذكاء وفطنة منى .. فلو لم تكن حاضرة في الجلسة لظنت أن منى أسأت لسلوى بكلمة ، وهذا سيترك أثره على باقي المعلمات .. ولكنّ الله سلم وأدركت سلمى أن منى محقة في محاولة معرفة سر هذه العداوة والبغضاء ، رغم مرور كل هذه السنوات ، ورغم طلاق حازم لمنى منذ عشر سنوات .. شغلت هذه القضية فكر سلمى ربما أكثر من منى ربيع .. منى كانت مجرد عاملة موظفة في شركة من شركاتهم .. أعجب بها الشاب وأحبها وتزوجها رغم أنف العائلة ، وهذا كثير في العائلات وبين الناس .. وفعلا هذا سر يحتاج لكشف .. ولماذا العداء لليوم ؟ فحازم تزوج أخت سلوى وله بنون وبنات ، ومنى تزوجت ولها بنون وبنات!

فأخذت سلمى على نفسها وعاتقها السعي لمعرفة سر هذه العداوة والبغضاء دون علم منى .. وهذا دفعها لزيارة سلوى فراس في بيتها والحديث معها عن السبب الحقيقي لتقديم استقالتها وبعد حديث طويل وممل بينهما اعترفت المرأة أنه كان هناك ضغط عليها من أمها وخالتها .. ولم تعرف سبب هذا الضغط إلا أنه يتعلق بزوجة حازم القديمة السيدة منى ربيع ، وأن أختها زوجة لحازم .. وحدثتها عن انحلال حازم وسكره الجنوني وعن لعبه القمار ، وأنه أول النهار رهين

البيت وآخره رهين الملاهي والسهرات.. وأنها تخشى عليه الجنون ، وقضاء بقاء عمره في دار المجانين ، وأن الله رحم منى منه وخلصها منها .. وأن أختها تعاني معه من الظلم والعذاب رغم القرابة بينهم ، وأن أكثر أيامها تقضيها في بيت أمها .. ثم بينت لها أن خالتها قوية وعنيدة ، وأنها عملت فترة طويلة محاضرة في الجامعات ، وأن معها شهادات عليا من أمريكا الشمالية .. ولم كبرت وتعرضت لبعض الأمراض وأهمها أمراض في الجهاز الهضمي لجئت للبيت والسكينة ولما سألتها سلمى عن سر عداوتها الغريب لمنى ؟!

همست سلوى بأنها لا تعرف سر هذا العداء ، وأصبح الأمر ماضيا لدى العائلة ، ولم يهتم أحد بالبحث عن السر؛ لأنه لا يهمهم بشيء .. وأكدت لصديقتها أن أمها أخت أم زوج أختها لا تعرف ؛ ولكنها الصغيرة فتسلم لأختها بما تطلب ولا تناقش ، وأبدت لسلمى هي نفسها رغبتها بمحاولة معرفة سبب الضغط عليها ؛ ولكنها لم تتمكن من تحصيل أي معلومة وسبب صريح سوى ذاك الزواج الفاشل وأنه لا يجوز العمل عند امرأة كانت موظفة عندهم ومطلقة من زوج أختها .. وعلقت أن هذا منطق أعوج بالطبع .. وخوفا من المشاكل لها ولأختها فضلت الاستقالة ؛ ولأن زوجها هي أيضا من أقارب ناصر زوج خالتها حتى أنها قالت : تحدثت أنا مع عبير ابنة خالتي أخت حازم عن منى زوجة أخيها السابق وعن المدرسة فقالت لي إن منى فتاة مقاتلة وصبورة وفاضلة ، وإنه لولا أمي لعاشت معنا سعيدة واستفدنا من خبرتها وأحلامها الحقيقة أنها أبدت تعاطفا معها ، مع أنني أذكر قديما أنها كانت تذمها وتعتبرها متسلقة وطماعة ولكن قد يكون هذا تأثرا بأقوال أمها .. وهي الأخرى مسكينة تزوجت مرتين ولم ينجح زواجها، وما زالت من غير رجل وأسرة .. وقالت لي حاولت معرفة سبب عداء أمي الدائم والعنيد لمنى والعنيد بالذات فلم أعرف .. وحدثتني أن لمنى أخا معروفا في عرض البلد وطولها محاميا وصحافيا وحزبيا .. وسردت على مسمعها بعضا مما تكلمت به عبير عن مالك ، وأنه تزوج ابنة نقيب المحامين منذ سنوات الأستاذ الكبير عبد الكريم .. ومع ذلك لم تتغير نظرتها لمنى ، كأن بينهم ثأر .. وقالت معقبة : مع أن الأخت منى لا تعرف حماتها يومئذ ، ولم تجلس

معها ساعة من الوقت قبل الزواج من حازم ولا بعده

وفي الختام أكدت لسلمى أنها ستحاول البحث عن السر الغامض لهذه العداوة غير الواضحة لأحد .

مشت سلمى لبيت خالة سلوى ، ووجدتها في البيت وتظاهرت بالسذاجة ، وأنها جاءت لتستفسر فقط من أم الطفلة سهى لماذا سحبوها من المدرسة ؟ هل لهم أي نقد أو تقصير على المعلمات ، على السائق ، على المدرسة ؟ فأبدت الدكتورة فاطمة أم خالد أنه لا سبب يعيب المدرسة لسحب ابنتهم ، إنما أحبوا أن تذهب مع أختها الأكبر منها ليكونا في مدرسة واحدة .. وأن المدرسة جيدة ، وقد تعلم فيها كثير من أحفادها .. فشكرتها سلمى ، وتأكد لها أن الأمر شخصي للغاية وعجبت في نفسها من ذلك .. فمنى ليست من جيل السيدة فاطمة ، فمنى من جيل بناتها وأبنائها .. ومنى عملت فترة قصيرة في الشركة ثم تزوجت من حازم .. تحدثت مع أم الطفلة وهي أخت سلوى فذكرت نفس حجة خالتها ولزمت الصمت ، ولم تحب سلمى تطوير الموضوع مع ما تجمع لديها من معلومات حول السبب الخفي ، ففضلت الانسحاب من البيت وهي تقول لهم : نحن حريصون على سمعة المدرسة يا أم خالد ويا أم سهى .. فخشيت أن يكون السبب في المدرسة من معلمات وإدارة وسائقي الباصات .. فالحمد لله على ثنائكم .. فالمدرسة وإن لم أكن أنا مالكها فهي ترعرت ونشأت على جهودي .

اضطرت فاطمة أن تكيل المديح لسلمى وإدارتها وكفاءتها وحبها للأطفال وتعليم الأطفال .. وغادرت القصر المنيف وهي حيرى من العداوة بين منى والسيدة فاطمة .

ولما التقت بمنى صارحتها بما فعلت ، فدهشت منى وقالت : والله أنت شجاعة للغاية يا سلمى !

ـ أنا أدركت أن السبب شخصي يا سيدتي منذ انسحاب سلوى .. وخشيت أن يثير انسحاب سلوى وابنة أختها من المدرسة بلبلة لدى الأهالي ، فالكلام يمشي ويقال ويقال .. فبهذه الزيارة نقطع الطريق على الأقاويل .. فسيقال إن الأستاذة سلمى ذهبت تستفسر عن سبب انسحاب

المعلمة المفاجئ والبنت .. وإننا نهتم فعلا بأبنائنا الطلاب .. فالمدارس الخاصة كما تعلمين يا سيدتي تقوم على الدعاية الحسنة .. ثم نحن أصدقاء قدامى منذ كنت معلمة في إحدى مدارس الحكومة .. ولكني شعرت أن السبب هو تعرفها عليك .. فبحسن نية تحدثت مع أمها وخالتها فلما علمت الخالة فاطمة من الأخت سعيدة بأن السيدة منى ربيع مديرة المدرسة طلبت منها الضغط على ابنتها لتقديم استقالتها ممن كانت موظفة عندهم في يوم من الأيام .

فقالت منى : أنا ذهب بي الظن أنني التقيت بها أيام الدراسة في الجامعة قديما ، وعرفتني لما اشتغلت عندهم فلسبب ما رفضتني زوجة لابنها .. فراجعت أسماء المدرسات لي في الجامعة فلم أجد واحدة منهن تسمى فاطمة أحمد ولا حتى سعيدة أحمد .. قلت ربما تعرفت عليهن أيام التعليم فلم يحصل .. وكانت عبير قد حدثتني أنهنّ اشتغلن في الخارج في جامعات خارج البلد.. وعملن هنا بضع سنوات .. ثم مرضت أمها ولزمت البيت .

وقالت سلمى : أما أختها أم سلوى .. ما زالت تحاضر محاضرات متفرقة في جامعات مختلفة .. معها دكتوراه علم نفس .. وهؤلاء قوم يملكون الأموال الكثيرة .. فلهم شركات في الخارج .

فقالت منى : أعرف الكثير عنهم يا أخت سلمى !

كانت سلوى فراس قبل أن تتعرف على منى ربيع منذ أسابيع تعتقد أن خالتها فاطمة رفضت زواج ابنها من منى في تلك الأيام فقط ؛ لأنها فتاة فقيرة من حي برقوقة وأن الحظ ابتسم لها ونالت قسطا من التعليم الجامعي ، والتقت بابنها فأرادت أن تصبح ثرية من قفزة واحدة .. متسلقة كما يقولون .. وأنها غير مناسبة لابنها الغني بغنى والده المليونير صاحب الأموال الكثيرة .. وما هي إلا مجرد موظفة صغيرة تقبع في أحد مكاتب شركاتهم المتعددة ، وأن راتبها يساوي راتب خادم أو شغالة عندهم .. هكذا كانت تعتقد سلوى قبل أن تسمع منى ، وأن هذا سبب الرفض لذلك الزواج .. أما اليوم فإنها ترى أن هناك أسبابا أخرى ، وأن أمرا شخصيا في الموضوع .. لأن منى طلقت وخرجت من حياة الأسرة والعائلة .. وأحد أعمامها تزوج مرتين وطلق ، ولم يعد لنسائهم المطلقات ذكر في العائلة وأهمية .. فلماذا منى يبقى حقدهم عليها لليوم

وقد خرجت من حياتهم ؟! فلماذا طلبت منها خالتها ترك المدرسة تلك ؟ وسحبت حفيدتها منها أيضا ؟.. فهذا لغز محير يدفع الإنسان العاقل للتساؤل والسعي لمعرفة السر؟ حاولت فهم ذلك من أمها ، فلم تجد عندها شيئا إلا أنها كانت زوجة لحازم في يوم من الأيام .. وأنها كانت مجرد عاملة في الشركة ، وهذا سبب كاف لعدم التعامل معها ، والعمل عندها كمعلمة تحت إدارتها .. وخوفا أن يعرف حازم زوج أختها بشيء .. فهو ما زال يكن الود والحب والحنين لمنى في رأيهم ! ولكن سلوى تعلم أن حازما له معرفة بزوج منى ، وأنها أم ولها أولاد ، ولا يمكن أن تفكر أن ترجع لحازم بعدما طلقها من أمريكا وتزوج أختها .. رغم أن حياتها معه تعيسة .. مجرد زوجين وجسدين لا روح بينهما .. وهناك علاقة جيدة بين عبير وزوج منى وأن زوج خالتها ناصر يعلم بهذه العلاقة والعمل .

وأكيد القارئ لهذا السفر يود مثلهم معرفة سر هذا الكره والبغض عن بعد لمنى .. وهذا سنعرفه قريبا إن شاء الله .. ولسوف يعرف أنه ليس لمنى سبب رئيسي في هذا الكره إنما هو هوى نفسي ومزاج لئيم ، وحذرا من تصحيح علاقة انتهت .



الأخت منى ربيع لم تنشغل كثيرا في هذه الحادثة .. فهي قد اعتبرت أن هؤلاء الناس قد خرجوا من حياتها منذ تزوجت زوجها الحبيب برهان محمود الدين ، وكما سمعنا مالكا يقول إنه لم يدع لها فرصة لتقول لا .. وكانت حياتها الزوجية ممتعة جدا وهادئة ، فعلاقتها بزوجها على أفضل ما يرام ، تفاهم كامل بين الزوجين ، وهي تناقش وتتحدث بصراحة ؛ ولكنها مقرة بفضل ورجاحة عقل برهان ، وإنه زوج غير متسلط ويحترم الزوجة .. وعلاقتها بأهله مثيرة للإعجاب مع وجود حماتها وعمها والد زوجها وإخوته الكثر ستة إخوة .. وثلاث أخوات ، فكلهم أسرة واحدة ، ويحبون بعضهم جدا ، احترام الكل للكل ، رغم اختلاف مهنهم وعملهم ، فحتى

أولادهم الذين شبوا وتعلموا يحترمون أعمامهم احتراما كاملا .. وكذلك علاقة زوجها مع أهلها علاقة ود وحب وتعاون يغبطون عليه .. فدائما تسمع أمها تدعو لزوجها بالخير والسعادة وحتى زوج أمها فهو يحب برهان حبا جما ، ويراه صديقه الوحيد في هذه الدنيا رغم ما بينهما من السنون .. فلذلك مرت هذه العاصفة إذا كانت عاصفة من دون حديث يذكر .. وعاد الهدوء ثانية للمدرسة ، وكل يحتفظ بخواطره .. وعادت منى تشغل نفسها بإعداد رسالة الدكتوراه التي كانت تدور حول الأدب الإنجليزي في القرن التاسع عشر.. ولما علمت بأن مالكا قد أقام دار نشر ومكتبة مع بعض زملاء الأدب سرت بذلك وأملت بطبع رسالة الماجستير والدكتوراه عندهم .. ووصلتها كتب مالك التي نشرها في بريطانيا من تأليفه ، فعرفت شيئا آخر عن أخيها تأليف الكتب ، مع أنها أحيانا قليلة كانت تقرأ مقالات وخواطر مالك في الصحف التي كان يدخلها برهان البيت أو المكتب .. أما تأليف الكتب فقد فوجئت به وقالت لبرهان وهو يقدم لها هدية أخيها : أصبح الفارس مؤلفا وكاتبا في بلاد الإنجليز.

ـ أتدرين من تترجم له ؟!

ضحكت وقالت: ويك ! إنها زوجته .. أليس هذا المكتوب على الكتاب ترجمة هناء عبد الكريم و ... من هذه ؟!

ـ لقد سألت ؛ إنها ابنة خال هناء .. فتاة تهتم بالترجمة والأدب وقد عملت في بعض الصحف الإنجليزية كمترجمة .

فقالت منى : ولكن الأخ مالكا نسي أن له أختين أيضا تتقنان اللغة الإنجليزية وأنني مترجمة ماهرة .. وسأتصل به وبهناء يا برهان .

ـ وأيضا طبع الكتابان باللغة العربية يا منى ! ولكن أحد الأصدقاء رآهما معي في المكتب فأعرتهما له .

ـ تعني أنه كتبهما باللغة العربية ونشرهما ثم ترجما .. فعلا الأصل بالعربية ثم ترجم هذا منوه به على الكتابين .. فمالك يفهم اللغة الأجنبية ، لقد نسيت فهو يدرس الدكتوراه بتلك اللغة .. يا

لي من مغفلة !

ـ القصة أن مالكا كتبها للجاليات العربية هناك .. فالعرب هناك كثر كما تعلمين .. فشركة النشر طلبت ترجمتها لنشرهما بلغة أهل البلاد .. فقامت هناء وقريبتها بترجمتها بسرعة وهذه هي الثمار .. هذه هي الحكاية هو لم يكتبها باللغة الأجنبية .

ـ متى تحدثت معه ؟ لم أرك تتصل به ؟

ـ ذات زمن مضى تحدثت معه من المكتب بشأن أحد الأصدقاء الراغبين للذهاب لبريطانيا للدراسة .. ويومها سألته عن أخباره وآخر نشاطاته .. فذكر لي ذلك ويبدو أنني نسيت أن أذكر لك ذلك .. وها أنا اليوم

عندما جلبت البريد وجدت طردا لدى البريد ؛ فإذا هو كتب من مالك .

فسرحت في ذكريات قديمة عن مالك ، وعبرت عن افتتانها بأخيها ثانية ثم قالت : لم أكن أتصور هذه القدرات عند هذا الإنسان !.. أنا ما زلت أنظر إليه كأنه طفل صغير ! أضاحكه وأداعبه .. حبيبي برهان .. ما رأيك أن نسافر لندن ؟!

ـ لندن ؟!

ـ نعم .. أنا كما تعلم رسالتي في الأدب الإنجليزي في القرن التاسع عشر .. وبريطانيا هي أم الإنجليز .

الدكتورة منى

تحدثت منى مع هناء مباشرة في موضوع سفرها لبريطانيا عدة أيام .. فرحبت هناء بذلك ، وقالت لها : أيام لا تكفي شهر على الأقل .

ووعدتها أن تكلف ابنة خالها أن تهيئ لها أماكن ومراكز الجامعات الملائمة لأهم المراجع الأدبية اللازمة لكتابة الرسالة الجامعية .. فقدمت منى لها الشكر الجزيل وأبدت امتنانها الكبير لحضرتها وحماسها .. ورحب مالك بالفكرة وشجع أخته على الزيارة ، وسعى برهان للحصول على تأشيرات السفر لبريطانيا ، ورغبت منى بالإتيان بأمها للحياة مع أولادها الكبار الثلاثة .. والرابع قررت أخذه معها ، ولكن أهل زوجها وخاصة أخت برهان التي تسكن معهم في العمارة أبدت استعدادها لرعايتهم وإعدادهم للذهاب لمدارسهم خلال فترة غيابهم .. وتطوعت والدة برهان بالمبيت معهم إذا لم يرتاحوا للمبيت عند جدهم وجدتهم .. لقد حلت مشكلة رعاية الأطفال .. ولما جهزت التأشيرات سافر الزوجان والطفلة الصغيرة ولقد كان في انتظارهم في مطار هيثرو الإنجليزي مالك وزوجته ، وتعانق وتصافح الأحباب وإلى شقة مالك انطلقوا فرحين .

وعانق برهان برهان الصغير الذي كبر وصار يمشي على قدميه ويقف ، وكانت هناء قد رتبت رحلة سياحية للضيفين في ربوع الجزر البريطانية أم الاستعمار والتاريخ العريق ، ثم تعاونت مع ابنة خالها علا لإرشاد منى إلى الأماكن التي تهتم بالأدب وتاريخ الإنجليز من دور نشر ومكتبات عامة وخاصة ومتاحف أدبية .. واشترت منى الكثير من الكتب الأدبية.. وسرت من الرحلة العلمية والسياحية ، وشكرت هناء على تعاونها الكبير وعلى المعونة التي قدمتها لها هي وابنة خالها ، وتمنت منى لو أنها قدمت الدكتوراه في بلاد الإنجليز ، فعقب برهان على هذه التمني قائلا : لم يفت شيء اعملي دكتوراه ثانية .

فضحكت وقالت : والله فكرة ..ولكن ليس الآن !

ـ أنا جاهز يا عزيزتي !

ومضى الشهر الجميل كما يقال بلمح البصر ورجع الزوجان إلى أرض الوطن .. وأقبل الأحباب والأصدقاء يسلمون عليهم ويسألونهم عن رحلتهم وعن بلاد الضباب .

خلال سنوات إعداد منى لأطروحة الدكتوراه كان السيد برهان قد تمكن من شراء قطعتي أرض في مكانين متباعدين ، مساحة كل قطعة ما يقارب عشرة دونمات ، واحدة لإقامة مدرسة للذكور عليها ، والثانية مدرسة للإناث .. فبرهان من أنصار الفصل بين الجنسين في التعليم .. وكان يطمع أن تكون كل مدرسة من الصف الأول إلى نهاية التعليم الثانوي .. على أن تكون كل مرحلة شبه منفصلة .. الأساسي الصفوف الأولى في مبنى مستقل ضمن المبنى العام ، والمتوسطة كذلك ، والثانوية كذلك .. فوضعت التصاميم الهندسية على هذا الأساس وحسب المواصفات المحلية والعالمية .. وشكل مجلس إدارة للمدرستين .. وكان قد جمع من إخوة زوجته وزوجاتهم وعديله سعد عن كل شخص عشرة آلاف دينار ، وشارك بعض الأصدقاء والمعارف لإخوة منى في المشروع .. وممن اشترك في هذا المشروع الأستاذ عدنان وزوجته ابنة خالة منى ، وكان السيد عدنان قد أنهى الماجستير وكان يستعد للدكتوراه مثل منى ربيع .. وكذلك يستعد للتقاعد من العمل الحكومي والعمل مع برهان .. وكذلك زوجته التي بلغت سن التقاعد .. ووصلت للمدة التي تسمح لها بالتقاعد .

كون برهان شركة تعليمية خاصة من أصدقائه وأصدقاء العائلة ؛ لأن الأرض كلفت ما يزيد عن المائة ألف دينار .. ولما أنهت منى الدكتوراه ، وناقشت أطروحتها وحصلت على تلك الشهادة ، حتى بدأ برهان وشركاؤه يستعدون لإنشاء المباني ، وقد جمعوا مبلغا يعادل ربع مليون وكانت مدرسة الذكور قد أقيمت مبانيها قبل إنهاء منى للجامعة العليا .. ولم يبق فيها إلا أعمال التشطيب للتسليم للنهائي من قبل الشركة المنفذة للمشروع للانتقال للمشروع الآخر .. وكان مالك أيضا قد أنهى دراسته في بريطانيا ، وقرر البقاء سنتين أخريين لمزاولة العمل على شهادته الأخيرة ، ومحاضرا في إحدى الجامعات لمزيد من الخبرة في القانون الدولي والعالمي .. وكثر تردده إلى أرض الوطن في الإجازات والمناسبات ، فقد أصبح لديه وقت أكثر للحركة .. ودار النشر

التي أنشأها مع ثلة من أصدقائه قد اجتازت مرحلة الولادة ، وأصبحت قادرة على الطباعة والتوزيع .. ولكن حدث للأخ برهان قبل مجيء مالك حادث كاد أن يؤدي بحياته ؛ ولكن الله لطف فيه .. فقد تعرضت سيارة برهان للصدم أثناء توقفه عند إحدى الشركات ليقوم بتدقيق سجلاتها وحساباتها وتقديم تقرير محايد عنها .. وأصيب عموده الفقري من الصدمة .. فعجز عن المشي وأصبح بحاجة لعجلة يسير بها .. وتقبل برهان والقوم أمر الله بالرضا والاستسلام وخضع للعلاج المستمر في البلد ، ثم سافر لبريطانيا مع مالك ، وتعرض للعلاج وكان الأطباء هناك يرون أنه سيتحسن مع مرور الوقت والزمان .. فوجد بعض المشقة في بداية الأمر للتكيف مع الحياة والعلة ؛ ولكنه اجتاز هذه المحنة وصبر عليها.. وكان أصحابه يتابعون المشاريع عنه ، وتابع هو العلاج .. وتم إنشاء المدرستين وهو يعاني من تلك الحادثة .. وخلال هذه الفترة العصيبة من حياته ظهر الحب الكبير من منى لزوجها ورفيق دربها في الحياة ، وأبدت استعدادها للتخلي عن العمل للبقاء بقربه ، ورافقته في رحلة العلاج لبريطانيا .

وعاد مالك للبلاد وكان قريبا جدا من زوج أخته والعمل معه ، وسافر معه إلى ألمانيا للعلاج في إحدى المستشفيات التي علموا عنها .. وتقدم خطوة جيدة في العلاج ، وأصبح يستطيع النهوض والحركة ولكن بشكل بطيء .. واشتروا له سيارة خاصة ؛ ولكنه وجد مشقة في القيادة فعينوا له سائقا يتنقل به بين أعماله .. فهو لم يحب البقاء في البيت فكان العمل حياته رغم رحلات العلاج هذه.. ولما التقى بأحد العلماء فشجعه إلى السفر إلى مكة والحج والاستسقاء من ماء زمزم فوجدت الفكرة رضى في نفسه .. فحج به مالك وبزوجته وأخته منى ، وفرحوا بهذه الرحلة الإيمانية التي زادت من صلابة برهان .. ونشطت منى في عملها وإدارة أعمال زوجها ، واستمرت هذه المحنة على ما يزيد عن خمس سنوات ، ثم تعافى منها السيد برهان وعادت أعصابه تعمل بشكل جيد ، وتخلص من العجلة نهائيا ؛ ولكن الأطباء طلبوا منه أن يبتعد عن الحركات العنيفة .. والابتعاد عن الرياضة البدنية .. فحمد الله على ما وصل إليه من عافية ، وفرح الأهل والمحبون لذلك .. وكان سعيدا بنجاح المدارس التي قام على إنشائها .

ولما هدأ وضع برهان الطبي تركت منى المدرسة الخاصة التي كانت مديرة لها لسلمى ، وكانت قد عرضت إدارتها على إحدى أخوات برهان ، فاعتذرت عن ذلك وأحبت العمل كمعلمة في مدرسة الإناث الكبرى .. والتحقت منى بالتدريس في الجامعات .

وأصبح الأخ عدنان جابر مديرا لمدرسة الذكور بعد تقاعده من مدرسة الحكومة .



ذات نهار والدكتورة منى ربيع في مكتبها في الجامعة في كلية الآداب فرع تعليم اللغة الإنجليزية طرق الباب عليها أحد الطلاب فأذنت له ، وكان معه فتاة فبعد الترحيب تسألت منى عما يريدون فقال الشاب: هذه ابنة خالتي الآنسة حنان !

دهشت منى لهذا التعريف وعادت تقول : وأنت ؟!

ـ ألا تعرفينني يا دكتورة ؟!

ـ لا !

ـ أنا وهي من طلابك ، فأنا حسن حازم سنة ثالثة آداب إنجليزي.

تبسمت منى له ، وقد فهمت ما يرمي إليه ، وقالت مجاملة : تريد أن تقول إننا معرفة سابقة ؟!

تبسم هو الآخر في وجهها وقال : يعني .. لم يشأ الله أن تكوني أمي !

ـ أهلا بك كيف حال والدك اليوم؟ .. أنا لما قرأت اسمك في أحد الكشوف وقع في نفسي أن تكون ابن حازم ناصر زوجي الأول . . وأنا فعلا كنت زوجة لأبيك في يوم ما !

ـ أبي مريض للغاية يا دكتورة ..

ـ مريض!.. شفاه الله .. وهذه الفتاة الجميلة ابنة خالتك لعلها الأستاذة سلوى فراس ؟!

قالت الفتاة : نعم أنا ابنة السيدة سلوى فراس يا دكتورة .

ـ كيف أمك اليوم تعارفنا فترة قصيرة من الزمن ؟!

ـ صح ، وهي التي ذكرت لنا أنها تعرفك .. أنا سنة أولى إنجليزي .. فمرة ذكرت اسمك أمام أمي ، فاستغربت وذكرت لنا أنها تعرفك ، ثم تحدثت مع الأستاذة سلمى تسألها عنك فأخبرتها الأستاذة سلمى أنك تعملين في هذه الجامعة .. وذكرت لي أنها عملت فترة قصيرة في مدرسة الأستاذة سلمى فتعرفت عليك .. وذكرت ذلك لحسن ابن خالتي فاستغرب وسأل عمته عبير عنك ، فذكرت له أنك كنت زوجة لأبيه كما ذكرت الآن ، وحالت الظروف الصعبة تلك الأيام دون بقاء ذاك الزواج .. فسامحينا !

عادت الدكتورة ترحب بالشابين ثم قالت : أنا سعيد بمعرفتكم شخصيا وسلموا لي على أمهاتكم .. وأنت يا حسن كابني .. فلي ولد السنة سينتهي من الثانوية العامة اسمه خليل .. وهكذا القدر يا ولدي .. لم يقدر لي الله أن أكون أمك !

فشكرها حسن على لطفها وعدم تجاهله وعدم جفائها معهم فقال : سامحي والدي يا دكتورة .

ـ لقد سامحته يا بني .. ولما حججت سامحته هناك أيضا .. وهذا الزواج قدر والفراق قدر .. لم نوفق في الزواج ، وأتمنى لكما كل نجاح وتوفيق في هذه الحياة .

فقال حسن بحزن : شكرا يا دكتورة ! والدي حقيقة مرضه صعب .. مرضه في الكبد ، وهو بين الحياة والموت .. لقد دمرته وأهلكته الكحول وحرقته .. فاعف عنه .

ـ قد عفوت وسامحت ، سامحه الله يا حسن .. وحياة سعيدة للجميع وسلمي لي على أمك يا حنان .

وغادر الشابان المكتب وهما مفعمان بالشكر لمنى ربيع ، وأما منى فكأن لم يكن شيء كما قلنا مرارا فقد نسيت حازما ولا تهمها أخبار حازم .. وهل تمنت له الشفاء من أعماق قلبها وبصدق هذا يعلمه الله وحده ؟!

كانت الجامعة تريد أن ترسل عددا من حملة الشهادات العليا لدورة علمية في أمريكا ، ورشحت عمادة الجامعة منى ربيع لهذه البعثة أو الدورة ، ولما تشاورت مع زوجها ذكرها بدراسة الأولاد فلم تجد حماسا لدى زوجها فاعتذرت عنها، وطلبت تأجيلها ، وأبدى برهان اعتذاره لذلك ،

فقالت معتذرة : لا تعتذر يا سيدي أنت عندي أهم وأعظم من الدورة والشهادة .. وإذا كنت تحب أن أترك الجامعة ، فأنا على استعداد .. أنا لا أنسى ، ولا يمكن أن أنسى من هو برهان ؟! وكل هذه السعادة التي ارفل فيها من برهان .

تضاحك برهان وقال : جزاك الله خيرا .. أنا يهمني تقدمك العلمي لحاجة في نفسي .. ولكن الأولاد بدءوا يدخلون المراحل التعليمية المهمة يا منى .. وإبراهيم ابن سنة اليوم .. وخليل على أبواب الثانوية العامة .. فلتكن أي دورات خلال هذه السنوات داخل البلاد .. فبعد سنتين ستدخل زهرة إلى الثانوية العامة .. ثم محمد .. وجميلة .. إبراهيم قد يتأخر فهو وليد .. فجاء الأوان اليوم لأن نهتم بهم فهم حياتنا أو أهم منها .

تبسمت قائلة : صدق أنني مقتنعة بما تقول ، ورفضت السفرة بكل أريحية ورضا مع أنهم كانوا سيسمحون لي بأخذ أفراد العائلة كلها .. ولكن ما هي الحاجة التي في نفسك ؟!

ضحك برهان لحظات وقال : أنسيت أنني وعدتك أن تكوني ملكة .

أخذت بالضحك وقالت : ما أنا يا سيدي ملكة! .. ألست ملكة في بيتي وبين أولادي وزوجي الملك .. اسمع أنا كل أحلام الماضي قد نسيتها .. فأنا أحمد الله ليل نهار عما حصل لنا من الخير والتوفيق والسعادة والحب العظيم بيننا جميعا .

فحمد الله وقال : الحمد لله ، لم تذهب جهودي سدى ، فها هو المكتب الذي دارت عليه أحلامنا الأولى قد أصبح مكتبا كبيرا ومنافسا عظيما في البلاد .. والمدارس التي كانت حلما أصبحت رموزا تربوية وعلمية مهمة في البلاد .. وها هو سهمنا في مصنع عبد الرحيم يدر علينا دخلا كبيرا .. وها هو مصنع الدواء الذي أنشأه ابن أخي يتقدم وننعم بثروته .. ولنا مدرستنا الخاصة فأنت ملكة غير متوجة يا سيدتي .. ولم يبق إلا أن نبني القصر وذلك قريبا

ـ الحمد لله حمدا كثيرا .. ما كنت أدري ما سيصير بي لو لم يضعك الله تعالى في طريقي ؟! .. عندما أتخيل شيئا من تلك الهفوات الكبرى أبكي وتدمع عيناي .. نعم ، لقد يسرك الله تعالى لتنقذني من السقوط والجهل .. الشهادة وحدها لا ترفع الجهل عن الإنسان يا برهان! .. فناس

معهم الكثير من الشهادات ولكنهم غارقون في الشهوات والضلال ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا كنت أرى الحياة قصة فِلم أو أغنية ماجنة !



بعد اعتذار مني ربيع عن الذهاب لأمريكا لمدة سنة في دورة علمية ، بعدها بشهور يسيرة حدثت حادثة عجيبة في حي برقوقة كشفت كثيرا من الأسرار لمنى وبرهان وغيرهم .

وبينما مالك وربيع الأخوان وزوجاتهم وبعض أولادهم يسمرون في منزل خليل أبي أحمد زوج أمهم جميلة ، وقفت على رأس الشارع سيارة أمريكية حديثة جدا ، وهبط منها شابان في العشرين من عمرهما وامرأة وسألوا من وجدوه يقف على رأس الشارع عن منزل خليل أحمد فرفر.. فأرشدهم الناس لبيت الحداد خليل ، فقد أصبح أبو أحمد قصة كبيرة من قصص حي برقوقة فهو قد صنع من الأيتام كما كان يقال أيتام الحداد خليل قصة مشرفة مشرقة للحي وأبناء الحي فيضرب بهم المثل في النجاح والوفاء .. ورغم الشهادات التي يملكها أيتام خليل ظلوا قريبين من الحي وأبناء الحي .

المهم طرق الشابان والمرأة المرافقة لهما بيت الحاج خليل فرفر في ذلك الليل ـ البيت الذي ظل على ما بناه المعلم خليل ، ويرفض إعادة بنائه ـ وجاء أحد الأبناء يقول لهم : يا أبي ! هناك أناس ومعهم امرأة يريدون جدنا خليلا !

فقال خليل الذي سمع الغلام : ضيوف !

رد الفتى : أناس غرباء لم نرهم من قبل ، شكلهم يدل على أنهم ليسوا من هذا الحي !

قال مالك : فلتدخل البنات .. حتى أنظر من هم ؟ .. انتظري يا أمي هنا .. معهم امرأة !

تركت الفتيات بتريث غرفة الجلوس ودخلن حجرة من حجرات البيت ، وكان مالك قد خرج يستقبل ويرحب بالضيوف فقال أحدهم : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته !

رد مالك السلام باسما وقال مرحبا : أهلا وسهلا .. أتريدون الحاج خليل أحمد فرفر ؟!

ـ نعم .. نحن قادمون للقاء السيد خليل فرفر .

ـ تفضلوا .

تبعوا مالكا لغرفة الجلوس فرحب خليل وربيع بالضيوف ورحبت جميلة بالمرأة ، ولما جلسوا قال خليل : أهلا بكم !

تنحنح أحد الشابين وكان العرق يتصبب على جبينه مما أدهش الحاضرين وقال مضطربا : نحن في موقف حرج جدا .. فمعذرة !

دهش خليل وغيره وقال : حرج ! .. لم أفهم يا ابني ولمَ الحرج ؟!

فقال الشاب بغصة : نحن ـ وأشار للشاب الآخر ـ أحفاد أحد إخوتك يا حاج أبي أحمد .. أنا أحمد وذا أخي يوسف !

تغير وجه خليل وحدق بالشابين وتلون لونه واضطرب صوته وعاد يقول : إخوتي أنا !

ـ نعم ، أنا ابن ابن أخيك منير إذا ما زلت تذكره .. وهذه ابنته ـ وأشار للمرأة ـ .. أي عمتي أحلام ..

التفت خليل لابني زوجته جميلة وقال مذهولا : أسمعتم ما قيل أمامي .. أم نحن في حلم ؟!

قال مالك الذي تمالك أعصابه بسرعة كعادته : نعم يا عم سمعنا إنهم يزعمون أنهم أحفاد أخيك منير يا عم خليل .. أهلا وسهلا بكم .. يا مرحبا بكم من جديد .. فنحن ننتظر هذا اليوم بفارغ الصبر.

فقام الشابان يعانقان جدهما خليلا وهما يبكيان ويتنهدان ، وفعلت المرأة مثلهما وقالت : أنا أحلام ابنة أخيك يا عم !.. واعلم يا عم أننا لم نعلم بوجودك وأن لنا أقاربا لا نعرفهم إلا منذ أيام قليلة .. لا نعرف إلا عمنا خالدا وعمتنا فاطمة وعمتنا وسعيدة ..

تكلمت المرأة بما يطيب لها ، وخليل ساكت ، ولما صمتت ، سكت خليل لحظات أخرى ثم قال : غفر الله لإخوتي .. ما الذي ذكرهم بي بعد ثلاثين سنة أو أربعين ربما تنقص سنتان أو ثلاث

عاد أحد الشابين يقول : هذا هو السؤال المهم ؟ نحن نشأنا لا نعرف من أقاربنا إلا ما ذكرتهم لك عمتنا أحلام ..

فقال خليل المبهور: والله يا أولاد ! .. لم يحدثوكم عن صبرية وخليل .. نحن أولاد العتيقة .. متنا عندهم .. يا هلا بكم .. نعم كيف عرفتم أن لكم أقارب يا أحمد.. أنت اسمك أحمد .. ما زال جدك يذكر أن له والدا اسمه أحمد .. قاسم والدي أحمد رحمه الله ..

فقال أحدهم : كيف عرفنا بأن لنا أقاربا ؟! لأنه ـ يا جدي ـ أحد إخوتك على فراش الموت أخوك منير على فراش الموت فطلب رؤيتكم أنت وأخته صبرية .

ـ منير يموت إذن ! .. لا إله إلا الله .. يا خسارة ! عرف وهو يموت أن له إخوة .. أكمل يا بني أكمل .. هذه هي الدنيا !

عاد الشاب يقول والعرق يسيل على خديه : أخذ يلح على رؤيتك ورؤية أخته صبرية ويبكي فلما سألنا عنكم اعترفوا لنا بوجودكم في هذه الدنيا ، وأنكم تعيشون معنا في هذا البلد ، وأنكم أحياء ترزقون ، وترددت العائلة بالوصول إليكم؛ ولكن أمام إلحاح جدي رق له الأولاد وكلفوني وأخي وعمتي بهذه المهمة يا سيدي يا أبا أحمد .

وبكت المرأة المدعوة أحلام ، وذرفت الدمع الغزير بين يدي عمها ليعفو ويصفح عن عقوق أخيه ، فربت خليل على كتفها وقال بعين باكية : هل قال لك أبوك من أدخله الجامعة وأنفق عليه وعلى أخيه الأكبر منه ؟ .. سامح الله أمه كانت تبغضنا مع أن أبي تزوجها على أمي .. واعلموا مع أنني نسيت أخواي وأختاي منذ عقود .. أنا جاهز للمصافحة والمساعدة والمسامحة أليس كذلك يا جميلة ويا ربيع ويا مالك ؟!

كانت دموع مالك تتساقط تأثرا بالموقف فمسح تلك الدمعات وقال : قلبك كبير يا عم ! .. فأنت سيد العائلة شاءوا أم أبوا ولا يصح إلا الصحيح .

وتكلم ربيع بكلام شبيه بكلام أخيه مالك ، وقال مالك : العم خليل صاحب القلب الكبير مستعد لمقابلة إخوته أو أخيه المريض ، وسنذهب الآن بكم إلى بيت صبرية أم علي جدتكم أو

عمتكم ونرجو من الله تعالى أن تقبل الصفح والعفو .. أتذهب يا عمي أبا أحمد معهم أم نرشدهم ؟

فقالت المرأة برجاء : أرجوك يا عمي العزيز يا صاحب القلب الكبير أن ترافقنا .. والله نحن لمنا والدينا لوما شديدا ، وعتبنا على صمت عماتنا وعمنا خالد على هذا الصمت الرهيب .

كان خليل قد تجاوز الستين سنة عند هذا الحدث ، فلم يعد لديه رغبة في العداوة والبغضاء ، فحمد الله على هذه الصحوة وإن كانت متأخرة جدا

وساق الأولاد لبيت صبرية ، وقبل أن ينطلقوا نادى الزوجات والأبناء ليتعرفوا على أبناء إخوته وأحفادهم .. وكان مالك قد قام بالاتصال مع الدكتور عدنان جابر ، وطلب منه أن ينتظرهم في بيت والده وشرح له الأمر بسرعة ، وعاد للمجلس يقول : تحدثت مع عدنان يا عمي يا أبا أحمد ليلتقينا عند والدته .

ـ أحسنت يا مالك .. هيا ربيع .. هيا جميلة .

ذهب الثلاثة إلى سيارتهم ، وانطلق خليل مع أولاد زوجته بسيارة مالك ، وخلال دقائق كانوا يقفون أمام بيت صبرية ، وكان عدنان أمامهم يقف أمام بيت العائلة ، وكان قد تكلم مع أبيه وأمه بالهاتف .

كانت أنوار البيت منارة لم تطفأ بعد ، فالناس ما زالوا في سهر ، زلف خليل وراء عدنان واستقبلهم جابر وصبرية ، ولما جلسوا في صالون البيت الواسع ، تكلم خليل بضع جمل ، ثم قال مالك المحامي : هؤلاء يا عمتي أم علي أحفاد أخيك الأصغر المدعو منير أحمد فرفر .. وهذه المرأة ابنة أخيك .

فنهض الأحفاد ثانية وسلموا على جدتهم ، وقبلوا يدها ، وعادوا لمجلسهم ، وعانقت المرأة الشابة المرأة الكهلة ، وتخلل ذلك بعض الدموع والشهقات ، وتحدث أحمد عن جهلهم بوجود إخوة لجدهم غير الذين يعرفونهم ، وأن جدهم مريض ؛ وربما يكون في أيامه الأخيرة ، فقد أقعده المرض العضال ، وأنه يطلب مصافحتهم ورؤيتهم والصفح عنه لتجاهلهم كل هذا

العمر .. فبكت صبرية وذرفت الدمع ، وشاركتها جميلة البكاء والمرأة الأخرى ، وقال عدنان : نسأل الله العافية لجدكم منير .. وكنا ننتظر مثل هذه الخطوة منذ عشرات السنين يا أخ مالك .. ربما منذ ثلاثين سنة !

فقال خليل : وتعلم صبرية أنني سعيت لهم ، وفعلت مثلي صبرية ؛ ولكنهم هربوا لأمريكا ، ولم يتصلوا بنا بمناسبة وغير مناسبة .. ولما رجعوا اتصلت بهم فطلبوا مني الرحيل من حي برقوقة والحياة معهم وترك الحدادة ، ولما رفضت ذلك غضبوا وأنكروني فزرتهم مرة أو مرتين ثم هجرتهم كما هجروني .. منذ تركوا الحي بأمهم لم يدخلوه نهائيا ، وها هي صبرية تشهد على ذلك ولما كنت أزورهم في بيوتهم كانت زوجاتهم ينظرنّ إليّ ؛ كأنني متسول شحاذ دخل عليهم .. فلما رأيت الجفاء وقلة الاحترام قطعت الزيارة إليهم ومع ذلك لم يسألوا فيّ ..وهم فعلوا ذلك مع صبرية أصلا .. لا أذكر أن أحدهم أو إحدى زوجاتهم دخلت بيت صبرية .. فقد قاطعوها وهم يدرسون ؛ لأنها تزوجت الأخ جابر .. لأنني أنا زوجتها ، ولم أبقها تخدم أمهم مع أن لها بنتين .. ولما تخرجوا من الجامعات أخذوا أمهم ـ رحمها الله ـ وخرجوا من الحي وتزوجوا من بنات الأكابر ورويدا رويدا نسوا أن لهم إخوة ورحم .. وحتى البنات تزوجن من غير مشورة معي ، بل علمت بزواجهن من بعض الناس .. فقد هاجروا للدراسة والعمل ولما كانوا ينزلون البلد لا يتصلون بنا ، ولا نعرف مساكنهم أو الشقق التي استأجروها لنسلم عليهم .. فنسيناهم كما نسونا .. فمأساة يا إخوان مأساة!! أسوأ شيء أن ينسى الإنسان الإحسان والجميل الذي قدم له .. استعروا منا أنا وصبرية .. سامحهم الله يا أولاد .. آ يا أحمد هل عرفت الحق أنت وأخوك وعمتكم ؟!

تمتم الشباب وقال أحدهم : أمر يؤسف له يا جدنا العزيز !! صدق أننا تفاجئنا بهذه الاستغاثة وظننا أن جدنا يهذي ويطلب أناسا ميتين فعلا .. حتى أقرت جدتنا بالحقيقة المغيبة .. فأدركنا الخطأ الشنيع الذي وقع فيه الإخوة بحقكم .

فقال أبو أحمد : أنا ألوم أجدادكم .. وأكثر لومي كان على امرأة أبي .. أظهرت لهم أننا نبغضهم

وأننا أخذنا أموال والدنا دونهم .. فشبوا على كرهنا ، وإنني أنفق عليهم من أموال أبي الحداد المسكين الذي هلك ـ رحمه الله ـ وأنا ابن عشر سنين قد تزيد سنتين .. كانت امرأة سيئة لم تربهم على حبنا أنا وصبرية .. فأنا الذي لم أقصر معهم أيام الجامعة ، وأنفقت عليهم بفضل الله من شغل محددة أبي من عرقي أنا .. أبي لم يترك لنا إلا الشيء اليسير ، وصبرية كانت تدرك ذلك .. والبيت الذي ما زلت أسكن فيه منذ اشتراه والدنا ـ رحمه الله ـ هو نفس البيت الذي تركه الوالد ؛ ولكني جددت بناءه كما تعلمون .. كانوا يتطلعون لفوق فوق .. لا مانع من التطلع والصعود لفوق ؛ ولكن هذا لا يسمح للواحد أن ينسى أهله .. فها هو الشاب البطل ـ وأشار لمالك وهو منفعل ـ محامي كبير ودكتور في القانون الدولي ، ودرس في الخارج في بريطانيا أعظم دولة في أوروبا ؛ ولكنه يعيش معنا في حي برقوقة لم يتكبر علينا .. لماذا لم يجبر أمه للخروج من الحي؟! .. للحياة في حي يليق بمقامه .. ولكن الحداد الفقير خليل زوج أمه لا يريد الخروج .. فقبل الأمر برضا ؛ بل لم يحاول الحياة خارج الحي .. بل تزوج ابنة رجل القانون الأول في بلادنا النقيب السابق عبد الكريم ، وسكن بزوجته ابنة الأكابر في حي برقوقة. ألا تطيب الحياة أيها الناس إلا في أحياء الكبار؟!.. ألا يوجد تعساء في تلك الأحياء؟! وهذا مهندس كبير ومدير شركة كبرى ويسكن في حي برقوقة ـ وأشار لربيع ـ وهذا الدكتور عدنان ابن أختي هذه وابن هذا الرجل الفاضل يسكن في حي برقوقة .. ألا تطيب الحياة إلا في حي رحمات وبركات .

قال مالك : اهدأ يا عم .. راع صحتك .

مسح خليل فمه وحاول الهدوء فقال : أنا أريد أن أقول هذا أمام هؤلاء الشبان الأبطال لينقلوا الكلام لأهليهم .. ويتعلموا هم أيضا .. أنتم يا مالك ويا ربيع ويا ابن أختي فخر الحي فها هو ربيع مدير شركة كبيرة في البلد ، ويسكن في حي برقوقة ، ويبني في حي برقوقة ، ويعيش في بيت متواضع ، ويسهر يوميا مع أمه .. وها هو ابن عمتك يا أحلام الأستاذ الدكتور ومدير مدارس خاصة ، ويستطيع أن يكون أستاذا كبيرا في جامعة أو معهد يسكن قرب أهله في حي برقوقة .. ويا ابنة أخي لو سكن الإنسان في أي حي من أحياء المدينة والدولة ؛ لكن لا ينسى

أهله حتى ولو ظلموه ونهبوه .. أنا متأكد أن أجدادكم لا يعرفون أحدا من عائلة فرفر .. فهم نسوا هذه العائلة منذ نكحوا بنات الأكابر .. فنحن أكثر أقاربنا لا يسكنون هذه المدينة لعلمكم يا أولاد .. نحن أبناء بلدة بعيدة من هنا ، جاء أبي لظروف مرض أمنا .. ومرات قليلة كنت أذهب إليهم للمشاركة في عزاء أو فرح ..

يذكر القراء الكرام أن خليلا ذكر سابقا أن والده أتى به وبصبرية وأمهما لمعالجة زوجته أم خليل بعد ولادتها لصبرية بشهور ثم هلك ، ولما فضفض خليل عن نفسه قال : آ ، يا صبرية ! أتحبين الصلح مع إخوتك بل الذهاب إلى وداع أخيك الذي يموت أم ... ؟

فقال عدنان : لا يا خال أنت صاحب القلب الكبير .. سنذهب جميعا للتعرف على أخوالنا وأولادهم وخالاتنا وأولادهنّ !

فقال خليل ملتفا للضيوف : على كل ها أنتم عرفتم البيوت يا أولاد .. وغدا اتصلوا بمالك حتى يرتب لنا زيارة لأبيكم .

فقالت المرأة : ألا تذهب معنا الليلة يا عم ؟!

ـ غدا يا بنية .. حتى تهدأ أعصابنا ونستوعب القضية .. لا أريد أن أنفعل أمامهم ويحدث ما لا نحب .. فهيئوا النفوس أنتم ، وغدا ترتبون مع مالك أو عدنان وتأتون إلينا ونرافقكم إلى حيت تتفقون ، ويذهب الكبار لمصالحة الصغار .. لا حول ولا قوة إلا بالله ..

الصلح

انتشر الخبر سريعا ، كان لانتشار هذا الحدث في برقوقة وأحباب برقوقة خبرا مهما ومثيرا ، فتحدث الناس عن ظهور إخوة الحاج خليل فرفر بعد هذه السنوات من الاختفاء ؛ كأنهم جاءوا من كوكب آخر ، والمؤلم أنهم من سكان المدينة الكبيرة ، وليس كما يشاع بأنهم تركوا البلاد والعباد منذ عشرات السنين ، وإن لهم أحفادا وأبناء ، وإنهم ليسوا في أمريكا اللاتينية وغيرها من مدن العالم كما أشيع في بعض الأحيان .. إذن لخليل وصبرية أهل في المدينة !

فهم منذ انقطع عنهم خليل لم يظهروا في حياته .. واستغربت منى لهذا الخبر العجيب ، أخوة يعيشون في مدينة واحدة لا يتصلون ببعض منذ عقود .. واشتغلت الهواتف يمينا وشمالا تنقل هذا الخبر .. ومثل ذلك حدث في قصر السيد منير أحمد وزوجته وبين الأولاد والأحفاد .. وانشغل الجميع بالتهيؤ والاستعداد لمقابلة الأخ الأكبر لهم ، فكان خالد الشقيق الأكبر لمنير على اتصال مع أخيه ليفهم الكيفية التي سيلتقون بها بإخوتهم خليل وصبرية.. وطلب خالد من الشقيقتين فاطمة وسعيدة المشاركة في هذه المصالحة التي ستتم في بيت الدكتور منير .. فأجلتا اللقاء إلى لقاء آخر ، بعد تصالحهما ، فلم يضغط عليهما ، وترك لهما الحرية ..

ورتب مالك وعدنان مع أحمد ويوسف أن يكون اللقاء الأخوي بعد صلاة العصر ، فلما أتى عصر اليوم التالي أقبل الشابان بالسيارة الأمريكية التي أتيا بها ليلة أمس ، وعلى رأس الشارع المعروف لنا انتظرا ، ولما خرج خليل من المسجد اتجه إليهما وحياهما ، فقال أحد الشابين معتذرا : اعذرنا يا جدي ، كان من المفروض أن يأتي جدنا إليك ليقدم لك اعتذاره ولكنا بينّا لكم عذره والجد خالد مستحيي من مقابلتكم .. فالبركة فيكم .. وتأكد يا سيدي أن الجد منيرا بشوق كبير لحضرتكم وإلى أخته أم علي .. وكله ندم وآسف وحسرة .

وكان مالك قد ذهب لإحضار عمته صبرية وأمه وعدنان ، فركب عدنان وأمه مع ربيع ، وركب مع مالك المعلم خليل وجميلة .. وانطلقوا خلف السيارة الأمريكية وكانوا قد عرفوا المنطقة التي هم ذاهبون إليها ، وفي أقل من ساعة كانوا يزلفون القصر

الجميل الذي يعيش فيه الدكتور منير أحمد .. وكان بعض الشباب يقفون أمام الباب في انتظارهم .. ولما هبط الضيوف تقدمهم خليل أبو أحمد فصافح الشباب وحيا الفتيات وكان الحفيد أحمد يعلن لهم أسمائهم بصوت مسموع ، وتقدم بعضهم أمام الحداد خليل نحو القاعة التي يجلس فيها المريض .. ولما لمح خليل أخاه المريض تقدم نحوه مسرعا ، وانحنى عليه وعانقه وهو يقول : سامحك الله يا منير .. قطعتم الرحم .. غفر الله لنا.

خرجت هذه الكلمات وهو يقبل جبين أخيه والدموع تتساقط على خديه ولحيته والآخر يقول بصوت واهن : سامحني يا خليل .. ظلمناك بهجرنا ـ وأشار لخالد ـ وهذا أخوك خالد .

انتقل خليل معانقا لخالد الذي يقف مضطربا ووجه شاحب ، وتقدمت صبرية لأخيها العليل تعانقه وتسلم عليه ، وهم يبكيان ، وهو يعتذر لها عن عقوقه لها ونسيانه إياهم ، وإنه ناكر للجميل والمعروف .. فسامحته وهي تذرف الدموع ، وجرى العتاب بينهم بلطف مراعاة لصحة السيد منير .. وتعارف الجميع ، واعتذر خالد لهم عن أخواته وقال : لقد خشين توتر هذا اللقاء خوفا وشفقة على أخيهنّ منير ؛ ولكنهن راغبات بالاعتذار لكم .. وسنحاول الاتصال معهن الآن ونقل لهن أن الأمور تسير على ما يرام .. وأن قلب أبي أحمد قلب واسع ، وسيبقى الأخ الأكبر لأسرة أحمد فرفر .. أخذتنا الدنيا وضيق الأفق يا أبا أحمد وغرتنا الأموال والمناصب .. فسامحونا ونحن بين يديك .. لعنة الله على قسوة القلب والجهل .. فأنت الأخ الكبير وصاحب الفؤاد الواسع فاصفح عنا فنحن إخوتك الصغار الذين كنت تنفق عليهم وتعلمهم !

تبسم أبو أحمد لمداعبة خالد وهكذا فهمها وقال : الحمد لله ، وأقول كما قال النبي يوسف عليه السلام ﴿قَالَ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ غفر الله لنا ولكم وها هو حبيبي مالك ابن زوجتي الفاضلة أم ربيع بطل ومحامي قد الدنيا في البلد ودكتور عالمي ، ودرس الدكتوراه في بلاد السكسون ومؤلف كتب ويكتب في الصحف ، وتزوج ابنة نقيب المحامين الأسبق النقيب المشهور الأستاذ الكبير عبد الكريم أبو عزمي ، ومع ذلك ها هو يعيش معنا في حي برقوقة ، وبنى بيتا في برقوقة .. ولم يتخلَ عن أمه وزوج أمه .. لم يكبر علينا ، ولم

يقل لأمه أنا رجل كبير في البلد وهذا الحي لا يليق بي لنرحل لحي بركات وغيره من الأحياء الحديثة والراقية.. وذا أخوه ربيع المهندس المعروف ومدير شركة كبيرة في البلد .. يسكن حي برقوقة الحي الغلبان .. وذا ابن أختكم الدكتور عدنان جابر ولد وعاش وكبر في حي برقوقة ومدير مدرسة كبرى ومسؤول في مجلس إدارة مدارس أخرى ، والدكتور عدنان يمكنه العمل في أكبر جامعة في البلد ، وإخوته صاروا ، منهم الطبيب ومنهم المحامي والمهندس ، وإن رحل بعضهم لأحياء أخرى لم يطلبوا من أهليهم الرحيل والحياة في تلك الأحياء.. الناس هي ترفع من مستوى الحي رويدا رويدا ، تطور الحي بالمباني الشاهقة والشركات والمطاعم والخدمات والشوارع .. نعم هذا هو الأصل .... فلو سكن الشخص في حي بركات حي أصحاب الأموال والثروات فلا ينقطعوا عن أقاربهم الفقراء والضعفاء.. هل لأن أخاهم حداد وأمي عيب وعار كان لابد من قول هذه الكلمات لأنفس عن نفسي .. وغفر الله لنا ولكم ولا تثريب عليكم.. كان من اللازم حضور البنات هذه الجلسة .. لم يعد أمامنا من العمر الكثير .. فنحن حضرنا ولم يهتز لنا شارب ولم تنقص لنا كرامة ..

كرر الأخوان الاعتذار من جديد ، واعترفوا بتقصيرهم ، وقدروا شجاعة خليل وجهاده في تعليمهم ، وأنهم غرتهم الدنيا والمال والسمعة ، وشكر مالك فخر عمه بهم ، وتمنى دوام العافية لهم ، وطلب منير الهاتف وتحدث مع أختيه شخصيا وحثهما على المجيء ، وكان بعض أحفاد فاطمة وسعيدة بين الحاضرين والمستقبلين وحاضرين لقاء الصلح هذا، فتطوع بعضهم للمجيء بجداتهم وأعمامهم .. فصاح منير : المهم جداتكم الآن اذهبوا وارجعوا بهنّ بسرعة حتى يرتاح ضميري وأفارق هذه الدنيا وأنا راض عن الجميع ، وقد نلت بركات أخي الكبير خليل وأختي الكبيرة صبرية .

وذهب حفيدان كل بسيارته لجلب جدته وحثها على المجيء ، وفعلا بعد حين يسير كانت الأخوات قد قدمن بدون أزواجهن وحتى أبنائهن ، وتصافحت الأخوات مع الأخوين خليل وصبرية ، وأخذن يبررن هجرهن تبريرات لا تدخل عقل إنسان واع ومدرك ، وإنما كان الهجر

مجرد جحود وهوى، فالعقوق ليس له عذر أو حجة ؛ فإنما حجة نفسية وغضب وكره وحقد خفي ، وبينما الجميع يعتذرون ويتعارفون ويتسامحون دخلت امرأة المجلس وسلمت ، فقالت لها امرأة جالسة في المجلس : تعالي تعرفي وسلمي على خالك الحاج خليل يا عبير وعلى خالتك الحاجة صبرية .

كان مالك قد عرف من هي المرأة عندما زلفت المجلس ، بل هي عرفته لما شاهدته ، وقد تلاقت عيونها ودهش كلا الاثنين ؛ ولكنها تقدمت تصافح خالها المدعو خليل ورأسها تدور بكثير من الأفكار والخيالات ، وهذا عند مالك أيضا ، ولما انتهت من الترحيب والتعرف التفتت لمالك الصامت والناظر إليها بوجه متلون : ألست مالك ربيع ؟!

هزّ رأسه وقال : بلى ، وألست عبير ناصر ؟!

قالت : بلى ! وأشارت بيدها مستفهمة حتى أن أحدهم قال : لعلكم تعرفون بعضا ؟!

نظر مالك للسائل لحظات سريعة وأفكار كثيرة تلف في دماغه وذاكرته ورد: نعم نعرف بعضا ولقد التقيت بالأخت مرة واحدة على ما أذكر في شركة التجارة العالمية .

قالت عبير : أجل ، وكنت يومها مع برهان زوج أختك منى ربيع !

فتمم مالك ساهما فقال : زوج أختي منى ربيع .. منى ربيع ؟!

ولما خيم الصمت على المكان قال مالك : هذه يا عم خليل يا أبا أحمد ابنة أختك ـ وأشار لعبير ـ عبير تكون أخت زوج منى السابق حازم ناصر !

ذهل السامعون ، وغمم خليل وهو كالمصعوق فقال : ماذا قلت ؟!

ـ أقول أن ابن أختك المسمى حازما هو الذي تزوج أختنا في يوم من الأيام !

كانت العيون تتطلع في بعضها البعض استغرابا وقال خليل : أمعقول هذا يا فاطمة ؟!

فقال مالك : بالتأكيد أليس هكذا يا عبير؟!

فقالت : طبعا ، ما دام أنا أخت حازم .. فحازم ابن أخت خليل أحمد فرفر ، والتفتت لأمها الشاحبة اللون كالأموات وقالت لها فجأة: أتعرفين ذلك يا أمي ؟!

طأطأت فاطمة رأسها مقرة بمعرفة هذه الحقيقة وقالت : كنت أعرف! ولما عرفت صدمت ! ومن أجل ذاك حاربت ذاك الزواج بشدة .

تعجب القوم لقسوة قلب هذه المرأة ولؤمها، فقهقه خليل من القهر وقال : دنيا !! ولكن هذا كان خيرا لنا وللبنت .. أنتم لا تستأهلون ظفرا من بنات أم ربيع .

فتدخلت عبير قائلة : والله يا خالي ما كنا نعلم هذه الحقيقة ، نحن أصلا لا نعرفكم .. نحن من قريب عرفنا أن لنا خالا ثالثا وخالة ثالثة .

فرد مالك وبحدة خفيفة : لا عليك يا عبير .. نحن الآن واليوم فهمنا لماذا لا تريدون مصاهرتنا ولكن الحمد لله أن الله تعالى أبدلها زوجا خيرا منه ألف مرة .

فقالت أم حازم : لا أدري ما أقول يا سيد مالك ؟ .. الأمر كله لله ، وتذكر الآن أن المدعو حازما مريض ويوشك على الموت فكبده مريضة .. والأمر لله !

فتمتموا بالدعاء والشفاء له ، وعاد خليل يقول : كان من المفروض يا فاطمة أن تستغلي هذه الفرصة للمصالحة ومعالجة الوضع الخطأ .. قدر الله وما شاء فعل ، يا أخية فقد يسر لها الله الأخ برهان ، رجل مقدام أحببته أنا أكثر منكم ومن أولادي لو كان لي أولاد .. رجل فاضل أعاد لنا الفرح والحب .. مرضت قديما مرة ودخلت المستشفى أول مرة في حياتي ، ومكثت فيه أسبوعا كاملا ، يومها تمنيت لو كان إخوتي حولي .. ذاك الحدث لا أنساه لليوم .. يومها تمنيت لو أن إخوتي وأبناءهم حولي .. ولكن أولاد هذه المرأة الصابرة معي ـ وأشار لجميلة ـ وقفوا معي وقفة لا يمكن نسيانها .. كانوا معي ؛ كأنني أبوهم الحقيقي ؛ كأنهم من صلبي أنا وللأسف يومها كنت أنا وأختكم صبرية على زعل ؛ لأنني على زعل مع زوجها أبي علي .. يومها أحسست بالوحدة في هذه الدنيا .. حتى سعى الابن البار عدنان يومذاك للصلح بيني وبين أبيه .. حتى أن عدنان سعى بعد تصالحي مع والده أبي علي لخطبة منى والزواج منها ، فرفضته أنا قبل أن ترفضه منى التي كانت متعلقة بابنكم يومذاك ، وقلت له يا ابن أختي أنتم كذا وكذا ، ولم أفتح الموضوع مع أم ربيع بطلبه حتى هي فاتحتني به ؛ لأن صبرية تحدثت معها فأبديت أيضا عدم

حماسي لهذه المصاهرة مع أني لست إلا زوج أم للبنت وإخوتها ، وتركنا الأمر للبنت ، فاعتذرت لأنها تدرس إخوتها وتساهم في تدريسهم ، وكان مالك وحنين صغارا يدرسون بعد .. فظهر لنا المدعو ابنك يا فاطمة ابن أختي ولم أكن أعرف هذا .. فجاءني للمحل وتحدثت معه فقلت احضر أهلك وحياك الله .. ثم تبين لي أن متفق مع منى الفاضلة على كل شيء ، وعرفنا أن أهله غير راضين بهذه الزواج ، وأنه يريد الاقتران بها دون رضا أهله ، فظنت منى الطيبة أن ذلك شجاعة وتضحية منه فأحبت أن تجاريه .. وأنا رفضت يومها بشدة .. ولكنها أبت وغلبتها العواطف وموقفه الغريب وما كانت تراه في التلفزيون فأصرت على الزواج منه ، فاضطررت لتطليق هذه المرأة الفاضلة بعد عشرة سنوات.. ورحلوا من برقوقة لإتمام هذا الزواج الشاذ عندي .. ومع ذلك حارب أهل حازم هذا الزواج ورفضوه .. لماذا رفضت يا فاطمة ؟!

سعلت فاطمة عدة سعلات قبل أن تجيب على السؤال وقالت : رفضت لأنني عرفت أن الفتاة من حي برقوقة .. وكان أبغض شيء إليّ ولليوم هذا الحي مع أنني ولدت فيه وكبرت فيه .. كانت عبير تحدثني عن الحب المزعوم والموهوم بين حازم وابنتكم .. ولما عرفت عنوان منى صدمت ولم ارتح لهذا الزواج البتة .. وهذا العنوان موجود في ملفها في الشركة .. ثم عرفت من هي منى عندما سألت بعض الناس .. فصعقت أكثر .. خليل أحمد أخي ابن أبي متزوج أم تلك المنى فزاد رفضي وغضبي .. وقلت نحن ما صدقنا أن ننسى خليلا وصبرية وبرقوقة فحذرت حازما من هذا الزواج ، ودفعت عبير لتحاول دفع منى عن هذا الزواج .. وأظهرت أمامهم أن هذه فتاة طماعة جشعة متسلقة تريد الولوغ في ثروتنا ومالنا .. وما هي إلا مجرد موظفة صغيرة في شركة .. لا يجوز التعلق بها .. وأننا لا نتزوج إلا من بنات الأكابر والأثرياء وليس أي أثرياء وهكذا تزوج أولادي الكبار والبنات ، فاقتنع الجميع بوجه نظري ولم يدققوا عن سبب رفضي الشديد .. أعرفتم لماذا رفضت هذا الزواج ؟! ولكنه عاند وتزوج رغم أنفنا ، ولم أقبل بالهزيمة والخضوع لمَ يسمونه الأمر الواقع .. وطردناه من الشركة ليطلق فكابر وفتح مصنعا فدمره المصنع وسافر هاربا لأمريكا ، وهناك تحطم نهائيا وسقط في براثن المخدرات والكحول بكثرة

وأرسل لنا يريد التوبة والعودة ، فطلبنا منه الطلاق قبل العودة فحصل ذلك .. وأما لماذا كرهتك أنت يا خليل ؟ لأنني كنت أحلم بدخول الجامعة .. وكنت أنت ترفض بشدة .. وكانت أمنا تكرهكم فغرست فينا هذا الكره ، وأشعرتنا أنك تدرسنا من ميراث أبينا ليس من شغلك وعملك .. وإنما تتظاهر بأنك تنفق علينا لتحملنا جميلة ومنّا .. وكانت مشاكلك المتكررة مع أمنا تدفعنا لهذه الكره والحقد والبغض ، ونراك عدوا لنا ولطموحنا ، ولا تنسى شتمك لأمنا وتهديدها بزواجنا بعد الثانوية العامة ووجود العريس على الباب كما فعلت بأختنا صبرية ..فلما تخرج أخوتنا طلبت أمنا الرحيل من برقوقة .. وحصل ذلك بعد عدة مشاجرات بينك وبيننا .. ثم تعرف أخوتنا على زملاء أغنياء وأكابر وتزوجوا من بناتهم .. ولما درسنا زوجنا أخوتنا منهم .. ورويدا رويدا انسلخنا من جلدنا وعشنا ردحا من الزمن في أمريكا ، فنسينا خليلا وصبرية .. وماتت أمنا وهي غاضبة عليكما وكذلك نسينا برقوقة .. ولما عدنا للبلاد كانت الدنيا قد تغيرت ولم نحاول البحث عنكم والسؤال عنكم ، وانشغلنا بالاستثمار والشركات حتى ظهرت لنا السيدة منى ، وعرفت أنا من هي منى ؟! فجن جنوني فحاربت الزواج بشراسة .. فهذا سبب حقدي وبغضي أنا وسعيدة لك يا خليل وراحت صبرية كما يقولون في الرجلين .. لأن أي اتصال بصبرية سيعيد خليل إلينا .. وتزوجت قبل أن نهجرك ونبتعد عنك نهائيا !

ـ حقد اسود ! وبما أننا في جلسة مصافاة وفتح صفحة جديدة .. اعلمي أن طلاق منى كان خيرا لها ولنا .. وأنت لا تستحقين النعمة .. فمنى الآن دكتورة كبيرة في الجامعة .. وأنتم أفسدتم أخلاقها ، والحمد لله الذي نجاها منك ومن زوجك ومن ابنك الساقط .. وكاد المنحوس أن يدمرها ، فساءت أخلاقها وتحطمت أحلامها عندكم.. ولما طلقت وخلصت منكم كنت قد تزوجت امرأة بعد طلاقي لجميلة ثم ماتت ، وقام المهندس ربيع والأستاذ عدنان بتزويجي من جميلة ثانية بعدما ترملت ، وكان عدنان متزوجا من ابنة أخت جميلة .. وعادت جميلة أم ربيع للحياة معي من جديد في حي برقوقة ، وعادت المياه لمجاريها .. ثم ظهر لنا البطل

برهان أبو خليل ، واستطاع أن يعيد منى لحظيرة العائلة بعدما أفسدتموها .. ونحن اليوم أسعد البشر .. فعادت البسمة والحياة الحلوة بزواج منى من برهان محمود الدين .. فمنى اليوم غير منى التي أفسدتموها بكبركم واحتقاركم للفقراء لقد نسيتم من أنتم ؟! الخيرة فيما يختار العلي القدير .

فقالت عبير: والله يا خال ما كنت أعرف أن منى إلا موظفة عندنا ، وأنها استطاعت أن تسيطر على أخي حازم ، وأن علاقتهما كانت في البداية لهو وعبث وإعجاب شباب ببعض.. وكما تعلمت أننا لا نتزوج إلا من أبناء الأكابر والأثرياء فهذا مسحوب أيضا على البنات .. مع أنني رأيت أحد أبناء خالتي سعيدة تزوج من فتاة أقل منا ثراء ومال .. فلتأثري بهذا المبدأ التعيس قنعت مع أمي في رفض الزواج ممن أقل منا مالا وجاها حفاظا على هذا المبدأ الأناني وعلى تقاليد العائلة .. وبما أننا في جلسة مصالحة وفتح صفحة جديدة فأقول أننا أخطأنا في حقكم عن جهل وبصمتنا .. المشكلة أننا لم نسمع بكم إلا منذ مرض خالي منير شفاه الله !

فقال أحد الشبان مداعبا عبير : والله يا عبير أصبحت تحسين الخطابة والكلام .. من أين استجديت كل هذه الشجاعة ؟!

التفتت إليه عبير وتبسمت لهذا التعليق المتهكم ، ونظرت لمالك الصامت كالتمثال وقالت وهي تشير إليه : من هذا الرجل ! من مالك ربيع ! .. ومن الأخ برهان ! فأنتم لا تعرفون مالكا ولا برهان .. فبرهان هذا زوج من كانت زوجة أخي ، إنه إنسان بطل كما قال الخال خليل .. فأنا أعرفه منذ أيام دراستي في الجامعة .. حتى أننا كنا نسميه المصباح أو هو كان يحب أن يدعى بذلك اللقب.. أتدرون لماذا أيها الضاحكون ؟

ـ آ .. آ .. أيتها الخطيبة ؟!

فتابعت تقول غير عابئة بتهكمهم : لأن كثيرا من فتيات الكلية كن يرغبن وتود إحداهن أن يكون صديقها ، فكنا من جماله وحسنه ووسامته نحوم حوله كما تحوم الفراشات حول النار والفانوس.. ومع ذلك لم تسجل عليه أي قصة أخلاقية في الجامعة ومع كثرة صديقاته .. ومع

ذلك لما قصد الزواج هذا الإنسان تزوج امرأة مطلقة ؛ لأنها الوحيدة التي أحبها بصدق مع أنه لم يرها إلا مرات قليلة .. كما قال لي .. أتدرون من هذه الفتاة ؟ إنكم سمعتم اسمها يتردد هنا إنها منى ربيع ربيبة خالي الحداد .. الذي لم يستعر من مهنته لليوم .. فبرهان بطل فعلا كما قال الخال أبو أحمد.. برهان بدأ ومنى في فتح مكتب تدقيق صغير للحسابات والموازنات للشركات العامة والخاصة وللجرد أيضا .. فتذكرته وتعارفنا من جديد والتقيت بمنى ربيع من جديد .. في البداية ظننتها عاملة معه .. لأنني التقيت بها قبل زواجها ثانية في متجر أثاث كبير .. ولما عرفت أنها زوجة لبرهان كانت بالنسبة لي مفاجأة أيها الكرام .. ولما تأكد ذلك عندي أكبرت الأخ برهان .. ترك كثير من الحسناوات ليرتبط بمنى المطلقة .. هذا موقف كبير ، ومع أنه عرف أنها كانت زوجة لأخي استمر بيننا العمل والشغل ، وكان بغنى عن الشغل معنا ، فالشغل لديه يكبر ويكبر فاليوم مكتبه من أكبر مكاتب الحسابات في البلد.. وحاولت أمي أن أبتعد عنه ؛ لأنه زوج منى أو مطلقة أخي ؛ ولكن برهان ومنى الشركاء في المكتب اعتبروا الأمر عاديا وليس بالضرورة أن كل زواج ينجح .. واعلم يا خال خليل أن أخي حازما عندما كان زوجا لمنى وطرد من حظيرة العائلة لتمرده على قانون أمي أخذ قروضا وفتح مصنعا ؛ ولكنه انكسر ، وصفي المصنع بعد حين ، وبيع ما بيع ، وبقيت قروضا عليه وهي باسمه .. اسمه وحده .. سافر لأمريكا آملا بتحقيق الأحلام في بلد الدولار كما حدث لوالديه قديما .. ولكنه سقط في تعاطي المخدرات وشراهة الخمر آملا بنسيان ما هو فيه من ضعف.. الهيروين لا يرحم.. تضايق أولاد العم منه بعد نقله للمستشفيات عدة مرات فأرسلوا لنا ، فوافق الأهل على عودته إذا طلق منى ربيع .. ففعل وتنازل عن حبه وزوجته ، وصفى المحامي قضية منى مع أخيها مالك المحامي الصغير تلك الأيام .. وعاد حازم المريض المتعاطي إلى هنا للعلاج من المخدرات ، وأدخل كما يعلم الجميع لمركز علاج المخدرات والإدمان .. وكانت الأخت منى تسد أقساط الدين التي تركها قبل سفره ، فلما طلقت توقفت عن ذلك .. فلما علمت الشركات بعودته عادت تطالبه بتسديد الأقساط الشهرية .. فسدد بعضها مما يأخذه من راتب من الشركة .. شهر

يسدد وآخر لا يدفع .. ورفض الوالدان التسديد عنه .. وطلبا منه أن يطلب من شريكته أن تسدد عنه .. فهي التي ورطته في المصنع والديون .. فالتقى بالأخ برهان بالبطل برهان ربما الكثير من الأهل لا يعرفون ذلك .. المهم أن برهان تحدث مع مالك ربيع بالموضوع ، وتحدثوا معي بعد أن عرفوا كم بقي للشركات الدائنة ودفعوا النصف مع أن الأوراق والكمبيالات مسجلة باسم حازم .. فيومها عرفني الأخ برهان على الأستاذ المحامي مالك ـ وكانت تشير إليه ـ ودفعوا النصف عن رضى، وهذا النصف يزوج برهان من فتاة أخرى .. وأنا دفعت حصة حازم وأغلقنا الديون القديمة .. وعلى أن أخصم المبلغ من الراتب الذي أدفعه لحازم .. هذا موقف كبير لبرهان ومالك ؛ لأنني علمت من برهان أن الأخ مالكا دفع مساهمة في دين أخته ألفين دينار .. وأنه طلب منه أن لا يذكر ذلك أمام منى.. هكذا الرجال يا خال خليل! .. وظلت علاقتنا ببرهان طيبة وحسنة ؛ ولكنها في حدود العمل فحسب وما زالت .. ثم علمنا فيما بعد بزواج السيد مالك من ابنة النقيب عبد الكريم وهو صاحب للوالد .. وأخذت أقرأ كتابات الأخ مالك بشغف في الصحف الحزبية وغير الحزبية مع أنني لم أره إلا مرة واحدة .. وحدثت الوالدين بهذا الزواج وقلت لهما إن مالكا هذا أخ للسيدة منى ربيع ، وهو يكاد أن يصير من الأكابر .. لم تهتم أمي بذلك الخبر ، ولم تندم حتى أنني بصراحة أقول يومها شعرت أن بين أمي ومنى حقد شخصي وأنا أقول أمام الجميع يا أخ مالك أنا معجبة بك غاية الإعجاب ، وأقرأ كل ما تكتب أو يصل إليّ .. وتعجبني مقالتك النقدية أو التوعوية والتثقيفية .. أنت مبدع ، وكلما التقي ببرهان إلا وتكون أنت محور حديثنا ، وقد أهداني الأخ برهان بعض كتبتك عندما رأى شغفي بما تكتب في المجلات وغيرها .. فأنا بعد كل هذا الكلام تعلمت الشجاعة والخطابة من هذين الشخصين .

فأبدى مالك شكره وامتنانه لما تفوهت عبير ، وقال بنوع من العتب : شكرا .. يا حبذا لو كتمت أمر الدين .

فعادت تقول وهي تهز رأسها : وربما بعضكم لا يعلم أن الأخت منى اليوم دكتورة كبيرة في

الجامعة ، وأمي تعلم أن حسنا ابن حازم يتتلمذ على يديها ، وكذلك حنان ابنة سلوى بنت خالتي سعيدة .. فلما علمت أمي أن سلوى ابنة أختها تعمل عند منى في مدرسة الأطفال قبل سنوات تألمت وتضايقت ، فعجبنا لهذا التشنج ، وأصرت على سعيدة أن تترك ابنتها سلوى المدرسة ، وسحبت ابنا صغيرا لحازم من المدرسة لأن الأخت منى مديرة لهذه المدرسة لماذا ؟ اليوم فقط عرفنا لماذا ؟! وحدثني حسن ابن أخي أنه عرف الدكتورة منى على شخصه ، وأنه ابن زوجها الأول، وأخبرها أن والده مريض .. فلم تتضايق من هذه المعرفة ، بل سامحت والده ، وأخبرته أنها سامحته عندما حجت مع زوجها برهان .. ودعت له بالهداية والشفاء .. وأن هذا تاريخ لا يهرب منه الإنسان! .. في النهاية أقول يا خال هنيئا لك هؤلاء الأيتام البربرة وقد صنعت منهم رجالا أوفياء ، وقد صنعت قبلهم من أخويك رجالا ولكنهم خذلوك .. هنيئا لك هذا الجهاد

فرح خليل بهذا الكلام من ابنة أخته وقال : أنت فعلا شجاعة يا عبير عندما قلت كل هذا الكلام الطيب !

فهمست ثانية : تعلمت الشجاعة كما قلت لكم من الأخ برهان والأخ مالك .. وأنا سعيدة بهذه المعرفة مع أنني أعرفه من الكتابات والمقالات ، فهذا سيعزز الاتصال بيننا يا خال خليل فهذا يوم ممتع أن تعرفنا على خال طيب لنا مثلك .

لزم أخوالها وحتى أمها وخالتها الصمت ، ولم يعلق أحد بشيء على كلام عبير ، وقد تعجبوا فعلا من قدرتها على الحديث بهذا الشكل ..

وقالت أيضا : أنا فعلا سعيدة اليوم ؛ لأننا سنصبح أصدقاء حقيقيين يا أخ مالك يا أبا برهان

فقال لها مالك : بارك الله فيك .. وتشرفنا صداقتك .. وكل من يحبه العم خليل فنحن نحبه فالعم خليل والد الجميع ، ونحن والله نتمنى أن نقدم له شيئا ولو يسيرا لمَ بذله من أجلنا .. والأخ برهان رجل مبارك يا أخت عبير !

فقال أبو أحمد : نعم ، هذا الإنسان الغائب الآن الحاضر دائما بركة لنا جميعا .. أتدري يا أخي يا منير ويا أخي يا خالد أن هذا الشاب عندما ناسبنا وأخذ ابنتنا منى رضي الله عليها ؟ .. فله أخ

طبيب ربما سمعتم به الدكتور عبد القادر محمود الدين .. فمنذ تصاهرنا وتعارفنا وهو يتابعني أنا وزوجتي جميلة دوما ، وعندما نحاول أن ندفع شيئا يزعل ويحلف ويغضب منا .. ويصر علينا أن نمر عليه دائما .. ولما حاول ربيع ومالك نقلنا لغيره رفض وعتب علينا .. هذا أخو برهان فقط .. وهو طبيب كبير .. فالحق أن ابنة أختي عبير أحسنت الكلام ووضحت أشياء قاسية ؛ ولكنها جميلة وتدفع بقوة لفتح صفحة جديدة بيضاء .. والاستكبار والاستعلاء على خلق الله يضر يا إخوان الشخص نفسه .. ما أثرتم عليّ بشيء .. ربما تأثرت نفسيا في بعض اللحظات العابرة ؛ لأن الأخوة كنز كبير .. ولن نعود لدفاتر قديمة وحسابات عتيقة فنحن كبرنا وكلنا على وشك الرحيل .. فلتصفوا القلوب يا فاطمة ونتسامح ونعفو .. ماذا يقول الدكتور مالك ربيع ؟!

التفت مالك لعمه وترك الهمس مع عبير شاكرا لها ما تفوهت به نحوه ونحو أخته وزوج أخته السيد برهان فقال مالك رادا على العم خليل : كما تشاء يا عم فأنت كما تعلم منذ عقود وليس اليوم أن كلمتك أمر .. ونحن ليس بيننا وبين هؤلاء القوم أي مشكلة .. فالزواج كما يقول الناس قسمة ونصيب والأمر كما قالت السيدة فاطمة الأمر كله لله ، وأنا بالنيابة عن أختي منى أقول ومع ما سبب لها من ألم ، وما تعرضت له من الطرد والتجريح في مكتب السيد ناصر إنها مسامحة وغافرة ، وقد أكدت الأخت عبير بارك الله فيها أن ابن السيد حازم تلميذ هو وابن خالته عندها ، فقد أكدا لهم أن الدكتورة قد سامحت وغفرت لزوجها الأول .. واليوم عرفنا سر هذه العداوة والبغضاء العجيبة ، وكما قال والدنا الكبير أبو أحمد لا تثريب عليكم اليوم ولله الحمد والمنة والفضل بيد الله سبحانه .

وتسامح القوم من جديد بالألفاظ المهذبة ، وعلى أمل أن تصفو القلوب كما صفت الأيدي والألسن .

وما انتهى شهر على هذا الصلح المتأخر عند آل فرفر حتى هلك اثنان ، فالسيد الدكتور الاقتصادي منير أحمد رحل وترك الدنيا لعالم آخر ، عالم غيبي ، وبعده بأسابيع لحق به ابن أخته

حازم ناصر بعد أن قضت الكحول والتشمع على كبده ، ولم تعد صالحة في جسمه ، فانتقل هو الآخر من هذا الوجود إلى وجود آخر ، وإلى رحمة الله الواسعة التي وسعت كل شيء علما .

يؤثر الموت على الناس ؛ ولكن تأثيره متفاوت بينهم ، فربما مرّ على أسرة خليل فرفر وجابر مرور الكرام .. على حسب الحب والصداقة يكون تأثير الموت ، فمن الموتى من ينساه الناس بعد موته بساعات أو أقل ، ومنهم بعد أيام ، وبعضهم بعد سنين ..

وشارك خليل وأولاد زوجته بالعزاء كما يليق بهم ، وعادوا للحياة سريعا ؛ كأن لم يكن هذا الحدث .. ولكنهم كانوا وما زالوا بين أنفسهم يستغربون من حقد فاطمة على أخيها خليل.. وكيف أثر هذا الحقد عليها حتى دفعها لتقف أمام سعادة ابنها وزوجته حتى فرقتهما عن بعضهما ومع الصلح الذي حدث وموت ابنها حازم ما فكرت بزيارة أخيها خليل أو زيارة الحارة التي ولدت فيها والبيت الذي استقبل صرختها الأولى في هذه الدنيا .. والسيد خليل مع ذلك لم يهتم بذلك كثيرا ، وشارك في عزاء ولدها ، وقام برفقة صبرية أخته وزوجته جميلة بزيارتها بضع مرات قبل موت حازم وبعده .

وتأثرت الدكتورة منى ربيع قليلا بما علمت من سر عذابها مع زوجها الأول ، والسبب الرئيس لبغضها، ومع ذلك مرّ الحدث بعد كل هذه السنين مرّ سريعا وذكرى ، وشاركت بالتعزية بنفسها وشخصها بالسيد منير وبالسيد حازم ، وتقبلت عذر أمه ولم تقل لها إلا قدر الله وما شاء فعل .. هذا أمر الله .. والخيرة فيما يختاره الباري سبحانه وتعالى ، وكان أكثر حديثها مع السيدة عبير ناصر ، وقد تعرفت على بعض شقيقاتها الحاضرات العزاء ، وإن كانت قد عرفت بعضهنّ أيام عملها معها في الشركة .

وتلقت كذلك أثناء العزاء بحازم اعتذار السيد ناصر الثري المعروف بالبلد ، وتأسف لها عن موقفه ضد زواجها ، وعن موقفه عندما طردها من مكتبه ، وتأسف عن جهله بدوافع زوجته التي عادت وحاربت ذاك الزواج .

فقبلت السيدة منى ربيع عذره واعتبرته من الماضي الذي مات ، وإنه ليس لديها حقد وكره لأحد

فأثنى عليها تلميذها حسن ابن الميت ، وأراد السيد ناصر أن يهديها سيارة من آخر طراز ، فرفضت ورفض زوجها برهان هذا الإهداء شاكرا للرجل ، وقال له : الكلام بلسم للجراح يا سيد ناصر .. وكما قالت الدكتورة منى الأمر لله .

واضح أن هناك علاقة جيدة بين الأسر بعد هذه المصالحة ، وبعد دخول الموت بينهم مذكرا بالآخرة والحياة الباقية .

فكان خليل يقول لجميلة : إنني يا جميلة أتذكر باستمرار الأيام التي كنت أئن منها من بعد وجفاء إخوتي وأولادهم عني .. ما زلت أتذكر تلك الشكاوي .. فها هي الأمور بعد عقود من السنين تعود صافية .. أليس من المؤلم أن نخسر ثلاثين سنة ونحن متدابرون متقاطعون؟! آه منك أيها الإنسان ! .. الحمد لله على كل حال.. الإنسان اليوم يموت قرير العين .. رحم الله سيدنا يعقوب .. كيد أولاده أبعد عنه يوسف أربعين سنة .. كما نذكر ونقول كثيرا .. الصبر جميل .. لقد رفع الأولاد جميعهم منى وربيع ومالك وحنين وبرهان وسعد وعدنان رأسي شامخا يا جميلة .. رضي الله عنهم ، وهم محل فخر كبير لدى أهل برقوقة .

قالت جميلة : هذا من خيرك يا خليل .. ألم تربهم صغارا وتعلمهم شبابا؟ فأنت والدنا وسيدنا وهل ينسى فضلك ؟! ومهما قدمنا فنحن مقصرون ، فأيام الفقر واليتم لا تنسى يا رجل .. لقد كنت لنا خيرا من الأهل والأقارب .

ـ بل أنتم كنتم لي خيرا من الأهل والأقارب.. هل دخل ابن برهان كلية الطب كما سمعنا من منى ؟!

ـ نعم .. لقد تيسر له مقعد في كلية الطب ، يريد أن يكون مثل عمه عبد القادر وبعض أبناء أعمامه الآخرين ، وهو شاب نبيه وابن أبيه .. فسيصير خليل الصغير طبيبا إن شاء الله تعالى !

ـ وابن أمه كذلك يا جميلة !

ـ وأمه يا خليل !

بعد موت الأخ لأب لخليل بشهور قليلة اعتذر خليل من برهان وأخيه المهندس عبد الرحيم

وترك العمل في المصنع ، وبعد إلحاح منه وافق الرجلان على ذلك التقاعد .. ثم بعد ذلك بقليل ترك عمل المحددة الذي ضعف أصلا منذ عمل في مصنع الحديد .

وكانت أيام هذه الأسر تمر هادئة وطبيعية دون مشاكل وهموم تذكر .. الكل في عمله ووظيفته برهان أصبح معروفا بين رجال المال والأعمال ، واشتهر في المدينة بالمحاسب الكبير ، ثم إن صحته بعدما تحسنت كما قلنا سابقا أخذت مشاكله في الجهاز العصبي تعود ويضعف بدنه ، حتى أنه بعد حين ترك مزاولة الأعمال وعكف في البيت يقرأ ويكتب حتى يعود الأولاد من جامعاتهم ومدارسهم .. وفي المساء يذهب للسهر عند مالك أو ربيع أو خليل ، وأحيانا كثيرة يلتقي الجميع في بيت أم ربيع ، ومعهم سعد الدين وحنين ، وأحيانا أخرى يرافقهم الأولاد والبنات .. وقبل أن يتخرج خليل برهان من كلية الطب كطبيب عام رحل السيد خليل أحمد فرفر عن هذه الدنيا ، وأصاب القوم حزن شديد على فراقه ، فقد أحبوه حبا جما ؛ ولكن هذا هو مصير الكائن الحي ، وحتى أن جميلة على أثر وفاته ظهر عليها الكبر سريعا ، وأصرت زوجة مالك على أن تعيش حماتها بقية عمرها عندها ؛ ولكن ربيعا رفض وعارض وقال لهم : أمي أنا أحق بها ، وإن ابنة أخيها عندي .

وقوموا بيت خليل ووزعوا قيمته على الورثة ، فكان من نصيب جميلة الربع لعدم وجود أبناء للسيد خليل ، ووزع الباقي على صبرية شقيقته ، وعلى إخوته وأخواته لأب خالد وفاطمة وسعيدة وتنازلوا عنه للفقراء لأن صبرية رفضت أخذ حصصهم ، وأقام أيتام خليل الحداد عمارة متوسطة مكان البيت ، وسكن فيها ربيع وأفراد أسرته ومعهم الحاجة جميلة من أجل الذكريات التي كانت لهم مع أبي أحمد خليل فرفر أبوهم الروحي راعي الأيتام .

وأما بطلة هذه القصة الإنسانية الدكتورة منى ربيع فقد تربعت على كرسي عمادة كلية الآداب ولما تخرج خليل ابنها من كلية الطب قدمت استقالتها من العمل ، وعكفت قرب زوجها العليل الذي أخذت قواه تضعف يوما بعد يوم وآثرت البقاء معه وحوله وقالت : آن لي أن أتقاعد!

وكانوا قد تركوا بيت العائلة بيت الأسرة الكبيرة ، وأنشئوا قصرا خاصا بهم وبأولادهم في حي

مجاور لحبيبهم ، وقد أقامت منى خلال سنوات البناء حديقة رائعة في جنبات القصر ، وعرائش العنب ، وأحواض الأزهار والورود .. وكان بيتهم قد أصبح محطة للزائرين والمحبين لبرهان .
ورغم العلاجات الكثيرة التي أخذها السيد برهان محمود ، فما كاد يتخرج ابنه محمد من الجامعة بقليل حتى كان يفارق الدنيا تاركا محبيه يبكون عليه الدموع الحارقة .. فقد كان محبوبا لديهم.. بل أصيب مالك بصدمة لم يتوقعها مع أنهم كانوا يرونه يذوب بينهم كل يوم.. وترك العمل أياما حتى استرد أعصابه وهدوءه واستوعب المصيبة .

وأصبحت منى وحيدة القصر وسيدته الأولى.. يذهب الأولاد لعملهم ودراستهم وتبقى وحدها مع الخادمة التي شغلتها عندما رحلت للقصر .. فكانت تتحرك وحدها في البيت والحجرات .. تجلس على كل مقعد كانت ترى برهان جالسا عليه ، وتأخذ بمخاطبته .. تذكر كلماته وأحلامه .. تنتقل للمكتبة الكبيرة التي كانت في وسط البيت ، وتجلس فيها طويلا كما كان يفعل برهان في السنوات الأخيرة .. تقرأ من الكتب ما كان يحب أن يقرأه مرة ومرتين .. تقف إلى الشباك حيث كان يقف ، وتنظر للفراغ والهواء ، وتبقى واقفة تبحلق في الفضاء مقدرة المدة التي كان يقفها وتفعل كما كان يفعل .. لقد أحبت هذا الإنسان من كل قلبها ، وقد شغفها حبا بأخلاقه وكرمه وحبه لها .. فهو الشمعة التي أضاءت لها الحياة بعدما كادت تهوي في دركات الشقاء والفساد والتقليد الأعمى .. كانت تحس أنفاسه حولها ، وهو يبتسم لها ، ويحبب لها الحياة ، وأن المطلقة ليست نهاية حياتها في الطلاق .. المجتمع المعاصر يقسو على المطلقة ، ويجعل كل أسباب الطلاق عليها ويحملها لها .. أو فشل الإنسان في مصنع فهذا لا يعني نهايته فلكل جواد كبوة .. تدور في البيت ساهمة الذهن والفكر سارحة في ذكريات وجلسات.. تجلس في حدائق القصر وتتلفت يمينا وشمالا كما كان يفعل برهان .. وتقطف وردة حسناء وتقول لنفسها : كان يحب قطف الورود ويستنشق عبيرها .. ثم يقدمها لها مع ضحكة وبسمة كبيرة ولفظة حلوة كالشهد .

لقد شعر الأبناء بالفراغ الكبير الذي تركه والدهم في حياة منى أمهم.. وأصابتهم الحيرة بما

يفعلون .. وتحدثوا مع خالهم مالك لحب أمهم له فقال لهم : دعوها إنها تحب برهان .. هي ليست مريضة .. إنها تحب أن تعيش مع تلك الذكريات .. أنتم لا تعرفون برهان كما تعرفه منى ذلك الفارس الجميل الذي هبط عليها من السماء كما كانت تقول .

كانت منى تقرأ كل ما خطه زوجها من خواطر وأفكار ، وكانت تفكر بطباعتها ولكنها قالت لأ .. هي لي وحدي .. وبعدما ألحق به إلى هناك وأموت يفعل بها الأولاد ما يشاءون

تقدم أحدهم للزواج من ابنتها التي تصغر خليل بسنتين .. احتارت في الأمر .. فالبنت كبرت تكاد أن تصل للخامسة العشرين وتحتاج لزوج .. أسرة جديدة .. وتحدث الأولاد مع خالهم مالك لمعرفتهم بقوة محبته لأبيهم وحبه له، ولإعجاب أمهم بأخيها مالك وأنها تقدم رأيه كما عرفوا ذلك من أبيهم.. تحدث مالك أبو برهان معها في شأن البنت والزواج فتركت الأمر له فتحدث مع جدها الشيخ الكبير وأعمامها، وتزوجت من قريب لأبيها يعمل طبيبا ، ورحلت زهرة من البيت .. بعد وقت يسير خليل أيضا تزوج .. امرأة جديدة دخلت القصر وهي أيضا من بنات أحد أعمامه.. منى لا تحس بذلك كانت ترى أشخاصا يدخلون ويخرجون .

جلب لها خليل طبيبا نفسيا وتحدث معها فترة من الوقت ثم قال لزميله في المهنة : لا شيء عندها إنها سليمة الذهن والبدن .. ولكنها تحب أن تعيش على ذكريات الماضي مع زوجها الذي مات لقد كانت متعلقة به تعلقا ملك عليها كل مشاعرها وحواسها ، فهي لم تفكر بأنه سيتركها في يوم الأيام .. فأصابها ذهول أثر على الدماغ .. فهي تشعر أنه لم يفارقها بعد .. وأنها تشعر بفراغ كبير بعد ذهاب بدنه .. فهي تحب العيش مع ذكرياته وحركاته ؛ كأنها لم تفارقه ولم يمت في قلبها بعد .. دعوها فرويدا رويدا ستنسى كل ذلك ، ومع مرور الزمن سيزول الوهم وتعود للواقع والحقيقة .. دعوها مستمتعة بهذا الوهم .. أعتقد أنه لا خطر عليها وعلى عقلها بإذن الله .

كانت منى مدركة للقلق الذي يساور الأسرة من اعتكافها الدائم في البيت ، وإنما تتحرك في الأماكن التي كان يجلس فيها برهان .. وتدرك أن ابنها البكر تزوج وأن هناك زوجة لابنها تعيش معهم في البيت .. وأن ابنتها الكبيرة زهرة قد تزوجت .. تدرك ذلك كله ؛ ولكنها أحبت أن

تعيش على أن برهان ما زال معها .. وإلا هي كانت تدرك أنه عندما تجدد المرض والعلة بدأ يموت ويذوي كالشمعة المحترقة.. كانت ترى ذلك وتشعر؛ ولكنها صامتة حزينة من الداخل لم تحب أن يعرف أنها تعرف أنه يموت ، وأن الطب عاجز عن فعل شيء .. كانت تعيش في سعادة في مثل هذه الذكريات ، ثم ألف الأولاد هذه التصرفات الساذجة .. ووصوا الخادمة أن تضعها تحت مراقبتها وعيونها باستمرار .

كان مالك ربيع يعرف شخصية منى وتكوين منى ، وفهمها منذ الصبا وعرف من هو برهان بالنسبة لمنى التي انهارت أحلامها الكبيرة في أول معركة من حياتها، ولولا ظهور هذا الإنسان في حياتها لربما ضاعت وسقطت .. وكيف ملك جوارح وفكر منى؟ وإن كانت تحاول أن لا تظهر بالضعف أمامه .. فبرهان شيء عظيم بالنسبة لها .. ولما تقدم أحدهم للزواج منها ضحك مالك لهذا العرض مع أن منى قد دخلت على الخمسين وزادت ، ومع ذلك لا يظهر هذا السن عليها ، ويمكنها أن تعيش زوجة من جديد ؛ لكنه يعلم أن منى كانت لا ترى في الدنيا إلا برهان وتحرج من الطلب ، وحدث ابن منى الطبيب عن رغبة الرجل الصديق للعائلة بهذه الرغبة .. فلم يتحمس ويتشجع أولادها لهذا الطلب .. بل تعجبوا ممن سيفاتح منى بذلك .. صحيح أن برهان مات منذ أربع سنوات ؛ لكنها مازالت تناجيه وتعيش ساهمة معه في البيت .. فكر مالك قليلا بعد صمت الأولاد .. فكر أن يضع الأمر بين يدي حنين التي أبدت شكوكها بموافقة منى على الزواج ، ولو كان الزوج صديقا لهم وللأسرة .. وهو عالم أرمل مثل منى.. وأمام إلحاح العائلة تحدثت حنين مع أختها في موضوع الزواج والحياة الزوجية .. ولم تثر منى في وجهها واستمعت لها هادئة ساهمة كعادتها بعد موت برهان .. فتشجعت حنين وأعادت كلامها عن استمرارية الحياة وأن الزواج من عمارة الكون وسمة الحياة .. إنهم كانوا يرون ربما أن يكون زواجها ثانية مخرجا لها من الحالة النفسية التي تحياها .. فظهور رجل آخر في حياتها قد يساعد على عودتها للحياة والعمل من جديد ، فلما سمعت كلام حنين قالت لها منى : أنا أعرف أنكم تظنون أنني مريضة لأنني منذ مات فارسي وسيدي برهان وأنا أعيش على أنفاسه وذكرياته ..

وأعرف أنكم تظنون بزواجي عافيتي .. أنا وحدي أعيش هذه الذكريات والأحلام يا حنين يا حبيبة مني .. وأنا أعرف أن برهان لن يغضب مني إذا تزوجت بعده .. فهو يحب لي السعادة .. فأنا سعيدة بحياتي يا حنين .. أنا غير محتاجة لرجل بحياتي لأنني أحب أن أبقى لحبيبي في الدنيا والآخرة إن شاء الله.. لست بحاجة للرجال أو لرجل ينسيني برهان وأيامه وأحلامنا.. فأخبري مالكا أن يعتذر لصديقه وصديق العائلة .. ودعوني أحيا هذه الأيام الباقية لي بهدوء وسكون كما أحب .

حاولت حنين مرة أخرى ثم عانقت أختها وقالت في النهاية : برهان يستحق أن تلقيه في الآخرة واعذريني لهذه المحاولة .. عيشي في أحلامك وهمساتك مع البطل برهان .. فهو الذي أعطاك الحياة من جديد بعد فضل الله ، رحمه الله رحمة واسعة .

أحلام مالك

لما مات برهان محمود وترك منى ربيع وحدها في القصر قل خروجها منه .. أيامها تتجول داخل حجرات القصر وحدائق القصر ، وإذا جلست مع ضيوفها وضيوف أولادها تجدها صامتة ساهمة تمسك وريقات كتبها برهان أيام عكوفه في البيت .. وإذا تكلمت تكلمت عن أيام برهان ومواقف دارت بينهم .

ماتت أمها جميلة وهي على هذه الحالة بكت قليلا ، ولما انتهى العزاء عادت لبيتها ساكنة هادئة عرض عليها أحد أصدقاء العائلة إدارة جامعة أهلية ، فضحكت للعرض وقالت : أشكرك يا دكتور نزار .. فأنا نسيت التعليم والمحاضرات والإدارة .. أنا لست بحاجة لمال وإشغال وقت فوقتي في المكتبة أقرأ وأكتب !

وهذه المحاولة فشلت أيضا في إعادة منى لحياة العائلة والعمل ، بل شركة المحاسبة والتدقيق التي أنشأها برهان ومنى قام الأولاد ببيع حصة والدهم فيها ، وكان خليل يتفاوض مع أعمامه وأخواله لإنشاء مستشفى خاص حديث ومتطور ، وكف الأهل والأصدقاء من التدخل في حياة منى الخاصة .. ولكنهم كانوا حولها باستمرار يغدقون عليها من حبهم وعطفهم .. فأبناء أختها وإخوتها يترددون دائما عليها ، وفي كل فرصة يجيئون للقصر ويسعدون برؤيتها وسماع حديثها وذكرياتها وكلامها عن برهان زوجها رغم سماعه مرات ومرات .. يسمعون بصمت وهدوء ثم ينصرفون !

وحتى عبير ناصر زارتها وجلست معها عدة مرات ، وكان كل حديثهما حول برهان وأخلاق برهان .. وتتذكر منى أول مرة رأت فيها برهان عندما دخل عليها معرض الأثاث مستنجدا بها طالبا مساعدتها لشراء أثاث مكتب للمكتب الذي كان يحلم بولادته .. كان يقصد التعرف عليها والاحتكاك بها .. فتفرح وتملأ السعادة وجهها .

تراها الخادمة تخاطب الكتب ورفوف المكتبة ؛ كأنها تتحدث مع الزوج الغالي .. رغبوها بالسياحة في الأرض .. نزهة .. رحلة إلى مكة المكرمة والمدينة المشرفة .. اعتذرت عن كل هذا

فمنى كما يعلم القارئ العزيز قد قامت بأداء فريضة الحج والعمرة في حياة زوجها برهان كانت ترغب أن تعيش مع ذكرياته .. كانت سعادتها كل هذه السنوات على هذه الذكريات .

دخلت عليها ابنتها جميلة يوما قائلة : كيف حالك يا أمي الغالية ؟!

ـ بخير يا ابنتي .. أتصدقت عن والدك اليوم ؟

ـ نعم تصدقت بمائة دينار .. وخالي مالك ما زال ينفق على كل الأسر التي كان يساعدها والدنا الحبيب يا أمي الحبيبة .

ـ شكرا لكم جميعا .. مالك مثلي حزين لذهاب برهان كيف أطفالك ؟

ـ بخير يا أمي الغالية .. سيمر زوجي ليجلس معك مساء .

ـ يا مرحبا بكم .. هل عندك كلام ؟؟

ـ نعم يا أمي الغالية .. خالي الدكتور مالك رشحوه لمنصب رئيس الحزب .. وربما يشارك في انتخابات المجلس النيابي .. أحببت أن أقول لك ذلك الخبر .. ويشاع أن الحزب قد يشارك في الوزارة القادمة .

ـ مالك بطل مثل برهان .. ويستحق كل خير .. خالك إنسان عظيم يا جميلة !.. رحمك الله يا برهان .. كنت تحب أن تأتيني بأخبار مالك قبل أن تظهر .. كان أبوك برهان ذا ذكاء نادر .. ويستطيع كشف الأخبار بسرعة ، وربطها ببعض ويخرج بنتيجة تصدق غالبا .. رحمك الله يا برهان .. أسعيدة أنت مع زوجك ؟!

ـ نعم يا أمي الغالية .. أنا في غاية السعادة والحب مع محمد عبد الرحيم .

ـ نعم ، أجمل شيء في الكون الحياة الزوجية السعيدة .. إنها تخفف من مشاق وإرهاق العمل والحياة يا جميلة .. فحبي زوجك واخلصي له .. فأولاد الحاج محمود الدين وأحفاده أناس رائعون وطيبون ويحترمون نساءهم وبناتهم .. لعله يكون كأبيك .. مع أنني لا أرى له مثيلا !

ـ أكيد يا أمي الغالية فأبي فارس ورجل عظيم !

وأخذت تكيل مدح أبيها الحبيب أمام أمها التي تحب سماع ذلك ، والأم تؤكد ذلك ، ثم

انسحبت البنت من عند أمها عندما حضر الأخوة من الخارج ، وذهبت تقول لأخيها الطبيب وهي تبكي بحرقة : يا خليل إنني أخاف على أمي الجنون والهلوسة !

قال خليل : لا تخافي ولا تبكي .. أمك لا شيء فيها .. فقد تحدثت مع عدد من الأطباء والأخصائيين النفسيين وعلماء الأمراض النفسية والعصبية ، كلهم أكد لي أنها طبيعية ، وإنما هي ترى راحتها في هذه الحياة .. وها أنتم ترون أنها تتحدث معنا وتسأل عنا وعن أخبارنا ، وتفرح لما نتحدث عن شيء مفرح ، وتحزن لما نحدثها عن شيء محزن .. وإن يبدو لنا أنها غير متفاعلة معنا كما كنا نعهدها قديما .. إنما الأمر أنها ملت الحياة بفقد برهان وأحست بفراغ كبير بفقده البدني .. فقد كان يشكل شيئا كبيرا في حياتها.. والإنسان عندما يفقد شيئا كبيرا يعز ويصعب نسيانه بسهولة ، فكيف إذا كان زوج مثل أبينا ؟! .. لا جنون هنالك ولا مرض نفسي وهذه الأعراض لا تشكل عليها أي خطر .. ولو كانت حالتها مرضا لزادت مع كل هذه السنوات التي مرت عليها .

مسحت الفتاة الدموع التي تساقطت أسفا وحزنا على أمها ، ودعت لأخيها بالتوفيق وقالت : أرجو ذلك يا أخي .. فأنا أحب أمي جدا .. وابن عمك زوجي محمد قادم الليلة للعشاء معكم والجلوس مع أمي .

ضحكوا وقال خليل : ونحن نحبها مثلك لن نقول أكثر منك .. فالحب هو الحياة ! .. وأهلا بأبي زكريا ..

وقد تزوج أولاد منى ذكورهم وإناثهم إلا صغيرهم إبراهيم ، وهي ما زالت تعيش في صومعتها وذكرياتها الخاصة مع برهان .. وقد تأقلم الأولاد وزوجاتهم على هذا الوضع .. تصمت طويلا ثم حديث عن برهان الميت .. كانوا يستغربون من حب منى للبقاء في البيت ، وكم كانت تكره الخروج ولو بضع ساعات .. حتى عندما تساق للعيادة أو المستشفى عندما توعك تشعر بتعب ونصب حتى ترجع إلى البيت فيعود لها الهدوء ويختفي التوتر.. وتعود الابتسامة ترتسم على وجهها الشاحب السارح .

كانت مسرورة في حياتها مع ذكرياتها .. كرروا عليها العودة للعمل والإدارة ووضعها في منصب رفيع بإحدى الوزارات كأمينة عامة .. فضحكت وقالت : سنة .. سنتان ثم ماذا ؟! لا دعوني في صومعتي ومع كتب وأوراق سيدي برهان .. أنا شبعت من الدنيا .. أليس لي بيت وأولاد وأحفاد وتزوجت مرتين ؟! كفاية .. فلندع الفرصة لغيرنا .. أنا ما صدقت واستقلت من عمادة الكلية .

فيدركون أنها في وعيها الكامل .. فيلوذون بالصمت ، وتختفي الوسائل والمحاولات إلى وقت آخر لإخراجها من تقوقعها في بيتها .

قبل أن نودع أبطال قصتنا الذين عشنا معهم هذه الصفحات والأحداث الشخصية من حياتهم المديدة .. ندخل بكم إلى بيت السيد مالك ربيع أحد أشخاص هذه القصة .. كلنا يعرف مالكا ونعرف نشاطه المستمر منذ وعي على هذه الدنيا ، كانت زوجته هناء تجلس معه في شرفة البيت الحديث الذي أنشأه في حي برقوقة ، وكان والد هناء قد مات منذ أيام قليلة ، فقال لها : رحم الله الوالد يا أم برهان .. كان والدا لي ليس لك فحسب .. كان محبا لأمته ، وكان رائدا وطامعا أن يجعل الحزب حزب الأمة والشعب .. وقد تضايق من فشل الحزب في الانتخابات الأخيرة ، ومن عدم تحقيق الحزب لمقاعد تليق بالحزب العريق .. لقد بذلنا جهدا جبارا ؛ ولكن الناس لم يروا ويقدروا هذه الجهود .

فقالت الطبية هناء الواعية للحس السياسي في البلد منذ نعومة أظفارها لحياتها في بيت تشغله السياسة: هناك أخطاء كان على أبي ـ رحمه الله ـ أن يدركها ويتنبه لها .. فالتغيير متسارع في المدينة والمدنية ، وبين الناس وبين الطلاب والعمال.. فالأجور تتضاءل أمام الاستهلاك الكبير.. فالسلع كثيرة والخدمات أكثر وأصبحت مهمة لحياة الناس ورفاهيتهم .. والأجور لم تعد تغطي الكثير من هذه الخدمات والسلع

ـ ولكننا بذلنا جهودا جبارة في تحسين أوضاع العمال والصناع.. واستيراد مواد رخيصة ونظيفة

ـ وأذكر أن التنافس الحزبي كان شديدا في هذا الموسم .. الخدمات الاجتماعية أيضا أصابها

ضعف وترهل يا مالك .. لا يجب أن تعتمدوا على تاريخ الحزب وماضي الحزب .. التجدد مطلوب بين كل زمن وآخر

ـ هناك عدة لجان قامت لدراسة أسباب الخفوق الكبير في الشارع .. فرحم الله الوالد عبد الكريم لقد أثرت نتائج الحزب على صحته ونفسيته

ـ رحمه الله .. المهم أن لا تتأثر أنت بالهزيمة التي حدثت ، وعليك أن تعيد تقييم نفسك ودورك أنا استغربت لعدم ترشحك في هذه الدورة .. مع أنك أذعت رغبتك بذلك .

قال: للأسف أنا كنت أعرف نقاط الضعف عندنا ، وحاولت من خلال الصحيفة إرسال رسائل لمجلس قيادة الحزب .. لكنهم لم يسمعوا شيئا .. لم يعد بعضنا يقرأ لبعض .. شبعنا أو مللنا من القراءة .. فلذت بالصمت حتى تنقشع هذه الجولة .. ولما خيبت النتائج الآمال ، بعضهم صحي وبعضهم ما زال يكابر .. ثم كان قرار عدم المشاركة في أي حكومة جديدة حتى يعود للحزب حيويته وحضوره الشعبي .. ثم جاء موت الوالد العزيز!

ـ سمعت من نضال أنه سيحدث تغير كبير في قيادة وإدارة الحزب!

ضحك برهان وقال : ولكنه تغيير رؤوس بدون تغيير فكر وأساليب فذا لا يحل الضعف الموجود فينا .. فالحماس وحده أحيانا كثيرة لا ينفع .

ـ تحدث مع نضال فربما استفاد من ملاحظاتك .

ـ تحدثت معه كثيرا .. فأخوك يجب أن يسير على خطى والدك ، وهو إرضاء جميع الأعضاء والقيادات .. وعدم قطع الخطوط مع الشباب والكبار .. وأنا أخشى إذا لم يحدث تغيير جدي في بنية الحزب أن نخسر في الانتخابات القادمة خسارة أكبر وأشد من هذه التي وقعت منذ شهور ، ونفشل فشلا ذريعا إذا بقي الصراع الخفي بيننا .. يستغل البعض مرونة الأنظمة والتعاليم للعبث وتحقيق مأرب شخصية .

اهتزت هناء لم يتفوه به مالك وقالت : الوضع خطير إذن !.. تناقش مع نضال وأخي الأكبر عزمي وغيره من الشباب الصاعد .. فقد زادت الأحزاب في البلد .

ـ أخشى أن يفسر ذلك على غير محله ، وعلى أنه رغبة في الانشقاق والابتعاد .. ولكن سأحاول صادقا وأحاول .. فضعف الحزب موت لنا

ـ إن شاء الله سيتحسن الحال .. فكافأتك معروفة للجميع .

تبسم مالك وقال : الكفاءة جيدة وممتازة ؛ لكن الآخرين أحيانا لا تعجبهم هذه الكفاءة ، ويحبون الإصرار على تحجيم الآخرين .. حتى أن بعضهم لا يحب الانتقاد الذي أعرض به في الصحف والمجلات ويتهمون ويتهمون ..

ـ حاول أيها الحبيب ..أنا واثقة من قدرتك ومن أساليبك الذكية لتحقيق الغايات الكبرى .. فقد سمعت أبي يوما يقول إنك أمل الحزب في المستقبل

ـ أرجو ذلك يا أم برهان .. تحدث معي من أيام ـ أثناء عزاء والدك ـ ابن خالك عماد ..

ـ ما رأيك بأن ندعوه وأخته (علا) وخالي للغداء معنا غدا .

ـ تحدثت معه ومع ابنة خالك بذلك ؛ ولكنهم اعتذروا بأن وقتهم ضيق ، فهم جاءوا لعزاء أمك أولا ثم أنتم .. وأثناء لقائي بابنة خالك طلبت مني كتابا جديدا لترجمته ونشره في أوروبا فتركت هذا الأمر لك لتختاري بعضا من الكتب المتوسطة الحجم التي الفتها لتقوم هي بترجمتها وطبعها ونشرها ..

ـ سأتحدث مع خالي ثانية وأدعوه للعشاء معنا غدا .

ـ افعلي .. فهي فرصة للقاء الأولاد بهم .. فهم يذكرونهم من أيام بريطانيا .. وكثيرا ما يسألني عنهم برهان .

نهضت هناء واتصلت ببيت أهلها سائلة عن خالها ، فلم تجده ولا أولاده ، فقد ذهبوا للفندق فإنه يحب المبيت في الفندق .. اتصلت بالفندق فقيل لها إنه لم يحضر بل خرج مع ولديه في مشوار فتركت هاتف منزلها عند موظف الاستقبال قائلة : إذا سمحت دعهم يتصلون بهذا الرقم !

وعادت للجلوس وهي تقول : عندما يأتون سأحاول أن أقنع ابنة خالي بزيارة الدكتورة منى أم خليل .. كانت منى عندما تقرأ في الكتاب الذي ترجمناه لك قديما تحب أن تتعرف على

مشاركتي في الترجمة ، وتقول ضاحكة : أنا خريجة إنجليزي وقضيت سنوات عمري في الترجمة وللأسف لم أترجم لأخي أي كتابفأضحك وأقول لها الحظ يا أخت الحبيب

قال مالك : والله فكرة ! يا هناء ! لماذا لا أطلب منها ترجمة كتاب .. فأنا لدي كتاب في القانون لم يترجم ولم يطبع !

ـ كتاب في القانون .. ما هو هذا الكتاب الذي لم يطبع ؟!

ـ مجموعة محاضرات كنت قد ألقيتها في إحدى الجامعات .. عن أهمية القانون في حياة الناس وأهمية الالتزام بالقانون لتحقيق العدالة في الأرض .. مع مقارنات فقهية أصولية .

ـ حاول .. إن منى ـ رضي الله عنها ـ لا تحب أن تخرج من حياتها مع برهان رحمه الله .. مع أنها موقنة بموته ورحيله .. تعيش معه لليوم !



إبراهيم برهان

قامت هناء وابنة خالها علا بزيارة الدكتورة منى ، ولما عرفت منى زائرتها انبسطت ورحبت بها ترحيبا حارا ، وقالت : يا سلام ! .. نحن التقينا في لندن على ما أذكر ، وإن كان وقت اللقاء قصيرا ؟!

هتفت هناء فرحة بتذكر منى وقالت : يا الله ! فعلا قد التقيتما ، أنا ظننت أنها أول مرة تلتقيان

ردت منى : لا ، نحن التقينا مرة أثناء علاج برهان في بريطانيا بعد الحادث الذي أتعبه وكان لقاؤنا قصيرا .. فأهلا بمترجمات كتب أخي مالك .

ولما شربوا الشاي نزلت بهم منى إلى إحدى حدائق القصر ، ولما جلسوا ، قالت منى : لقد كان العزيز برهان يحب كل مساء أن يجلس هنا .. ونذهب في تذكر أول أيام التقينا بها !

عزت الضيفة منى بوفاة زوجها ، وإن كان العزاء متأخرا ، فقالت منى : نحن قد تلقينا برقية عزاء منكم ، أنا ما زلت بوعي الكامل يا (أخت علا) ربما أساء أحدهم لي وذكر لك أنني أهذي أو مجنونة !

ضحكن وقال الضيفة : لا ، الكل يحبك يا منى ، ويحبون السيد برهان .. لكني أحببت اللقاء بك ؛ لأنني مسافرة عن قريب ، وقد أخذت بعض كتب أخيك لترجمتها ونشرها هناك ..

هناء قالت هنا : منى يا حبيبتي .. لا أحد يقول عنك كلاما سيئا ، بل كلنا يقدر لك هذا الوفاء العجيب والحب الكبير .. والأخ برهان كنا نحبه في الله ونقدره .. فلا تهتمي بغمز وإشارات الناس .

ضحكت منى وهي ترد : أنا لا أزعل منك أبدا يا هناء ! أنت عزيزة عليّ .. وأنا أحبك في الله أنا كنت أريد أن أقول أن بعضهم يهمس بأنني فقدت عقلي بعد موت زوجي .. فهذا غير صحيح ؛ ولكني زهدت في هذه الدنيا ، وما زلت أعيش مع سيدي برهان بروحه .. فإذا فارقنا الجسد فالروح معي !

وبعد دندنة متفرقة قالت هناء : أختي منى! أبو برهان أخوك المحب لك يريد منك أن تترجمي

له مجموعة من المحاضرات القانونية تذكرك وهو يدفع بعض كتبه لعلا ، ويريد أن نتقاسم العمل أنا وأنت فما تقولين ؟!

تبسمت منى للاقتراح وقالت : على الرحب والسعة .. هاتيها ، أنا عندي وقت فراغ ، فأترجمها وأنت تدققينها .

فرحت هناء وضيفتها بقبول منى السريع للعرض ، وقالت هناء : رائعة أنت ! .. الآن سأتحدث مع مالك .. فهو كان مستحيي أن يفاتحك بهذا الموضوع ، خشي أن تضعيه في غير محله .

ـ مالك لا يرد ولا يكسف يا هناء .. لقد كان حبيب برهان ، وسمى ابنه ببرهان ، فهذا يحسب له .. ولي أيام لم أرَ الشاب .. إنه حبيبي يا هناء وأحب أن أراه دائما !

ـ وهو يحبك ، ويفخر بك ، ويرى أنك أحلى وأكبر عمة في الدنيا ..

تركتهم هناء يتحدثون ، ومشت نحو الهاتف ، وتحدثت مع زوجها الذي فرح فرحا كبيرا ولبى النداء سريعا .

وبالفعل قامت منى بترجمة المحاضرات أمام دهشة محبيها ، وأشرفت هناء على تدقيقها ومراجعتها فوجدتها في أحسن ترجمة، وسعد مالك من النتيجة ، وقال: أرأيت أنها بكامل وعيها ولكنها لا تريد أن تعيش الواقع أحبت أن تبقى في ماضيها .. كأن الزمن عندها وقف أو توقف عند موت الحبيب أبي خليل فقط ، ولم يعد يتقدم .. سأدفع هذه الترجمة للطباعة فورا ، لعل طلبة كليات الحقوق ينتفعون بما فيها .. ولتبق منى تعيش حياتها الخاصة كما تشاء ..

كان أولاد منى أيضا فرحين من ترجمة أمهم لمحاضرات خالهم ، فقد كان هاجس يقلقهم على ذهاب عقل أمهم ، وإنها تتصرف لا إراديا .. ولكن ترجمتها لهذه المحاضرات وتأكيد هناء لدقة ترجمتها أعاد للجميع الثقة والطمأنينة أن ذاكرتها طبيعية وسليمة ؛ ولكن كما قال مالك لا تريد أن تعيش الواقع

ولما سأل مالك أحد علماء الطب النفسي عن هذه النتيجة ، قال له : هذا يؤكد أنها مدركة تماما لم يجري حولها ، وأنها تحب هذا العمل حبا كبيرا ـ أقصد الترجمة ـ وهذا يؤكد ـ كما قلت لك

أكثر من مرة سابقا ـ قدرتها العقلية الكاملة ، وإنما هي ما زالت تعيش لحظات الفراق التي ألمت بها .. لا تريد نسيان هذا الزوج ولو للحظة .. فاطمئن يا صديقي ولا تقلق .



عاد الهدوء من جديد للأسرة ومحبي السيدة منى ، وانشغل مالك بالحزب ومشاكله وانفضاض الكثير من الجماهير عنه .. وكتب عدة مقالات حادة ، ونشر أفكاره وملاحظاته في الصحف العاملة ، ومع ذلك النشاط المحموم تعرض الحزب لنكسة أخرى في الانتخابات التي حصلت ولم يتقدم على الصفوف كما كان في السنين القديمة أيام شبابه .. فبعد أن هدأت عاصفة الانتخابات الأخيرة والنتائج القاسية ، اجتمعت قيادات الحزب الذي ينشط فيه مالك ربيع ، وبعد قراءة تقارير مختلفة قدمت من باحثين وناشطين في الحزب ، تقرر أن تشكل زعامة جديدة للحزب ، وأن تحال وجوه قديمة وكبيرة في العمر على التقاعد .. وفي هذه الثورة الداخلية اعتلى مالك قيادة الحزب وأصبح نضال عبد الكريم نائبه ، وشكل مجلس زعامة من الوجوه الجديدة والناشطة في الحزب ، وكثفت الاجتماعات والأبحاث والدراسات لتجديد نشاط الحزب وعودته للتقدم للإمام أكثر .. وكان الشبان الجدد ينتظرون الانتخابات القادمة على نار ليروا هل لأفكارهم وأعمالهم ومشاريعهم قد وجدت قبولا قويا

داخل الحزب وخارجه .. وقد اتخذ قرار هام في داخل لوائح الحزب أن القيادة الجديدة إذا فشلت بالوصول لمراكز متقدمة بالحزب أن ينسحبوا لوجوه جديدة أخرى .. وأخذ مالك يعد نفسه لترشيح نفسه عن منطقته نائبا وممثلا لهم وللحزب في دائرته الانتخابية .

وقبل أن تأتي الانتخابات العامة المنتظرة للقيادة الجديدة ، حدثت انتخابات نقابية للمحامين ، ودخل ابن المهندس ربيع الأستاذ المحامي زياد الذي أنهى المحاماة كعمه في إحدى قوائم التنافس على مجلس النقابة ، وفعلا حقق فوزا طيبا سر به عمه ووالده وحتى عمته منى اتصلت

به مهنئة وباركت له هذا النجاح على غير عادتها منذ سنوات .

وكانت عائلة ربيع تحب لو تخرج منى لحياتها التي كانت عليها قبل موت برهان وأحب بعض أحفاد منير فرفر مناسبة ربيع ربيع ، فاعتذر لهم ، وناسبوا الأستاذ عدنان ابن صبرية أخت خليل وأختهم .



كان لربيع ساعد بنت ـ وهي الصغرى عنده ـ كان لديه هوى وميل بتزويجها من ابن أخته منى الصغير إبراهيم ، وهو آخر أولاد منى ، فقد تزوج خليل ومحمد وزهرة وجميلة ، ولم يبق إلا هو والذي شارف على إنهاء الجامعة .

والشاب لم يظهر ممانعة لهذه الرغبة التي قالها خاله أمامه كثيرا ، وإن كان هواه أن يتزوج من بنات خاله مالك ، لم يعلمه من حب خاله لوالده ، وحب والده لخاله مالك أيام حياته ، ولم سمع عنهما من الصداقة والإخاء

وكانت منى كما علمنا ذاهلة عن هذه الأمور.. وتركت الشباب يتزوجون كما يحبون ويرغبون ولم تحشر نفسها في شيء من ذلك ، وقبل الأولاد منها ذلك .. فذات مرة تحدث ربيع مع ابن أخته إبراهيم بموضوع الزواج من ابنته ، فارتبك الشاب وقال : لا أدري يا خال .. هلا حدثت أمي بذلك ؟!

ـ سأفعل يا بني !

وكان إبراهيم يعلم أن ابنة خاله لا تريده ، وهي التي صارحته بذلك الأمر دون مواربة ؛ ولكنه لا يريد أن يشعر خاله بأن الرفض منه ، يريد من الفتاة أن تقول لأبيها ، فرد على خاله لما قال سأفعل يا بني قال : يا خال هل شاورت سعاد ربما لا ترغب بالزواج مني ؟!

ضحك ربيع وقال وهو ينظر لزوجته ؛ وكأنه واثق من قبول ابنته: البنات عندنا مع أننا نترك

لهن الحرية في الاختيار يقبلن ما نختاره لهن .. فكذا مرة ذكرت أمامها رغبتي بتزويجك منها ولم تمانع .. ابشر بها إن شاء الله !

بالطبع دهش إبراهيم لثقة خاله بابنته ، فهي التي ترجته أن يعتذر من خطبتها، وهو أصلا لا يريدها ، إنه يحلم بابنة خاله مالك الحسناء هند فعاد يقول : حدث أمي بالأمر والبنت !

فقال ربيع : قريبا بإذن الله .

ولما غادر الشاب بيت خاله تحدث ربيع مع البنت التي ما زالت على مقاعد الدرس مثل إبراهيم فلحظ أنها لم توافق كما تفعل كل مرة فاستغرب ، فقالت لها أمها : مالك ؟!

ـ أنا لا أريد الزواج اليوم ، وأنا وإبراهيم ما زلنا نتعلم .

ـ سيتخرج هذا الفصل ، وأبوك راغب بمد الجذور بيننا وبينهم .

ـ ليس على حسابي يا أمي !

صعق الأب وقال دهشا : هل من عيب في ابن عمتك؟!.. فقريبا سيتخرج من كلية الطب ، ويصبح طبيبا ثم سيسافر لبريطانيا للاختصاص والعالمية في الطب ، وسوف يعمل مع أخيه في المستشفى !

ـ أنا لا أرغبه ولا أحبه ! أنظر إليه يا أبي كأحد إخوتي !

قالت الأم : عجيب يا سعاد! والله يا بنت كنا نحسب ونرى أنك كنت موافقة في الماضي .. هل أغضبك بشيء ؟ أو طلب منك شيئا ؟! حتى أنني دهشت عندما طلب إبراهيم أخذ رأيك .. هل من شيء بينكم اصدقينا الحديث ولن نجبرك على شيء ؟!

ـ لا أريده فقط .. لا أريده زوجا !

ـ لماذا يا بنية ؟ هل قال لك ذلك ؟!

ـ لأ .. هو الأمر إليه عادي ، تزوجني أو تزوج أي فتاة أخرى .

فقال ربيع : ما الأمر يا سعاد قبل أن أتحدث مع أختي أم خليل ؟!

ـ هو أخي فقط فليتزوج غيري !

صاح ربيع مخاطبا زوجته : اذهبي بها ، فسعاد خجلة من الكلام أمامي ، قد يكون لديها كلام خاص فلا تحب أن يسمعه أبوها .

نهضت أم ساعد المستغربة لمفاجأة ابنتها قائلة بغضب خفيف : اتبعيني نحن قبل قليل حدثنا إبراهيم بالزواج منك !

احتار ربيع في تفسير ما كان ، فكان كلما حدثها عن إبراهيم تبدي ابتسامتها وراحتها .. ما الذي جد ؟! هل تعلقت بشاب من شباب الجامعة ؟!



ولما عاد إبراهيم للبيت صعد إلى المكتبة حيث تحب أمه الجلوس فقال لها بعدما حياها ما تحدث به خاله ربيع .. ثم صارحها برغبته بابنة خاله مالك الآنسة هند .

لزمت الأم الصمت ولم تعلق ، هي لم تتدخل في زواج أي ولد من أولادها ذكورا وإناثا .. الأربعة الأكبر من إبراهيم ، فلما لاحظ الشاب صمت أمه انصرف إلى حجرته مستغربا من صمت أمه ولما رجع أخوه من المستشفى تحدث معه في مشكلة ابنة خاله ربيع ، فقال له : عندما يتحدث معنا خالنا ربيع في الموضوع نرد عليه .

ـ أنا تحدثت مع سعاد وقالت مباشرة وجها لوجه أنا لا أريدك زوجا .. وقلت لها وأنا مثلك لا أريدك زوجة .. ولكن خالي الطيب راغب بشدة بهذه المصاهرة !

ـ وهل تكلمت مع أمك بذلك ؟!

ـ نعم ؛ ولكنها لم تقل شيئا.. لزمت الصمت فتركتها .. أتحدث معها ثانية ؟!

ـ علينا الآن بالصمت يا إبراهيم حتى يتكلم معنا أبو ساعد .. لأننا لو حدثنا خالنا مالكا برغبتك قد يرفض أو يترك الرد .. لأن الكل يعرف أن الخال ربيعا راغب بتزويجك ابنته منذ دخلت الجامعة .

ـ حسنا سأصمت !

ـ لأننا نحرج أنفسنا مع أخوالنا .. فما دامت البنت لا تريدك سينتهي الإشكال من عندهم .. دع الحل للأيام والصبر فرج .

ـ سامح الله خالي .. كان من المفروض أن لا يتكلم بمثل هذا الكلام .

ـ هذا من حبه لأمك .. فكلنا تزوج من أقارب الوالد ـ رحمه الله ـ أنا ومحمد وزهرة وجميلة ولم يبق إلا أنت .. فالناس كما تعلم تقوي من الصلات والعلاقات الاجتماعية بالمصاهرة والزواج فكما تزوج ابنه من ابنة عمته حنين ، يريد أن يعطي ابنته لك .. هذا قصد خالك ربيع .. فالمشكلة سهلة ، وهذا زواج وليس لعب عيال .. إذا لم يكن برضى الطرفين ، فستكون الحياة الزوجية صعبة وشاقة .. فإذا عرف خالي برغبتك من الزواج من ابنة أخيه مالك سيفرح ويسر ويصرف نظر عن ابنته .. ولكن وكما تقول إن البنت غير راغبة بالزواج حاليا ستصارح هي والدها أو أمها وينتهي موضوعها .

ـ تكلم معه في ذلك ، قل له سعاد لا تريده .. وإنها صارحت إبراهيم بذلك ..

ـ الله سيسهل ولا تنزعج .

ـ أنا لست منزعجا ؛ ولكن من العيب أن يتزوج الإنسان فتاه لا تتقبله ، فلو لم تقل بلسانها ؛ ربما صمت ورضيت بتحقيق رغبة خالي .

ـ الله يفعل ما يشاء أيها الأخ العزيز .. اذهب الآن واجلس مع أمك ، وسآتيك أنا وزوجتي للجلوس معكم .

ـ شكرا !

زواج إبراهيم

اتصل المهندس ربيع بابن أخته إبراهيم الطالب في كلية الطب ، وطلب لقاءه بعدما رأى رفض ابنته له ، فذهب الشاب على حسب الموعد بينهما ، ودخل فلقي الفتاة في وجهه فحياها باسما وقال مستفسرا : آ يا سعاد أين الوالدان ؟!

ـ إنهم في انتظارك يا ابن العمة الغالية .. أنا ذكرت لهم أنني لا أريدك زوجا .. لا تزعل مني !

ـ أبدا يا سعاد!.. أنا سمعت هذا الكلام منك سابقا .. ولم أسألك لماذا ؟! .. فأنا لا تفكرين أنني مستعجل على الزواج نفسه يا غالية .. إنما أريد الزواج من أجل السفر والدراسة في الخارج كما فعل خالي مالك .. فنساء أوروبا كما يقال مثيرات للغرائز والجنس.. قلت أتزوج قبل السفر .. وأنا لولا رغبة والدك خالي العزيز ما تكلمت معك في الموضوع .

ـ المهم يا ابن عمتي الغالية لا تزعل مني .. والآن ادخل على خالك وأمي ، وسيقولان لك عن عدم رغبتي بالزواج في الوقت الحالي ، ولو تصبر بضع سنين حتى أتخرج ومن نحو هذا الكلام

ـ سلام الله عليك .

ودخلت في إحدى زوايا البيت ، وصعد الشاب إبراهيم برهان إلى المكان الذي يجب أن يجلس فيه خاله ربيع .. وسلم عليه وعلى زوجته أم ساعد ، وألقى نفسه على مقعد مريح ، وأجاب عن أسئلة خاله عن حال أمه وإخوته كلهم، ثم قال ربيع: يا إبراهيم يا ابن أختي العزيزة والكريمة لماذا أنت مستعجل على الزواج ؟! ألا تصبر بضع سنين حتى تعود من أوروبا ؟! وتكون سعاد قد أنهت وخلصت جامعتها ؟!

ورددت الزوجة مثل هذا الكلام ، فتبسم إبراهيم وهو يرد عليهما : يا خال ! ويا امرأة خالي أم ساعد! أنا لما حدثت أخي خليلا عن الزواج ؛ لأنني أريد أن أذهب في طلب العلم وتحصيل الشهادة الخاصة في الجراحة الخاصة والاختصاص الطبي والزمالة البريطانية وأنا متزوج .. والزواج حصن وعفة للرجال الأشراف يا خال .. ولما أنت لمحت لي قديما برغبتك بمناسبة أمي والعائلة ، وأن سعاد زوجة مناسبة لي تقبلت الأمر .. فأنا لا تهمني من تكون امرأتي!! إلا أن

تكون حسناء ، مربية بصورة طيبة ، ومتعلمة ومتدينة .. وتأملت سعاد فوجدت أن ذلك فيها ؛ ولكني لمست في الآونة الأخيرة عدم رغبتها بالزواج.. فلما حدثتني في المرة السابقة طلبت منك الحديث معها قبل أمي !

ـ والله يا إبراهيم أنا أقدر هذا الكلام الجيد منك .. وفعلا من الحكمة وبعد النظر أن يحصن المسلم نفسه بالزواج قبل السفر إلى تلك الديار ، ذا خير وفضل وسد للذريعة .. وفيه المصلحة والخير ، أنا لدي رغبة كبيرة أن تقترب من العائلة لأن كل إخوتك تزوجوا من أقارب والدهم رحمه الله رحمة واسعة .. وغدا عندما نفارق نحن هذه الدنيا ستبتعدون عنا وعن أهل أمكم .. فمن هذا الجانب رأيت أن نكسبك ونعيد التقارب بين العائلتين .. فغدا عندما نهلك أنا ومنى ستضعف صلتكم بأولاد خالك .. فالزواج يقرب هذه العلاقة ويجددها .

ـ وأنا يا خال رضيت من هذا الباب ؛ لأنني فعلا أسعى أن أقترب منكم ، ومن أجل حبي لأمي التي ما زالت تحيا على ذكريات الماضي عافاها الله من كل سقم.. أرغب أن أكون صهرا لكم !

قالت زوجة ربيع : أنت شاب صريح يا إبراهيم ! .. ألا تدري لماذا لا تريد سعاد الزواج منك

تبسم الشاب الدكتور وقال: أنا لاحظت ـ كما قلت قبل قليل ـ تردد سعاد بالقبول بي كزوج فصارحتها بذلك الإحساس والشعور .. فقالت لا تزعل يا ابن عمتي أنا غير مستعجلة على الزواج ، وأنا أقدرك وأحبك وأحب أمك وأبي وأمي وإخوتي.. أحبكم كلكم ؛ ولكن الزواج لست مستعجلة في شأنه فسكت دقائق ثم قلت لها ولكني أنا مستعجل سأتزوج قبل السفر، وتركت الأمر لكما لعلكما تقنعانها بالرضا ؛ ولكنها مصرة على عدم الزواج اليوم.. وأنا آسف يا خالي ويا امرأة خالي، أنا مضطر للزواج من غيرها .. لا أستطيع الانتظار سأتزوج غيرها ..

فقالت : كلامك ممتاز ورائع يا إبراهيم وصريح فعلا .. ونحن لا نغضب منك .. يعني أن سعاد هي لا تريدك ليس أنت .. ليس بينكما اتفاق وإنك لا تريدها ؟!

ضحك إبراهيم لوجهة نظر امرأة خاله وقال : لا ، ليس هناك مؤامرة !

فقالت بصراحة : أتحب سعاد شابا آخر ؟!

ـ أشكرك يا زوجة خالي على سؤالك هذا .. ذكرت لها ذلك ، كنت معها صريحا يا خالي ، وأقسمت لي أنها لا تحب شابا أو طالبا معها في الجامعة ، إنما هي تحب أن تعيش وحيدة حتى حين ، ثم فيما بعد تفكر بالزواج والحب والغرام .. هذا ما أقسمت عليه .. وأنا ليست في حياتي امرأة معينة ، أنا لا أسمح لنفسي بذلك يا أم ساعد !

فقال ربيع : بارك الله فيك يا إبراهيم .. أنت الآن أعدت السكينة لقلوبنا .. نحن نخاف ونقلق من عبث البنات في سنوات الدراسة والجامعة .. فأنا كنت أرى أنها معجبة بك وراغبة بك أهلا لها!

فقطع وقال : وما زالت يا خال! ولكنها لا ترى الزواج في الوقت الحالي ، وهي حرة ، نحن في زمن الحرية كما يقولون ، لم يعد يجدي الضغط على البنات للاقتران بمن لا يرغبن .

وخيم الصمت لحظات على الثلاثة ، فقالت المرأة قاطعة الصمت : أمصر على الزواج يا إبراهيم ولا تريد الانتظار؟ فلربما غيرت سعاد رأيها بعد تخرجها .. فخالك ربيع يحبكم ووضح لك وجهة نظره وغايته من هذا الزواج .. وأنت أيضا بينت وجهة نظرك فمعه حق ومعك حق .. ونحن نثق بأنك ستعف نفسك عن بنات الإنجليز وغير الإنجليز هناك!

ـ هذا أكيد بفضل من الله ؛ ولكني يا أم ساعد راغب في النكاح .. أنا عمري خمس وعشرون سنة يا امرأة خالي .. وأنا ذاهب لهناك لقضاء ربما خمس سنوات فأكثر ، فسوف أتخصص كما تعلمون في جراحة القلب ، وقد أعمل هناك بضع سنين أخرى .. فالحياة الزوجية استقرار وأمان .

فعادت امرأته خاله تقول : ولكن لو تزوجتك سعاد فهي ما زالت تدرس وأمامها سنتان جامعة سوى هذه السنة .

ـ تكمل هناك أو تدرس من جديد وشهادات بريطانيا مقبولة في كل دول العالم !

عندئذ قال ربيع : أنا أعتذر لك يا ابن أختي عما وعدتك به سابقا ، نادي ابنتك يا أم ساعد .. وأنا كان مناي أن تكون صهرا لي وختنا ؛ ولكن الأمر كله بيد الله مولانا عز وجل .

نادت الأم ابنتها سعاد التي أقبلت باسمة وقالت: آ.. ماذا تريدون أن تسمعوني من قرارات ؟!

رفعت أمها صوتها في وجهها وقالت : تعالي اجلسي !

فلما أخذت مجلسها بينهم قال ربيع : لا أعلق على كلامك وتهكمك .. أنا اعتذرت لابن عمتك عن الوعود والكلام الذي أسمعته إياه .. وكما يقال كل شيء بقدر.. وأعاد لي كلامه عنك ثقتي بك ، فأنا خشيت أن تكوني جاهلة وساذجة وتضحين بابن عمتك الطبيب الباهر من أجل تعرفك بشاب في الجامعة ، ووعدك بأحلام وأوهام وسيارات وعمارات .

وقبل أن ترد سعاد قال إبراهيم : اطمئن يا خالي .. الأخت الفاضلة سعاد طمأنتني جدا وأقسمت أمامي أنها ترفضني ؛ لأنها ما زالت صغيرة على الزواج ومسؤولياته .. أليس كذلك يا سعاد ؟!

ـ بلى يا ابن عمتي الكريمة .. فأنا لو رفضت الاقتران من أجل شاب ضحك عليّ وغرر بي لصارحتك يا إبراهيم! وقد أخفي ذلك عن والديّ ولكن عنك لا أستطيع ، إنني أجلك وأقدرك .

قال ربيع وقد تذكر الماضي البعيد : ذكرتموني ببرهان ـ رحمه الله ـ ووالدتك يا إبراهيم .. كانت أختي منى معه امرأة عجيبة .. أنتم لا تعرفون منى قبل أن تتزوج من أبيك ، ربما سمعتم شيئا يسيرا .. ومع أننا لم نسمع أنه رفع صوته عليها في يوم ما ؛ ولكنه سحرها وقلبها رأسا على عقب رأينا منى أخرى .. وكنت أنا ربيع الابن الكبير لساعد أخاف وأتحاشى من مناقشتها ومجادلتها وهي أكبر مني سنا .. ولكن المرحوم ـ رحمه الله ـ جعل منها صورة أخرى اذهب لخالك مالك فهو يستطيع أن يحدث عنها أحسن مني ؛ لأنهما كانا كثيرا الشجار والقتال ، فأقف أنا وأمي ـ رحمها الله ـ حائرين لا حول لنا ولا قوة .. أو اذهب إلى خالتك حنين ، فهي كانت دائما من صف مالك ، وتغضب منى كثيرا ولا تهتم بشعورها وأحاسيسها .. رحمك الله يا برهان .

وبكى الرجل وهو يتذكر تلك الأيام الصعبة ، وتأثر الجميع ، فبكت المرأة فهي تعرف ابنة عمتها منى جيدا ، وذرف الطبيب إبراهيم الدموع ، فقد مات والده وهو طفل صغير لم يغرف من حب

أبيه كثيرا .. ومسحت سعاد دموعها ، وبعد حين قال إبراهيم : رحمك الله يا أبي! .. شكرا لكم على هذا الحب والإعجاب بوالدي .. سأنسحب يا خالي .

ـ لا ، أنا دعوتك على العشاء ولم ننس .. وامرأة خالك لديها عروس أحسن من ابنتنا !

قالت سعاد باسمة: أحسن مني أنا يا أبي! من هي هذه التي هي أحسن مني ؟!

قالت الأم : سعاد أيضا اسمها ابنة أخي حسان .. أتعرفينها يا سعاد ؟!

صاحت سعاد وهي مستغربة لسؤال أمها : وكيف لا أعرفها ؟! ألا أعرف ابنة خالي؟! والله حلوة يا إبراهيم ، وهي على وشك التخرج حسب علمي .. بضعة أشهر وتتخرج ، ويمكنها أن تلحق بك !

ضحك إبراهيم وقال مداعبا : سعاد زوجتني سعاد وسفرتني وألحقتها بي ! .. أنا أحب المزح معك يا سعاد .. اعذرني يا خال واعذريني يا أم ساعد .. أنا سأفرح قلبكم .. أنا كاشفت أخي خليلا ، وذكرت له قبل مجيء إليكم أن ابنة خالي سعاد لا ترغب بالزواج في هذه الفترة مني أو من غيري ، إنها صارحتني بذلك ؛ ولكنه طلب منى الصبر والتريث .. وقال إذا أصرت الفتاة على رفضك سنطلب لك ابنة خالك مالك الآنسة هند .

فصاحت سعاد ثانية : هند! ولكنها صغيرة .. طفلة !

لم يعر أحد ملاحظة سعاد اهتماما ، وقال ربيع كأنه عاد للواقع : والله فكرة يا إبراهيم .. أليس كذلك يا أم ساعد ؟!

ـ فكرة جيدة ! إذا وافقت أمها على زواجها ، فمالك أبو برهان لن يرفض ، فنحن نعرف مقدار حبه لبرهان ـ رحمه الله ـ وسيقدمها لك على طبق من ذهب ، ولكن الأم وابنتها أتقبلان بك زوجا ؟!

فقال ربيع : لا أدري والله يا ابن أختي .. وإذا وافقوا كيف ستتزوجها قبل إنهاء الدراسة الثانوية

قال إبراهيم : الثانوية كما أعلم لم يبق لها إلا شهور ، وأنا بعدي لم أتخرج أمامي أيضا بضعة شهور المهم أن يوافقوا وسأدع خليل يتحدث معك لتتحدثا مع خالي مالك وعائلته .. أنا أحب

أن أقترب منكم يا خال !

قال ربيع متحمسا للفكرة : ابشر .. مالك كما قالت أم ساعد سيسر بهذا النسب مثلي بل أكثر مني .. المشكلة البنت أتقبل بالزواج ؟ فهي في سن صغيرة ؛ فإذا سعاد الكبيرة والناضجة .. تريد الزواج بعد الدراسة والجامعة !

واختلط الحديث والحوار بينهم وقال في نهايته إبراهيم : تركت شأن الحديث في هذا الموضوع بين يديك يا خالي وأخي خليل ..وأنت يا سعاد احذري أن تتكلمي مع البنت قبل أن يفاتحهم أبوك بالموضوع .. والليلة بعد انصرافي سأحدث أمي بذلك وأخي خليلا .

فقال ربيع : الله يتمم على خير .. والله نحن سعيدون لو تم هذا النسب يا ابن أختي.. نحن نحب أن تبقى رائحة برهان الأخ الحبيب حولنا ، فنحن أحببناه ونبجله .. وله محبة كبيرة وعظيمة عند خالك مالك ، وإذا شئت سأتصل به في هذه اللحظة وندعوه للعشاء معنا ونفتح معه الكلام ليقنع ابنته وزوجته .

ـ إذن اتصل مع أخي خليل .. أو أنا أتحدث معه وأشرح له الموقف .

ـ افعل .. وأنا سوف ادعوه لمشاركتنا العشاء .

ضحكت سعاد وهي تقول : مبارك يا إبراهيم .. لا تحقد عليّ !

ـ لا اطمئني ، أنت ستبقين ابنة خالي يا لئيمة !

هند

شرح إبراهيم لخليل على الهاتف التطورات التي حدثت هذا المساء ، ثم تحدث مع أمه منى التي لم تزد إلا أن قالت افعل ما تشاء ، وتحدث ربيع مع ابن أخته خليل داعيا له للعشاء هو وزوجته فوافق ، وتحدث ربيع مع بيت مالك فلم يجده في البيت ، فأعطاه برهان رقم تلفون ، فاتصل به فوجده في اجتماع مع شباب الحزب ، فدعاه للعشاء ، فاعتذر له عن العشاء ووعده بالمرور عليه بعد انتهاء الاجتماع .

قضى الأخوان سهرة ممتعة في بيت خالهم ربيع ، وشارك فيها بعض أولاد الخال ، وتناول الجميع الطعام الذي أعده لهم أبو ساعد وأم ساعد ، ثم أقبل المحامي ابن ربيع عضو رئاسة النقابة السيد زياد وعمه مالك ، فوضعت لهم زوجة المحامي الطعام ، ولما أكلا ذهبا إلى حيث يسمر ربيع مع ضيوفه ، وتحدثوا في السياسة والحروب والأزمات العاصفة في العالم والأمم ، والمواضيع التي يحب أن يجول فيها مالك أبو برهان .. ثم انتقل الحديث للزواج والبنات وسفر إبراهيم لبريطانيا بعد تخرجه للتخصص في جراحة القلب والشرايين والصدر ، حتى وصلوا لبيت القصيد وهو زواج إبراهيم قبل سفره ، وتحدث ربيع عن رغبته بتزويج إبراهيم من ابنته سعاد ولكنها لا تريد الزواج اليوم أي قبل إنهاء الدراسة والجامعة ، وصارح ربيع أخاه مالكا برغبتهم بمصاهرة إبراهيم ابن أخيهم برهان وأختهم منى ، وإن لإبراهيم هوى في ابنته هند .

ضحك مالك ملء فمه وقال : لففتم الشرق والغرب والعالم كله لتصلوا لهذه الجملة .. والله هذا أحسن نسب يا إبراهيم .. أنا دائما أناجي أباك ، لا تفكر أن أمك فقط تعيش مع ذكرياته وأنا مثلها .. ذاك الإنسان حبه كبير في قلبي .. ولا تظن أنني عندما سميت ابني برهان ضعف حبي له .. يا رجل أبوكم جزء من كبدي وقلبي .. سبحان الله! هذا المخلوق أحببناه حبا كبيرا حتى العم خليل ـ رحمه الله ـ أحبه مثلنا .. أمكم كانت قد تورطت في دين كبير قبل زواجها من أبيكم رحمه المولى .. فلما أخبر بذلك الدين لم يتردد ولو للحظة في سده ، ولم يحتج ، ولم يقل لها أنا لا دخل لي بك .. بل قال أنا أسدد عنك .. بل الأصح أنه وافق على التسديد قبل أن يشاورها

بذلك .. وهو مبلغ لم يكن بسيطا في ذلك الزمان ، وكان في أول صعود السلم .. حوالي اثني عشر ألف دينار يا رجل .. حتى الأخت حنين تأثرت جدا وقالت لو كان أحد غير برهان ربما تزوج بهذا المبلغ امرأة أخرى .. وذهبت أنا وإياه للدائنين وراجعنا الدين ، ودفع المبلغ عن طيب نفس .. هذا موقف واحد من مواقف أبيكم معنا .. وأنا أقدر لكم هذا الاختيار .. وأنا أقول أمامك يا ابنة أخي أنك خاسرة يا سعاد ! ولا تفهمي من كلامي أنني أريد تخجيلك لتتراجعي عن قرارك ، وإنني لا أريد أن أزوج ابنتي لابن أختي بل هذا تشريف وفضل كبير لنا كما قال الأخ ربيع .. ونحن مع حرية الاختيار والقناعة بشريك الحياة .. هذه حياة ليس لقاء عابر أو شركة مؤقتة .. وهذا جيد جدا أن يكون إبراهيم من حصتنا .. الليلة إن شاء الله تعالى أتحدث مع هناء التي لن تعارض بالتأكيد ، فهي تعلم مدى صداقتي لوالدكم رحمه الله .. المهم الفتاة يا إبراهيم أن توافق .. فهي ترى نفسها صغيرة بعد .. رغم أن الزواج فطرة .. لكن بنات اليوم يحببن الدراسة والعمل .. سأقوم بدوري ، وأنت عليك دور آخر يا إبراهيم وهو مهم أيضا .

قال إبراهيم : كيف يا خال لم أفهم ؟!

ـ نحن يا خال لا نحب الحديث عن الزواج أمام أبنائنا سواء كانوا ذكورا أم إناثا ، حتى ولو عن مداعبة ومزح .. فنترك الأمر لهم حتى يكبروا .. البنت بالتأكيد ستفاجأ بالأمر .. ولكني سأسمح لك بالحديث معها.. هي في مقاييس زواج هذا الزمان طفلة .. صحيح أنها في آخر سنة دراسية وأنها امرأة بالغ ، ولكن المسؤولية والزواج يبدو لي أن بنات الجامعة لا يستوعبنه بشكل جيد .. حاول الحديث معها مرة ومرتين .

ـ سأفعل يا خالي.. أنا راغب بالزواج قبل سفري ، وأحب أن استقر عاطفيا ؛ لأنني لا أريد أن تشغلني هذه القضية أثناء مكثي هناك الذي قد يستغرق عشر سنوات بين دراسة وعمل .

فقال مالك : بل نحن مسرورون منك ومن تفكيرك السليم .. وكما قلت لكم هذا النسب يشرفنا وكرم منكم يا ابن أختي .

وبعد سهرة جميلة غادرهم مالك نحو بيته القريب في حي برقوقة ، ثم انصرف خليل وزوجته

بسيارته ، وتبعه إبراهيم أيضا بسيارته .. دخل إبراهيم على أمه التي وجدها تجلس في الصالون فقبل يدها وجلس ملاصقا لها وقال بحب : وحدك يا أمي ؟!

ـ قبل قليل انصرف أخوك وزوجته .. ماذا فعلتم مع أخوالكم ؟!

حدثها بكل شيء حدث أثناء الجلسة ، فقالت أمه : ستقبل هند يا ولدي .. وستسافر معك .. ستتركنا يا إبراهيم !

ـ العلم يا أمي عندهم ! في قديم الزمان كان أبناء أوروبا يسافرون لحواضر العالم الإسلامي في إسبانيا الأندلس ومصر والشام.. اليوم نحن نرحل إليهم .. لقد قرأت كتاب خالي مالك القديم عن العلم في الإسلام وهو مترجم أيضا .. كتاب جميل وممتع لو يعيد خالي طبعه سأذكره بذلك ما رأيك يا أمي بأن ترحلي معي؟ .. سأسر بوجودك الدائم معي .. ستملئين عليّ البيت وتشدي من أزري .. بريطانيا بلاد جميلة كما يقال .. إذا تزوجت من ابنة خالي مالك سنلتقي بأقارب أمها فهم متجنسون هناك .

صمتت منى لحظات ثم تكلمت بضع دقائق حتى سمعها تقول : أأترك دار برهان .. وأنفاسه لأعيش هناك في البرد والثلج ؟!

ـ نأخذها معنا يا أمي !

نظرت في عينيه لحظات وقالت بحيرة : كيف نأخذها ؟! هل نأخذ القصر معنا ؟!

تبسم إبراهيم لإثارة أمه وقال : ليس كذلك .. نأخذ الكتب التي كان الوالد يحب قراءتها .. الثياب التي كان يرتديها .. الأوراق التي كان يكتبها .. الأشياء الحلوة الخاصة عنده !

ـ الجدران التي كان يضع يده عليها .. النوافذ التي كان يفتحها .. المقاعد التي كان يجلس عليها كيف سنأخذها معنا ؟!

ـ ستبقى هنا ريثما نعود .. لن تطول غيبتنا يا أمي .. لقد ذهبتم كما أعلم إلى هناك ، مشيتم في شوارع لندن ومعالمها !

ـ لا .. دعني هنا يا ولدي الحبيب .

ـ سأشتاق إليك كثيرا يا أمي ! أنا تعودت على رؤيتك كل يوم .. لا أنام قبل أن أقبل رأسك سأفقد كل هذه اللحظات .. أنا تعودت عليك منذ مات أبي رحمه الله !

ـ مات أبوك .. مات جسده فقط .. أما روحه فهي ما زالت موجودة معنا !

ـ أكيد يا أمي أن جسده فقط هو الذي غادرنا .. والروح معنا وستذهب معنا وتسافر معنا لتبقى معنا .

ـ لا ، الروح ستبقى هنا في هذا القصر ، لن تخرج حتى أموت أنا .

تنهد الفتى وتأوه : آه .. آه يا أمي .. هل نامت أم السعد ؟

ـ انصرفت قبل دخولكم .. أتريد شيئا ؟

ـ كنت أريد .. أن أشرب قهوة أو أي شيء .

ـ لا تزعل ولا تتضايق .. أنا سأصنع لك القهوة .

ـ لا أريد يا أمي .

ـ لا ، ستشرب ، أتظن أنني لا أحسن صنع القهوة ..

ونهضت باتجاه المطبخ ، وقال إبراهيم : سأذهب معك يا أمي .. أنا أعرف أن قهوتك رائعة ، ولا أحد يجاريك في صنعها وأنك ماهرة في غلي القهوة

ودخلا المطبخ معا ، وأنارت الكهرباء وأخذت تعد وتصنع القهوة ، وإبراهيم يتابعها حتى غلت القهوة وملئت الفناجين منها، وجلسا في المطبخ يتحدثان ويرشفان القهوة .



ولما دخل مالك البيت قريبا من نصف الليل وجد أن زوجته هناء مستيقظة ، وتجلس في مكتبة المنزل ، فاتجه إليها ووقف على بابها محييا ومسلما ، ثم قال : ما زلت مستيقظة ؟!

ردت السلام وأجابت باسمة : كنت قد انتهيت من القراءة ، وأردت النهوض فسمعت صوت

سيارتك فانتظرتك .. كيف الأهل ؟!

فدخل المكتبة وجلس وقال : بخير ويسلمون .. اجلسي مالك وقفت ؟!

ـ ألا تريد النوم ؟!

ـ بعد قليل !

ـ أتريد شيئا؟!

ـ أنا تعشيت في بيت ربيع ، وكان هناك خليل وإبراهيم أولاد منى .. وجرى الحديث عن الزواج زواج إبراهيم ابن أخي برهان رحمه الله .. وكان ربيع لديه رغبة بتزويجه ابنته سعاد ؛ ولكن البنت لا تفكر بالزواج منه أو من غيره في الوقت الحالي .. فطلبوا ابنتا هندا .

هتفت بعجب واستغراب : هند!

ـ نعم .. وأنا هذا الطلب الوحيد الذي أرجوك أن لا ترفضيه يا هناء !

وحدثها عن ملابسات الموضوع ، وعن حبه العتيد لبرهان محمود ، وأن هذا النسب سيبقي العلاقة بينا وبين أسرة برهان ومنى ، فكل أولاده تزوجوا من أقاربهم إلا إبراهيم ، والشاب محب لمصاهرتنا قبل السفر لبريطانيا للدراسة والتعليم العالي

تعاطفت هناء مع كلام زوجها وقالت : أنا مثلك أحب منى وزوجها المرحوم برهان .. وإبراهيم شاب ممتاز جدا فكثير ما يتردد علينا ويجلس معنا ولكن هند هل تصلح زوجة ؟! فنحن لم نهيئها لذلك .. ولا تعتقد أني أعارض زواج الشابة الصغيرة .. لكننا نعيش في مجتمع لا يتحمس لهذا الزواج .. فشهادة الجامعة أصبحت إحدى الأوليات المهمة لدينا .. فالدراسة والتعليم والجامعة يا أبا برهان

ـ كل هذه أعرفه وأقدره يا أم برهان .. تحدثي مع البنت في الأمر الخطير ، وبيني وجهة نظرنا بكل صدق وصراحة ، واسمحي لإبراهيم بالحوار معها ، فادعيه للغداء أو العشاء لعلها تقتنع به وبكلامه .

ـ حاضر يا سيدي ! سأفعل كل ما بوسعي ولتقر عينك !

ـ أهي نائمة الآن ؟

ـ سأطرق باب حجرتها .

كان مالك يريد أن ينهي الموضوع بسرعة ليدخل الابتسامة على العائلتين ، وليطمئن قلب إبراهيم وتسكن جوارحه ، قامت المرأة ، وطرقت الباب كانت بناتها الثلاثة يرقدن في حجرة واحدة ومستيقظات ولكن تحت اللحف ـ فقالت إحداهنّ : آ يا أمي خير ؟ الدنيا آخر ليل !

قالت الأم بصوت ضعيف : أنا ظننت أنكنّ في سابع نومة ..

وفتحت الباب وأدخلت رأسها تقول : ما الذي يقلقكن لهذه الساعة ؟!

قالت واحدة منهن : كنا ننتظر والدنا .. فتأخر فأصابنا القلق وطار النوم عن عيوننا .. ولما سمعنا السيارة ارتاحت قلوبنا ، وقلنا الوقت غير مناسب للحديث معه في نصف الليل !

ـ أحسنتنّ يا بنات .. بعد صلاة الفجر عندما يرجع من المسجد تحدثنّ معه .. أما أنت يا هند تعالي إلى المكتبة أريد أن أتحدث معك في موضوع مهم لك .

ضحكت البنات الثلاثة لهذا الطلب ، فتسألت الأم عن سبب هذا الضحك ، فقالت واحدة منهن : موضوع مهم يا أمي ومع هند !

ـ آ موضوع مهم وخاص .

فعدن للضحك من جديد ، قالت الأم لهند التي نهضت من فراشها ولفت نفسها بثوب سميك : لماذا يضحكن ؟!

ـ امشي يا أمي .. هؤلاء .. وسكتت

عادت الأم تتسأل ، فقالت إحداهنّ : موضوع خاص أو مهم معناه يا أمي أن هناك عريسا لهند

صعقت الأم وقالت : ويلكن أكنتنّ تسترقن السمع ؟!

أنكرن هذه التهمة باسمات ، وقالت إحداهنّ مستفسرة : يا أمي أنت دائما تتحدثين معنا كلنا كفريق واحد .. إلا هذه اللحظة .. فماذا سيكون الموضوع إن لم يكن زواج وعرسان ؟! .. من هو حضرة العريس ؟!

فصاحت هند : وهل وافقت حتى تسألن عنه ؟ نمن خير لكن .

فصاحت هناء بدون مواربة : إبراهيم برهان ابن عمتك منى ما دمتنّ تعرفن في مثل هذه القصص

فهتفن متعجبات : أوه !!

وأخذت هناء هندا ، ومشت بها نحو المكتبة التي غادرها مالك، فشرحت لها الموقف بكل صراحة ووضوح ، ثم قالت : الأمر إليك وبين يديك .. هذا مصيرك ، إن طاب لك الاقتران بإبراهيم ودراسة الجامعة في بلاد الإنجليز فحسن هذا وأهلا وسهلا ، وإن رفضت لا بأس عليك ، وكل واحد عند أهله !

صمتت هند فترة ثم قالت: وأنت يا أمي ؟

ـ أنا بصراحة أحب لك أن تتزوجي من ابن عمتك منى .. إبراهيم شاب عاقل وطموح وممتاز جدا .. وبعد شهور يتخرج طبيبا، وبعد الزواج سيسافر للخارج ردحا من الزمن .. وبزواجك منه تذهبين إلى هناك وتتعلمين هناك ، وكذلك تتعرفين على أخوال أمك وخالتك شمسة التي تزوجت من ابن خالي .

ـ أروح لندن مرة واحدة !

ـ ليست جديدة لندن علينا .. عشت أنا وأبوك فيها زمنا .. وأبوك كما قلت أيضا راغب بهذا الزواج وإن كانت سنك صغيرة بعد .. هذا رأينا نحن ، والرأي كما يقال الأول والأخير لك يا حبيبتي .. وأكرر أن الزواج مسؤولية وحمل ورضاع .

ـ والدراسة ؟!

ـ بعد نجاحك في الثانوية سيكون الزواج إذا حكم النصيب ، وبالطبع هناك إبراهيم سيهتم بدراستك الجامعية والماجستير والدكتوراه إذا أحببت المتابعة .

حسم الأمر

طلبت الفتاة التفكير والنظر في الموضوع بعدما تنتهي من امتحانات المدرسة والتقت عدة مرات بإبراهيم ، وشرح لها رغبته الكبيرة بها ، وإن الدراسة ليست عائقا للحياة الزوجية ، ومع كل هذه المحاولات طلبت الفتاة الانتظار حتى تنتهي من امتحانات الثانوية العامة ، ولم تبدِ قبولا صريحا ولا رفضا قاطعا ، إنما ستحسم الأمر بعد الثانوية ، فقبل إبراهيم بالانتظار هذه الأشهر المتبقية للتقدم لامتحان الشهادة الثانوية الذي تعقده الحكومة للطلاب .. مع أن هذا الجواب المرن لم يشجعه ، وخشي أن يذهب انتظاره إلى لا شيء .. ومالك أيضا تضايق من توقف وتردد ابنته في القبول .. كان يريدها أن تقبل وتتم الخطبة ويؤجل الزواج إلى أي وقت يشاءون ، ولكن هندا اعتذرت لأبيها ، وإن أدركت ما تركت في قلب أبيها من ألم ، فهو ربما يحب أولاد برهان أكثر من أولاده .. فهو دائما يذكره ويتحدث عنه .

حاولت هند التخفيف من ردها عن قلب أبيها ، وبعد عتاب أمها لترددها في حسم الموقف ، ورغم الكلام الذي سمعته من أمها قالت لأمها يا أمي أخاف أن أتسرع في مثل هذه القرار ثم أندم ، وأدمر حياتي وحياة الأخ إبراهيم والأسرة كلها .. أنا أعرف محبة إبراهيم لنا، والغاية من الزواج منا وغايته الأخرى من هذا الزواج قبل السفر

فتركتها الأم وشأنها ، ولم تعد تفتح معها موضوع إبراهيم ، وحاولت هند شرح موقفها لوالدها والتخفيف عن قلبه ، فقال لها كلمة واحدة : أنت حرة يا هند .. فاليوم أنت توقفت في حسم الأمر ، وقبل إبراهيم على مضض ، كان يريد جوابا صريحا نعم أم لا .. وغدا نحن قد نتوقف إذا تقدم إليك عريس ولم يعجبنا .

ـ إلى ذلك اليوم يفرجها الله .. وأنا لم أرفض إبراهيم يا أبي! إنما أحببت التأني في الجواب .

ـ الشاب مستعجل ، لو قلت نعم انتهى الإشكال ، هو يصبر ونحن نصبر .. وهو قد جلس معك مرات محاولا سماع نعم ، وأنت تصرين على الانتظار .

ـ أنا حائرة يا أبي يا حبيبي .. أخشى التسرع في القبول ، ثم لا نندمج معا ويفسد الزواج ، ماذا

سيحل بالعائلتين يا أبي ؟! هذا التصور مخيف !

ـ على كل حال رضي الشاب بالانتظار هذه الشهور .. هو شارينا ونحن نتململ .. أنا حزين له يا هند !

كلما تجلس هند مع أبيها تكرر أسفها واعتذارها له ، حتى تفاجأ ذات يوم وهم يدعونه لحضور خطبة إبراهيم من إحدى بنات عماته ، فصعق مالك وربيع وهناء للخبر حتى أن مالكا ذرف الدمع مما أدمع قلب هند الصغير وأبكاها ، وسألها هل حدث بينكم شيء ؟! فقالت بأسف وبكاء : منذ افترقنا لم يتحدث معي!

ولما التقى إبراهيم بخاله اعتذر له عن عدم صبره وانتظاره أكثر من شهرين .. ، فبكى مالك ثانية بين يدي ابن أخته وقال : كان باستطاعتي إرغامها على الرضا بك يا إبراهيم ! ولكني كنت حريصا على سعادتك وحياتك الهادئة .. فأنت لا تقبل العيش مع فتاة لم تجزم أمرها .

قال إبراهيم : أعرف ذلك وأتمنى لها كل سعادة وتوفيق .. وأنا كنت أحب أن ادخل السرور على قلب أمي بالزواج منكم ، ولكن أقول قدر الله وما شاء فعل .. فالسكينة والرحمة ضروريتان للحياة والسعادة الزوجية .. وصعب عليّ رهن مصيري لشهور ثم أسمع بعد ذلك كلمة آسف

ترك هذا الزواج في نفس مالك شيئا مؤلما وجرحا كبيرا في قلبه ، وأحس بالخجل لفشله بإقناع ابنته من الزواج من ابن أخته وحبيبه برهان .. وفي هذه اللحظة أدرك أن الحبل الذي كاد أن يمد قطع ، وها هم أبناء أخته الخمسة يعودون لحضن عائلتهم العائلة الطيبة ، وقالت هناء مواسية لزوجها الحزين ومخففة من العناء النفسي عنده : غدا لما نزوج برهان نزوجه من أقارب برهان.

ـ لا يصح يا هناء ! فزواج إبراهيم من بناتنا كان أفضل ، ولكننا سنبقى أخوال الأولاد !

ـ أنا أشعر بما أصابك من ألم .. لا حول ولا قوة إلا بالله .

وكان المهندس ربيع ساعد أيضا قد شعر بالأسى والخسارة الكبيرة في فشلهم من تزويج إبراهيم الذي رغب فيهم .. وربما كل العائلة تأثرت بهذه القضية .. وأدركوا أن أولاد برهان ومنى ابتعدوا عن حياتهم ، ولسوف يرونهم في المناسبات واللقاءات العابرة .

وقبل أن تنتهي هند من امتحان شهادة الثانوية كان إبراهيم يتزوج من ابنة عمته الطالبة في الجامعة ، وسكن في الفيلا أو القصر الجميل كباقي إخوته .. ولما أنهى الجامعة ، وتخرج منها أرسل أوراقه إلى جامعات الطب الإنجليزية .. ولم يطل الانتظار ، فعندما كانت هند تفرح بنجاحها في الثانوية العامة ، كان إبراهيم وزوجته يغادران أرض الوطن إلى الجزر البريطانية حيث الشهادات العالمية والعلم والعمل .

عندما التقى مالك بمنى عاتبته كثيرا على عدم تزويج ابنته من ابنها ، فبكى بين يديها كالطفل الصغير ، وقال معتذرا : كان بقدرتي إجبارها يا أم خليل ! ولكن خفت أن تجعل حياة إبراهيم شقاء ونكد ، ونندم عندما تحس أننا أجبرناها على الزواج منه .

وذكرته بأيامها الأولى عندما تزوجت حازم ، وكيف كان موقفه حادا ؟ وكيف كان رفضه ومعارضته رغم صغره آنذاك ، فقال : أنا لم أنس ذلك يا منى .. وأنا نبهت ابنتي من هذا الموقف قلت لها غدا ستأتيننا بزوج لا نرضاه ستبكين .. سامحيني يا منى !

ـ ليس لي عندكم شيء ، إنما كان الأمل والعشم ؛ ولكن أرسلت وراءك لأخبرك أنني سأسافر إلى لندن للحياة مع إبراهيم ، إنه يريدني أن أكون بقربه وأنه لا يستطيع العيش بدوني .. وقد تأثرت بدموعه ونشيجه على الهاتف .. فإبراهيم ولدي الأخير وفلذة كبدي .. وأنا أحسست بفارغ كبير لما تأكد لي بعده .. وسأترك حبيبي برهان برهة من الزمن.. فخذ بالك من الأولاد ، وساعدهم إذا واجهوا أي مشكلة أو قضية ، فهم يحبونكم ولكنكم بخلتم عليهم بفتاة .. ربيع لم يستطع إجبار ابنته .. ومالك لم يستطع ذلك .. أنا أعذر ربيعا لم أعرف من شخصيته المسالمة الهادئة الوديعة ، أما أنت يا مالك كنت تعمل نفسك في وجهي بطلا وشجاعا .. لا تبكي انتهى الأمر !

ـ لا تقسي عليّ يا منى !

ـ أنا لا أقسو عليك ، فالولد غير الأخ والأخت !

ـ سامحيني .. أنا لو أنه ضغط عليّ إبراهيم بعض الشيء ولكنه لم يفعل !

ـ أخلاقه لا تسمح له أن يفعل ، كان يريدكم وأنتم رفضتموه .. على كل حال كان لابد لي من معاتبتك فاقبل ذلك مني .. وسأتصل بكم من لندن .

ـ ألا تريدين أن نودعك ؟!

ـ لا داعي فوقتكم ثمين !

ـ منى يا أخية ! لا تقسي علينا !

ـ أنتم قسوتم على أنفسكم ، عندما جاءني إبراهيم وقال لي إنه سيتزوج من ابنتك .. فرحت وبشرته بموافقة هند لم أعلمه من شخصيتك وقدرتك على الإقناع .. تفاجأت لما لم يحدث هذا الزواج .. انظر بنات أخواتهم وإخوتهم يوافقون بدون تردد إذا وافق الأب ، لم يكن للبنت كلمة ومع ذلك لا تجبر .. فأنا الآن عرفت تربية الحاج محمود من تربيتنا نحن .. كان أولاد الحاج محمود كلهم يد واحدة ، عندما كان أحدهم يريد أن يفتح مصلحة يجمع إخوته ويتشاورون ويتفقون أو يختلفون .. تذكرت اجتماعاتهم عند إنشاء المصنع مصنع الحديد .. اجتماعاتهم عند بناء المدارس .. مكتب برهان .. المستشفى .. مصنع الدواء .. وغير ذلك من الاستثمار

ـ صحيح ، هم خير منا وأجمع منا وأوفق منا ، هذا واضح للعيان يا أخية .. معك حق يا منى غفر الله لنا يا أخية .. متى ستسافرين أحب أن أرافقك للمطار ؟

ـ سأتصل بك من هناك .

ـ هذه قسوة وعتاب شديد ، ما زلت غاضبة ؟!

ـ عندما أموت سينتهي كل شيء بينكم وبين أولاد الحاج محمود .

ـ سنبقى أخوال أولادهم .. وسأزوج برهان من فتاة منهم .. سنبقى متصلين بهم .. أنا لا يمكن أن أنسى العزيز برهان مثلك يا منى .. برهان جدد لي حياتي وقوى عزيمتي في الاندفاع للأمام ، كان مستشارا صادقا وشجاعا وأمينا أيضا !

ـ حسنا ! سأقبل عذرك اليوم قبل غد ، اذهب الآن واخطب ابنة مريم أخت برهان ، فزوجها

من العائلة وهو ابن عمها .. فلزوجة إبراهيم أخت توأم !

ـ سأفعل الآن .. بس سامحيني .. وسيتزوج إن شاء الله قبل سفرك يا منى.

مسحت دموعها وهي تعلم أنها قست على أخيها ، وقالت : أرجو أن يوافق ابنك ، ولا يفعل بك كابنتك ، وألا يكون ينظر لفتاة ما .

قبل مالك باحترام يد أخته الكبيرة التي أخذت تمسح دموعه ودموعها حتى أن الدكتور خليلا دخل عليهما ولم يشعرا به وهم في هذا الوضع الغريب ، فقال دهشا : دموع وشهقات .. ما الأمر يا خالي ؟!

قبل مالك يد أخته ثانية وقال : سأفعل كل ما تشتهينه يا منى .. قاتل الله الضعف .. ستعرف كل شيء قريبا يا خالي .

ونهض قائما وقال خليل : اجلس أبا برهان .. اجلس يا خال نتحدث بعض الوقت .

ـ لا يحق لي الجلوس هنا قبل أن أحقق ما اتفقت عليه أنا وأمك سامحيني يا منى .. أمك ستسافر يا خليل إلى لندن ، وأخشى أن لا نرى بعضنا بعد هذه السفرة !

قالت منى قبل أن يتكلم خليل : الأعمار بيد الله يا أخي .. انطلق وافعل ما هممت به !

ترك مالك أخته مهموما مقبوض النفس ، وقال خليل لأمه : ما الذي هم به أخوك ؟!

فتبسمت الأم وقالت : ستعرفه بعد ساعة !

ـ بعد ساعة !.. حسن وما قصة السفر الذي أشار إليه الخال الفاضل ؟!

ـ ألم أقل لك إن إبراهيم يتحدث معي يوميا وهو يبكي ؟! .. صعب عليه فراقي فيريدني معه حتى ينتهي من الدراسة .. وأنا أيضا صعب عليّ بعده عني يا خليل!

ـ رغم أن هذا يؤلمني يا أمي .. أتحمل وأصبر من أجل إبراهيم الصغير! متى يكون السفر ؟

مع أن إبراهيم دائما يتحدث معي لكنه لم يذكر شيئا ، نحن تعودنا على نفسك معنا .. سيحرمنا إبراهيم من هذه النعمة ! تغيير الجو لا بأس به يا أمي

ـ لا يعني هذا أنني سأترك برهان .. لا .. سآخذ كل ما يذكرني به معي إلى هناك .. ولو يحمل

القصر والأثاث لأخذتها معي .

صفن خليل لحظات وقال : افعلي ما تشائين يا أغلى أم .. سنتحدث معكم كثيرا كل يوم إن شاء الله ..

وبينما هما يتناجيان أقبل أخوه محمد وزوجاتهم وأطفالهم والتفوا حول الأم ، وقد استغربوا لما علموا برغبة منى بالسفر المفاجئ .. فهي منذ ترملت لا تحب مفارقة البيت ولو لساعات .. فهي لم تفارق البيت إلا مضطرة لعيادة مريض أو تعزية عزيز أو تهنئة بزواج أو نجاح أو مريضة إلى المستشفى والعيادات .. فهي تريد ترك القصر وذكريات برهان .. رغم فرحهم بهذا التطور المفاجئ .. قلقوا على فراقها .. وبينما هم يعبرون عن مشاعرهم بحرية وصدق ويتحدثون عن أخبارهم وأحلامهم رن جرس القصر معلنا عن ظهور قادم ، ودخل برهان وتقدم من عمته وقبل رأسها ويدها وقال : أرسلني أبي إليك ، وأنا بين يديك يا عمتي الحبيبة

قبلته من خديه ، ودعت له بالخير ثم قالت : برهان ! آه يا حبيبي ! كم فرح زوج عمتك عندما أخبره أبوك بمولدك وتسميتك برهان .. وكم فرح زوج أمي جدتك جميلة العم خليل عندما أخبره برهان بأننا سمينا ابننا خليلا .. سبحان الله! الأسماء مع أنها على أبدان مختلفة لها تأثير وحلاوة على النفوس .. كان أبوك يحب برهان ، فأراد أن يعبر عن هذا الحب فسماك بهذا الاسم العزيز والغالي يا ابن الغالي .. تعال اجلس بقربي أيها الحبيب .

فجلس على الكنبة أو الأريكة التي تجلس عليها فأخذت تداعب وتعبث في شعره وتقول : أهلا بابن الغالي .. وهو يتمتم بكلمات الشكر ، وقالت : أقال لك أبوك شيئا ؟!

قال بحزن : دخل علينا باكيا .. فبكينا ظنّنا أن مصيبة ألمت بنا أو مات أحد .. ثم صرف الجميع وتحدث معي وحدي فقال : اذهب إلى عمتك الدكتورة منى ربيع .. لتزوجك ممن تشاء .. ففهمت القضية .. فجئت إليك سريعا !

ـ أتقبل أن أزوجك كما أشاء يا حبيبي يا برهان !

وضمت رأسه لصدرها وقبلته ، وتساقطت دمعات من عيونها ثم شرقتها وهي تسمع الشاب

يقول: ولو لم أقبل لم آت يا عمتي.. فدموع والدي عزيزة وغالية علينا .. ونحن منذ تزوج إبراهيم ونحن نعيش في حزن وألم وبكاء.. فأنا خفت على والدي من جلطات الدم وغيرها ..

ـ سلامة أبيك ألف سلامة .. جيد قبولك يا برهان ! وعافى الله أباك .. خليل اتصل بزوج عمتك مريم .. وأنت يا محمد اذهب مع أخيك ، وسأركب أنا مع ابن أخي مالك .. سنخطب ابنة عمتكم لابن أخي .. توأم زوجة إبراهيم .

قال محمد : أنت ستخطبين له؟!

ـ نعم أنا!



تعجبت مريم أخت برهان وزوجها من هذه الزيارة ، وممن من منى ربيع ! فحصل استنفار عجيب في البيت ، فمنى تفارق البيت جرا ، وما تصدق أن تعود وتنتهي من حاجتها خارج البيت .. وكان الوقت مساء بعد العشاء بقليل لم يكن بيت مريم بعيدا عن قصر السيد برهان استقبل موسى ومريم أم خليل بالترحاب الحار الدافئ والفرح الواضح ، فهي أيضا حماة ابنتهم منى ، وكانت أخت برهان صديقة لمنى منذ تزوجت شقيقها برهان ، وكان زوجها ابن عمها موسى .. فلما ولدت ابنتيها التوأم سمت واحدة منهما منى ، وهي التي تزوجها إبراهيم وسافر بها إلى بريطانيا.. وجلس الضيوف وأهل البيت في صالة واسعة ، وكان أهل الدار يرحبون بضيوفهم الكرام ، ثم تحدثت منى عن سبب هذه الزيارة المفاجئة ، وأشارت لابن أخيها برهان وطلبت منهم أي فتاة ، وإن كانت توأم منى الآنسة أميرة فذلك خير.. فسر القوم ، وقامت مريم تعانق منى وهي تقول : يا أهلا بكم جميعا .. وأهلا ببرهان سمي أخي العزيز برهان رحمه الله تعالى ..

وقال زوج مريم عندما نظرت إليه زوجته : أهلا وسهلا بك يا أم خليل والله هذا شرف آخر

تقدميه لنا .. فأهلا بك يا برهان .. وعلى الرحب والسعة .. يا مريم تحدثي مع البنت ، وليراها الشاب فإذا راقت له فبها ونعمت .. وإن لم ترق له فلها أختان.

فقالت منى : بارك الله فيك يا أبا أيوب ! .. ستروق له فسنعيد إليكم البرهان الجديد .

ـ شكرا لك يا أم خليل .. مقدارك عظيم عندنا .. كل العائلة تجلك .

قالت مريم : جزاك الله خيرا يا أم خليل .. أنت بركة عائلة الحاج محمود .. سأرسلها لكم لتسلم عليكم وترونها .

سرت منى وأولادها لسرعة إجابة موسى وزوجته لرغبتهم ، وأثنت على أبي أيوب بما فتح الله عليها من الكلام الحسن والامتنان ، وما عادت الأم للجلوس ثانية حتى أقبلت الفتاة المنشودة وقد لبست ثيابها الشرعية .. فهؤلاء الناس ما زالوا يراعون المحافظة وعدم الاختلاط والخلوة فسلمت على زوجة خالها برهان وقبلتها ، وحيت الجميع ، وجلست حيث أشار لها والدها وقال موسى : هذه يا برهان توأم منى زوجة ابن عمتك أم خليل .. وهذا يا أميرة برهان ابن الأخ الفاضل مالك ربيع شقيق الدكتورة منى .. فقد أقبل بعمته وأولاد عمته يطلبونك منا .. فنحن رحبنا بهذا ، والقول الآن لك ؟!

تبسمت الفتاة وقالت وهي تنظر في عينيّ برهان الذي احمر وجهه خجلا : وأنا قبلت يا أبي ! اختيار امرأة خالي رحمه الله .

لم تطلب الانتظار مع أنها طالبة في الجامعة كأختها منى ، فقامت منى جذلة واحتضنت الفتاة مقبلة لها عدة قبلات معبرة عن فرحها وسعادتها بسرعة جوابها وقالت : مبارك يا ابنتي .. ونعمت التربية يا أبا أيوب ويا بنيتي .

ومسحت دمعات تساقطت على خديها مما أدهش العروس وأهلها واعتبروها دموع الفرح ؛ ولكن برهان فهم مغزى هذه الدموع .. وقال موسى : ألف مبارك يا أم خليل .. أميرة قدرت مجيئك شخصيا لطلب يدها لأبن أخيك .. آ ، يا برهان لم تقل شيئا ؟!

تمتم الشاب بخجل وحياء: لا كلام لي يا سيدي .. أنا سعيد بموافقتكم وقبول الآنسة بي .

انتقلت منى لابن أخيها واحتضنه هو الآخر وباركت له وقالت : أنا سعيدة اليوم يا أولاد .. عدنا أسرة واحدة بمشيئة الله ..

وقام خليل بالاتصال بخاله مالك ربيع ، وطلب منه المجيء ليطلب ويخطب لابنه .

وجرت الاتصالات موسى بوالده وبعض إخوته ، ومريم تحدثت مع أخيها عبد القادر وعبد الرحيم ، وكان مالك يتصل بربيع وبأخته حنين وبنضال وعزمي بعض أشقاء هناء ، والتقوا على باب بيت أبي برهان ، ثم انطلقوا إلى بيت أبي أيوب ، والتقى الجميع هناك ببيت ابن عم برهان المحبوب لهم ، وحدثت الخطبة بحضور كبار العائلتين ، وحدثت سهرة كبيرة بين تلك الأسر ، واتفقوا أن يكون الحفل الكبير للإعلان عن الزواج في وقت قريب ، وقبل سفر السيدة منى إلى لندن.. وكانت منى نجمة هذا اللقاء.. فهي منذ عشر سنوات أو أكثر لم تشاهد بمثل هذا الحبور والسعادة والمشاركة كأن العروسين ابناها .

ولما غادروا البيت ركبت منى مع أخيها مالك في سيارته نحو بيتها ، فقال لها وهم عائدون : جزاك الله خيرا يا أختاه ! لقد صنعت لنا عملا عظيما .. لقد أعدت البسمة لقلوبنا .

ـ خسارة يا مالك ! أن نخسر هذه العائلة.

ـ أعرف ذلك .. مع أننا ندعي أننا محافظون على عاداتنا وتقاليدنا فهم خير منا .. فبناتهم كريمات طاعتهنّ لأهلن دون تردد .. همس لي برهان بكل ما جرى وهو لا يكاد يصدق .. بنت في الجامعة ترى الخطيب أول مرة لا تطلب مهلة ما دام والداها وافقوا !

ـ نعم ، لم تطلب مهلة ولو دقائق.. هو وافق وذهبت الأم لحجرة الفتاة وحدها ، لم يقم الرجل من مجلسه لنقول ضغط عليها .. أنا كانت يدي على قلبي أن تتردد وتطلب مهلة أو لما تتخرج من الجامعة كما فعلت ابنة ربيع .. دائما خيرهم كبير وكثير علينا .

ـ والله لا ننسى ذلك يا أخية .. الحمد لله الذي وفقنا لهذه الخطوة الصغيرة لترضي عنا وعلينا .

ـ لا تزعل من كلامي معك مساء هذا اليوم .. أنا من حبي لكم تكلمت بما سمعت مني .. أنا أريد أن يبقى أبنائي قريبين منكم .. النساء تقرب وتباعد .. فبالمصاهرة نبقى قريبين من بعض

أكثر .

ـ أدرك هذا القصد الكبير.. لا تعلمين كما ندمت عندما علمت بخطبة إبراهيم .. صعقت لدرجة أنني أول مرة لم استوعب ما حصل .. ولكنه صار والحمد لله هو وابني عديلان وسنعزز هذه المصاهرة بغيرها يا منى .. فأعطونا برهان الغالي وها نحن أعطيناهم برهان فلذة الكبد .

ـ ابنك رائع ومهذب جدا وأعجبني للغاية !

ـ هو أدرك الألم الذي أصابنا من زواج إبراهيم .. أنا قلت له الأمر ، ثم قلت اذهب لعمتك فقال لبيك يا أبي وأنا تحت أمركم .

ـ أنا هكذا أحب الأبناء.. فلا يجب أن نتأخر كثيرا بالتفكير الفردي والانفلات في الحرية الشخصية .. نحن ما زلنا أسر لديها دين عظيم .. ونعيش في مجتمع لا يمكن أن ينفتح انفتاح الغرب .. ما أخبار حزبك العجوز ؟!

مسح دمعة سقطت على خده وقال : تريدين تغيير الموضوع والحوار .. أنت أختنا الكبيرة اليوم أي أمنا يا منى ، رحم الله الحاجة جميلة .. ورحم الله أبا أحمد .. وأنا وهناء ـ وكانت هناء على ذكرها قد ركبت سيارة أحد إخوتها ، فقد شعرت أن منى ستتحدث مع مالك ، فلم ترغب بحشر نفسها والاستماع ـ نقدر لك هذا الجهد وممتنون لك فعلا .. وأرجو أن لا تسافري قبل زواج برهان .. فبرهان ابنك اليوم .

ـ هذا الولد أحببته منذ ولد .

ـ وما زلنا نحتفظ بالهدية التي أرسلتموها لنا إلى لندن بمناسبة ولادته.. رحمك الله يا أبا خليل فكلما أجلس مع نفسي وأتذكره تبكي وتدمع عيناي يا منى .. لا أقول ذلك نفاقا يا منى .. واليوم ولدنا طيار ماهر في سلاح الطيران العسكري

ـ هل تعلم أنهم لم يسألونني عن عمله ؟!

تبسم وقال : نحن أهل يا منى .. لابد أنهم يعرفون .. فبرهان ليس غريب عليهم .. لقد كان برهان العزيز يصحبه معه كثيرا .

ـ أحسنت !

ـ سنتصل بإبراهيم ونخبره بهذا الخبر السعيد ليصفح عن أخواله .

ـ سيتصل هو .. لقد اتصلت أميرة عروسكم بأختها قبل مجيئك بأهلك ، لابد أنه اتصل هناك ليبارك لهم ، وربما اتصل بكم في البيت ، إبراهيم أكثر أبنائي حبا لكم .. وسيتصل هنا ، ولابد أنه طلب الحديث معي ، سنعرف الآن من زوجات الأبناء .

وقفت السيارة على باب البيت ، ثم تبعتها سيارة خليل ومحمد وبرهان الذي نزل وقال لهما : كنتم تسيرون ببطء شديد .. وكأنكم نسيتم أن الوقت نصف ليل .

قال مالك : لم ننس اذهب بمن معك للبيت سأسهر مع عمتكم .. أنا منذ زمن افتقدت مثل هذه السهرات الرومانسية أو الشاعرية مع الأخت الحبيبة.. انصرف يا ابني وقل لأمك لتنام قد يطول السهر !

تنهدت منى وهي تسمع كلمات مالك ولما سكت قالت : منذ مات برهان !.. نعم منذ مات برهان ! .. تفضلوا .

وبينما هم واقفون جاءت هناء التي كانت في سيارة أخيها نضال الذي تقدم نحوهم ، وشكر بدوره الدكتورة منى ، فتقبلت شكره بحنان وامتنان ، وقالت هناء : لك الشكر يا أم خليل.. وسنظل نشكرك .. فأنت أعدت لنا الصفاء بجهل البنات .. فهنّ لا يعرفن مثل هذه المعاني العائلية الكبيرة والسرور والحبور بين القلوب .

ـ لا بأس يا امرأة أخي .. سامحيني إذا أخذت دورك في الخطبة لابنك .. تفضلوا نحن ظنّنا أنكم عدتم لبيوتكم .

ـ بارك الله فيك الوقت متأخر ..

وركبت هناء في سيارة برهان الذي قال لعمته : السلام عليكم ، سنمر عليك يا عمة أنا وأمي والعروس ، فهي تريد أن تشتري أنت لها الذهب والزينة .

ـ أنا .. أبشر وسأدفع ثمنه أنا إكراما لعيونكم جميعكم .

احتج برهان وقال : لا ، لا .

قال مالك : اسكت يا برهان .. أنا أعرف عمتك ، هي تريد تسديد دين قديم أو تذكرني بدين قديم !

ضحكت منى وقالت : لا والله ! أنا أعرف أنك وضعت ألفين دينار من ذلك الدين ، دين المصنع لا أنسى ، فبرهان صارحني بذلك عند موته .. وخيرك كثير يا مالك .. لقد كانت هداياك لنا كبيرة وثمينة .. ولكن أحب أن أشارككم فرحتكم ، وابنة أختي مريم تطلب ذلك مني .

ولما ابتعدت سيارتي برهان ونضال دخلت منى القصر ، وكان أولادها قد سبقوهما بالدخول ، قالت منى : مع أن الوقت صيف أشعر ببرد في هذا الليل .. فلنجلس في المكتبة حيث كان برهان الحبيب يحب المكث والسمر والإطالة يا مالك

ـ حاضر .

جلس الأخوان في مكتبة البيت ، وأحضرت لهما خادمة البيت أم السعد القهوة .. أخذت منى كتابا كان يحب برهان قراءته وطفقت تقلب صفحاته .

قال مالك بعد صمت : أراغبة بالرحيل يا أخية ؟

ـ أجل أيها الأخ الحبيب .. أنا أحب إبراهيم ، ربما أكثر من إخوته ، وهو حبيبي ، وهو شبيه أبيه صورة وخلقا .. فكلما أراه أحس أنني أجلس مع برهان .. فهذه الشهور القليلة التي غابها عن عيناي آلمتني وأحسستني بفراغ كالفراغ الذي أحسست به عند فقد برهان .. دموعه عزيزة عليّ يا مالك ! .. وكأنه هو الآخر يحس بفقدي ، لقد مات أبوه وهو صغير عشر سنوات تزيد سنتان أو ثلاث على ما أذكر .

ـ كان عملك معنا اليوم كبير ، فالشكر لك يا منى ! ونحن فرحنا بخطبة برهان ، وفرحتنا أكبر بمشاركتك لنا وظهورك في حياتنا من جديد .. كان الكل مشدوه بوجودك معنا .. لقد خاف الجميع على عقلك يا منى .. ومع ما تعرفين عني كان ينتابني بعض الأحيان قلق وتوجس .. الحمد لله رب العالمين على عافيتك .. وعيشي مع حبيبنا برهان كما يطيب لك ، وخذي أوراقه

وكتبه ورسائله ، وسنأتيك نحن لندن .. ونكتفي بسماعكم ريثما تعودون لنا سالمين ظافرين .

وغرق الأخوان يتذكران الماضي ، وأيام زمان ، وسهراتهم مع برهان والعم خليل ونوادر برهان اللطيفة .. وفجأة كأنه تذكر شيئا فقال : أتذكرين عبير ناصر ؟!

ـ وكيف أنساها؟! وهي أول امرأة عملت موظفة صغيرة عندها ، آ.. مالها؟!

ـ اتصلت بي منذ أيام .. ودعتني لحضور حفلة زواج ابنها البكر فهو يستعد للزواج .

ـ تزوجت هي ؟! .. آ ، أذكر أنها تزوجت بعدما تصالحنا مع أهل خليل فرفر .. كأنني أذكر يا مالك أنها دعتنا للحفلة يومذاك !

فقال مالك : ذهبت أنا وعدنان وأمي والعم خليل واعتذرت أنت .. وكأن برهان لحق بنا .

ـ نعم ، نعم ، برهان وحده ذهب .. ما شاء الله ابنها كبر ويريد الزواج !

ـ الأيام تعبر سريعا يا أم خليل .. رحم الله الحاج خليل أبا أحمد .. كان نعم الرجل والأب .. أخونا ربيع يقول إنه يفكر بإنشاء مسجد عن روح خليل زوج أمنا

ـ فكرة طيبة ! .. نعم ، كان لنا نعم الوالد .. فنحن لا نعرف أبانا ساعدا ـ رحمه الله ـ كما عرفنا خليلا ، الوالد مات ونحن أطفال يا مالك .. صورته خيال في ذهني .. أبو أحمد رجل نادر ، ومع ذلك لم يحتاج لنا كثيرا طول حياته .. قل لربيع إنني سأساهم في هذا المسجد .. ما زالت أموال المصنع مصنع عبد الرحيم تهل علينا .

ـ لقد أصبح المصنع عدة مصانع شركة ضخمة .. خلاص سنشترك كلنا ، وسأتحدث مع حنين إذا أحبت أن تساهم بشيء ، حتى لا تغضب علينا إن تجاهلناها .. ويقول الأخ الكبير ربيع إن المسجد قد يزيد بناؤه وأرضه عن مائة ألف دينار .

ـ المال ليس مهما يا أخي .. أموال أمهم لم يحتاج إليها الأولاد ، فحتى

دراسة إبراهيم كانت من أموال خليل ومحمد .. أصروا على دفع أموال الدراسة ، وحتى سفرة لندن هم يمولونها .. فهم يدعون أنهم استفادوا من أموال الوالد ، وإبراهيم لم ينتفع منها كثيرا وتقبل إبراهيم الأمر بطيب نفس ومن غير حساسية .. وطلبوا منه أن يصرف أمواله إذا أحب

على نفسه وزوجته.. فوافق إبراهيم أيضا .. إبراهيم طيب مثل أخي ربيع يذكرني بمسالمته ومسايرته بربيع ساعد .

ـ هم تربيتك وتربية أبي خليل ـ رحمه الله ـ تربية ممتازة يا أخية .. وإبراهيم زاد عليهم بأنه تربيتك أنت خاصة .. والله كان مناي وبودي أن يتزوج ابنتي هند .. لكن الدلع زاد عندنا .. والله يا منى إن هناء تألمت مثلي وزيادة .. وكانت راغبة بهذا الزواج والنسب .. سوى القربى التي تجمعنا كانت راغبة أن يتزوج ابنتها ليكون قريبا من رعاية أخوالها ويعيش معهم براحة .. وخالتها لهند متزوجة منهم كما تعلمين .. ولكن نقول ما علمناه الرسول صلى الله عليه وسلم قدر الله وما شاء فعل .

وبينما هما يتسامران ويتذاكران أيام الشباب وقصص الشباب ، اتصل إبراهيم طالبا الحديث مع أمه ، وشكرها على خطوتها الجميلة ، وتحدثت منى زوجته مع منى أمه ، وأثنت عليها كثيرا وباركت جهدها الخالص بتزويج أختها من ابن أخيها وأبدت شوقها لرؤيتها قريبا كما وعدتهم ولما علم إبراهيم أن خاله يسمر مع أمه في مثل هذا الوقت سر قلبه وطلب الحديث مع الخال ، وبعد التهنئة قال : كنت أرغب أن أكون البطل عندكم ولكن للقدر حكمه ، والله فعال لما يريد.. لن تزعل إنها تسمع ، فهي تعلم أنني رغبت بمصاهرتكم رغبت ببنات أخوالي ورفضنني بحجج واهية.. وأحسنت أمي باختيار أميرة عروسا لبرهان مالك.

أخذ مالك في الضحك لصراحة ابن أخته ، وقال : سأسافر مع أمك ، واعتذر إليك ثانية .

وأخذت منى موسى التلفون من زوجها ، وهنئت الدكتور المحامي المعروف مالك ربيع ، ودعته بحرارة لزيارة لندن مع عمتها فوعدها بتلبية الدعوة .

ولما ترك الأولاد الهاتف قالت منى : ألا تريد العودة لبيتك ؟ فأكيد هناء وبرهان ينتظرونك للتشاور .

ـ ذكرت لهم أننا في يوم تاريخي من حياتنا بعد فقد الكثير من أحبابنا .. قلت لهم سأستعيد ذكرياتي الليلة مع أختي منى ربيع .. فإن سهروا فهم يسهرون بفرحتهم بابننا برهان .

ـ وهل حقا سترافقني في السفر؟!

ـ نعم .. أنا تعبت أعصابي في الفترة الماضية .. وستسافر معنا أم برهان .. ولي أيضا عمل هناك طباعة كتاب .. فقد تحدث معي ابن خال هناء في ذلك .. وأنت شجعتيني .

وظلا سهرانين حتى صليا الفجر ، ثم غادر مالك بيت أخته عائدا للبيت وهو حالم لا يريد النوم مما غمر قلبه من الحبور بما حصل لولده برهان ، ومن رضا منى عليه .. ولما وصل البيت وصعد للطابق الثاني ، وجد هناء ما زالت تجلس في المكتبة ، فخطر له أنها قامت للصلاة ، وجلست تقرأ في المصحف ، لم يخطر له أنها ساهرة مثله ، فسلم وحيا وألقى ببدنه على أريكة ، وقالت :

قبل قليل انصرف الأولاد .. فخشيت إذا نمت أن تذهب عليّ صلاة الفجر .. لعلك قضيت سهرة ممتعة مع أم خليل؟!

- أجل يا أم برهان .. لقد عادت بي الذكريات لسنوات خلت .. كبرنا ومرت تلك السنون مستعجلة.. وقد نسافر مع منى لندن.. رحلة نزهة ما رأيك بمرافقتنا ؟! ونزور أختك وأخوالك .. وأنت تذكرين أن ابنة خالك كتبت لنا عن أحد الكتب التي أعدتها للنشر .. وأنت ذكرت أن ابن خالك تحدث أيضا بهذا الشأن .. فهي فرصة .

- وزواج برهان ؟!

- ستسافر منى بعد زواج برهان .

- إذا تمكنت من أخذ إجازة سأفعل ، وحتى إذا سمح لبرهان بالسفر إلى الخارج لقضاء شهر العسل فنأخذهم معنا فيقضون إجازة عرس في أوروبا .

خلال شهر واحد تحقق زواج برهان مالك على أميرة موسى ، وتم الزفاف المنشود ، وتحقق الفرح للجميع ، ولم تتمكن هناء من السفر مع زوجها ، وكذلك برهان بسبب أنه ضابط طيار وقد فرح أحباب منى وأصدقاء العائلة وأحفادها بمشاركتها لهم العرس ، وبسفرها وترك القصر ولو إلى حين.. فهي منذ هلك برهان وهي معتصمة بين جدران القصر ولا تخرج إلا مضطرة .. أو مجاملة لأقصى درجة .. وقامت ببعض الزيارات ، ودفعت أموالا لربيع للمشاركة والمساهمة في بناء المسجد عن روح خليل أحمد فرفر .

وقضت مع أخيها مالك أياما جميلة في معالم لندن ، ثم عاد مالك مسرورا مطمئنا على صحة أخته وعافيتها .. وسر إبراهيم من وجود أمه معه ، وكذلك زوجته منى ، ولم تنقطع الاتصالات الهاتفية مع أفراد العائلة ، فما يمر يوم إلا وهم يتلقون اتصالا من فلان ، وآخر من فلان مستفسرا عن حالتهم .. وبعد عودة مالك للبلد كانت منى تبقى عاكفة في البيت حتى يرجع إبراهيم من الجامعة ، ومنى من جامعتها ، وزارتها أخت هناء شمسة عدة مرات بناء على اتصال أختها بها وأصبحتا صديقتين غربة .. وكان أخوال هناء يترددون عليهم لزيارتهم والسمر معهم أيضا

بطلب من هناء عبد الكريم .. وكانت بعض نسائهم الكبيرات في السن والمتقاعدات من الوظائف والأعمال يترددن على الدكتورة في الصباح لشرب القهوة والثرثرة والحديث معها ، وجاءتها أنباء الانتخابات لمجلس البرلمان في بلدها ، وقد علمت وهي تقرأ صحف بريطانيا الإنجليزية والعربية بفوز أخيها مالك نائبا عن حي برقوقة والدائرة التابع لها هذا الحي من المدينة .. وكان نجاحه متوقعا للجميع ، ولو شارك في دورة سابقة لحقق مثل هذا الفوز لشهرته في تلك المنطقة.. فهو شخص شعبي أي معروف للعامة والخاصة في الحي ، وقصة نجاحه وخدمته لأبناء الحي معروفة .. في النشاطات العامة والخاصة ومساعدته للناس معلومة فهو شعبي من أيام العم خليل الحداد .. ومكتبه كان متعاونا ومفتوحا للضعفاء قبل الأقوياء .. وكان أهل الحي ينتظرون مشاركته قديما لاهتمامه بالسياسة الوطنية والدولية.. ومع هذا الفوز لمالك فإن الحزب الذي يتزعمه لم يحقق الآمال الكبيرة والخطط التي نفذها ورسمها.. فأمام هذا الفشل للحزب اضطر مالك وغيره من قيادات الحزب عن التخلي عن زعامته لقيادة جديدة كما اتفقوا سابقا ، وبرزت قيادة مشتركة من القدماء والشباب الجدد .

اتصلت منى على أثر معرفتها بالفوز بمالك وهنأته ، ولكنها شعرت بأنه غير سعيد بالنجاح ، ولم يكن مسرورا كثيرا بهذا الفوز الذي كان واثقا منه ، وشكى لها ضعف نتائج الحزب ، فتمنت له التوفيق والبحث من جديد عن أسباب الفشل ، وشكرها الشكر الجزيل على اهتمامها بأخباره وأخبار العائلة ، وسمع منها أخبار إبراهيم وقرينته .



وبعد حين يسير استقبلت خبر نجاح ابن أخيها ربيع المحامي زياد بفوزه بمنصب نقيب المحامين في بلدها بالطبع ، لم تكن المفاجأة كبيرة لها ، ولا لإبراهيم بسبب أن ابن أخيها كان من أعضاء القيادة في النقابة في الدورات الماضية ، فكان الوصول لهذا المقعد متوقعا ، وتحدثت مع

ربيع ومع ابن أخيها وباركت له هذا التقدم وهنأته بهذا الفوز له وللعائلة .

وبعد حين اتصل بها ربيع مخبرا لها أن ابنته سعاد راغبة بالدراسة العليا في بريطانيا ، وطلب مساعدتها بذلك فرحبت بذلك ووعدته خيرا .. وكلمت منى إبراهيم فسعى لها بالحصول على قبول في إحدى الجامعات الإنجليزية العريقة .. واستقبلها هو وزوجته في مطار هيثرو الإنجليزي ، وأسكنها معهم في الشقة الواسعة ، وأحسنت عمتها استقبالها والترحيب بها .. وقام إبراهيم وزوجته بعد استقرارها بتعريفها على أهم معالم لندن وأهميتها في العالم الحديث ، وأن العلم فيها يعادل العلم في أمريكا الشمالية وحواضر العالم الأخرى .



لم تشعر سعاد خلال الشهور الأولى من وجودها في بيت عمتها وابنها إبراهيم بأي وحشة أو غربة .. ولم تشعر من إبراهيم وزوجته منى بأي مضايقة رغم أنها رفضته ذات يوم كزوج وقرين وحتى زوجته التي تعرف بهذه الحكاية لم يحدث بينهنّ أي مشادة أو موقف فيه غيرة وقلق .. وكانت هي قلقة ومتخوفة من هذه الناحية ؛ ولكنها مع الأيام ذهبت واستقر الأمن ، وأدركت أن الأخلاق شيء عظيم عندهم، وشكرت الله على ذلك ، فقد كانت خائفة أن يعاملها إبراهيم بحساسية وانتقام ، وتضطر للحياة بعيدة عن جو الأسرة والأهل .. وعمتها منى كانت تضفي عليها الحنان والحب .. وكانت أمها تتحدث معها باستمرار وكذلك الوالد وكانت تصارح والديها بهذا العطف والحنان لتزيل عنهم ذلك القلق الذي كان عندهم أيضا لموقفهم الضعيف من زواجها .. فخشي من بغض إبراهيم لابنتهم .. ولكن لما طمأنتهم الفتاة فرحوا بهذه الأخبار فرحا كبيرا وتيقنوا أكثر ما هي تربية منى وبرهان .. مع أن إبراهيم لم يعش من حياته مع والده كثيرا ؛ ولكن تربية العائلة بشكل عام لها تأثير على الآخرين ، فأعجبهم ذلك واطمأنوا على ابنتهم .

كانت حياة الدكتورة في بريطانيا مع ولدها وزوجته هادئة جدا كما كانت في بلدها ومسقط رأسها ، وتأتيها الأخبار باستمرار ، والاتصالات لا تنقطع من أولادها من زوجاتهم أو أزواج بناتها من أبناء إخوتها وبناتهم ، فكانت مطمئنة عليهم ؛ كأنها تحيا بينهم ، حدث حدث يوما ما حرك السكون الراكد في البيت اللندني .. لقد عرفنا أن لهناء أهل مالك شقيق منى أقارب في بريطانيا منذ زمن ، وأن أختا لها قد تزوجت منهم ، وذكرنا أنها كانت تتردد على منى في بعض الأحيان ، على طلب ورجاء من أختها هناء التي كلما تتصل بها تذكرها بزيارة منى والثرثرة معها ، حتى لا تشعر بالوحدة خصوصا في الفترة الصباحية عندما يذهب الأولاد للدراسة والعمل .. وكانت منى تفرح بذلك اللقاء وتشكر هناء في نفسها ، وتدرك أن هذا من حثها ورغبتها بإدخال السرور على قلبها .. ومع أن منى اعتادت على الوحدة والحياة الصامتة منذ هلاك برهان .. الإنسان يحب الونس والحديث والحوار .. وكانت منى تفرح أيضا لمجيء المرأة في أول النهار عندما تكون وحيدة مع الصحف والمجلات والتلفاز .. زارت هذه المرأة الطيبة شقيقة هناء ذات صباح منى كالمعتاد ، ورحبت بها منى واندمجن في الحديث والأخبار والسياسة والاقتصاد والبطالة وقضايا العالم الشائعة في ذلك الحين ، وكانت منى قد أعدت القهوة وأحضرت الفاكهة والمكسرات قبل الجلوس والاستغراق في هذه الأحاديث المسلية .. فهذه ليست أول مرة تلتقيان .. وبينما هنّ مستغرقات في الثرثرة النسائية خرجت سعاد من حجرتها في ذلك النهار ، ولم يكن عندها محاضرات اليوم ، وقد كانت قد سهرت طويلا ليلة أمس على التلفاز ، فاستغرقت في نوم عميق ، لولا أن عمتها أيقظتها للصلاة لما استيقظت وربما صلت وهي نائمة .. سألت المرأة الضيفة منى عن هذه الصبية ، فكأنها أول مرة تصادفها وإلا هي تعرف زوجة إبراهيم ، فقالت منى : هذه ابنة أخي الأكبر المهندس ربيع ..

ـ أوه ما شاء الله ! عروس جميلة يا أم خليل ..ماذا تفعل هنا زيارة .. رحلة ؟!

ـ لا ، يا أم سعيد ، خلصت جامعتها الأولى هناك في البلد ، وأحبت أن تدرس وتحصل الماجستير والدكتوراه هنا ، فأرسلها أخي ربيع ، فجاءت تعيش معنا لتتعلم وتحصل الشهادات

العليا .. أحبت استغلال وجودنا هنا .. ولو لم نكن نحن هنا ما أرسلها ربيع .
كانت سعاد في هذه اللحظة قد غسلت وجهها وحسنت من تسريحتها ، وجاءت وحيت المرأة وعمتها ، وسمعت آخر كلام عمتها .. ثم جلست ، وبعد أن عرفت منى ابنة أخيها على شقيقة هناء أم سعيد التي فرحت بهذه المعرفة .. قالت لها أم سعيد : أمتزوجة أنت يا سعاد ؟!
احمر وجه سعاد ونظرت لعمتها وأجابت المرأة بحياء : لا يا خالتي .
وتحدثت عن امرأة عمها بحديث حسن وطيب ، أفرح وسر منى وأخت هناء ، ثم نهضت واستأذنت لدخول المطبخ لأعداد طعام الفطور لنفسها ، فهي لم تفطر بعد وعرضت على المرأتين مشاركتها الطعام ، فشكرتها أم سعيد وقالت منى : قد أفطرت مع الأولاد .. افطري يا حبيبتي .
ولما اختفت الفتاة في المطبخ قالت أم سعيد : عندي ابن يا منى في سن الزواج وهو من جيل سعاد .. ألا تزوجوننا هذه البنت ولتبقى عندنا هنا في بلاد الإنجليز ؟!
ضحكت منى وقالت : الله يحسن إليك يا أم سعيد أنتم بركة .. ومنذ دخلت علينا هناء لم نسمع بمشكلة بينها وبين أخي مالك .. وسمت ابنها برهان وقبلت به عن طيب خاطر .. والأمر في النهاية للبنت وأهلها أقصد والديها .
وحدثتها بقصة إبراهيم مع سعاد ، فأعجبت المرأة بالفتاة ، وعجبت من حياتها معهم أو في بيت يسكنه إبراهيم الذي رفضته ، وكررت طلبها ورغبتها بأخذها لابنها ، فقالت لها منى : سأتحدث معها في الموضوع يا أختي العزيزة نحن أهل وأقارب ، وتشرفنا كثيرا لما تزوج أخي مالك من ابنة النقيب الكبير المرحوم عبد الكريم والدك الفاضل ، وأصابنا حبور عظيم ، وكان جميل هذا القران وحلم صعب ..
فشكرتها أم سعيد على ثنائها على والدها وإخوتها وأخوالها القاطنين بريطانيا وراحت منى تتحدث عن ذكرياتها وزواج مالك شقيقها من ابنة النقيب عبد الكريم ، فسرت المرأة مما سمعت من ذكريات وهمسات وحب لها ولأسرتها ، وأحست أن الأمر سيكون كما ترغب ، وقامت

تنصرف ولما وقفتا عند الباب ، قالت أم سعيد : كلامك رائع يا أم خليل وزادني ثقة بقبولكم ! شاوري البنت وأنا سأشاور ابني وسأتصل بك الليلة أو صباح الغد .

ولما عادت منى للجلوس أقبلت ابنة أخيها عليها ، قالت وهي تلقي بنفسها على الكرسي : كنتن تتحدثن عني .. ماذا تريد شقيقة هناء ؟!

ـ ألم تسمعي شيئا ؟!

ـ كأنني سمعت أو فهمت ، فكانت تكثر الحديث عن ابنها.. عن ابنها محمد ماذا يعمل ؟ ماذا يعمل يا سعاد ؟ مدير شركة مع والده !

ـ ليس هذا المهم.. المهم أن هذه المرأة أعجبت بحضرتك ، وتريد أن تشاور ابنها ليتزوجك ، وأنا مطلوب مني أن أشاورك !

ـ وأنت ما رأيك يا عمتي الغالية ؟ وعانقتها ضاحكة .

ـ اجلسي .. الرأي لك يا ابنة أخي .. فهؤلاء الناس عرفناهم ، وأختها زوجة عمك مالك ليست غريبة .. ومن يوم دخلت أسرتنا وهي سيدة فاضلة .. ولم نسمع عن أي مشكلة أو مشاجرة بينها وبين عمك .. مع أنها تزوجته وهي طبيبة كبيرة وابنة النقيب وابنة عائلة مهمة وأظن أنك ولدت على يديها فهي قابلتك .. وكثير من بنات أقاربنا الحوامل ترددن عليها ، ولم نسمع أنها أخذت منهن فلسا واحدا ، بل كانت تصرف لهن الدواء على سبيل الهدية ..

ضحكت سعاد وقالت بهدوء : آ ، يا عمتي الحبيبة ! أتريدين تعريفي بزوجة العم الغالي ؟

ـ جميل هذا!.. شاوري نفسك، فإذا كنت راغبة بالزواج كأي امرأة في العالم ، ثم وافق الشاب على اختيار أمه ، سأتحدث مع والدك الغالي يا غالية .. بس اعلمي أنك ستعيشين هنا ، هؤلاء الناس مواطنون هنا ليسوا مثلنا !

ـ آ، يا عمتي !! .. أنا جئت للعلم للدكتوراه ! أريد أن أصير دكتورة مثلك !

ـ يا بنت أنا صرت دكتورة وكان عندي أربعة أولاد ، كلهم إلا إبراهيم ، ولد أثناء مرض أبيه رحمه الله .. واليوم من النادر أن يمنع أحد من التعليم ، وطرق ووسائل التعليم تنوعت وتعددت

ويمكن للعاشق للتعليم أن يتحصل على شهادات ودراسات عليا بقليل من الوقت .. بالانتساب والمراسلة وغير ذلك مم نقرأ عنه .. أنا لم أر الشاب يا سعاد لأبدي رأيي ولكننا نعرفهم من معرفتنا بهناء وأهل هناء .. فنحن نعرفهم قبل هذا اللقاء ..

ـ لا أحد يقدر على مجادلتك يا عمتي الغالية .. سأتحدث مع إبراهيم .

ـ إبراهيم ! .. وما دخل إبراهيم ؟

ـ أحب أن أسمع رأيه .. الزواج هنا يعني البقاء هنا .

ـ أكيد أيتها الطفلة .. ماذا سيقول لك إبراهيم ؟! هل سيقول لا تتزوجي يا سعاد فأولاد البلد والوطن أفضل ؟!

ـ أحب أن أسمع رأي من كان يحلم ويريد أن يتخذني زوجة في يوم ما .

ـ دلوعة.. أنا أعرف أخي ربيعا ، طيب وعنده حنان أكثر من اللازم ، ومتساهل لآخر نفس .. شاوري إبراهيم كما تحبين .

فلما عاد إبراهيم مساء حدثته سعاد بما قالت أمه منى ، ولما انتهت من شرح قضيتها أو مداعبتها قال: أنا أعلم أنك تتحدثين بمواضيع مهمة بطريقة المزح والضحك.. وكما قالت عمتك إنهم أناس قد عرفناهم .. ولا تعتقدي أننا نريد التخلص منك .. أو ضقنا بك خلال هذه الشهور التي تقترب من سنة .. لا أظن أنك رأيت منا تبرما و ...

قاطعته قائلة : نحن أهل يا إبراهيم .. أنا ابنة خالك ربيع وأنت ابن عمتي منى .. صدق أنني قصصت على أبي وأمي عن حبكم لي ، وأنكم تعاملونني كأنني ابنتكم

نهض صائحا متظاهرا بالهياج : يا مجنونة ! أنت ابنتنا .. شئت أم أبيت .. أمي عمتك وأبوك خالي .. أنت منا من لحمنا ودمنا ..

ـ اهدأ !

ـ أنا هادئ .. أنا لا استفز بسهولة .. أنا قلت تلك الملاحظة حتى لا يقع في قلبك أننا متعبون ومنزعجون منك ، ومتضايقون ننتظر اليوم الذي تفارقينا به بشوق وعجلة .. الأمر لا يحتاج

لتفكير طويل وممل .. فإذا راقت لك الحياة والاستقرار في لندن مثل هؤلاء الناس ، ووافق الشاب فتزوجي وادرسي .. أما إذا كنت تريدين أن تتزوجي بعدما تصبحين دكتورة فانتظري وقولي لهم لا .. فالشاب سيتزوج منك أو من غيرك ، ولست البنت الوحيدة في الدنيا !

ـ يا الله ! ما أقسى قلبك !

ـ أنا ؟!

ـ لا ، أنا ! أنت تريد أن تذكرني بموقفي معك عندما أراد والدي تزويجي لك .. تريد أن تذكرني بأنني اعتذرت لك عن الزواج قبل سنتين أو ثلاث .

ـ يا حبيبتي يا ابنة خالي .. أنا لم أعش معك قصة غرام لأبكي على الأيام والليالي التي كنا نضحك بها على بعض .. أنا كنت راغبا يا مجنونة ! لا تزعلي من هذه الصفة .. أنا كنت راغبا بالزواج منكم من بنات أخوالي من أجل خاطر أمي الحبيبة .. كل إخوتي تزوجوا من بنات أعمامهم وعماتهم .. وزوجتي هذه الجالسة الصامتة منذ جلسنا أحسن من مائة واحدة مثلك .

ضحكت سعاد وهي تنظر لعمتها الصامتة لهذا الحوار ، ونظرت لمنى زوجة إبراهيم أيضا الصامتة كالتمثال ؛ ولكنها تبسمت لكلام إبراهيم الأخير وقالت سعاد باسمة : أكيد هي أحسن مني مليون مرة ، أليست زوجتك وستضع لك الابن البكر بعد أيام ؟! إذن أنت ترى أن الزواج مناسب لي وسترة للبنت .. والدكتوراه تأتي فيها بعد .

ـ لازم تسخرين !

ـ كما تسخر أنت مني ، وعامل نفسك رجل عليّ .. صح يا عمتي ! .. صح يا منى موسى ؟!

قالت الزوجة : أنا وعمتي جمهور .. آ ، يا عمتي ؟!

قالت منى ربيع : فعلا نحن جمهور يا ابنة أخي .. نحن سعيدون بوجودك بيننا ، ونحن أهل يا عاقلة.. على كل حال عندما تتحدث معي أم سعيد في الموضوع وتنقل رأي ابنها سأقول لها هات ابنك حتى تراه العروس ، فإن النظر له كلام ، فإن راق في نظرها قبلته زوجا ووافقت عليه

قالت سعاد باسمة وهي تنهض معانقة لعمتها : نعم ، هذا هو الكلام المنطقي يا أخ إبراهيم !

رن الهاتف ، كان المتحدث مالك سلم ، وناول إبراهيم السماعة لأمه قائلا : خالنا العزيز مالك!
تناولت الأم الهاتف ، وتكلمت مع أخيها بشوق وحب ، وسمعته يقول بعد ذلك : طلب مني بعض الصحاب الكبار أن أرشحك لكرسي الوزارة !

هتفت بصوت مرتفع ودهش : الوزارة ؟!

ـ نعم ، إنهم يريدون امرأة كبيرة في السن ومعها دكتوراه .. لتكون ضمن تشكيل الحكومة الجديدة .. ماذا قلت فهم مستعجلون على الرد ؟!

ضحكت منى ملء شدقيها وقالت : أنا منى ربيع أصير وزيرة ! .. شكرا يا أبا برهان .. شكرا لك ولجهودك الكبيرة .

تمت

جمال شاهين

١	ليلة العرس	٢	شمس عمري
٣	أيتام الحداد	٤	صديق أمي
٥	الأخ شريف	٦	أستاذ الفرنساوية
٧	غربتي وابنتي	٨	حي أبو خروف
٩	الشقق السوداء	١٠	حياتي قبل الحياة
١١	الحفل بالقط الأسود	١٢	امرأة نزيه
١٣	رهاب الطلاق	١٤	



أيتام الحداد

تفاجأ الأيتام باختيارها لزوجها

فكان طلاق أمها من الرجل

الذي ضحى وجاهد من أجلهم

ومن أجل تعليمهم.

ثم تبين أن زوجها الاول

هو قريب لزوج أمهم ..

هذه سيرة حياة منى ربيع؛

لعلك تستمتع بقراءتها

كما استمتعت أنا براوية أحداثها

جمال

٢٠٠٥